مَحاسِنُ التَّوحِيد

وارتباطها بأركان الإيمان

الطبعة الأولى
١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م



الكويت ـ العاصمة ـ مدينة جابر الأحمد
واتساب : ٠٠٩٦٥٩٨٧٣٠٧٧٦
بريد إلكتروني : Dar.almohathab@gmail.com
تويتر: @dar_almohathab



مَحَاسِنُ التَّوحِيدِ

وَارْتِبَاطُهَا بِأَرْكَانِ الإِيمَانِ

تَأْلِيفُ

أ.د. مُحَمَّد بن خَلِيفَة بن عَلِي التَّمِيمِيّ






بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة
في محاسن التوحيد وأهميته ومكانته

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

فإن من المفيد والمهم لطالب الحق أن يكون لديه معرفة بمحاسن التوحيد ومقاصده وفضائله وما له من قيمة ومنزلة في جانب الاعتقاد على وجه الخصوص، وفي سائر جوانب الدين على وجه العموم، فإيجاد هذا

التصور المفيد في ذهن المسلم عما للتوحيد من مكانة عالية ودرجة رفيعة سيعود ـ بإذن الله تعالى ـ عليه بالنفع في إيمانه بالله ﷻ، فيولي هذا الجانب القدر الواجب له من الأهمية، كما يزيده ذلك رغبة في التفقه في مسائله ومباحثه وتفريعاته، والتي لا يستغني عنها طالب العلم الراغب في التزود من العلم النافع المفيد.

لا يخفى على المسلم أهمية الإيمان بالله، فهو أول أركان الإيمان، بل هو أعظمها، فما بقية الأركان إلا تبع له وفرع عنه، وهو أهم ما خلق له الخلق وأرسلت به الرسل، وأنزلت به الكتب، وأسست عليه الملة، فالإيمان بالله هو أساس كل خير، ومصدر كل هداية، وسبب كل فلاح؛ ذلك لأن الإنسان لما كان مخلوقًا مربوبًا عاد في علمه وعمله إلى خالقه وباريه فبه يهتدي، وله يعمل، وإليه يصير، فلا غنى له عنه، وانصرافه إلى غيره هو عين هلاكه وفساده، والإنسان له بالله عن كل شيء عوض، وليس لكل شيء عن الله عوض، فليس للعبد صلاح ولا فلاح إلا بمعرفة ربه وعبادته، فإذا حصل له ذلك فهو الغاية المرادة له والتي خلق من أجلها، فما سوى ذلك إما فضل نافع، أو فضول غير نافعة، أو فضول ضارة، ولهذا صارت دعوة الرسل لأممهم إلى الإيمان بالله وعبادته، فكل رسول يبدأ دعوته بذلك كما يعلم من تتبع دعوات الرسل في القرآن.

وقد تناول العلماء محاسن التوحيد وفضائله ومقاصده في مواطن كثيرة من كتبهم، ومن تلك الأقوال:

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ): «كلما كانت حاجة العباد إلى الشيء أقوى وأتم كان بذله لهم أكثر، وطرق وصولهم إليه أكثر وأسهل، وهذا في الخلق والأمر؛ فإن حاجتهم لما كانت إلى الهواء أكثر من الماء

والقوت كان موجودًا معهم في كل مكان وزمان وهو أكثر من غيره، وكذلك لما كانت حاجتهم بعده إلى الماء شديدة إذ هو مادة أقواتهم ولباسهم وفواكههم وشرابهم كان مبذولًا لهم أكثر من غيره، وكذلك حاجتهم إلى القوت لما كانت أشد من حاجتهم إلى الإيواء كان وجود القوت أكثر، وهكذا الأمر في مراتب الحاجات.

ومعلوم أن حاجتهم إلى معرفة ربهم وفاطرهم ومعبودهم ﷻ فوق مراتب هذه الحاجات كلها؛ فإنه لا سعادة لهم ولا فلاح ولا صلاح ولا نعيم إلا بأن يعرفوه ويعبدوه ويكون هو وحده غاية مطلوبهم ونهاية مرادهم، وذكره والتقرب إليه قرة عيونهم وحياة قلوبهم، فمتى فقدوا ذلك كانوا أسوأ حالًا من الأنعام بكثير وكانت الأنعام أطيب عيشًا منهم في العاجل وأسلم عاقبة في الآجل.

وإذا علم أن ضرورة العبد إلى معرفة ربه ومحبته وعبادته والتقرب إليه فوق كل ضرورة كانت الطرق المعرِّفة لهم ذلك أيسر طرق العلم على الإطلاق وأسهلها وأهداها وأقربها وبيان الرب تعالى لها فوق كل بيان»[(١)].

۞ قال ابن تيمية: «والقرآن كله مملوء من تحقيق هذا التوحيد والدعوة إليه، وتعليق النجاة والفلاح، واقتضاء السعادة في الآخرة به. ومعلوم أن الناس متفاضلون في تحقيقه، وحقيقته إخلاص الدين كله لله»[(٢)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): «وفضائل هذه الكلمة وحقائقها وموقعها من الدين: فوق ما يصفه الواصفون ويعرفه العارفون؛ وهي

(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ١/٣٦٦ ـ ٣٦٧.
(٢) منهاج السنة ٥/٣٤٧.

حقيقة الأمر كله؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ فأخبر سبحانه أنه يوحي إلى كل رسول بنفي الألوهية عما سواه وإثباتها له وحده»[(١)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فضل كلمة التوحيد: «هي:

١ ـ الكلمة التي قامت بها الأرض والسموات.

٢ ـ وفطر الله عليها جميع المخلوقات.

٣ ـ وعليها أسست الملة.

٤ ـ ونصبت القبلة.

٥ ـ وجردت سيوف الجهاد.

٦ ـ وهي محض حق الله على جميع العباد.

٧ ـ وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار.

٨ ـ والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار.

٩ ـ وهي المنشور الذي لا يدخل أحد الجنة إلا به.

١٠ ـ والحبل الذي لا يصل إلى الله إلا من يتعلق بسببه.

١١ ـ وهي كلمة الإسلام.

١٢ ـ ومفتاح دار السلام.

١٣ ـ وبها انقسم الناس إلى شقي وسعيد ومقبول وطريد.

١٤ ـ وبها انفصلت دار الكفر من دار الإسلام.

١٥ ـ وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان.

١٦ ـ وهي العمود الحامل للفرض والسنة»[(٢)].

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/٢٥٦.

(٢) الجواب الكافي ص١٧٠.

۞ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وليس شيء من الأشياء له من الآثار الحسنة، والفضائل المتنوعة مثل التوحيد.

١ ـ فإن خير الدنيا والآخرة من ثمرات هذا التوحيد وفضائله.

٢ ـ **ومن فضائله**: أنه السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوبتهما.

٣ ـ **ومن أجل فوائده**: أنه يمنع الخلود في النار. إذا كان في القلب منه أدنى مثقال حبة خردل.

٤ ـ وأنه إذا كمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية.

٥ ـ **ومنها**: أنه يحصل لصاحبه الهدى الكامل والأمن التام في الدنيا والآخرة.

٦ ـ **ومنها**: أنه السبب الوحيد لنيل رضا الله وثوابه.

٧ ـ وأن أسعد الناس بشفاعة محمد ﷺ من قال: «**لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**»[(١)].

٨ ـ **ومن أعظم فضائله**: أن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها، وفي ترتب الثواب عليها على التوحيد، فكلما قوي التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت.

٩ ـ **ومن فضائله**: أنه يسهل على العبد فعل الخير وترك المنكرات ويسليه عن المصيبات، فالمخلص لله في إيمانه وتوحيده تخف عليه الطاعات لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه، ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي، لما يخشى من سخطه وعقابه.

---

(١) رواه البخاري (٩٩، ٦٥٧٠).

١٠ ـ **ومنها**: أن التوحيد إذا كمل في القلب حبب الله لصاحبه الإيمان وزينه في قلبه، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان، وجعله من الراشدين.

١١ ـ **ومنها**: أنه يخفف عن العبد المكاره ويهون عليه الآلام. فبحسب تكميل العبد للتوحيد والإيمان، يتلقى المكاره والآلام بقلب منشرح ونفس مطمئنة وتسليم ورضا بأقدار الله المؤلمة.

١٢ ـ **ومن أعظم فضائله**: أنه يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم، وهذا هو العز الحقيقي والشرف العالي. ويكون مع ذلك متألهًا متعبدًا لله، لا يرجو سواه ولا يخشى إلا إياه، ولا ينيب إلا إليه، وبذلك يتم فلاحه ويتحقق نجاحه.

١٣ ـ **ومن فضائله التي لا يلحقه فيها شيء**: أن التوحيد إذا تم وكمل في القلب وتحقق تحققًا كاملًا بالإخلاص التام، فإنه يصير القليل من عمله كثيرًا، وتضاعف أعماله وأقواله بغير حصر ولا حساب، ورجحت كلمة الإخلاص في ميزان العبد بحيث لا تقابلها السماوات والأرض وعمارها من جميع خلق الله، كما في حديث أبي سعيد المذكور في الترجمة، وفي حديث البطاقة التي فيها لا إلٰه إلا الله التي وزنت تسعة وتسعين سجلًا من الذنوب، كل سجل يبلغ مد البصر، وذلك لكمال إخلاص قائلها، وكم ممن يقولها لا تبلغ هذا المبلغ؛ لأنه لم يكن في قلبه من التوحيد والإخلاص الكامل مثل ما قام بقلب هذا العبد ولا قريبًا منه.

١٤ ـ **ومن فضائل التوحيد**: أن الله تكفل لأهله بالفتح والنصر في الدنيا، والعز والشرف وحصول الهداية والتيسير لليسرى وإصلاح الأحوال والتسديد في الأقوال والأفعال.

١٥ ـ ومنها: أن الله يدفع عن الموحدين أهل الإيمان شرور الدنيا والآخرة، ويمن عليهم بالحياة الطيبة والطمأنينة إليه والطمأنينة بذكره، وشواهد هذه الجمل من الكتاب والسنة كثيرة معروفة والله أعلم»[1].

۞ قال حافظ بن أحمد حكمي (ت: ١٣٧٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «[لفظة الشهادة] أي: شهادة أن لا إلٰه إلا الله [فهي] أي: هذه الكلمة:

١ ـ [سبيل الفوز] بدخول الجنة والنجاة من النار، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران، الآية: ١٨٥].

٢ ـ [و] هي سبيل (السعادة) في الدارين أي طريقهما، لا وصول إليها إلا بهذه الكلمة.

٣ ـ فهي الكلمة التي أرسل الله بها رسله.

٤ ـ وأنزل بها كتبه.

٥ ـ ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة

٦ ـ والجنة والنار.

٧ ـ وفي شأنها تكون الشقاوة والسعادة.

٨ ـ وبها تؤخذ الكتب باليمين أو الشمال.

٩ ـ ويثقل الميزان أو يخف.

١٠ ـ وبها النجاة من النار بعد الورود.

١١ ـ وبعدم التزامها البقاء في النار.

١٢ ـ وبها أخذ الله الميثاق.

١٣ ـ وعليها الجزاء والمحاسبة.

١٤ ـ وعنها السؤال يوم التلاق إذ يقول تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد لابن سعدي ص٢٣ ـ ٢٥.

﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٩٣﴾ [الحجر]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ٦﴾ [الأعراف]؛ فأما سؤاله تعالى الذين أرسل إليهم يوم القيامة فمنه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ٦٥﴾ [القصص] والآيات قبلها وبعدها وغير ذلك؛ وأما سؤاله المرسلين فمنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ١٠٩﴾ [المائدة] وغير ذلك من الآيات.

١٥ ـ وهي أعظم نعمة أنعم الله ﷻ بها على عباده أن هداهم إليها، ولهذا ذكرها في سورة النحل التي هي سورة النعم، فقدمها أولًا قبل كل نعمة فقال ـ تعالى ـ: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ٢﴾ [النحل].

١٦ ـ وهي كلمة الشهادة.

١٧ ـ ومفتاح دار السعادة.

١٨ ـ وهي أصل الدين.

١٩ ـ وأساسه.

٢٠ ـ ورأس أمره.

٢١ ـ وساق شجرته.

٢٢ ـ وعمود فسطاطه.

٢٣ ـ وبقية أركان الدين وفرائضه متفرعة عنها، ومتشعبة منها، مكملات لها مقيدة بالتزام معناها والعمل بمقتضاها.

٢٤ ـ فهي العروة الوثقى التي قال الله ﷻ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة، الآية: ٢٥٦] قاله سعيد بن جبير (ت: ٩٥هـ)، والضحاك (ت: ١٠٢هـ).

٢٥ ـ وهي العهد الذي ذكر الله ﷻ إذ يقول: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝٨٧﴾ [مريم، الآية: ٨٧] قال ذلك عبد الله بن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما قال: «هو شهادة أن لا إله إلا الله، والبراءة من الحول والقوة إلا بالله، وأن لا يرجو إلا الله ﷻ»(١).

٢٦ ـ وهي الحسنى التي قال الله ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ الآيات [الليل، الآيات: ٥ ـ ٧]، قاله: أبو عبد الرحمٰن السلمي (ت: ٤١٢هـ) رحمه الله، والضحاك (ت: ١٠٢هـ)، ورواه عطية (ت: ٢٧٦هـ) رحمه الله، عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما(٢).

٢٧ ـ وهي كلمة الحق التي ذكر الله ﷻ إذ يقول تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٨٦﴾ [الزخرف، الآية: ٨٦] قال ذلك البغوي (ت: ٥١٠هـ) رحمه الله.

٢٨ ـ وهي كلمة التقوى التي ذكر الله ﷻ إذ يقول: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح، الآية: ٢٦]، وروى ذلك ابن جرير (ت: ٣١٠هـ) رحمه الله، وعبد الله بن أحمد (ت: ٢٩٠هـ) رحمه الله والترمذي (ت: ٢٧٩هـ) رحمه الله، بأسانيدهم إلى أبي بن كعب (ت: ٣٠ هـ تقريبًا) رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

٢٩ ـ وهي القول الثابت الذي ذكر الله ﷻ إذ يقول تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم، الآية:

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ١٨/ ٢٥٥ وهو من رواية علي بن أبي طلحة عنه، وروايته عنه منقطعة.

(٢) رواه البغوي ٨/ ٤٤٢. وعطية العوفي فيه مقال معروف. انظر: «الضعفاء والمتروكين» للنسائي (٤٨١)، و«الضعفاء» للعقيلي (١٣٩٢)، و«الكامل في الضعفاء» لابن عدي (١٥٣٠).

٢٧] أخرجاه في الصحيحين عن البراء بن عازب (ت: ٧٢هـ) رضي الله عنه عن النبي ﷺ(١).

٣٠ - وهي الكلمة الطيبة المضروبة مثلًا قبل ذلك إذ يقول تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤﴾ [إبراهيم، الآية: ٢٤] قاله علي بن أبي طلحة (ت: ١٢٠هـ)، عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما(٢) أصلها ثابت في قلب المؤمن، وفرعها العمل الصالح في السماء صاعد إلى الله عز وجل وكذا قال الضحاك (ت: ١٠٢هـ)، وسعيد بن جبير (ت: ٩٥هـ)، وعكرمة (ت: ١٠٥هـ)، ومجاهد (ت: ١٠٤هـ)، وغير واحد.

٣١ - وهي الحسنة التي ذكر الله عز وجل إذ يقول: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام، الآية: ١٦٠] قال الله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ۝٨٩﴾ [النمل، الآية: ٨٩] قال ذلك زين العابدين وإبراهيم النخعي (ت: ٩٦هـ) رحمه الله، وعن أبي ذر الغفاري (ت: ٣٠ أو ٣١هـ) رضي الله عنه مرفوعًا: «هي أحسن الحسنات»(٣).

٣٢ - وهي تمحو الذنوب والخطايا.

٣٣ - وهي المثل الأعلى الذي ذكر الله عز وجل إذ يقول: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم، الآية: ٢٧] قال ذلك قتادة (ت: ١١٨هـ)، ومحمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ)، ورواه مالك (ت: ١٧٩هـ)، عن محمد بن المنكدر (ت: ١٣٠هـ).

---

(١) رواه البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١).
(٢) رواه الطبري في تفسيره ١٦/٥٦٧. ورواية علي بن أبي طلحة عنه مرسلة.
(٣) رواه الطبري ١٢/٢٧٩، وحسنه ابن حجر في «الأمالي المطلقة» ص١٢٩، والألباني في «كلمة الإخلاص» لابن رجب ص٥٥.

٣٤ ـ وهي سبب النجاة كما في صحيح مسلم أن النبي ﷺ سمع مؤذنًا يقول: أشهد أن لا إلٰه إلا الله فقال ﷺ: «خرجت من النار»[(١)]. وفيه عن عبادة بن الصامت (ت: ٣٤هـ) رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من شهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله حرم الله عليه النار»[(٢)]، وفي حديث الشفاعة: «أخرجوا من النار من قال: لا إلٰه إلا الله وكان في قلبه مثقال ذرة من إيمان»[(٣)].

٣٥ ـ وهي سبب دخول الجنة كما في الصحيحين عن عبادة بن الصامت (ت: ٣٤هـ) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال أشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله الجنة من أي أبواب الجنة الثمانية شاء»[(٤)]، وفي رواية: «أدخله الله الجنة على ما كان من عمل»[(٥)].

٣٦ ـ وهي أفضل ما ذكر الله عز وجل به.

٣٧ ـ وأثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة كما في المسند عن عبد الله بن عمرو (ت: ٦٥هـ) رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «إن نوحًا عليه الصلاة والسلام قال لابنه عند موته: آمرك بلا إلٰه إلا الله فإن السمٰوات السبع والأرضين السبع لو وضعن في كفة ووضعت لا إلٰه إلا الله في كفة لرجحت بهن لا إلٰه إلا الله ولو أن السمٰوات السبع والأرضين السبع كنَّ

(١) رواه مسلم (٣٨٢).
(٢) رواه مسلم (٢٩).
(٣) رواه الحاكم ١/١٤١ وقال الذهبي: صحيح الإسناد، وشطره الثاني في البخاري (٢٢).
(٤) رواه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).
(٥) رواه البخاري (٣٤٣٥).

حلقة مبهمة لَقَصَمَتْهُنَّ لا إلٰه إلا الله»[١]، وفي الترمذي والنسائي وفي المسند عن عبد الله بن عمرو بن العاص (ت: ٦٥هـ) رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله سيخلص رجلًا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًا، كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا، أظلمك كَتَبَتي الحافظون؟ فيقول لا يا رب فيقول أفلك عذر؟ فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: أحضر وزنك فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: فإنك لا تظلم، قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء»[٢].

٣٨ ـ وهي التي لا يحجبها شيء دون الله عز وجل وفيه أيضًا عن أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من عبد قال: لا إلٰه إلا الله مخلصًا إلا فتحت لها أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش»[٣].

---

(١) رواه أحمد ٢/١٦٩ (٦٥٨٣). وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٣٤).

(٢) رواه الترمذي (٢٨٥٠)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد ٢/٢١٣ (٦٩٩٤)، والحاكم (١/٤٦، ٥٢٩). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين وهو صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وحسنه ابن حجر في «هداية الرواة» ٥/١٧٣ ـ كما أشار إلى ذلك في مقدمته ـ. وقال أحمد شاكر في «مسند أحمد» ١١/١٧٦: إسناده صحيح. وقال الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه»: صحيح.

(٣) رواه الترمذي (٣٥٩٠) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وقال الألباني في «صحيح سنن الترمذي»: صحيح.

٣٩ ـ وهي الأمان من وحشة القبور وهول الحشر. واعلم أن النصوص الواردة في فضل هذه الشهادة كثيرة لا يحاط بها، وفيما ذكرنا كفاية، . . .

٤٠ ـ ويكفيك في فضل لا إله إلا الله إخبار النبي ﷺ أنها أعلى جميع شعب الإيمان، كما في الصحيحين عن أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون ـ أو بضع وستون ـ شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**» وهذا لفظ مسلم[(١)][(٢)].

۞ قال محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإنسان إذا فتح عليه معرفة الحِكَم من الأحكام الشرعية ازداد إيمانًا ويقينًا، وعرف بذلك سمو الشريعة الإسلامية، وأنها لا تأمر إلا بالخير، ولا تنهى إلا عن الشر»[(٣)].

وهذه النقولات وغيرها كثير أحببت أن أجمعها وأنظم عقدها في هذا المؤلف؛ فإن من أغراض التأليف كما هو معلوم جمع ما تفرق، وترتيب ما تشتت، وشرح ما يحتاج إلى شرح.

قال ابن حزم (ت: ٤٥٦هـ): «وإنما ذكرنا التآليف المستحقة للذكر، والتي تدخل تحت الأقسام السبعة التي لا يؤلف عاقل إلا في أحدها، وهي:

- إما شيء لم يسبق إليه يخترعه.
- أو شيء ناقص يتمه.

---

(١) رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد لحافظ الحكمي. ص٢٢١.

(٣) أحكام القرآن الكريم ٢/١٣٨.

- أو شيء مستغلق يشرحه.
- أو شيء طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه.
- أو شيء متفرق يجمعه.
- أو شيء مختلط يرتبه.
- أو شيء أخطأ فيه مؤلفه يصلحه»[(١)].

وقد قمت بجمع المادة العلمية المتعلقة بالموضوع من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وآثار مروية عن سلف الأمة، ونقول وأقوال للمتقدمين، والمتأخرين مما له صلة بالموضوع.

وذلك وفق ما كان عليه منهج سلفنا الصالح من الاعتماد على نصوص الكتاب والسنة ونقل كلام الصحابة والتابعين وأئمة هذا الدين رضي الله عنهم أجمعين.

وقسمت ما جمعت على فصول ومباحث ومطالب ومسائل ونقاط، فرتبت ما تشتت وجمعت ما تفرق واختصرت وانتقيت مما توسع فيه حسب ما يقتضيه المقام وتدعو إليه الحاجة.

ورتبت ما اجتمع لي على الترتيب الآتي:

الفصل الأول
مكانة التوحيد وفضله

وفيه ستة مباحث:

* **المبحث الأول: مسميات التوحيد.**

وفيه مطلبان.

* **المبحث الثاني: مكانة التوحيد في الدين عمومًا.**

(١) مجموع رسائل ابن حزم ٢/١٨٦.

وفيه أحد عشر ومائة مطلب.

* المبحث الثالث: محاسن التوحيد وتعلقها بالدعاء.

وفيه أربعة عشر مطلبًا.

* المبحث الرابع: محاسن التوحيد على الموحد من جهة ما ينعكس عليه.

وفيه ستة وخمسون مطلبًا.

* المبحث الخامس: محاسن كلمة التوحيد من جهة خصائصها.

وفيه ستة مطالب.

* المبحث السادس: محاسن التوحيد من جهة ما يضاده.

وفيه ثمانية وعشرون مطلبًا.

الفصل الثاني

محاسن التوحيد وبقية أركان الإيمان

وفيه خمسة مباحث:

* المبحث الأول: محاسن التوحيد والإيمان بالملائكة.

وفيه أربعة مطالب.

* المبحث الثاني: محاسن التوحيد والإيمان بالكتب.

وفيه تسعة مطالب.

* المبحث الثالث: محاسن التوحيد والإيمان بالرسل.

وفيه أحد عشر مطلبًا.

* المبحث الرابع: محاسن التوحيد والإيمان باليوم الآخر.

وفيه أربعة وثلاثون مطلبًا.

* المبحث الخامس: محاسن التوحيد والإيمان بالقدر.

وفيه ستة مطالب.

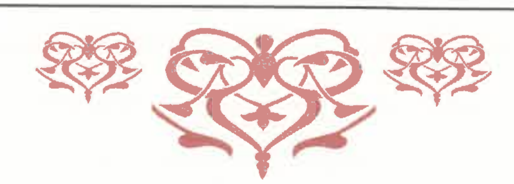
* الخاتمة.

وبعد: فهذا جهد المقل وأستسمح القارئ الكريم عذرًا إذا ما وجد في عملي هذا تقصيرًا، فهذا جهد بشر، والمرء يستحضر في هذا المقام قول القائل: «إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابًا في يوم إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر»[(١)].

قال محمد بن مفلح (ت: ٧٦٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ صَنَّفَ كِتَابًا فَقَدِ اسْتَشْرَفَ لِلْمَدْحِ وَالذَّمِّ، لِأَنَّهُ إِنْ أَحْسَنَ فَقَدِ اسْتُهْدِفَ لِلْحَسَدِ، وَإِنْ أَسَاءَ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلشَّتْمِ»[(٢)].

(١) هذه العبارة للعماد الأصفهاني، وقد أوردها طه عبد الرؤوف في مقدمة تحقيقه لكتاب إعلام الموقعين (ص م).

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية ١/ ٣٥٣.



الفصل الأول

مكانة التوحيد وفضله

وفيه ستة مباحث:

* المبحث الأول: مسميات التوحيد.
* المبحث الثاني: مكانة التوحيد في الدين عمومًا.
* المبحث الثالث: محاسن التوحيد وتعلقها بالدعاء.
* المبحث الرابع: محاسن التوحيد على الموحد من جهة ما ينعكس عليه.
* المبحث الخامس: محاسن كلمة التوحيد من جهة خصائصها.
* المبحث السادس: محاسن التوحيد من جهة ما يضاده.







المبحث الأول

مسميات التوحيد

وفيه مطلبان:



المطلب الأول

كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى

نوه العلماء على أن كثرة الأسماء مع حسنها تدل على كمال المسمى وعظمه وعلوه وشرفه وفضيلته وسمو درجته في أمر من الأمور.

كما تدل كذلك على كثرة الصفات والمحامد والوظائف التي يقوم بها المسمى بتلك الأسماء؛ وقد أكد غير واحد من العلماء هذا المقصد في أقوالهم ومن ذلك ما ذكره كل من:

❁ روي عن علي بن أبي طالب (ت: ٤٠هـ) رضي الله عنه: «كثرة الأسماء تدل على عظم المسمى»[(١)].

❁ قال أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ) رحمه الله: «وقد قالوا: كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى»[(٢)].

---

(١) أضواء البيان (سورة القارعة، الآية: ١).

(٢) المجموع شرح المهذب ٨/٣.

۞ قال ابن عماد الأقفهسي (ت: ٨٠٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعلوم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، أو عظمه، أو تهويل أمره»[(١)].

۞ قال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت: ٨١٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى أو كماله في أمر من الأمور، أما ترى أن كثرة أسماء الأسد دلت على كمال قوته، وكثرة أسماء القيامة دلت على كمال شدته وصعوبته، وكثرة أسماء الداهية دلت على شدة نكايتها، وكذلك كثرة أسماء الله تعالى دلت على كمال جلال عظمته، وكثرة أسماء النبي ﷺ دلت على علو رتبته وسمو درجته، وكذلك كثرة أسماء القرآن دلت على شرفه وفضيلته»[(٢)].

۞ وقال علي بن عبد الله السمهودي (ت: ٩١١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى»[(٣)].

۞ قال السيوطي (ت: ٩١١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «كثرة الأسماء دالة على شرف المسمى»[(٤)].

۞ قال العلامة محمد بن إسماعيل البرديسي (ت: ١٠٩٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أن العرب تسمي الشيء بأسماء كثيرة، وتجعل له ألقابًا عديدة؛ تعظيمًا لشأنه، وإكبارًا لأمره»[(٥)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الرب تعالى لم يذكر للعباد من صفات ملائكته وشأنهم وأفعالهم وأسمائهم عشر معشار ما ذكر لهم

---

(١) الإرشاد ٢/ ٥٧٤.
(٢) بصائر ذوي التمييز ١/ ٨٨.
(٣) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ١/ ١٩.
(٤) الإتقان في علوم القرآن ١/ ١٨٧.
(٥) الحياة الآخرة للعواجي ١/ ٤٥، أشراط الساعة للوابل ص٣٧.

من نعوت جلاله وصفات كماله وأسمائه وأفعاله»[(١)].

ويمكن تناول أسماء التوحيد من جانبين:

الجانب الأول: أسماء التوحيد باعتبار أنه علم من العلوم.

والجانب الثاني: أسماء التوحيد باعتبار أنه الركن الأول من أركان الإيمان.

ولكل واحد من الجانبين اعتباره الخاص في التسمية كما سيتم بيانه في المطلبين الآتيين.

المطلب الثاني

مسميات التوحيد في النصوص الشرعية

وقد تعددت مسميات التوحيد في النصوص الشرعية وتنوعت معانيها بما يظهر محاسنها ويدل على مكانة التوحيد وفضله.

وهذه المسميات يمكن التعرف عليها من خلال تتبع نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية، والآثار المروية عن سلف الأمة، ومظنة وجودها تكون من خلال مطالعة كتب تفسير القرآن والكتب التي اعتنت بعلومه، وكذا كتب السنة وشروحها، وأيضًا بالرجوع لكتب الاعتقاد.

وممن قام بجمع قدر منها الفخر الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في كتابه «عجائب القرآن»[(٢)]، حيث عقد الفصل الثالث من هذا الكتاب لعد أسماء التوحيد وبلغ مجموع ما ذكره أربعة وعشرين اسمًا على النحو الآتي:

---

(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ١/ ٣٦٧.

(٢) انظر: عجائب القرآن ص٤٦ ـ ٧٢.

«١ ـ كلمة التوحيد. ٢ ـ كلمة الإخلاص. ٣ ـ كلمة الإحسان. ٤ ـ دعوة الحق. ٥ ـ كلمة العدل. ٦ ـ الطيب من القول. ٧ ـ الكلمة الطيبة. ٨ ـ القول الثابت. ٩ ـ كلمة التقوى. ١٠ ـ الكلمة الباقية. ١١ ـ كلمة الله العليا. ١٢ ـ المثل الأعلى. ١٣ ـ كلمة السواء. ١٤ ـ كلمة النجاة. ١٥ ـ العهد. ١٦ ـ كلمة الاستقامة. ١٧ ـ مقاليد السموات والأرض. ١٨ ـ السديد. ١٩ ـ البر. ٢٠ ـ الدين. ٢١ ـ الصراط. ٢٢ ـ كلمة الحق. ٢٣ ـ العروة الوثقى. ٢٤ ـ كلمة الصدق»(١).

وأحببت أن أدلي بدلوي بتتبع هذه الأسماء وجمع كلام العلماء فيها لتقريبها لطالب العلم وتسهيل وصوله إليها.

فمن مسميات التوحيد:

الاسم الأول: التوحيد:

جاء التعبير عن هذا الاسم بألفاظ متعددة في تصريفها مثل: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص]، ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾ [البقرة]، ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [المائدة: الآية ٧٣]، ﴿تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة، الآية: ٤]، ﴿لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾ [الأعراف، الآية: ٧٠]، ﴿إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ﴾ [غافر، الآية: ١٢]، ﴿أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٣٩﴾ [يوسف]، ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص، الآية: ١].

و«واحدًا»، و«واحد»، و«وحده»، و«الواحد»، و«أحد»، جميعها تعني توحيد الله.

فكلمة التوحيد أصلها من «وحد».

قال ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «(وحد) الواو، والحاء،

---

(١) انظر: عجائب القرآن ص٤٦ ـ ٧٢.

والدال: أصل واحد يدل على الانفراد»[١].

❁ قال ابن منظور (ت: ٧١١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوحيد: مصدر من: وحد يوحد توحيدًا؛ إذا أفرده وجعله واحدًا»[٢].

❁ قال أبو القاسم التيمي (ت: ٥٣٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوحيد على وزن التفعيل، وهو مصدر وحّدته توحيدًا...، ومعنى وحدته: جعلته منفردًا عما يشاركه أو يشبهه في ذاته وصفاته...، فالله تعالى واحد، أي: منفرد عن الأنداد والأشكال في جميع الأحوال»[٣].

ومما ورد في الدلالة على هذا الاسم في القرآن الكريم:

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة].

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة].

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة].

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٦/ ٩٠.
(٢) لسان العرب لابن منظور ٣/٤٤٨.
(٣) الحجة في بيان المحجة ١/ ٣٣٢.

أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٤﴾ [الممتحنة].

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٣١﴾ [التوبة].

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥﴾ [ص].

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧٠﴾ [الأعراف].

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ۝١٢﴾ [غافر].

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٣٩﴾ [يوسف].

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص].

وبالإضافة لما تقدم فقد تعددت التعبيرات في نصوص القرآن عن التوحيد بألفاظ كثيرة منها: «العبادة» و«الدين» و«الإيمان» وغير ذلك كثير.

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة، الآية: ٢١].

❁ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: «وحدوا»[(١)].

❁ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: «كل عبادة في القرآن فهو التوحيد»[(٢)].

---

(١) الدر المنثور للسيوطي ١/ ٨٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨/ ١٩٣، وانظر: زاد المسير لابن الجوزي ١/ ١٤، ٤/ ٧٥، البحر الرائق لابن نجيم ١/ ٢٩١.

۞ قال منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد قيل: إن قوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: وحدوا الله، وكل عبادة في القرآن بمعنى التوحيد»[١].

قال - تعالى -: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال، الآية: ٣٩].

۞ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «يخلص له التوحيد»[٢]، فالدين عنده هو التوحيد.

قوله - تعالى -: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [المائدة، الآية: ٥].

۞ قال عطاء بن أبي رباح (ت: ١١٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإيمان التوحيد»[٣].

ومن السنة:

۞ قوله ﷺ لمعاذ (ت: ١٨هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لما بعثه إلى اليمن: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله - تعالى -»[٤].

۞ عن جابر (ت: ٧٨هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُعذَّب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا فيها حِمَمًا ثم تدركهم الرحمة فيخرجون ويطرحون على أبواب الجنة» قال: «فيرش عليهم أهل الجنة الماء فينبتون كما ينبت الغثاء في حمالة السيل ثم يدخلون الجنة»[٥].

---

(١) تفسير السمعاني ٤/ ١٧٣.

(٢) زاد المسير ١/ ٢٠٠، وانظر: جامع البيان ٩/ ٢٤٩.

(٣) تفسير الطبري (تفسير سورة المائدة، الآية: ٥).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ٤/ ٣٧٨، ح٧٣٧٢.

(٥) أخرجه البخاري (٦٢١٧)، ومسلم في (٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤).

۞ عن عبد الله بن عمر (ت: ٧٣هـ) رضي الله عنهما، قال: «بني الإسلام على خمسة: على أن يوحد الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج. فقال رجل: الحج، وصيام رمضان؟ قال: لا، صيام رمضان، والحج. هكذا سمعته من رسول الله ﷺ»[(١)].

۞ في حديث صفة حج النبي ﷺ، قال جابر (ت: ٧٨هـ) رضي الله عنه: «فأَهَلَّ بالتوحيد، لبيك اللّهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك»[(٢)].

۞ عن جابر (ت: ٧٨هـ) رضي الله عنه عند قوله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ قال: «فقرأ فيهما بالتوحيد و﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾»[(٣)].

۞ عن عمرو بن شعيب (ت: ١١٨هـ) رحمه الله، عن أبيه (ت: لم أقف على تاريخ وفاته) رحمه الله، عن جده (ت: ٦٥هـ) رضي الله عنه: «أن العاص بن وائل نذر في الجاهلية أن ينحر مائة بدنة وأن هشام بن العاص نحر حصته خمسين بدنة وأن عَمْرًا سأل النبي ﷺ عن ذلك؟ فقال: «أما أبوك، فلو كان أقر بالتوحيد، فصمت، وتصدقت عنه، نفعه ذلك»[(٤)].

۞ عن أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) - رضي الله تعالى عنه - عن النبي ﷺ وغير واحد، عن الحسن (ت: ١١٠هـ)، وابن سيرين (ت: ١١٠هـ)، عن

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٦).
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج باب حجة النبي ﷺ ٢/ ٨٨٦ - ٨٨٧، ح١٢١٨.
(٣) أخرجه أبو داود في سننه (١٩٠٩) قال عنه الألباني في صحيح أبي داود: «صحيح».
(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٢٨٨٣)؛ وأحمد في مسنده (٦٧٠٤) بزيادة «فصمت»؛ وابن أبي شيبة في المصنف (١٢٢٠٤)؛ وقال عنه الألباني في أحكام الجنائز (٢١٨): «إسناده حسن»؛ وكذا قال عنه في صحيح أبي داود (٢٨٨٣)، وانظر: الصحيحة (٤٨٤).

النبي ﷺ قال: «**كان رجل ممن كان قبلكم لم يعمل خيرًا قط إلا التوحيد**، فلما احتُضر قال لأهله: انظروا إذا أنا مت أن يحرقوه حتى يدعوه حِمَمًا، ثم اطحنوه، ثم اذروه في يوم ريح، فلما مات فعلوا ذلك به، فإذا هو في قبضة الله، فقال الله ﷻ: يا ابن آدم، ما حملك على ما فعلت؟، قال: أي رب من مخافتك، قال: فغفر له بها، ولم يعمل خيرًا قط **إلا التوحيد**»[1].

* **ومن أقوال السلف:**

۞ عن مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) رحمه الله، عند تفسير قوله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾، قال: يقول أهل النار **للموحدين**: ما أغنى عنكم إيمانكم؟ قال: فإذا قالوا ذلك، قال: «**أَخْرِجُوا من كان في قلبه مثقال ذرّة، فعند ذلك** ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٨٠٢٧) وقال أحمد شاكر: «هو بإسنادين:
أولهما: من حديث أبي هريرة، وهو إسناد صحيح متصل.
والثاني: مرسل عن الحسن وابن سيرين، فهو ضعيف لإرساله. وزاده ضعفًا أنه من رواية حماد عن مجاهيل: عن غير واحد عن الحسن وابن سيرين.
والحديث في جامع المسانيد ٧: ٤٢١، عن هذا الموضع. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠: ١٩٥، عن هذا الموضع، ولكن لم يذكر فيه «عن الحسن»، بل ذكر «عن ابن سيرين». ثم قال: «رواه كله أحمد، ورجال سند أبي هريرة رجال الصحيح، وفي سند ابن سيرين من لم يسم». وقال أيضًا: «حديث أبي هريرة في الصحيح. غير قوله: إلا التوحيد». وحديث أبي هريرة هذا، مضى: ٣٧٨٦، عن يحيى، عن حماد، بهذا الإسناد عن أبي هريرة، ولكن ذكر تبعًا لحديث بمعناه: ٣٧٨٥ عن ابن مسعود ـ «مثله»، فلم يذكر لفظه هناك. وأما حديثه الذي في الصحيح ـ الذي أشار إليه الهيثمي ـ فقد مضى: ٧٦٣٥، من رواية الزهري، عن حميد بن عبد الرحمٰن، عن أبي هريرة. وبينا هناك تخريجه في الصحيحين».
وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: (٣٠٤٨): إسناده صحيح.

كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾»»[١].

۞ عن حماد بن أبي سليمان (ت: ١١٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: سألت إبراهيم النخعي (ت: ٩٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾، قال: الكفار يعيّرون أهل التوحيد: ما أغنى عنكم لا إله إلا الله؟ فيغضب الله لهم، فيأمر النبيين والملائكة فيشفعون، فيخرج أهل التوحيد، حتى إن إبليس ليتطاول رجاء أن يخرج، فذلك قوله: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾»[٢].

۞ عن سعيد بن جبير (ت: ٩٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وإبراهيم النخعي (ت: ٩٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وغير واحد من التابعين في تفسير هذه الآية ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الحجر] قالوا: إذا أخرج أهل التوحيد من النار وأدخلوا الجنة ود الذين كفروا لو كانوا مسلمين»[٣].

۞ عن الضحاك بن مزاحم (ت: ١٠٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾ قال: «فيها وجهان اثنان، يقولون: إذا حضر الكافر الموت ودّ لو كان مسلمًا.

ويقول آخرون: بل يعذّب الله ناسًا من أهل التوحيد في النار بذنوبهم، فيعرفهم المشركون فيقولون: ما أغنت عنكم عبادة ربكم وقد ألقاكم في النار؟ فيغضب لهم فيخرجهم، فيقول: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾»[٤].

۞ قال الترمذي (ت: ٢٧٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الروايات إنما تجيء بأن أهل

---

(١) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (سورة الحجر، الآية: ٢).
(٢) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (سورة الحجر، الآية: ٢).
(٣) سنن الترمذي (٢٦٣٨).
(٤) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (سورة الحجر، الآية: ٢).

التوحيد يعذبون في النار ثم يخرجون منها ولم يذكر أنهم يخلدون فيها»[(١)].

۞ قال الإمام الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٨٠هـ): «وتفسير التوحيد عند الأمة، وصوابه، قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له»[(٢)].

۞ وقال إمام الشافعية أبو العباس ابن سريج (ت: ٣٠٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «توحيد أهل العلم وجماعة المسلمين أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله»[(٣)].

۞ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله - تعالى -: ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [البقرة، الآية: ١٣٣]: «أي: نخلص له العبادة، ونوحد له الربوبية، فلا نشرك به شيئًا، ولا نتخذ دونه ربًا»[(٤)].

۞ قال الطحاوي (ت: ٣٢١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان التوحيد: «نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له ولا شيء مثله ولاشيء يعجزه»[(٥)].

۞ قال الآجري (ت: ٣٦٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن التوحيد هو قول لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله موقنًا من قلبه»[(٦)].

---

(١) سنن الترمذي (٢٠٤٤) ٤/ ٣٨٦.
(٢) رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي للإمام الدارمي ص٦.
(٣) الحجة في بيان المحجة لأبي القاسم التيمي ١/ ٩٦ - ٩٧، بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ١/ ٤٨٧، التسعينية ضمن الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٥/ ٢٠٦، إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم ٤/ ١٩١.
(٤) جامع البيان ١/ ٥٦٢.
(٥) متن العقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي ص٦.
(٦) الشريعة للآجري ص١٠١.

۞ قال الخطابي (ت: ٣٨٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان عند أسامة أنه إنما تكلم بكلمة التوحيد مستعيذًا من القتل لا مصدقًا به فقتله على أنه كافر مباح الدم»(١).

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حقيقة التوحيد أن نعبد الله وحده، فلا يدعى إلا هو ولا يخشى إلا هو، ولا يتقى إلا هو ولا يتوكل إلا عليه، ولا يكون الدين إلا له، لا لأحد من الخلق»(٢).

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «توحيد الرسل إثبات صفات الكمال لله على وجه التفصيل، وعبادته وحده لا شريك له، فلا يجعل له ندًّا في قصد ولا حب ولا خوف ولا رجاء ولا لفظ ولا حلف ولا نذر، بل يرفع العبد الأنداد له من قلبه وقصده ولسانه وعبادته»(٣).

۞ قال ابن أبي العز (ت: ٧٩٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلها، كما تقدم ذكره. وإثبات التوحيد بهذه الكلمة باعتبار النفي والإثبات المقتضي للحصر، فإن الإثبات المجرد قد يتطرق إليه الاحتمال»(٤).

۞ **الاسم الثاني: ومن أسماء التوحيد «العبادة»:**

۞ **قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة].

۞ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: كل ما ورد في القرآن من

(١) معالم السنن للخطابي ٢/ ٢٧٠.
(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٣/ ٤٩٠.
(٣) الروح لابن القيم ص٣٨٦.
(٤) شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٧٢ - ٧٣.

العبادة فمعناها **التوحيد**»[١].

۞ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: «﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾: «**وَحِّدوا ربكم**»[٢].

۞ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: «قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ للفريقين جميعًا من الكفار والمنافقين؛ أي: **وحدوا ربكم** ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾»[٣].

۞ قال أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ) رحمه الله: «وقوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾: **وحدوا ربكم**؛ جعل العبادة عبارة عن **التوحيد** لأن العبادة التي هي لله لا تكون، ولا تخلص له إلا **بالتوحيد**»[٤].

۞ قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رحمه الله: «﴿ٱعۡبُدُواْ﴾ **وحّدوا** وأطيعوا»[٥].

۞ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله عند تفسيرها: «﴿ٱعۡبُدُواْ﴾» **وحدوا**»[٦].

۞ قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) رحمه الله: «قوله تعالى: ﴿ٱعۡبُدُواْ﴾ أمر بالعبادة له. والعبادة هنا عبارة عن **توحيده** والتزام شرائع دينه»[٧].

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة البقرة، الآية: ٢١).
(٢) تفسير ابن أبي حاتم (سورة البقرة، الآية: ٢١)، وتفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (سورة البقرة، الآية: ٢١)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (سورة البقرة، الآية: ٢١)، وعزاه لابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم.
(٣) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (سورة البقرة، الآية: ٢١).
(٤) تفسير تأويلات أهل السنة للماتريدي (سورة البقرة، الآية: ٢١).
(٥) تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي (سورة البقرة، الآية: ٢١).
(٦) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة البقرة، الآية: ٢١).
(٧) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (سورة البقرة، الآية: ٢١).

قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء، الآية: ٣٦].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾، يعني وحدوا الله، ﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾، لأن أهل الكتاب يعبدون الله في غير إخلاص، فلذلك قال الله: ﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ من خلقه»[1].

قال أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ قيل: وحدوا الله»[2].

قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾: وحّدوا الله وأطيعوه»[3].

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: وحدوه وأطيعوه»[4].

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات، الآية: ٥٦].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾، يعني: إلا ليوحدون»[5].

وقال يحيى بن زياد الفراء (ت: ٢٠٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾، إلا ليوحّدوني»[6].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (النساء، الآية: ٣٦).
(٢) تفسير تأويلات أهل السنة للماتريدي (النساء، الآية: ٣٦).
(٣) تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي (النساء، الآية: ٣٦).
(٤) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (النساء، الآية: ٣٦).
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة الذاريات، الآية: ٥٦).
(٦) تفسير معاني القرآن للفراء (سورة الذاريات، الآية: ٥٦).

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسيرها: وقيل: ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾ إلا ليوحدون»[١].

قال الإمام القرطبي (ت: ٦٧١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قيل: إن هذا خاصٌّ فيمن سبَق في علم الله تعالى أنه يعبُدُه، فجاء بلفظ العموم ومعناه الخصوص، والمعنى: وما خلقتُ أهلَ السعادة من الجن والإنس إلا ليوحِّدون»[٢].

قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۝٥٧﴾ [الذاريات] والمعنى: ما خلقت الجن والإنس إلا ليُوحِّدون»[٣].

الاسم الثالث: ومن أسماء التوحيد «الدين»:

قال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت: ٨١٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والدين ورد في القرآن بمعنى التوحيد والشهادة ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران، الآية: ١٩]، ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر، الآية: ٣]، ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ﴾ [آل عمران، الآية: ٨٣]؛ أي: التوحيد وله نظائر»[٤].

قال ـ تعالى ـ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة، الآية: ٢٥٦].

قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله تعالى: «﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة الذاريات، الآية: ٥٦).
(٢) تفسير القرطبي (الذاريات ٥٦).
(٣) تفسير القرطبي ١٧/ ٥٧.
(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٢/ ٦١٧.

﴿ٱلدِّينِ﴾ الدين في هذه الآية المعتقد والملة بقرينة قوله: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾»[١].

۞ قال أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الدين هنا ملة الإسلام واعتقاده، والألف واللام للعهد»[٢].

۞ قال عبد الرحمن الثعالبي المالكي (ت: ٨٧٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الدِّينُ، في هذه الآية: هو المُعْتَقَدُ، والمِلَّة»[٣].

۞ قال الحسن بن محمد النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله سبحانه: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ الآية: لما بيَّن دلائل التوحيد بيانًا شافيًا قاطعًا للأعذار ذكر بعد ذلك أنه لم يبق للكافر علة في إقامته على الكفر إلا أن يقسر على الإيمان ويجبر عليه؛ وذلك لا يجوز في دار الدنيا التي هي مقام الابتلاء والاختبار، وينافيه الإكراه والإجبار. ومما يؤكد ذلك قوله: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ يقال: بَانَ الشيء واستبان وتبيَّن وبيّن أيضًا إذا وضح وظهر ومنه المثل: قد تبين الصبح لذي عينين. والرشد إصابة الخير، والغي نقيضه. أي: تميز الحق من الباطل، والإيمان من الكفر، والهدى من الضلال، بكثرة الحجج والبينات ووفور الدلائل والآيات»[٤].

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران، الآية: ١٩].

۞ أبو العالية (ت: ٩٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ قال: الإسلام: الإخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له، وإقام

---

(١) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (سورة البقرة، الآية: ٢٥٦).
(٢) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (سورة آل عمران، الآية: ١٩).
(٣) تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي (سورة البقرة، الآية: ٢٥٦).
(٤) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري (سورة البقرة، الآية: ٢٥٦).

الصلاة، وإيتاء الزكاة، وسائر الفرائض لهذا تبع»[(١)].

❁ عن محمد بن جعفر بن الزبير (ت: ١١٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾: «أي: ما أنت عليه يا محمد من **التوحيد** للربّ والتصديق للرسل»[(٢)].

❁ قال قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران، الآية: ١٩]، قال: **شهادة أن لا إله إلا الله**، والإقرار بما جاء من عند الله تعالى»[(٣)].

❁ وقال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِنَّ ٱلدِّينَ﴾، يعني: **التوحيد** ﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾»[(٤)].

❁ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ إن الطاعة التي هي الطاعة عنده الطاعة له، وإقرار الألسن والقلوب له **بالعبودية والذلة**، وانقيادها له بالطاعة فيما أمر ونهى»[(٥)].

❁ قال البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ جملة مستأنفة مؤكدة للأولى أي لا دين مرضي عند الله سوى الإسلام، وهو **التوحيد** والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد ﷺ»[(٦)].

---

(١) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (سورة آل عمران، الآية: ١٩).
(٢) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (سورة آل عمران، الآية: ١٩).
(٣) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (سورة آل عمران، الآية: ١٩)، وتفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة آل عمران، الآية: ١٩).
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة آل عمران، الآية: ١٩).
(٥) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (سورة آل عمران، الآية: ١٩).
(٦) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (سورة آل عمران، الآية: ١٩).

۞ وقال علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقرئ ﴿أَنَّ ٱلدِّينَ﴾ بفتح الهمزة ردًّا على أن الأولى، والمعنى: شهد الله أنه لا إلٰه إلّا هو، وشهد أن الدين عند الله الإسلام.

وأصل الدين في اللغة الجزاء. يقال: (كما تدين تدان)، ثم صار اسمًا للملة والشريعة، ومعناه الانقياد للطاعة والشريعة.

۞ قال الزجاج (ت: ٣١١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: الدين اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وأمرهم بالإقامة عليه، والإسلام هو الدخول في السلم وهو الاستسلام والانقياد والدخول في الطاعة»[١].

۞ قال ابن جزي (ت: ٧٤١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِنَّ ٱلدِّينَ﴾ بكسر الهمزة ابتداء، وبفتحها بدل من أنه، وهو بدل شيء من شيء، لأن التوحيد هو الإسلام»[٢].

۞ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولما قرر أنه الإله الحق المعبود، بين العبادة والدين الذي يتعين أن يعبد به ويدان له، وهو الإسلام الذي هو الاستسلام لله بتوحيده وطاعته التي دعت إليها رسله، وحثت عليها كتبه، وهو الذي لا يقبل من أحد دينًا سواه، وهو متضمن للإخلاص له في الحب والخوف والرجاء والإنابة والدعاء ومتابعة رسوله في ذلك، وهذا هو دين الرسل كلهم، وكل من تابعهم فهو على طريقهم»[٣].

---

(١) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (سورة آل عمران، الآية: ١٩).
(٢) تفسير التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (سورة آل عمران، الآية: ١٩).
(٣) تفسير تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن لابن سعدي (سورة آل عمران، الآية: ١٩).

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ [الزمر، الآية: ٢].

قال محمد بن الحسن بن فورك (ت: ٤٠٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ [الزمر، الآية: ٢]، أمر التوحيد»(١).

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر، الآية: ٣].

عن عبد الله بن عمرو (ت: ٦٥هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر، الآية: ٣] قال: «كلمة الإخلاص لا إلٰه إلا الله، لا يتقبل الله عَزَّ وَجَلَّ من أحد عملًا حتى يقولها»(٢).

قال أبو العالية (ت: ٩٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: الإسلام الإخلاص لله وحده، وعبادته لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وسائر الفرائض لها تبع»(٣).

عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ «شهادة أن لا إلٰه إلا الله»(٤).

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر، الآية: ٣].... واعلم أن الدين هو: الانقياد والخضوع. فقوله: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾. أي: له الخضوع والخشوع لا لغيره. وإنما يكون كذلك إذا كان واحدًا في الإلهية، إذ لو وجد إلهان لكان كما أن الخضوع لأحدهما حاصل كان أيضًا حاصلًا للثاني، فلا يمكن ثبوت الخضوع إلا لله فقط، فالحصر دل على أنه لا إلٰه سواه،

---

(١) تفسير ابن فورك (سورة الزمر، الآية: ٢).
(٢) الدعاء للطبراني ص٤٦٠.
(٣) تفسير ابن أبي حاتم (سورة آل عمران، الآية: ١٩).
(٤) تفسير الطبري (سورة الزمر، الآية: ٣).

ولا معبود إلا إياه»[١].

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [آل عمران، الآية: ٨٣].

قال أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾؟ الدين كأنه يتوجه إلى وجوه:

يرجع اعتقاد المذهب إلى الأصل.

ويرجع إلى الحكم والخضوع كقوله: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾؟ [المائدة، الآية: ٥٠].

ويرجع إلى الجزاء، ثم قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾؟ كان كل منهم يبغي دينًا، وهو دين الله، ويدعي أن الدين الذي هو عليه دين الله»[٢].

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الزمر].

قال منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾ أي: مخلصًا له التوحيد، وإخلاص التوحيد: أن لا تشرك به غيره»[٣]

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال، الآية: ٣٩].

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «يخلص له التوحيد»[٤]، فالدين عنده هو التوحيد.

---

(١) عجائب القرآن للرازي ص٧٠.
(٢) تفسير تأويلات أهل السنة للماتريدي. (آل عمران، الآية: ٨٣).
(٣) كتاب تفسير السمعاني (سورة الزمر، الآية: ١١).
(٤) زاد المسير ١/ ٢٠٠، وانظر: جامع البيان ٩/ ٢٤٩.

۞ قال قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حتى تستوسق[١] كلمة الإخلاص لا إله إلا الله»[٢].

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَيَكُونَ﴾ يعني ويقوم ﴿ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾، ولا يعبد غيره، ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾ عن الشرك فوحدوا ربهم»[٣].

۞ قال محمد بن إسحاق (ت: ١٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في قوله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾: «يعني: لا يفتن مؤمن عن دينه ويكون التوحيد لله خالصًا ليس فيه شرك ويخلع ما دونه من الأنداد والشركاء»[٤].

۞ قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ﴾ التوحيد خالصًا ﴿كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ عَزَّوَجَلَّ ليس فيه شرك ويخلع ما دونه من الأنداد»[٥].

۞ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾؛ أي: ويكون الدين خالصًا لله لا شرك فيه»[٦].

---

(١) بمعنى: تجتمع، يقال: استوسق الشيء: اجتمع وانضم، واستوسق الأمر: انتظم، واستوسق له الأمر: أمكنه أن يجمع السلطة والكلمة في يده.
(٢) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (سورة الأنفال، الآية: ٣٩).
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة الأنفال، الآية: ٣٩).
(٤) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (سورة الأنفال، الآية: ٣٩).
(٥) تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي (سورة الأنفال، الآية: ٣٩).
(٦) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة الأنفال، الآية: ٣٩).

قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ أي: لا يشرك معه صنم ولا وثن ولا يعبد غيره»(١).

قال عبد الرحمن الثعالبي المالكي (ت: ٨٧٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾، أيْ: لا يُشْرَكَ معه صَنَمٌ، ولا وَثَنٌ، ولا يُعْبَدَ غيرُهُ سبحانه»(٢).

قال - تعالى -: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ [الروم].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن لم يوحد كفار مكة ربهم فوحد أنت ربك يا محمد ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ يعني: فأخلص دينك الإسلام لله عَزَّ وَجَلَّ ﴿حَنِيفًا﴾ يعني: مخلصًا ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ يعني: ملة الإسلام التوحيد الذي خلقهم عليه ثم أخذ الميثاق من بني آدم من ظهورهم ذريتهم... وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى... ربنا، وأقروا له بالربوبية والمعرفة له - تبارك وتعالى - ثم قال - سبحانه -: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ يقول لا تحويل لدين الله عَزَّ وَجَلَّ الإسلام يعنى التوحيد ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ يعنى التوحيد وهو الدين المستقيم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ يعني: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ توحيد الله عَزَّ وَجَلَّ»(٣).

وقال - تعالى -: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ

---

(١) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (سورة الأنفال، الآية: ٣٩).

(٢) تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي (سورة الأنفال، الآية: ٣٩).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة الروم، الآية: ٣٠).

﴿وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة].

۞ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ «ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بالإخلاص في العبادة لله موحدين»[١].

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رحمه الله: «﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ يعني: به التوحيد.

﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ يعني: الملة المستقيمة»[٢].

۞ قال النضر بن شميل (ت: ٢٠٣هـ) رحمه الله: سألت الخليل بن أحمد (ت: ١٧٠هـ) رحمه الله عن قوله: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ فقال: ﴿ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ جمع القيم، والقيم والقائم واحد، ومجاز الآية: وذلك دين القائمين لله بالتوحيد»[٣].

۞ قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رحمه الله: «﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ التوحيد والطاعة، ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ فقال: وذلك دين القائمين لك بالتوحيد»[٤].

۞ قال علي بن محمد الماوردي (ت: ٤٥٠هـ) رحمه الله: «﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: مُقِرِّين له بالعبادة.

الثاني: ناوين بقلوبهم وجه الله تعالى في عبادتهم.

الثالث: إذا قال: لا إله إلا الله أن يقول على أثرها: «الحمد لله»،

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة البينة، الآية: ٥).
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة البينة، الآية: ٥).
(٣) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة البينة، الآية: ٥).
(٤) تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي (سورة البينة، الآية: ٥).

قاله ابن جرير (ت: ٣١٠هـ)»[١].

۞ قال الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ الطاعة؛ أي: موحدين له لا يعبدون معه غيره»[٢].

۞ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وذلك دين القائمين لله بالتوحيد»[٣].

۞ قال ابن جزي (ت: ٧٤١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: الإخلاص هنا يراد به التوحيد وترك الشرك أو ترك الرياء.

﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ تقديره الملة القيمة، أو الجماعة القيمة، وقد فسرنا القيمة، ومعناه: أن الذي أمروا به من عبادة الله، والإخلاص له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة هو دين الإسلام، فلأي شيء لا يدخلون فيه»[٤].

۞ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فما أمروا في سائر الشرائع إلا أن يعبدوا ﴿ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: قال قاصدين بجميع عباداتهم الظاهرة والباطنة وجه الله، وطلب الزلفى لديه، ﴿حُنَفَآءَ﴾ أي: معرضين مائلين عن سائر الأديان المخالفة لدين التوحيد.

﴿وَذَٰلِكَ﴾ أي: التوحيد والإخلاص في الدين، هو ﴿دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ أي: الدين المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم، وما سواه فطرق موصلة إلى الجحيم»[٥].

---

(١) تفسير النكت والعيون للماوردي (سورة البينة، الآية: ٥).
(٢) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (سورة البينة، الآية: ٥).
(٣) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة البينة، الآية: ٥).
(٤) تفسير التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (سورة البينة، الآية: ٥).
(٥) تفسير الكريم المنان في تفسير القرآن لابن سعدي (سورة البينة، الآية: ٥).

قال - تعالى -: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾ [لقمان].

قال السدي (ت: ١٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [لقمان، الآية: ٣٢]، يعني: التوحيد»[(١)].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ﴾ يعني: موحدين له ﴿الدِّينَ﴾ يقول: التوحيد»[(٢)].

قال علي بن محمد الماوردي (ت: ٤٥٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ يعني: موحدين له لا يدعون لخلاصهم سواه»[(٣)].

قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ موحدين له لا يدعون لخلاصهم سواه»[(٤)].

قال العز بن عبد السلام (ت: ٦٣٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ موحدين لا يدعون سواه»[(٥)].

قال - تعالى -: ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾ [النحل، الآية: ٥٢].

قال أبو صالح ذكوان بن عبد الله (ت: ١٠١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾ قال: «لا إله إلا الله»[(٦)].

---

(١) تفسير يحيى بن سلام (سورة لقمان، الآية: ٣٢).
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة لقمان، الآية: ٣٢).
(٣) تفسير النكت والعيون للماوردي (سورة لقمان، الآية: ٣٢).
(٤) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (سورة لقمان، الآية: ٣٢).
(٥) تفسير العز بن عبد السلام (سورة لقمان، الآية: ٣٢).
(٦) تفسير ابن أبي حاتم (سورة النحل، الآية: ٥٢) برقم (١٢٥٣٣)، وتفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (سورة لقمان، الآية: ٣٢) وعزاه لابن أبي حاتم.

۞ عن مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ﴾ «قال: الإخلاص»(١).

۞ قال عكرمة (ت: ١٠٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «شهادة أن لا إله إلا الله، وإقامة الحدود والفرائض»(٢).

۞ قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ﴾ «الطاعة والإخلاص»(٣).

۞ قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ﴾ أي: له الطاعة والإخلاص دائمًا»(٤).

۞ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ﴾ أي: الدين والعبادة والذل في جميع الأوقات لله وحده، على الخلق أن يخلصوه لله وينصبغوا بعبوديته»»(٥).

۞ **الاسم الرابع: ومن أسماء التوحيد «الإيمان بالله»:**

قال - تعالى -: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٥٦﴾ [البقرة].

۞ عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «أخبر الله تعالى أنّ

---

(١) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (سورة النحل، الآية: ٥٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (سورة النحل، الآية: ٥٢) برقم (١٢٥٣٢).
(٢) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (سورة النحل، الآية: ٥٢).
(٣) تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي (سورة النحل، الآية: ٥٢).
(٤) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (سورة النحل، الآية: ٥٢).
(٥) تفسير تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن لابن سعدي (سورة النحل، الآية: ٥٢).

الإيمان لا إله إلّا الله»[(١)].

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾، بأنه واحد لا شريك له»[(٢)].

۞ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ يقول: ويصدق بالله أنه إلهه وربه ومعبوده»[(٣)].

۞ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني تعالى ذكره والله سميع إيمان المؤمن بالله وحده، الكافر بالطاغوت عند إقراره بوحدانية الله وتبرئه من الأنداد والأوثان التي تعبد من دون الله، عليم بما عزم عليه من توحيد الله وإخلاص ربوبيته قلبه، وما انطوى عليه من البراءة من الآلهة والأصنام والطواغيت ضميره، وبغير ذلك مما أخفته نفس كل أحد من خلقه لا ينكتم عنه سرّ ولا يخفى عليه أمر حتى يجازى كلًّا يوم القيامة بما نطق به لسانه وأضمرته نفسه إن خيرًا فخيرًا وإن شرًّا فشرًّا»[(٤)].

۞ قال - تعالى -: ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [البقرة، الآية: ٢٢٨].

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ﴾، يعني يصدقن بالله بأنه واحد لا شريك له، ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾، يصدقن بالبعث الذي فيه جزاء الأعمال بأنه كائن».

۞ قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوحيد:

---

(١) تفسير تأويلات أهل السنة للماتريدي (سورة البقرة، الآية: ٢٥٦)، وتفسير الثعلبي (سورة البقرة، الآية: ٢٥٦).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة البقرة، الآية: ٢٥٦).

(٣) تفسير الطبري (سورة البقرة، الآية: ٢٥٦).

(٤) تفسير الطبري (سورة البقرة، الآية: ٢٥٦).

الإيمان بالله وحده لا شريك له، والله الواحد الأحد ذو التوحد والوحدانية»[(١)].

۞ وقال أبو عمرو عثمان الداني (ت: ٤٤٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «والإيمان بالله تعالى: يتضمن التوحيد له سبحانه، والوصف له بصفاته،... والتوحيد له: هو الإقرار بأنه ثابتٌ موجود، وواحدٌ معبود»[(٢)].

۞ وقال ابن منظور (ت: ٧١١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوحيد: الإيمان بالله وحده لا شريك له. والله الواحد الأحد: ذو الوحدانية والتوحد»[(٣)].

۞ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٥﴾ [المائدة].

۞ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ قال: أخبر الله سبحانه أن الإيمان هو العروة الوثقى، وأنه لا يقبل عملًا إلّا به، ولا يحرّم الجنة إلّا على من تركه»[(٤)].

۞ قال عطاء بن أبي رباح (ت: ١١٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [المائدة: ٥] قال: «الإيمان التوحيد»[(٥)].

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾، يعني من نساء أهل الكتاب بتوحيد الله، ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٥﴾، يعني من الكافرين»[(٦)].

---

(١) العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ٣/ ٢٨١.
(٢) الرسالة الوافية، لأبي عمرو الداني ص١٢٠.
(٣) لسان العرب لابن منظور ٣/ ٤٥٠.
(٤) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري (سورة المائدة: ٥).
(٥) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري (سورة المائدة: ٥).
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة المائدة: ٥).

قال الكلبي (ت: ٢٠٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿بِالْإِيمَٰنِ﴾ أي: **بكلمة التوحيد**، وهي: شهادة أن لا إله إلا الله»[١].

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن قال لنا قائل: وما وجه تأويل من وجّه قوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَٰنِ﴾ إلى معنى: ومن يكفر بالله؟ قيل: وجه تأويله ذلك كذلك أن الإيمان هو التصديق بالله وبرسله وما ابتعثهم به من دينه والكفر: جحود ذلك. قالوا: فمعنى الكفر بالإيمان، هو جحود الله **وجحود توحيده**. ففسروا معنى الكلمة بما أريد بها، وأعرضوا عن تفسير الكلمة على حقيقة ألفاظها وظاهرها في التلاوة.

فإن قال قائل: فما تأويلها على ظاهرها وحقيقة ألفاظها؟ قيل: تأويلها: ومن يأب الإيمان بالله ويمتنع من **توحيده** والطاعة له فيما أمره به ونهاه عنه، فقد حبط عمله وذلك أن الكفر هو الجحود في كلام العرب، والإيمان: التصديق والإقرار، ومن أبى التصديق **بتوحيد الله** والإقرار به فهو من الكافرين، فذلك تأويل الكلام على وجهه»[٢].

قال الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَٰنِ﴾ بالله الذي يجب **الإيمان به** ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ إذا مات على ذلك ﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾ ممن خسر الثواب»[٣].

الاسم الخامس: ومن أسماء التوحيد «الإسلام»:

قال - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (تفسير سورة المائدة: ٥).

(٢) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري. (تفسير سورة المائدة: ٥).

(٣) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي. (تفسير سورة المائدة: ٥).

﴿أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩﴾ [آل عمران].

❁ عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ والإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء به من عند الله، وهو دين الله الذي شرع لنفسه، وبعث به رسله، ودل عليه أولياءه، لا يقبل غيره ولا يجزي إلا به.

❁ قال أبو العالية (ت: ٩٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ قال: الإسلام: الإخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وسائر الفرائض لهذا تبع.

❁ عن محمد بن جعفر بن الزبير (ت: ١١٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾: أي ما أنت عليه يا محمد من التوحيد للرب والتصديق للرسل»[(١)].

❁ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [آل عمران، الآية: ٨٣]، يقول: وله خشع من في السمٰوات والأرض، فخضع له بالعبودية، وأقرّ له بإفراد الربوبية، وانقاد له بإخلاص التوحيد والألوهية»[(٢)].

❁ قال أبو جعفر النحاس (ت: ٣٣٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإسلام هو التوحيد فهو دين جميع الأنبياء»[(٣)].

❁ قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال عكرمة

---

(١) تفسير الطبري (سورة آل عمران، الآية: ١٩).
(٢) تفسير الطبري (سورة آل عمران، الآية: ٨٣).
(٣) معاني القرآن للنحاس ١/٤١٨.

(ت: ١٠٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكرهًا: من اضطرته الحجة إلى التوحيد، يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف، الآية: ٨٧]، وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت، الآية: ٦١]»(١).

۞ قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعنى الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء من عند الله؛ وأصل الإسلام: الخشوع والانقياد»(٢).

۞ قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و﴿ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ في هذه الآية هو الإيمان والطاعة، قاله أبو العالية (ت: ٩٣هـ) وعليه جمهور المتكلمين، وعبر عنه قتادة (ت: ١١٨هـ)، ومحمد بن جعفر بن الزبير (ت: ١١٣هـ)، بالإيمان»(٣).

۞ قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من قرأ ﴿أَنَّ ٱلدِّينَ﴾ بفتح ﴿أَنَّ﴾ كان التقدير: شهد الله لأجل أنه لا إله إلا هو أن الدين عند الله الإسلام، فإن الإسلام إذا كان هو الدين المشتمل على التوحيد، والله تعالى شهد بهذه الوحدانية كان اللازم من ذلك أن يكون الدين عند الله الإسلام.

ومن قرأ ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ﴾ بكسر الهمزة، فوجه الاتصال هو أنه تعالى بين أن التوحيد أمر شهد الله بصحته، وشهد به الملائكة وأولو العلم،

(١) تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي (سورة آل عمران، الآية: ٨٣).
(٢) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (سورة آل عمران، الآية: ١٩).
(٣) تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (سورة آل عمران، الآية: ١٩).

ومتى كان الأمر كذلك لزم أن يقال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾»[١].

۞ قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال ابن الأنباري (ت: ٣٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المسلم معناه **المخلص لله عبادته** من قولهم: سلم الشيء لفلان؛ أي: خلص له؛ فالإسلام معناه: **إخلاص الدين والعقيدة لله تعالى**»[٢].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإسلام هو الاستسلام وهو يتضمن **الخضوع لله وحده**؛ والانقياد له والعبودية لله وحده»[٣].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإسلام» هو **الاستسلام لله** لا لغيره كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ الآية [الزمر، الآية: ٢٩]. فمن لم **يستسلم لله** فقد استكبر ومن استسلم لله ولغيره فقد أشرك، وكل من الكبر والشرك ضد الإسلام، والإسلام ضد الشرك والكبر»[٤].

۞ قال أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر الأقوال في تفسير هذه الآية: «وهذه الأقوال لا تخرج: ﴿أَسْلَمَ﴾، فيها عن أن يحمل على الاستسلام، وعلى الاعتقاد، وعلى الإقرار باللسان، وعلى التزام الأحكام. وقد قيل بهذا كله»[٥].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهي **كلمة الإسلام**»[٦].

---

(١) تفسير الرازي مفاتيح الغيب (سورة آل عمران، الآية: ١٩).
(٢) تفسير الرازي مفاتيح الغيب (سورة آل عمران، الآية: ١٩).
(٣) مجموع الفتاوى ٧/٤٢٦.
(٤) مجموع الفتاوى ١٠/١٤.
(٥) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (سورة آل عمران، الآية: ٨٣).
(٦) الجواب الكافي ص١٧٠.

۞ قال أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٨٩٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ أي: لا دينَ مرضيًا لله تعالى سوى الإسلام الذي هو **التوحيدُ** والتدرُّع بالشريعة الشريفة، وعن قتادة (ت: ١١٨هـ): أنه شهادةُ ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد، الآية: ١٩] والإقرارُ بما جاء من عند الله تعالى»(١).

۞ قال عبد الرحمٰن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولما قرر أنه الإله الحق المعبود، بين العبادة والدين الذي يتعين أن يعبد به ويدان له، وهو الإسلام الذي هو الاستسلام لله **بتوحيده** وطاعته التي دعت إليها رسله، وحثت عليها كتبه، وهو الذي لا يقبل من أحد دينًا سواه، وهو متضمن للإخلاص له في الحب والخوف والرجاء والإنابة والدعاء ومتابعة رسوله في ذلك، وهذا هو دين الرسل كلهم، وكل من تابعهم فهو على طريقهم»(٢).

۞ الاسم السادس: ومن أسماء التوحيد «كلمة الشهادة»:

۞ **قال ـ تعالى ـ:** ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران].

الأدلة من السنة:

۞ عن ابن عمر (ت: ٧٣هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى: يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ**

---

(١) تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (سورة آل عمران، الآية: ١٩).

(٢) تفسير ابن سعدي (سورة آل عمران، الآية: ١٩).

وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ»(١).

۞ عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن النبي ﷺ بعث معاذًا (ت: ١٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى اليمن فقال: «ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ»(٢).

۞ عن عمر بن الخطاب (ت: ٢٣هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فَخِذيه، قال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتُقيم الصلاة، وتُؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا»، قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويُصدِّقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»، قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: «أن تلد الأمة ربَّتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان»، ثم انطلق فلبثت مليًّا، ثم قال:

---

(١) رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).
(٢) رواه البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩).

«يا عمر، أتدري مَن السائل؟»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه جبريل أتاكم يُعلِّمكم دينكم»[(١)].

۞ عن عبادة بن الصامت (ت: ٣٤هـ) رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله الجنة من أي أبواب الجنة الثمانية شاء»[(٢)].

۞ قال الخطابي (ت: ٣٨٨هـ) رحمه الله: «وكان بدء الإيمان كلمة الشهادة، وأقام رسول الله ﷺ بضع عشرة سنة يدعو الناس إليها، ويسمي من أجابه إلى ذلك مؤمنًا»[(٣)].

۞ قال عبد العزيز بن باز (ت: ١٤٢٠هـ) رحمه الله: «معنى الشهادة: أن يشهد بلسانه وبقلبه أنه لا معبود حق إلا الله، يشهد بلسانه ويؤمن بقلبه أنه لا إله إلا الله، يعني: لا معبود حق إلا الله، وأن ما عبده الناس من دون الله من أصنام، أو أموات، أو أشجار، أو أحجار، أو ملائكة أو غيرهم كله باطل كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج، الآية: ٦٢]، هذا معنى شهادة أن لا إله إلا الله، أن تشهد عن علم، ويقين، وصدق أنه لا معبود حق إلا الله، وأن ما عبده الناس من دون الله فكله باطل»[(٤)].

(١) أخرجه مسلم (٨).
(٢) أخرجه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).
(٣) أعلام الحديث للخطابي ١/ ١٤٢.
(٤) فتاوى نور على الدرب ١/ ٤٩.

الاسم السابع: من أسماء التوحيد «كلمة الله»:

قال - تعالى -: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ [التوبة، الآية: ٤٠].

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «هي: قول لا إله إلا الله»[(١)].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، يعني دعوة الشرك، ﴿ٱلسُّفْلَىٰ﴾؛ ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾، يعني دعوة الإخلاص، ﴿هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ يعني: العالية، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه، ﴿حَكِيمٌ ۝٦٠﴾ [التوبة] حكم إطفاء دعوة المشركين، وإظهار التوحيد»[(٢)].

قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾، في هذا الموضع: لا إله إلا الله»[(٣)].

قال الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وهي كلمة الشرك ﴿ٱلسُّفْلَىٰ﴾، ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾، يعني: كلمة التوحيد»[(٤)].

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ والمعنى: أنه تعالى

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة التوبة، الآية: ٤٠).
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة التوبة، الآية: ٤٠).
(٣) تفسير مكي بن أبي طالب (سورة التوبة، الآية: ٤٠).
(٤) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (سورة التوبة، الآية: ٤٠).

جعل يوم بدر كلمة الشرك سافلة دنيئة حقيرة، وكلمة الله هي العليا، وهي قوله: لا إله إلا الله»[(١)].

۞ قال أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكلمة الله: هي التوحيد، وهي ظاهرة. هذا قول الأكثرين»[(٢)].

۞ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ): يعني ﴿كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الشرك و﴿كلمة الله﴾ هي: لا إله إلا الله»[(٣)].

۞ الاسم الثامن: ومن أسماء التوحيد «الكلمة الباقية»:

۞ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف].

۞ عن مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ قال: لا إله إلا الله[(٤)].

۞ عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً﴾ قال: شهادة أن لا إله إلا الله، والتوحيد لم يزل في ذريته من يقولها من بعده»[(٥)].

---

(١) تفسير الرازي (سورة التوبة، الآية: ٤٠).
(٢) كتاب البحر المحيط في التفسير ٥/ ٤٢٢.
(٣) تفسير ابن كثير (سورة التوبة، الآية: ٤٠).
(٤) تفسير الطبري (سورة الزخرف، الآية: ٢٨)، تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة الزخرف، الآية: ٢٨).
(٥) تفسير الطبري (سورة الزخرف، الآية: ٢٨)، تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة الزخرف، الآية: ٢٨).

۞ عن السدي (ت: ١٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ قال: «لا إلٰه إلا الله»(١).

۞ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ يقول تعالى ذكره: وجعل قوله: ﴿...إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف، الآيات: ٢٦ ـ ٢٧]، وهو قول: لا إلٰه إلا الله، كلمة باقية في عقبه، وهم ذريّته، فلم يزل في ذريّته من يقول ذلك من بعده»(٢).

۞ قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ﴾ يعني: لا إلٰه إلا الله»(٣).

۞ قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «روي عن كثير من المفسرين أنهم قالوا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾. أنها قول لا إلٰه إلا الله. ويدل عليه وجوه:

الأول: مقدمة هذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧﴾ [الزخرف] وكان معنى قوله: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ﴾ نفي الإلهية عن الأشياء التي كانوا يعبدونها. ثم قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾. فكان فيه إثبات الإلهية للذي فطره، فإذا حصل هذان المعنيان كان مجموعهما هو قول: لا إلٰه إلا الله. ثم قال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف، الآية: ٢٨]. فثبت أن المراد من الكلمة الباقية قول لا إلٰه إلا الله.

الثاني: أنه تعالى قال في سورة القصص: ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا

---

(١) تفسير الطبري (سورة الزخرف، الآية: ٢٨).
(٢) تفسير الطبري (سورة الزخرف، الآية: ٢٨).
(٣) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (سورة الزخرف، الآية: ٢٨) ٤/ ١٨٢.

ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ [القصص، الآية: ٨٨]. فبين أن كل شيء هالك إلا هو، فإنه واجب الدوام والبقاء. والسرمدية، وقد عرفت أن القول تبع المقول، والاعتقاد تبع المعتقد، فكان صدق لا إله إلا الله، وحقيقة لا إله إلا الله واجبي الثبوت والبقاء والدوام، وذلك هو المراد بكونها باقية.

الثالث: أنا بينا أن التوحيد لا يزول بسبب المعصية، والمعصية تزول بسبب التوحيد، وأيضًا التوحيد يبقى مع أهل الجنة، وسائر الطاعات لا تبقى، روى جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ عن جبريل «أن الله يقول يوم القيامة: مالي أرى فلان بن فلان في صفوف أهل النار؟ فأقول: يا رب، إنا لم نجد له حسنة، فيقول الله تعالى: إني سمعته في الدنيا يقول: يا حنّان يا منّان، فاذهب إليه فسله. فيأتيه فيجده في زاوية من زوايا جهنم يقول: يا حنان يا منان، فيسأله جبريل عن هذه الكلمة، فيقول: وهل حنان منان غير الله. قال جبريل: فآخذ بيده من صفوف أهل النار، فأدخله في صفوف أهل الجنة»[1]»[2].

❁ قال البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَجَعَلَهَا﴾ وجعل إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ أو الله كلمة التوحيد. ﴿كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ﴾ في ذريته فيكون فيهم أبدًا من يوحد الله ويدعو إلى توحيده»[3].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهي: الكلمة التي جعلها

(١) أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٤٥٩) باختلاف يسير، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» ٦/ ٢١٠ واللفظ له. وفيه الفضل الرقاشي تفرد به ولم يتابع عليه.
(٢) عجائب القرآن للرازي ص٦٠ ـ ٦١.
(٣) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (سورة الزخرف، الآية: ٢٨).

إبراهيم في عقبه: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾»(١).

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: جعل هذه الموالاة لله، والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقية في عقبه يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض وهي كلمة: لا إلٰه إلا الله، وهي التي ورثها إمام الحنفاء لأتباعه إلى يوم القيامة»(٢).

❁ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ أي: هذه الكلمة، وهي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأوثان، وهي: «لا إلٰه إلا الله» أي: جعلها دائمة في ذريته يقتدي به فيها من هداه الله من ذرية إبراهيم، عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ أي: إليها»(٣).

۞ الاسم التاسع: ومن أسماء التوحيد «الكلمة العاصمة»:

❁ عن جابر بن عبد الله (ت: ٧٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إلٰه إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم، وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»**(٤).

❁ عن عبد الله بن عمر (ت: ٧٣هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»**(٥).

---

(١) قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات لابن تيمية ص٢٩.
(٢) الجواب الكافي ص١٩٥.
(٣) تفسير ابن كثير (سورة الزخرف، الآية: ٢٨).
(٤) أخرجه مسلم (٢١)، والترمذي (٣٣٤١)، والنسائي (٣٩٧٧)، وابن ماجه (٣٩٢٨)، وأحمد (١٥٢٤١) واللفظ له.
(٥) رواه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢).

۞ عن أبي مالك عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله»[١].

۞ عن عبد الله بن مسعود (ت: ٣٢هـ) رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة»[٢].

۞ عن أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) - رضي الله تعالى عنه -، عن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله. ويؤمنوا بي وبما جئت به. فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها. وحسابهم على الله»[٣].

۞ عن عبيد الله بن عدي بن الخيار (ت: في زمن الوليد بن عبد الملك) رحمه الله، أن رجلًا من الأنصار حدثه أنه أتى النبي ﷺ وهو في مجلس فساره يستأذنه في قتل رجل من المنافقين، فجهر رسول الله ﷺ فقال: «أليس يشهد أن لا إله إلا الله؟». قال الأنصاري: بلى يا رسول الله، ولا شهادة له، فقال رسول الله ﷺ: «أليس يشهد أن محمدًا رسول الله؟». قال: بلى يا رسول الله، ولا شهادة له، قال:

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله ١/ ٤٠.

(٢) رواه البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾، ٨/ ٤٨. ورواه مسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب ما يباح به دم المسلم ٥/ ٩٥.

(٣) رواه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢).

«أليس يصلي؟». قال: بلى يا رسول الله، ولا صلاة له، فقال رسول الله ﷺ: «**أولئك الذين نهاني الله عنهم**»[(١)].

۞ وقال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب (ت: ٤٠هـ) رضي الله عنه عندما أعطاه الراية يوم خيبر: «**قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم. إلا بحقها. وحسابهم على الله**»[(٢)].

۞ عن عبد الله بن عمرو (ت: ٦٥هـ) رضي الله عنهما، قال: «بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد (ت: ٢١هـ)، إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا، صبأنا. فجعل خالد يقتل منهم ويأسر. ودفع إلى كل رجل منا أسيره حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره. فقلت: والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره. حتى قدمنا على النبي ﷺ فذكرناه، فرفع النبي ﷺ يده فقال: «**اللّهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد. مرتين**»»[(٣)].

۞ عن أسامة بن زيد (ت: ٥٤هـ) رضي الله عنه، قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية. فصبحنا الحرقات من جهينة. فأدركت رجلًا. فقال: لا إله إلا الله. فطعنته فوقع في نفسي من ذلك. فذكرته للنبي ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «**أقال: لا إله إلا الله وقتلته؟**» قال: قلت: يا رسول الله

---

(١) قال الهيثمي في المجمع ـ كتاب الإيمان، باب في ما يحرم دم المرء وماله ـ ١/ ٣٩: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح وأعاده عن عبيد الله بن عدي بن الخيار عن عبد الله بن عدي الأنصاري حدثه فذكر معناه.

(٢) ورواه مسلم ـ كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل علي رضي الله عنه ـ ٧/ ١٢١. حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة ٥/ ١٢٥.

إنما قالها خوفًا من السلاح. قال: «**أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم: أقالها أم لا**» فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ»[١].

❁ قال علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال (ت: ٤٤٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ:
«قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْۚ﴾ [التوبة، الآية: ٥] فيه: ابن عمر، قال ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله**»[٢]. قال المؤلف: قال أنس بن مالك: هذه الآية من آخر ما نزل من القرآن، وتوبتهم خلع الأوثان، وعبادتهم لربهم، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، ثم قال في آية أخرى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِۗ﴾ [التوبة، الآية: ١١]، فقام الدليل الواضح من هاتين الآيتين أن من ترك الفرائض، أو واحدة منها، فلا يخلى سبيله، وليس بأخ في الدين، ولا يعصم دمه وماله، ويشهد لذلك قوله ﷺ: «**فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها**»، وبهذا حكم أبو بكر الصديق في أهل الردة، وهذا يرد قول المرجئة أن الإيمان غير مفتقر إلى الأعمال. وقولهم مخالف لدليل الكتاب والآثار وإجماع أهل السنة. فمن ضيع فريضة من فرائض الله جاحدًا لها فهو كافر، فإن تاب وإلا قتل، ومن ضيع منها شيئًا غير جاحد لها فأمره إلى الله، ولا يقطع عليه بكفر»[٣].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، ١/٦٧.
(٢) رواه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢).
(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١/٧٦ ـ ٧٧.

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكذلك لم تحصل عصمة المال والدم على الإطلاق إلا بها وبالقيام بحقها وكذلك لا تحصل النجاة من العذاب على الإطلاق إلا بها وبحقها فالعقوبة في الدنيا والآخرة على تركها أو ترك حقها»(١).

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار»(٢).

❁ **الاسم العاشر: ومن أسماء التوحيد «كلمة الإخلاص»:**

❁ عن عثمان بن عفان (ت: ٣٥هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ثم إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقًّا من قلبه إلا حرم على النار**».

فقال له عمر بن الخطّاب (ت: ٢٣هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنا أحدثك ما هي كلمة الإخلاص التي أعز الله - تبارك وتعالى - بها محمدًا ﷺ، وهي كلمة التقوى. . .» الحديث(٣).

❁ وعن أبي بن كعب (ت: ٣٠هـ تقريبًا) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كان رسول الله ﷺ يعلمنا إذا أصبحنا: «**أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، وسنة نبينا محمد ﷺ، وملة أبينا إبراهيم حنيفًا مسلمًا، وما كان من المشركين**»، وإذا أمسينا مثل ذلك»(٤).

---

(١) التبيان في أقسام القرآن ص٥٩.
(٢) الجواب الكافي ص١٧٠.
(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ٦٣.
(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (٢١١٤٤) واللفظ له، والطبراني في «الدعاء» (٢٩٣).

۞ عن عبد الرحمن بن أبزى (ت: ٧٠ هـ تقريبًا) رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا أصبح يقول: «**أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد ﷺ، وعلى ملة أبينا إبراهيم، حنيفًا مسلمًا، وما كان من المشركين**»(١).

۞ عن عبد الله بن عمرو (ت: ٦٥هـ) رضي الله عنه، ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر، الآية: ٣] قال: «كلمة الإخلاص لا إله إلا الله، لا يتقبل الله عز وجل من أحد عملًا حتى يقولها»(٢).

۞ عن مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) رحمه الله: «﴿كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ كلمة الإخلاص»(٣).

۞ عن مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) رحمه الله، ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ [الأنعام، الآية: ١٦٠] قال: «كلمة الإخلاص لا إله إلا الله»(٤).

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رحمه الله: «﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾، يعني حسنة يعني كلمة الإخلاص وهي التوحيد ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾، يعني بالطيبة الحسنة كما أنه ليس في الكلام شيء أحسن ولا أطيب من الإخلاص قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له»(٥).

۞ قال أبو أحمد محمد بن علي بن محمد الكَرَجي القصَّاب (ت: نحو: ٣٦٠هـ) رحمه الله: «قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا

---

(١) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٩٨٢٩)، وأحمد (١٥٣٦٧) واللفظ له.
(٢) الدعاء للطبراني ص٤٦٠.
(٣) تفسير إسحاق البستي ٢/ ٣٧٧.
(٤) الدعاء للطبراني ص٤٤١.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان ٢/ ٤٠٤.

﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم، الآية: ٢٤]. دليل على أن كلمة الإخلاص جامعة للخير، نامية للحسنات، جالبة على قائلها كلما لفظ بها ثوابًا مجردًا، مثمرة له كل ما يقر الله به عينه في معاده إذا ورد عليه»[(١)].

❁ قال منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١﴾ [الزمر]؛ أي: مخلصًا له التوحيد، وإخلاص التوحيد: أن لا تشرك به غيره»[(٢)].

❁ قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكلمة التوحيد لها فضائل عظيمة لا يمكن ها هنا استقصاؤها؛ فلنذكر بعض ما ورد فيها. فهي كلمة التقوى، كما قاله عمر وغيره من الصحابة. وهي كلمة الإخلاص....»[(٣)].

❁ وقال محمد بن أحمد السفاريني (ت: ١١٨٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «كلمة الإخلاص، وهي لا إله إلا الله وهي أس الإيمان»[(٤)].

❁ قال عبيد الله الرحماني المباركفوري (ت: ١٤١٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكلمة الإخلاص: هي كلمة التوحيد لله تعالى بأنه المعبود بحق، وسميت كلمة التوحيد كلمة الإخلاص؛ لأنها لا تكون سببًا للخلاص إلا إذا كانت مقرونة بالإخلاص»[(٥)].

---

(١) كتاب النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام ٢/ ٢٧.
(٢) تفسير السمعاني ٤/ ٤٦٢.
(٣) كتاب التوحيد أو تحقيق كلمة الإخلاص ص٧٤.
(٤) لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية ٢/ ٢٠٠.
(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٨/ ١٥٨.

۞ الاسم العاشر: ومن أسماء التوحيد «الطيب من القول»:

▒ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الحج، الآية: ٢٤].

۞ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: «هو شهادة أن لا إلٰه إلا الله»[(١)].

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رحمه الله: «﴿وَهُدُوٓاْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ يعنى التوحيد، وهو قول: لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، كقوله: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ [إبراهيم: ٢٤] يعني: التوحيد»[(٢)].

۞ قال الطبري (ت: ٣١٠هـ) رحمه الله: «وقوله: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ يقول تعالى ذكره: وهداهم ربهم في الدنيا إلى شهادة أن لا إلٰه إلا الله»[(٣)].

۞ قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: «هو لا إلٰه إلا الله»[(٤)].

۞ قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رحمه الله: «﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ وهو شهادة أن لا إلٰه إلّا الله»[(٥)].

۞ قال ابن عطية (ت: ٥٤١هـ) رحمه الله: «و﴿ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ لا إلٰه إلّا الله وما جرى معها من ذكر الله تعالى وتسبيحه وتقديسه»[(٦)].

۞ قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رحمه الله: «الطيب المطلق هو: معرفة أن لا إلٰه إلا الله، وذكر لا إلٰه إلا الله، والاستغراق في أنوار

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة الحج، الآية: ٢٤).
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة الحج، الآية: ٢٤).
(٣) تفسير الطبري (سورة الحج، الآية: ٢٤).
(٤) تفسير القرآن العزيز لابن زمنين (سورة الحج، الآية: ٢٤).
(٥) تفسير الثعلبي (سورة الحج، الآية: ٢٤).
(٦) تفسير ابن عطية (سورة الحج، الآية: ٢٤).

جلال لا إله إلا الله، فلهذا السبب قال ـ تعالى ـ: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الحج، الآية: ٢٤]، والمراد منه: كلمة لا إله إلا الله»[(١)].

❁ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد قال بعض المفسرين في قوله: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أي: القرآن. وقيل: لا إله إلا الله. وقيل: الأذكار المشروعة»[(٢)].

❁ **الاسم الحادي عشر: ومن أسماء التوحيد «الكلمة الطيبة»:**

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾ [إبراهيم].

❁ عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في قوله: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾: «شهادة أن لا إله إلا الله»[(٣)].

❁ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾، يعني: حسنة، يعني: كلمة الإخلاص، وهي التوحيد»[(٤)].

❁ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويعني بالطيبة: الإيمان به جلّ ثناؤه»[(٥)].

---

(١) عجائب القرآن للرازي ص٥٥.
(٢) تفسير ابن كثير (سورة الحج، الآية: ٢٤).
(٣) تفسير ابن أبي حاتم (سورة إبراهيم، الآية: ٢٤)، وتفسير ابن كثير (سورة إبراهيم، الآية: ٢٤).
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة إبراهيم، الآية: ٢٤).
(٥) تفسير الطبري (سورة إبراهيم، الآية: ٢٤).

۞ قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ هي: لا إله إلا الله»(١).

۞ قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ شهادة أن لا إله إلّا الله»(٢).

۞ قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقيل: الكلمة الطيبة أصلها ثابت، هي ذات أصل في القلب، يعني التوحيد»(٣).

۞ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾، هي قول: لا إله إلا الله»(٤).

۞ قال العز بن عبد السلام (ت: ٦٣٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾ [إبراهيم]، ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم، الآية: ٢٥]، ذكر ذلك ترغيبًا في كلمة التوحيد»(٥).

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله سبحانه مثل الكلمة الطيبة أي: كلمة التوحيد بشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء. فبين بذلك أن الكلمة الطيبة لها أصل ثابت في قلب المؤمن ولها فرع عال وهي ثابتة في قلب ثابت كما قال: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ

---

(١) تفسير ابن أبي زمنين (سورة إبراهيم، الآية: ٢٤).
(٢) تفسير الثعلبي (سورة إبراهيم، الآية: ٢٤).
(٣) تفسير مكي بن أبي طالب (سورة إبراهيم، الآية: ٢٤).
(٤) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة إبراهيم، الآية: ٢٤).
(٥) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة إبراهيم، الآية: ٢٤). قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١/١٦٣.

ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم، الآية: ٢٧]، فالمؤمن عنده يقين وطمأنينة والإيمان في قلبه ثابت مستقر وهو في نفسه ثابت على الإيمان مستقر لا يتحول عنه»[١].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: ««لا إله إلا الله». فإن في هذه الكلمة الطيبة التي هي ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾ [إبراهيم]، فيها إثبات معرفته والإقرار به. وفيها إثبات محبته فإن الإله هو المألوه الذي يستحق أن يكون مألوهًا؛ وهذا أعظم ما يكون من المحبة. وفيها أنه لا إله إلا هو. ففيها المعرفة والمحبة والتوحيد»[٢].

❁ قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «والكلمة الطيبة قيل: هي كلمة الإسلام، وهي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؛ والكلمة الخبيثة: كلمة الشرك»[٣].

❁ الاسم الثاني عشر: ومن أسماء التوحيد «الكلم الطيب»:

قال - تعالى -: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾ [فاطر].

❁ قال السدي (ت: ١٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾، يعني: التوحيد»[٤].

❁ قال يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي (ت: ٢٠٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/ ١٥٩.
(٢) مجموع الفتاوى ١٦/ ٣٤٥.
(٣) تفسير ابن عاشور (سورة إبراهيم، الآية: ٢٤).
(٤) تفسير يحيى بن سلام (سورة القصص، الآية: ٥٧).

«قوله ﷻ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] «التوحيد».

﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] «التوحيد»، لا يرتفع العمل إلا بالتوحيد كقوله: ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ١٩﴾ [الإسراء: ١٩]»[١].

۞ قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: «قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر، الآية: ١٠]، تفسير قتادة (ت: ١١٨هـ)، يقول: من كان يريد العزة؛ فليتعزز بطاعة الله ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر، الآية: ١٠]، هو التوحيد ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر، الآية: ١٠]، التوحيد؛ لا يرتفع العمل إلا بالتوحيد»[٢].

۞ قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) رحمه الله: «وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر، الآية: ١٠]؛ أي: التوحيد والتمجيد وذكر الله ونحوه»[٣].

۞ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: «﴿إِلَيْهِ﴾ أي: إلى الله، ﴿يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ وهو قوله لا إله إلا الله»[٤].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر، الآية: ١٠]، ومن لم يكن معه أصل ثابت فإنه يحرم الوصول؛ لأنه ضيع الأصول؛ ولهذا تجد أهل البدع والشبهات لا يصلون إلى غاية محمودة كما قال ـ تعالى ـ: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا

---

(١) تفسير يحيى بن سلام (سورة فاطر، الآية: ١٠).

(٢) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٤/ ٢٦.

(٣) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤/ ٤٣١.

(٤) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة فاطر، الآية: ١٠).

هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾ [الرعد]»[١].

۞ الاسم الثالث عشر: ومن أسماء التوحيد «المثل الأعلى»:

▪ قال ـ تعالى ـ: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [النحل].

۞ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: ﴿ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾، «شهادة أن لا إله إلا الله»[٢].

۞ عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رحمه الله: «قوله: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾، الإخلاص والتوحيد»[٣].

۞ عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رحمه الله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾ قال: «شهادة أن لا إله إلا الله»[٤].

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رحمه الله: «﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾؛ لأنه تبارك وتعالى ربٌّ واحد لا شريك له ولا ولد»[٥].

۞ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رحمه الله: «يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾، وهو الأفضل والأطيب، والأحسن، والأجمل، وذلك

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/١٥٩ ـ ١٦٠.

(٢) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (سورة النحل، الآية: ٦٠)، تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة النحل، الآية: ٦٠).

(٣) تفسير الطبري (سورة النحل، الآية: ٦٠).

(٤) تفسير الطبري (سورة النحل، الآية: ٦٠)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (تفسير سورة النحل، الآية: ٦٠)، وقال: وأخرجه عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة النحل، الآية: ٦٠).

التوحيد والإذعان له بأنه لا إلٰه غيره»[(١)].

۞ قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ يقول: ولله الإخلاص والتوحيد؛ في تفسير قتادة»[(٢)].

۞ قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، الصفة العليا، وهي التوحيد والإخلاص. وقال ابن عبّاس: ﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾: النار، ﴿ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: شهادة أن لا إلٰه إلّا الله»[(٣)].

۞ قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي: الأفضل والأكمل والأحسن وهو التوحيد»[(٤)].

۞ قال علي بن محمد الماوردي (ت: ٤٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، فيه وجهان:

أحدهما: الصفة العليا بأنه خالق ورزاق وقادر ومُجازٍ.

الثاني: الإخلاص والتوحيد، قاله قتادة»[(٥)].

۞ قال الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، الإخلاص والتوحيد، وهو شهادة أن لا إلٰه إلا الله»[(٦)].

۞ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، الصفة العليا، وهي التوحيد وأنه لا إلٰه إلا هو. وقيل: جميع

---

(١) تفسير الطبري (سورة النحل، الآية: ٦٠).
(٢) تفسير ابن أبي زمنين (سورة النحل، الآية: ٦٠).
(٣) تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي (سورة النحل، الآية: ٦٠).
(٤) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (سورة النحل، الآية: ٦٠).
(٥) تفسير النكت والعيون للماوردي (سورة النحل، الآية: ٦٠).
(٦) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (سورة النحل، الآية: ٦٠).

صفات الجلال والكمال، من العلم، والقدرة، والبقاء، وغيرها من الصفات. قال ابن عباس: ﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾: النار، و﴿ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: شهادة أن لا إله إلا الله»[(١)].

۞ قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾؛ أي: الوصف الأعلى من الإخلاص والتوحيد، قاله قتادة. وقيل: أي: الصفة العليا بأنه خالق رازق قادر ومجاز. وقال ابن عباس: ﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾، النار، و﴿ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، شهادة أن لا إله إلا الله»[(٢)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المثل الأعلى يتضمن الصفة العليا وعلم العالمين بها ووجودها العلمي والخبر عنها وذكرها وعبادة الرب سبحانه بواسطة العلم والمعرفة القائمة بقلوب عابديه وذاكريه فهاهنا أربعة أمور:

[الأول]: ثبوت الصفات العليا لله سبحانه في نفس الأمر علمها العباد أو جهلوها، وهذا معنى قول من فسره بالصفة.

الثاني: وجودها في العلم والتصور، وهذا معنى قول من قال من السلف والخلف إنه ما في قلوب عابديه وذاكريه من معرفته وذكره ومحبته وإجلاله وتعظيمه، وهذا الذي في قلوبهم من المثل الأعلى لا يشترك فيه غيره معه، بل يختص به في قلوبهم كما اختص في ذاته، وهذا معنى قول من قال من المفسرين أهل السماء يعظمونه ويحبونه ويعبدونه وأهل الأرض يعظمونه ويجلونه وإن أشرك به من أشرك وعصاه من عصاه وجحد صفاته من جحدها فكل أهل الأرض معظمون له مجلون له

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة النحل، الآية: ٦٠).

(٢) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (سورة النحل، الآية: ٦٠).

خاضعون لعظمته مستكينون لعزته وجبروته، قال ـ تعالى ـ: ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [البقرة] فلست تجد أحدًا من أوليائه وأعدائه إلا والله أكبر في صدره وأكمل وأعظم من كل سواه.

الثالث: ذكر صفاته والخبر عنها وتنزيهها عن النقائص والعيوب والتمثيل.

الرابع: محبة الموصوف بها وتوحيده والإخلاص له والتوكل عليه والإنابة إليه، وكلما كان الإيمان بالصفات أكمل كان هذا الحب والإخلاص أقوى، فعبارات السلف تدور حول هذه المعاني الأربعة لا تتجاوزها»[(١)].

❁ قال الشوكاني (ت: ١٢٥٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ وهو أضداد صفة المخلوقين من الغنى الكامل، والجود الشامل، والعلم الواسع، أو التوحيد وإخلاص العبادة، أو أنه خالق رازق قادر مجاز؛ وقيل: شهادة أن لا إلٰه إلّا الله؛ وقيل: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ [النور، الآية: ٣٥]»[(٢)].

❁ الاسم الرابع عشر: ومن أسماء كلمة التوحيد «أم الخصال الحميدة وأساسها»:

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف].

❁ قال عبد الرحمٰن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) الصواعق المرسلة ٣/ ١٠٣٥.

(٢) تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني (سورة النحل، الآية: ٦٠).

«﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي: هذه الخصلة الحميدة، التي هي أم الخصال وأساسها، وهي إخلاص العبادة لله وحده، والتبرِّي من عبادة ما سواه»(١).

الاسم الخامس عشر: ومن أسماء التوحيد «كلمة التقوى»:

قال - تعالى -: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفتح].

عن الطفيل بن أبي بن كعب (ت: ٨١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، عن أبيه (ت: ٣٠هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سمع رسول الله ﷺ يقول: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قال: «لا إِلَه إلا اللهُ»(٢).

عن عثمان بن عفان (ت: ٣٥هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ثم إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقًّا من قلبه إلا حرم على النار**».

فقال له عمر بن الخطّاب (ت: ٢٣هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنا أحدثك ما هي كلمة الإخلاص التي أعز الله تبارك وتعالى بها محمدًا ﷺ، وهي كلمة التقوى...» الحديث(٣).

عن علي بن أبي طالب (ت: ٤٠هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في قوله: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قال: لا إله إلا الله»(٤).

وفي سنن سعيد بن منصور (ت: ٢٢٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ بسنده: «سمعت

---

(١) تفسير ابن سعدي (سورة الزخرف، الآية: ٢٨).
(٢) تفسير الطبري (سورة الفتح، الآية: ٢٦).
(٣) أخرج أحمد في مسنده ١/٦٣.
(٤) تفسير الطبري (سورة الفتح، الآية: ٢٦).

عليًّا الأزدي (ت: ١٨٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: سمعت ابن عمر (ت: ٧٣هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وسمع الناس يقولون: «لا إلٰه إلا الله والله أكبر» بين مكة ومنى؛ فقال: هي هي. فقلت: وما هي هي؟ قال: قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح]: لا إلٰه إلا الله»[١].

۞ عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قوله: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، يقول: «شهادة أن لا إلٰه إلا الله، فهي كلمة التقوى، يقول: فهي رأس التقوى»[٢].

۞ عن سعيد بن جبير (ت: ٩٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قال: «لا إلٰه إلا الله»[٣].

۞ عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ «وكان المسلمون أحقّ بها، وكانوا أهلها؛ أي: التوحيد، وشهادة أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله»[٤].

۞ قال سهل التستري (ت: ٢٨٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هي كلمة لا إلٰه إلا الله فإنها رأس التقوى، ثم قال: خير الناس المسلمون، وخير المسلمين المؤمنون، وخير المؤمنين العلماء العاملون، وخير العاملين الخائفون، وخير الخائفين المخلصون المتقون الذين وصلوا إخلاصهم وتقواهم بالموت، فإن مثله كمثل راكب السفينة بالبحر، لا يدري أينجو منه أم يغرق فيه، والذين تم لهم ذلك أصحاب رسول الله ﷺ بقوله: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ

---

(١) سنن سعيد بن منصور تكملة التفسير ٧/ ٣٨١.
(٢) تفسير الطبري (سورة الفتح، الآية: ٢٦)، وكتاب الأسماء والصفات للبيهقي ١/ ٢٧١.
(٣) سنن سعيد بن منصور تكملة التفسير ٧/ ٣٧٩.
(٤) تفسير الطبري (سورة الفتح، الآية: ٢٦).

﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾»(١).

۞ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ): «﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ)، ومجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ)، والضحاك بن مزاحم (ت: ١٠٢هـ)، وقتادة (ت: ١١٨هـ)، وعكرمة (ت: ١٠٥هـ)، والسدي (ت: ١٢٨هـ)، وابن زيد (ت: ١٨٢هـ)، وأكثر المفسرين: كلمة التقوى «لا إلٰه إلا الله»(٢).

۞ قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ): «وألزمهم كلمة التقوى قيل: لا إلٰه إلا الله. روي مرفوعًا من حديث أبي بن كعب (ت: ٣٠ هـ تقريبًا) عن النبي ﷺ. وهو قول علي (ت: ٤٠هـ) رضي الله عنه، وابن عمر (ت: ٧٣هـ) رضي الله عنهما، وابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما، وعمرو بن ميمون (ت: ٧٤هـ) رحمه الله، ومجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) رحمه الله، وقتادة (ت: ١١٨هـ) رحمه الله، وعكرمة (ت: ١٠٥هـ) رحمه الله، والضحاك بن مزاحم (ت: ١٠٢هـ) رحمه الله، وسلمة بن كهيل (ت: ١٢١ هـ تقريبًا) رحمه الله، وعبيد بن عمير (ت: ٦٨هـ) رحمه الله، وطلحة بن مصرف (ت: ١١٢هـ) رحمه الله، والربيع (ت: ١٤٠ هـ تقريبًا) رحمه الله، والسدي (ت: ١٢٨هـ) رحمه الله، وابن زيد (ت: ١٨٢هـ) رحمه الله، وقاله عطاء الخراساني (ت: ١٣٥هـ) رحمه الله، وزاد: «محمد رسول الله»؛ وعن علي (ت: ٤٠هـ) رضي الله عنه، وابن عمر (ت: ٧٣هـ) رضي الله عنهما، أيضًا هي لا إلٰه إلا الله والله أكبر. وقال عطاء بن أبي رباح (ت: ١١٤هـ) رحمه الله، ومجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) رحمه الله، أيضًا: هي لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. وقال الزهري (ت: ١٢٤هـ) رحمه الله: بسم الله الرحمٰن الرحيم. يعني أن المشركين لم يقروا بهذه الكلمة، فخص الله بها

---

(١) تفسير التستري ص١٤٨.

(٢) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة الفتح، الآية: ٢٦).

المؤمنين. وكلمة التقوى هي التي يتقى بها من الشرك. وعن مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أيضًا أن كلمة التقوى الإخلاص»[(١)].

الاسم السادس عشر: ومن أسماء التوحيد «سبيل التقوى»:

قال ـ تعالى ـ: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾ [النحل].

فالتوحيد أعظم نعمة أنعمها الله تعالى على عباده حيث هداهم إليه، كما جاء في سورة النحل التي تسمى سورة النعم، فالله عزّ وجلّ قدّم نعمة التوحيد على كل نعمة.

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أمرهم الله عَزَّوَجَلَّ أن ينذروا الناس، فقال: ﴿أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾ [آية: ٢]، يعنى فاعبدون»[(٢)].

قال الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ مع تخويفهم إن لم يقروا ﴿فَٱتَّقُونِ﴾ بالتوحيد والطاعة»[(٣)].

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم العقل أيضًا ليس بكامل النورانية والصفاء والإشراق حتى يستكمل بمعرفة ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله ومعرفة أحوال عالم الأرواح والأجساد، وعالم الدنيا والآخرة، ثم إن هذه المعارف الشريفة الإلهية لا تكمل ولا تصفو إلا بنور الوحي والقرآن»[(٤)].

---

(١) تفسير القرطبي (سورة لقمان، الآية: ٢٦).
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة النحل، الآية: ٢).
(٣) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (سورة النحل، الآية: ٢).
(٤) تفسير مفاتح الغيب للرازي (سورة النحل، الآية: ٢).

۞ قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأشرف المعارف وأجلها معرفة أنه لا إله إلا هو، وإليه الإشارة بقوله: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ والقوة الثانية للنفس: استعدادها للتصرف في أجسام هذا العالم، وهذه القوة هي القوة المسماة بالقوة العملية، وسعادة هذه القوة في الإتيان بالأعمال الصالحة، وأشرف الأعمال الصالحة هو عبودية الله تعالى، وإليه الإشارة بقوله: ﴿فَٱتَّقُونِ﴾ ولما كانت القوة النظرية أشرف من القوة العملية وسعادة هذه القوة في الإنباء بالأعمال الصالحة وأشرف الأعمال الصالحة هو عبودية الله تعالى، وإليه الإشارة بقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ على كمالات القوة العملية وهي قوله: ﴿فَٱتَّقُونِ﴾»[(١)].

۞ وقال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «سميت هذه الكلمة بكلمة التقوى: هو أن هذه الكلمة واقية لبدنك من السيف، ولمالك من الاستغنام، ولذمتك من الجزية، ولأولادك من السبي، فإن انضاف القلب إلى اللسان صارت واقية لقلبك عن الكفر، وإن انضم التوفيق إليه صارت واقية لجوارحك عن المعاصي»[(٢)].

۞ قال البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «والآية تدل على التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية، والأمر بالتقوى الذي هو أقصى كمال القوة العملية»[(٣)].

۞ قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد أحاطت جملة ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُونِ﴾ بالشريعة كلها، لأن جملة ﴿أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ

---

(١) تفسير مفاتح الغيب للرازي (سورة النحل، الآية: ٢).
(٢) عجائب القرآن للرازي ص٦٠.
(٣) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (سورة النحل، الآية: ٢).

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ تنبيه على ما يرجع من الشريعة إلى إصلاح الاعتقاد وهو الأمر بكمال القوة العقلية.

وجملة ﴿فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾ تنبيه على الاجتناب والامتثال اللذين هما منتهى كمال القوة العملية»[1].

۞ قال عبد الرحمٰن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وزبدة دعوة الرسل كلهم ومدارها على قوله: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾ أي: على معرفة الله تعالى وتوحده في صفات العظمة التي هي صفات الألوهية وعبادته وحده لا شريك له فهي التي أنزل الله بها كتبه وأرسل رسله، وجعل الشرائع كلها تدعو إليها، وتحث وتجاهد من حاربها وقام بضدها»[2].

۞ قال الشيخ عبد الرحمٰن الدوسري (ت: ١٣٣٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن القلب إذا صفت مقاصده لله، وصفت معلوماته مما سواه، وانحشى بوحيه العزيز، وانشغل بذكر أسمائه الحسنى متدبرًا معانيها ومشتقاتها، ليعامل الله بمقتضاها ولا يأنس إلا بها؛ صفت موارده لخلوص مقاصده، فصار سليمًا، وفي حصن حصين من غزو أعدائه - شياطين الإنس والجن - الفكري ومن همزاتهم. فيثمر له صفاء علمه ومتعلقاته؛ حسن السلوك الذي يسيِّر الأعضاء والأحاسيس حسب مرضاة الله»[3].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العبد عليه حقان:

حقٌّ لله عَزَّ وَجَلَّ، وحقٌّ لعباده. ثم الحق الذي عليه لا بد أن يُخِلَّ ببعضه أحيانًا؛ إما بترك مأمور به، أو فعل منهيّ عنه، فقال النبي ﷺ:

---

(١) تفسير ابن عاشور (سورة النحل، الآية: ٢).
(٢) تفسير ابن سعدي (سورة النحل، الآية: ٢).
(٣) صفوة الآثار والمفاهيم ١/ ٢١٧.

«**اتق الله حيثما كنت**» وهذه كلمة جامعة، وفي قوله: «**حيثما كنت**» تحقيق لحاجته إلى التقوى في السر والعلانية، ثم قال: «**وأتبع السيئة الحسنة تمحها**» فإن الطبيب متى تناول المريض شيئًا مضرًّا أمره بما يصلحه.

والذنب للعبد كأنه أمر حتم؛ فالكيّس هو الذي لا يزال يأتي من الحسنات بما يمحو السيئات»[(١)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «التقوى: هي الاحتماء عما يضره بفعل ما ينفعه، فإن الاحتماء عن الضار يستلزم استعمال النافع، وأما استعمال النافع فقد يكون معه أيضًا استعمالًا لضار، فلا يكون صاحبه من المتقين»[(٢)].

۞ الاسم السابع عشر: ومن أسماء التوحيد «السبيل»:

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف].

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿قُلْ هَٰذِهِۦ﴾، ملة الإسلام، ﴿سَبِيلِىٓ﴾، يعنى سنتي، ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾، يعنى إلى معرفة الله، وهو التوحيد، ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾، يعنى على بيان، ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾، على ديني، ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾، نزه الرب نفسه عن شركهم، ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾»[(٣)].

۞ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول تعالى

(١) مجموع الفتاوى ١٠/ ٦٥٥.
(٢) مجموع الفتاوى ١٠/ ١٤٤.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة يوسف، الآية: ١٠٨).

ذكره لنبيه محمد ﷺ: قُلْ يا محمد هَذِهِ الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان والانتهاء إلى طاعته وترك معصيته، سَبِيلِي وطريقتي ودعوتي أَدْعُو إلى اللهِ وحده لا شريك له على بَصِيرَةٍ بذلك، ويقين علم مني به، أَنَا وَيدعو إليه على بصيرة أيضًا مَن اتَّبَعَنِي وصدّقني وآمن بي. وَسُبْحانَ اللهِ يقول له تعالى ذكره: وقل تنزيها لله وتعظيما له من أن يكون له شريك في ملكه أو معبود سواه في سلطانه، وَما أنا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يقول: وأنا بريء من أهل الشرك به، لست منهم ولا هم مني»[(١)].

۞ قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ أي: ملتي ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ على يقين ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ أمره أن ينزه الله عما قال المشركون»[(٢)].

۞ قال البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ يعني: الدعوة إلى التوحيد والإعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾»[(٣)].

۞ قال علي بن يحيى السمرقندي (ت: ٨٨٠ هـ تقريبًا) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ يعني: هذه الملة، ديني الإسلام، ويقال: هذه دعوتي ﴿أَدْعُوٓاْ﴾ الخلق ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ تعالى. ويقال: أدعوكم إلى توحيد الله وعبادته ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أي: على يقين وحقيقة. ويقال: على بيان ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ يعني: من اتبعني على ديني، فهو أيضًا على بصيرة ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ تنزيهًا لله عن الشرك ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨﴾

(١) تفسير الطبري (سورة يوسف، الآية: ١٠٨).
(٢) تفسير ابن أبي زمنين (سورة يوسف، الآية: ١٠٨).
(٣) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (سورة يوسف، الآية: ١٠٨).

على دينهم»[(١)].

❁ قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ والمعنى: قل لهم يا محمد: هذه الدعوة التي أدعوكم إليها، والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله عَزَّ وَجَلَّ، أدعوكم إلى الله سبحانه ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أي: على منهاج ظاهر، ويقين ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾. ثم قال: ﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾: أي: وقل يا محمد سبحان الله: أي: تنزيهًا لله من شرككم، ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾»[(٢)].

❁ قال علي بن محمد الماوردي (ت: ٤٥٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ فيها تأويلان:

أحدهما: هذه دعوتي، قاله ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الثاني: هذه سنتي، قاله عبد الرحمٰن بن زيد (ت: ١٨٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ.

والمراد بها تأويلان:

أحدهما: الإخلاص لله تعالى بالتوحيد.

الثاني: التسليم لأمره فيما قضاه»[(٣)].

❁ قال عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت: ٧١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي»[(٤)].

❁ قال علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿قُلْ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: ﴿هَٰذِهِۦ

---

(١) تفسير بحر العلوم لعلي بن يحيى السمرقندي (سورة يوسف، الآية: ١٠٨).
(٢) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (سورة يوسف، الآية: ١٠٨).
(٣) تفسير النكت والعيون للماوردي (سورة يوسف، الآية: ١٠٨).
(٤) تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (سورة يوسف، الآية: ١٠٨).

سَبِيلِيٓ﴾ يعني: طريقي التي ﴿أَدۡعُوٓاْ﴾ إليها وهي توحيد الله ﷻ ودين الإسلام وسمي الدين سبيلًا لأنه الطريق المؤدي إلى الله ﷻ وإلى الثواب والجنة. ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعني: إلى توحيد الله والإيمان به»(١).

۞ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رحمه الله: «يقول الله تعالى لعبده ورسوله إلى الثقلين: الإنس والجن، آمرًا له أن يخبر الناس: أن هذه سبيله؛ أي: طريقه ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بَصِيرة من ذلك، ويقين وبرهان، هو وكلّ من اتبعه، يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي»(٢).

۞ قال محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الله الإيجي (ت: ٩٠٥ هـ تقريبًا) رحمه الله: «﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ﴾ أي: الدعوة إلى التوحيد، ﴿سَبِيلِيٓ﴾: طريقتي، ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾: ببيان وتفسير للسبيل، ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾: معرفة وحجة، ﴿أَنَا۠﴾: تأكيد لضمير أدعو، ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ أي: من آمن بي أيضًا يدعو إلى الله تعالى»(٣).

۞ قال أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ) رحمه الله: «﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ وهي الدعوةُ إلى التوحيد والإيمان بالإخلاص وفسّرها بقوله: ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ بيانٍ وحجةٍ واضحةٍ غيرِ عمياءَ»(٤).

---

(١) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (سورة يوسف، الآية: ١٠٨).
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (سورة يوسف، الآية: ١٠٨).
(٣) تفسير جامع البيان في تفسير القرآن للإيجي (سورة يوسف، الآية: ١٠٨).
(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (سورة يوسف، الآية: ١٠٨).

❁ قال شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ أي: هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي»[١].

❁ الاسم الثامن عشر: ومن أسماء التوحيد «القول السديد»:

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩﴾ [النساء].

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [الأحزاب].

❁ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «القول السديد: لا إله إلا الله»[٢].

❁ عن عكرمة (ت: ١٠٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: قال: «قولوا: لا إله إلا الله»[٣].

❁ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠﴾ يعني: قولًا عدلًا، وهو التوحيد»[٤].

---

(١) تفسير روح المعاني للألوسي (سورة يوسف، الآية: ١٠٨).

(٢) كتاب الأسماء والصفات للبيهقي ١/ ٢٧١، تفسير القرطبي (سورة الأحزاب، الآية: ٧٠)، تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (سورة الأحزاب، الآية: ٧٠).

(٣) تفسير الطبري (سورة الأحزاب، الآية: ٧٠)، تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة الأحزاب، الآية: ٧٠)، تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي (سورة الأحزاب، الآية: ٧٠)، تفسير الهداية في بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (سورة الأحزاب، الآية: ٧٠)، تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (سورة الأحزاب، الآية: ٧٠)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (سورة الأحزاب، الآية: ٧٠) وقال: وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عكرمة في قوله: ﴿وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠﴾ قال: قولوا: لا إله إلا الله».

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة الأحزاب، الآية: ٧٠).

❁ قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠﴾ أي: عدلًا؛ وهو: لا إله إلا الله»[(١)].

❁ قال القشيري (ت: ٤٦٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القول السديد كلمة الإخلاص، وهي الشهادتان عن ضميرٍ صادق»[(٢)].

❁ قال الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠﴾ أي: حقًّا وصوابًا قيل: هو لا إله إلا الله»[(٣)].

❁ قال العز بن عبد السلام (ت: ٦٣٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿سَدِيدٗا ٩﴾ عدلًا، أو صدقًا، أو صوابًا، أو قول لا إله إلا الله، أو يوافق باطنه ظاهره، أو ما أريد به وجه الله - تعالى - دون غيره»[(٤)].

❁ قال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت: ٨١٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعنى كلمة التوحيد»[(٥)].

❁ الاسم التاسع عشر: ومن أسماء التوحيد «القول الثابت»:

❁ قال - تعالى -: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧﴾ [إبراهيم].

• عن البراء بن عازب (ت: ٧٢هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**المسلمُ إذا سُئِلَ في القَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فذلك قولُهُ تعالى:** ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي

---

(١) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (سورة الأحزاب، الآية: ٧٠) ٣/ ٤١٥.
(٢) تفسير لطائف الإشارات للقشيري (سورة الأحزاب، الآية: ٧٠).
(٣) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (سورة الأحزاب، الآية: ٧٠).
(٤) تفسير العز بن عبد السلام (سورة الأحزاب، الآية: ٧٠).
(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤/ ٣٠٦.

﴿ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ [إبراهيم: ٢٧]»[١].

۞ قال طاوس (ت: ١٠٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ قال: لا إلٰه إلا الله، ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ المسألة في القبر»[٢].

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم ذكر المؤمنين بالتوحيد في حياتهم وبعد موتهم، فقال سبحانه: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ﴾، وهو التوحيد، ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾، ثم قال: ﴿وَ﴾ يثبتهم ﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾، يعني في قبره في أمر منكر ونكير بالتوحيد، وذلك أن المؤمن يدخل عليه ملكان أحدهما منكر والآخر نكير، فيجلسانه في القبر، فيسألانه: من ربك؟ وما دينك؟ ومن رسولك؟ فيقول: ربي الله عَزَّ وَجَلَّ، وديني الإسلام، ومحمد ﷺ رسولي، فيقولان له: وقيت وهديت، ثم يقولان: اللّهم إن عبدك أرضاك فأرضه، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ أي: يثبت الله قول الذين آمنوا»[٣].

۞ قال الفراء (ت: ٢٠٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقال: بلا إلٰه إلا الله فهذا في الدنيا. وإذا سئل عنها في القبر بعد موته قالها إذا كان من أهل السَّعادة، وإذا كان منْ أهل الشقاوة لم يقلها. فذلك قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ﴾ عنها أي عن قول لا إلٰه إلا الله»[٤].

۞ قال منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١).
(٢) تفسير عبد الرزاق (سورة إبراهيم، الآية: ٢٧)، وتفسير ابن كثير (سورة إبراهيم، الآية: ٢٧).
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة إبراهيم، الآية: ٢٧).
(٤) تفسير معاني القرآن للفراء (سورة إبراهيم، الآية: ٢٧).

السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ القول الثابت: كلمة التوحيد وهي لا إلٰه إلا الله»[(١)].

۞ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾، كلمة التوحيد، وهي قول: لا إلٰه إلا الله ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، يعني قبل الموت، ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾، يعني في القبر. هذا قول أكثر أهل التفسير»[(٢)].

۞ قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القول الثابت في الحياة الدنيا، كلمة الإخلاص، والنجاة من النار: لا إلٰه إلا الله، والإقرار بالنبوة»[(٣)].

۞ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالقول الثابت هو كلمة التوحيد»[(٤)].

۞ قال عبد الرحمٰن الثعالبي المالكي (ت: ٨٧٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: كلمةُ الإخلاصِ والنجاةِ من النَّار: «لا إلٰه إلا الله»، والإقرارُ بالنبوءة»[(٥)].

الاسم العشرون: ومن أسماء التوحيد «الإحسان»:

قال ـ تعالى ـ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾ [الرحمٰن].

---

(١) تفسير السمعاني ٣/ ١١٥، (سورة إبراهيم، الآية: ٢٧).
(٢) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة إبراهيم، الآية: ٢٧).
(٣) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣/ ٣٣٧.
(٤) تفسير ابن كثير (سورة إبراهيم، الآية: ٢٧).
(٥) تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي (سورة إبراهيم، الآية: ٢٧).

❁ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما، والمفسرون: «هل جزاء من قال: لا إلٰه إلا الله وعمل بما جاء به محمد ﷺ إلا الجنة»(١).

❁ قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) رحمه الله: «وحكى النقاش أن النبي ﷺ فسر هذه الآية: «**هل جزاء التوحيد إلا الجنة**»»(٢).

❁ **قال ـ تعالى ـ:** ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس].

❁ قال فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) رحمه الله: «والمراد من قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ هو: قول لا إلٰه إلا الله باتفاق أهل التفسير. وبدليل أنه لو قال ذلك ومات ولم يتفرغ لعمل آخر دخل الجنة»(٣).

❁ **قوله:** ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [فصلت، الآية: ٣٣]. واتفقوا على أن هذه الآية نزلت في فضيلة الأذان، وما ذلك إلا لاشتمال الأذان على كلمة لا إلٰه إلا الله. وأيضًا فإنه تعالى قال في صفة الكافرين: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام، الآية: ٢٢]. فكما أنه لا قبيح أقبح من كلمة الكفر، لا حسن أحسن من كلمة التوحيد. ولهذا قال ـ تعالى ـ في أول سورة المؤمنون: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون]. وقال في آخر السورة: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١١٧﴾ [المؤمنون]، ثم إنه لما كان قول الموحد حسنًا كان مقيله حسنًا، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ۝٢٤﴾ [الفرقان]. ولما كان الكافر قبيحًا كان مقيله أيضًا مظلمًا، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة، الآية: ٢٥٧].

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٢/٤٦٦؛ تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة الرحمٰن، الآية: ٦٠).
(٢) تفسير ابن عطية (سورة الرحمٰن، الآية: ٦٠)، ٥/٢٣٤.
(٣) عجائب القرآن للرازي ص٤٩.

❊ وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر، الآية: ١٨]. ولا شك أن أحسن القول لا إلٰه إلا الله.

❊ وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾ [النحل، الآية: ٩٠].

قيل: العدل: الإعراض عما سوى الله تعالى، والإحسان: الإقبال على الله تعالى.

❊ وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء، الآية: ٧].

ولا شك أن الإحسان قول: لا إلٰه إلا الله.

◎ عن أبي موسى الأشعري (ت: ٤٤هـ) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس، الآية: ٢٦]: «**للذين قالوا: لا إلٰه إلا الله الحسنى وهي الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجهه الكريم**»[(١)].

۞ الاسم الحادي والعشرون: ومن أسماء التوحيد «كلمة الصدق»:

❊ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر].

◎ عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما، قوله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾، يقول: من جاء بلا إلٰه إلا الله، ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ يعني: رسوله»[(٢)].

◎ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رحمه الله: «﴿وَٱلَّذِى جَآءَ

(١) عجائب القرآن للرازي ص٤٩ ـ ٥٠.

(٢) تفسير الطبري (سورة الزمر، الآية: ٣٣) وأورده السيوطي في الدر المنثور (سورة الزمر، الآية: ٣٣)، قال: «وأخرج ابن جرير (ت: ٣١٠هـ)، وابن المنذر (ت: ٣١٨هـ)، وابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، وابن مردويه (ت: ٤١٠هـ)، والبيهقي (ت: ٤٥٨هـ) في الأسماء والصفات عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) في قوله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ يعني: بلا إلٰه إلا الله ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ يعني: برسول الله ﷺ ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ يعني: اتقوا الشرك».

بِٱلصِّدْقِ﴾ يعني: بالحق، وهو النبي ﷺ جاء بالتوحيد ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ يعني: بالتوحيد، المؤمنون صدقوا بالذي جاء به محمد ﷺ، والمؤمنون أصحاب النبي ﷺ»[(١)].

۞ قال إبراهيم الخواص (ت: ٢٩١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصادق لا تراه إلا في فرض يؤديه أو فضل يعمل فيه»[(٢)].

۞ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قالوا: والصدق الذي جاء به: لا إلٰه إلا الله، والذي صدّق به أيضًا، هو رسول الله ﷺ»[(٣)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقال بعضهم: الصادق الذي يتهيأ له أن يموت ولا يستحيي من سره لو كشف، قال الله تعالى: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦﴾»[(٤)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قيل: ثلاث لا تخطئ الصادق: الحلاوة، والملاحة، والهيبة»[(٥)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حمل الصدق كحمل الجبال الرواسي. لا يطيقه إلا أصحاب العزائم. فهم يتقلبون تحته تقلب الحامل بحمله الثقيل»[(٦)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد أمر الله تعالى رسوله:

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة الزمر، الآية: ٣٣).
(٢) مدارج السالكين ٣/ ٢٠.
(٣) تفسير الطبري (سورة الزمر، الآية: ٣٣).
(٤) مدارج السالكين ٢/ ٢٦٤.
(٥) مدارج السالكين ٣/ ٢٠.
(٦) مدارج السالكين ٢/ ٢٦٤.

أن يسأله أن يجعل مدخله ومخرجه على الصدق. فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء].

وأخبر عن خليله إبراهيم ﷺ أنه سأله أن يهب له لسان صدق في الآخرين. فقال: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشعراء].

وبشر عباده بأن لهم عنده قدم صدق ومقعد صدق. فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس، الآية: ٢].

وقال: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾﴾ [الرحمن، الآيات: ٥٤ ـ ٥٥].

فهذه خمسة أشياء: مدخل الصدق ومخرج الصدق. ولسان الصدق وقدم الصدق ومقعد الصدق»[1].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإيمان أساسه الصدق. والنفاق أساسه الكذب. فلا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما محارب للآخر»[2].

۞ الاسم الثاني والعشرون: ومن أسماء التوحيد «كلمة الرشد»:

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾ [هود].

۞ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «وقول لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لقومه: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾ [هود] قال: أليس منكم رجل يقول: لا إلٰه إلا الله؟»[3].

(١) مدارج السالكين ٢/ ٢٧٠.
(٢) مدارج السالكين ٢/ ٢٥٨.
(٣) تفسير ابن أبي حاتم (سورة هود، الآية: ٧٨)، كتاب الأسماء والصفات للبيهقي ١/ ٢٧١.

۞ قال عكرمة (ت: ١٠٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «رجل يقول: لا إله إلا الله»[١].

۞ قال سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (ت: ٧١٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٣٨﴾ [غافر] دعاهم إلى التوحيد، والإيمان بالله واليوم الآخر، وإلى الإعراض عن الدنيا، والإقبال على الآخرة، على ما هو ظاهر في كلامه»[٢].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوحيد ـ كل التوحيد ـ أن يشهد كل شيء دليلًا عليه، مرشدًا إليه، ومعلوم أن الرسل أدلة للتوحيد»[٣].

۞ **الاسم الثالث والعشرون: كلمة التوحيد «أصلها ثابت محكم»:**

۞ قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «أصلها محكم، وذلك لأن أول من شهد هذه الشهادة هو الله تعالى، بدليل قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران، الآية: ١٨]. فشهادة جميع الشاهدين بتوحيد الله تعالى فرع على شهادة الله، وشهادة الله هي الأصل، فكل شهادة أصلها شهادة الله فهي ثابتة في الدنيا والآخرة»[٤].

۞ **الاسم الرابع والعشرون: ومن أسماء التوحيد «كلمة العدل»:**

۞ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة هود، الآية: ٧٨)، وتفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (سورة هود، الآية: ٧٨).
(٢) كتاب الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية ص٥٥٠.
(٣) مدارج السالكين ٣/ ٤٦٥.
(٤) عجائب القرآن ص٥٨.

﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النحل].

۞ عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: «العدل: التوحيد، والإحسان: أداء الفرائض».

۞ وعن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: «الإحسان: الإخلاص في التوحيد، وذلك معنى قول النبي ﷺ: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه**»»[١].

۞ عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾، قال: «شهادة أن لا إله إلا الله»[٢].

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رحمه الله: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾، بالتوحيد»[٣].

۞ قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ) رحمه الله: «قال بعض المفسرين: «العدل هنا شهادة أن لا إله إلا الله. وروي ذلك عن ابن عباس؛ وقيل في قوله: ﴿بِٱلْعَدْلِ﴾ بألا يعبد إلا الله وحده لا شريك له فهذا هو العدل الحق. ﴿وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ هو أن تعبده كأنك تراه فإن لم تره فإنه يراك»[٤].

۞ قال الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) رحمه الله: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾، شهادة

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة النحل، الآية: ٩٠).
(٢) تفسير الطبري (سورة النحل، الآية: ٩٠)، وتفسير ابن كثير (سورة النحل، الآية: ٩٠).
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة النحل، الآية: ٩٠).
(٤) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (سورة النحل، الآية: ٩٠).

أن لا إلٰه إلا الله»(١).

۞ قال منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ في الآية أقوال: أحدها: أن العدل هو شهادة أن لا إلٰه إلا الله، وهذا مروي عن ابن عباس وغيره، وقيل: إنه التوحيد، وهو في معنى الأول»(٢).

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الله عدل لا يأخذ إلا بالذنب»(٣).

۞ الاسم الخامس والعشرون: ومن أسماء التوحيد «الهدى»:

۞ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾ [القصص، الآية: ٥٧].

۞ قال السدي (ت: ١٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني: التوحيد»(٤).

۞ قال يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة التيمي (ت: ٢٠٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ﴾ [القصص: ٥٧]، يعني: التوحيد»(٥).

۞ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى ذكره: وقالت كفار قريش: إن نتبع الحقّ الذي جئتنا به معك، ونتبرأ من الأنداد والآلهة»(٦).

---

(١) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (سورة النحل، الآية: ٩٠).
(٢) تفسير السمعاني ٣/ ١٩٥ (تفسير سورة النحل، الآية: ٩٠).
(٣) المستدرك على مجموع الفتاوى ١/ ١٤٧.
(٤) تفسير يحيى بن سلام (سورة القصص، الآية: ٥٧).
(٥) تفسير يحيى بن سلام (سورة القصص، الآية: ٥٧).
(٦) تفسير الطبري (سورة القصص، الآية: ٥٧).

۞ قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ﴾ [القصص، الآية: ٥٧]، يعني: التوحيد»(١).

۞ وقال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ﴾ أي: غاية الاتباع ﴿ٱلۡهُدَىٰ﴾ أي: الإسلام فنوحد الله من غير إشراك»(٢).

❁ **وقال ـ تعالى ـ:** ﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ﴾ [البقرة، الآية: ١٢٠].

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿قُلۡ﴾ لهم: ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾، يعني: الإسلام ﴿هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ﴾»(٣).

۞ وقال ابن أبي زمنين (٣٩٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ﴾ يعني: الإسلام الذي أنت عليه»(٤).

۞ قال أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت: ٩٨٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: قل ردًّا عليهم إن هدى الله الذي هو الإسلامُ هو الهدى بالحق والذي يحِقُّ ويصح أن يُسمَّى هُدىً. وهو الهدى كلُّه ليس وراءه هُدىً وما تدْعون إليه ليس بهُدىً بل هو هوىً»(٥).

۞ وقال شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: دين الله تعالى هو الحق ودينكم هو الباطل، وهدى الله تعالى الذي هو الإسلام هو الهدى وما يدعون إليه ليس بهدى بل هوى»(٦).

---

(١) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٣/ ٣٣٠.
(٢) تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (سورة القصص، الآية: ٥٧).
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة البقرة، الآية: ١٢٠).
(٤) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (سورة البقرة، الآية: ١٢٠).
(٥) تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (سورة البقرة، الآية: ١٢٠).
(٦) تفسير روح المعاني للألوسي (سورة البقرة، الآية: ١٢٠).

وقال - تعالى -: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦﴾ [البقرة].

عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ أي: الكفر بالإيمان»[(١)].

قال قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رحمه الله: «(استحبوا الضلالة على الهدى) أي: الكفر بالإيمان»[(٢)].

عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رحمه الله، في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ قال: «استحبوا الضلال على الهدى ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ قال: قد والله رأيتم خرجوا من الهدى إلى الضلالة، ومن الجماعة إلى الفرقة، ومن الأمن إلى الخوف، ومن السنة إلى البدعة»[(٣)].

عن مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) رحمه الله، في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ قال: «آمنوا ثم كفروا»[(٤)].

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: «﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ بالإيمان. ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ أي: استبدلوا الكفر»[(٥)].

---

(١) تفسير ابن كثير (سورة البقرة، الآية: ١٦)، وأورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه لابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم.
(٢) تفسير ابن كثير (سورة البقرة، الآية: ١٦).
(٣) تفسير الدر المنثور (سورة البقرة، الآية: ١٦)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم.
(٤) تفسير الدر المنثور (سورة البقرة، الآية: ١٦)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم.
(٥) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة البقرة، الآية: ١٦).

۞ قال العز بن عبد السلام (ت: ٦٣٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿ٱشۡتَرَوُاْ﴾ الكفر بالإيمان على حقيقة الشراء، أو استحبوا الكفر على الإيمان إذ المشتري محب لما يشتريه، إذ لم يكونوا قبل ذلك مؤمنين، أو أخذوا الكفر وتركوا الإيمان. ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦﴾ في اشتراء الضلالة، أو ما اهتدوا إلى تجارة المؤمنين، أو نفى عنهم الربح والاهتداء جميعًا، لأن التاجر قد لا يربح مع أنه على هدى في تجارته، فذلك أبلغ في ذمهم»[(١)].

۞ قال علي بن أحمد الخازن (ت: ٧٤١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني: المنافقين ﴿ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ أي: استبدلوا الكفر بالإيمان، وإنّما أخرجه بلفظ الشراء والتجارة توسعًا على سبيل الاستعارة لأن الشراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر. فإن قلت: كيف قال اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى. قلت: جعلوا لتمكنهم منه كأنه في أيديهم فإذا تركوه إلى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوه بها. والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ أي: ما ربحوا في تجارتهم والربح الفضل عن رأس المال وأضاف الربح إلى التجارة لأن الربح يكون فيها ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦﴾ أي: مصيبين في تجارتهم، لأن رأس المال هو الإيمان فلما أضاعوه واعتقدوا الضلالة فقد ضلوا عن الهدى. وقيل: وما كانوا مهتدين في ضلالتهم»[(٢)].

۞ الاسم السادس والعشرون: ومن أسماء التوحيد «الصراط المستقيم»:

۞ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ ٥١﴾ [آل عمران].

---

(١) تفسير العز بن عبد السلام (سورة البقرة، الآية: ١٦).
(٢) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (سورة البقرة، الآية: ١٦).

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال لهم عيسى ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾، يعني فوحدوه، ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ٣٦﴾، يعني هذا التوحيد دين مستقيم، وهو الإسلام، فكفروا»[(١)].

۞ قال أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام، الآية: ١٢٦]: الذي يدعى إليه الخلق، وهو التوحيد»[(٢)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنما ضمنت النجاة لمن حكم هدى الله تعالى على غيره، وتزود التقوى، وأتم بالدليل وسلك الصراط المستقيم، واستمسك من التوحيد واتباع الرسول ﷺ بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والله سميع عليم»[(٣)].

قال ـ تعالى ـ: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ١٢١﴾ [النحل].

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ١٢١﴾ [آية: ١٢١]، يعني: إلى دين مستقيم، وهو الإسلام»[(٤)].

۞ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ١٢١﴾ [النحل]، وهو عبادة الله وحده لا شريك له على شرع مرضي»[(٥)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «مراتب العلم بدينه مرتبتان:

إحداهما: دينه الأمري الشرعي: وهو الصراط المستقيم الموصل إليه.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة آل عمران، الآية: ٥١).
(٢) تفسير تأويلات أهل السنة للماتريدي (سورة الأنعام، الآية: ١٢٥).
(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية ١/٨٣.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة النحل، الآية: ١٢١).
(٥) تفسير ابن كثير (النحل، الآية: ١٢١).

والثانية: دينه الجزائي المتضمن ثوابه وعقابه، وقد دخل في هذا العلم: العلم بملائكته وكتبه ورسله»[(١)].

۞ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: أنا وأنتم سواء في العبودية له والخضوع والاستكانة إليه»[(٢)].

۞ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي هذا رد على النصارى القائلين بأن عيسى إلٰه أو ابن الله، وهذا إقراره عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه عبد مدبر مخلوق، كما قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ۝٣٠﴾ [مريم]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ [المائدة، الآية: ١١٦]، إلى قوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ﴾ [المائدة، الآية: ١١٧]، وقوله: ﴿هَـٰذَا﴾ أي: عبادة الله وتقواه وطاعة رسوله ﴿صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٣٦﴾ [مريم، الآية: ٣٦] موصل إلى الله وإلى جنته، وما عدا ذلك فهي طرق موصلة إلى الجحيم»[(٣)].

۞ قال الشيخ حافظ بن أحمد حكمي (ت: ١٣٧٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «لزوم الصراط المستقيم لا يحصل إلا بالتمسك بالكتاب والسنة والسير بسيرهما والوقوف عند حدودهما وبذلك يحصل تجريد التوحيد لله، وتجريد المتابعة للرسول ﷺ ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾ [النساء]، وهؤلاء المنعم عليهم المذكورون هاهنا تفصيلًا هم الذين أضاف الصراط

(١) مدارج السالكين ١/١٢٨.
(٢) تفسير ابن كثير (سورة آل عمران، الآية: ٥١).
(٣) تفسير السعدي (سورة آل عمران، الآية: ٥١).

إليهم في فاتحة الكتاب بقوله تعالى: «﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة]، ولا أعظم نعمة على العبد من هدايته إلى هذا الصراط المستقيم، وتجنيبه السبل المضلة، وقد ترك النبي ﷺ أمته على ذلك كما قال النبي ﷺ: «**تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»[1]»[2].

الاسم السابع والعشرون: ومن أسماء التوحيد «طريق الحق»:

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ۝٢٥﴾ [النور].

قال القشيري (ت: ٤٦٥هـ) رحمه الله: «ويقال لا يشهدون غدًا إلا الحقَّ؛ فهم قائمونَ بالحق للحق مع الحق، يبيِّن لهم أسرار التوحيد وحقائقه، ويكون القائم عنهم، والآخذَ لهم منهم من غير أنْ يُرَدَّهم إليهم»[3].

قال الفخر الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رحمه الله: «إنما سمي بالحق لأن عبادته هي الحق دون عبادة غيره»[4].

قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رحمه الله: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ أي: الذي له العظمة المطلقة، فلا كفو له ﴿هُوَ﴾ أي: وحده ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ أي: الثابت أمره فلا أمر لأحد سواه، ﴿ٱلۡمُبِينُ﴾ الذي لا أوضح من شأنه في

---

(١) (صحيح) رواه أحمد ١٢٦/٤، وابن ماجه (٤٣)، والحاكم ٩٦/١، وابن أبي عاصم (٤٨، ٤٩) وقد صححه الألباني.

(٢) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة ص١١٩ ـ ١٢٠.

(٣) لطائف الإشارات للقشيري (سورة النور، الآية: ٢٥).

(٤) تفسير الرازي (سورة النور، الآية: ٢٥).

ألوهيته وعلمه وقدرته وتفرده بجميع صفات الكمال، وتنزهه عن جميع سمات النقص»[١].

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ [المائدة، الآية: ١٠٠].

طريق الحق واحد، وهو طريق الله، وهو طريق الهداية، وهو طريق الإسلام، وهو طريق الاستقامة، وسبُل الضلال كثيرة خبيثة.

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الحق واحد، ولا يخرج عما جاءت به الرسل، وهو الموافق لصريح العقل ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم، الآية: ٣٠]»[٢].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فجماع الأمر: أن الله هو الهادي وهو النصير ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۝٣١﴾ [الفرقان]. وكل علم فلا بد له من هداية وكل عمل فلا بد له من قوة. فالواجب أن يكون هو أصل كل هداية وعلم وأصل كل نصرة وقوة ولا يستهدي العبد إلا إياه ولا يستنصر إلا إياه»[٣].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمقصود أن طريق الحق واحد إذ مرده إلى الله الملك الحق، وطرق الباطل متشعبة، ومتعددة»[٤].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الهداية لا نهاية لها، ولو بلغ العبد فيها ما بلغ ففوق هدايته هداية أخرى وفوق تلك الهداية هداية

(١) تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (سورة النور، الآية: ٢٥).
(٢) منهاج السنة النبوية ٥/ ١٩٠.
(٣) مجموع الفتاوى ٢/ ١٩ ـ ٢٠.
(٤) بدائع الفوائد ١/ ١٢٧.

أخرى إلى غير غاية»[(١)].

❁ الاسم الثامن والعشرون: ومن أسماء التوحيد «الطريق الأقوم»:

قال -تعالى-: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء، الآية: ٩].

❁ قال يحيى بن زياد الفراء (ت: ٢٠٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾. يقول: لشهادة أن لا إله إلا الله»[(٢)].

❁ قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المعنى: أن هذا القرآن يا محمد يرشد من اهتدى به للحال التي هي أقوم الحالات أي: أصوبها. وذلك دين الله المستقيم وتوحيده جلت عظمته والإيمان بكتبه ورسله»[(٣)].

❁ قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقالت فرقة، ﴿لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾: لا إله إلا الله»[(٤)].

❁ قال الزجاج (ت: ٣١١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «للحال التي هي أقوم الحالات، وهي توحيد الله والإيمان برسله. وقاله الكلبي (ت: ٢٠٤هـ)، والفراء (ت: ٢٠٧هـ)»[(٥)].

❁ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقيل:

---

(١) الفوائد لابن القيم ١/ ١٣٠.
(٢) معاني القرآن للفراء (سورة الإسراء، الآية: ٩).
(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية (سورة الإسراء، الآية: ٩).
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (سورة الإسراء، الآية: ٩).
(٥) تفسير القرطبي (سورة الإسراء، الآية: ٩).

الكلمة التي هي أعدل وهي شهادة أن لا إله إلا الله»[١].

۞ قال أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقال الضحاك بن مزاحم (ت: ١٠٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والكلبي (ت: ٢٠٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والفراء (ت: ٢٠٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ هي شهادة التوحيد»[٢].

۞ قال علي بن محمد الماوردي (ت: ٤٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ فيها تأويلان:

أحدهما: شهادة أن لا إله إلا الله، قاله الكلبي (ت: ٢٠٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والفراء (ت: ٢٠٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الثاني: ما تضمنه من الأوامر والنواهي التي هي أصوب، قاله مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ»[٣].

۞ قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ الآية، ﴿يَهْدِى﴾ في هذه الآية بمعنى يرشد، ويتوجه فيها أن تكون بمعنى يدعو، و﴿لِلَّتِى﴾ يريد بها الحالة والطريقة، وقالت: فرقة، ﴿لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ لا إله إلا الله.

قال القاضي أبو محمد: والأول أعم، وكلمة الإخلاص وغيرها من الأقوال داخلة في الحال «التي هي أقوم» من كل حال تجعل بإزائها، والاقتصار على ﴿أَقْوَمُ﴾ ولم يذكر من كذا إيجاز، والمعنى مفهوم؛ أي: ﴿لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ من كل ما غايرها فهي النهاية في القوام»[٤].

---

(١) تفسير البغوي (سورة الإسراء، الآية: ٩).
(٢) البحر المحيط في التفسير ٧/١٨.
(٣) تفسير النكت والعيون للماوردي (سورة الإسراء، الآية: ٩).
(٤) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (سورة الإسراء، الآية: ٩).

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة].

❁ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وذلك دين القائمين لله بالتوحيد»[(١)].

❁ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَذَٰلِكَ﴾ أي: التوحيد والإخلاص في الدين، هو ﴿دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ أي: الدين المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم، وما سواه فطرق موصلة إلى الجحيم»[(٢)].

❁ الاسم التاسع والعشرون: ومن أسماء التوحيد «دعوة الحق»:

❁ قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ۝١٤﴾ [الرعد].

❁ قال علي (ت: ٤٠هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «﴿دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّ﴾: التوحيد»[(٣)].

❁ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «﴿دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّ﴾: شهادة أن لا إله إلا الله»[(٤)].

❁ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنما عنى بالدعوة الحق، توحيد الله وشهادة أن لا إله إلا الله»[(٥)].

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة البينة، الآية: ٥).
(٢) تفسير ابن سعدي (سورة البينة، الآية: ٥).
(٣) تفسير الطبري (سورة الرعد، الآية: ١٤)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣/ ٣٠٥، البحر المحيط في التفسير ٦/ ٣٦٦.
(٤) تفسير الطبري (سورة الرعد، الآية: ١٤)، تفسير ابن عطية ٣/ ٣٠٥.
(٥) تفسير الطبري (سورة الرعد، الآية: ١٤).

۞ قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعلم أن قوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ يفيد الحصر، ومعناه: له هذه الدعوة لا لغيره، كما أن قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون]. معناه: لكم دينكم لا لغيركم، ولي ديني، وتحقيق الكلام في إثبات هذا الحصر: أن الحق نقيض الباطل، فالحق هو الموجود، والباطل هو المعدوم، فلما كان الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حقًّا في ذاته وبذاته وصفاته، وكان ممتنع التغير في حقيقته، كانت معرفته هي المعرفة الحقة، وذكره هو الذكر الحق، والدعوة إليه هي الدعوة الحقة»[1].

۞ قال ابن حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و﴿دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «﴿دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ لا إله إلا الله، وما كان من الشريعة في معناها»[2].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قد فسر السلف ﴿دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ بالتوحيد والإخلاص فيه والصدق»[3].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ دعوة الإلهية وحقوقها وتجريدها وإخلاصها»[4].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقيل: الدعاء بالإخلاص، والدعاء الخالص لا يكون إلا لله»[5].

۞ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) عجائب القرآن للرازي ص٥٠ ـ ٥١.
(٢) تفسير ابن حيان الأندلسي (سورة الرعد، الآية: ١٤).
(٣) تفسير الطبري (سورة الرعد، الآية: ١٤).
(٤) مدارج السالكين ٢/ ٣١.
(٥) مدارج السالكين ٢/ ٤٦٥.

«﴿دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ هي: عبادته وحده لا شريك له، وإخلاص دعاء العبادة ودعاء المسألة له تعالى»(١).

الاسم الثلاثون: ومن أسماء التوحيد «كلمة الحق»:

قال - تعالى -: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فقال: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾، يعني بالتوحيد من بني آدم، فذلك قوله: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ أي: أن الله واحد لا شريك له، فشفاعتهم لهؤلاء»(٢).

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «من شهد بالحقّ، فوحد الله وأطاعه، بتوحيد علم منه وصحة بما جاءت به رسله.

﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ وهم الذين يشهدون شهادة الحقّ فيوحدون الله، ويخلصون له الوحدانية، على علم منهم ويقين بذلك»(٣).

قال أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني يشهدون على وحدانية الله وألوهيته وأنه المستحق العبادة دون من عبدوهم»(٤).

قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ أي: بالتوحيد لله والطاعة له»(٥).

---

(١) تفسير السعدي (سورة الرعد، الآية: ١٤).
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة الزخرف، الآية: ٨٦).
(٣) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري (سورة الزخرف، الآية: ٨٦).
(٤) تفسير تأويلات أهل السنة للماتريدي (سورة الزخرف، الآية: ٨٦).
(٥) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (سورة الزخرف، الآية: ٨٦).

❁ قال علي بن محمد الماوردي (ت: ٤٥٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني أن الشهادة بالحق إنما هي لمن شهد في الدنيا بالحق وهم يعلمون أنه الحق فتشفع لهم الملائكة؛ قاله الحسن.

الثاني: أن الملائكة لا تشفع إلا لمن شهد أن لا إله إلا الله وهم يعلمون أن الله ربهم»[(١)].

❁ قال القشيري (ت: ٤٦٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ أي: شهد ـ اليوم ـ بالتوحيد، فيثبت له الحقُّ حقُّ الشفاعة»[(٢)].

❁ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأراد بشهادة الحق قوله لا إله إلا الله كلمة التوحيد»[(٣)].

❁ قال أبو حفص عمر بن محمد النسفي (ت: ٥٣٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: ولكن من شهد بالحق بكلمة التوحيد ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ أن الله ربهم حقًّا ويعتقدون ذلك»[(٤)].

❁ قال العز بن عبد السلام (ت: ٦٣٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: لا تشفع الملائكة إلا لمن شهد أن لا إله إلا الله وهم يعلمون أن الله ربهم، أو الشهادة بالحق إنما هي لمن شهد في الدنيا بالحق وهم يعلمون أنه الحق فتشفع لهم الملائكة»[(٥)].

---

(١) تفسير النكت والعيون للماوردي (سورة الزخرف، الآية: ٨٦).
(٢) لطائف الإشارات للقشيري (سورة الزخرف، الآية: ٨٦).
(٣) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة الزخرف، الآية: ٨٦).
(٤) تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (سورة الزخرف، الآية: ٨٦).
(٥) تفسير العز بن عبد السلام (سورة الزخرف، الآية: ٨٦).

۞ قال علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ وهي كلمة الإخلاص، وهي لا إله إلا الله، فمن شهدها بقلبه شفعوا له وهو قوله: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ أي: بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم، وقيل: يعلمون أن الله عَزَّوَجَلَّ خلق عيسى وعزيرًا والملائكة ويعلمون أنهم عباده»[١].

۞ قال أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾، وهو توحيد الله، وهو يعلم ما شهد به»[٢].

۞ قال علي بن يحيى السمرقندي (ت: ٨٨٠ هـ تقريبًا) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ يعني: بلا إله إلا الله مخلصًا ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ أنه الحق، حين شهدوا بها من قبل أنفسهم»[٣].

۞ قال أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٨٨٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمراد بشهادة الحق قول: لا إله إلا الله كلمة التوحيد ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم»[٤].

۞ قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِلَّا مَن شَهِدَ﴾ أي: منهم ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: التوحيد الذي يطابقه الواقع إذا انكشف أتم انكشاف وكذا ما يتبعه فإنه يكون أهلًا لأن يشفع كالملائكة والمسيح عليهم الصلاة والسلام، والمعنى أن أصنامهم التي ادعوا أنها تشفع لهم لا تشفع غير أنه تعالى ساقه على أبلغ ما يكون لأنه كالدعوى.

---

(١) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (سورة الزخرف، الآية: ٨٦).
(٢) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (سورة الزخرف، الآية: ٨٦).
(٣) تفسير بحر العلوم للسمرقندي (سورة الزخرف، الآية: ٨٦).
(٤) تفسير اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (سورة الزخرف، الآية: ٨٦).

ولما كان ذلك مركوزًا حتى في فطر الكفار فلا يفزعون في وقت الشدائد إلا إلى الله، ولكنهم لا يلبثون أن يعملوا من الإشراك بما يخالف ذلك، فكأنه لا علم لهم قال: ﴿وَهُمْ﴾ أي: والحال أن من شهد ﴿يَعْلَمُونَ ۝٨٦﴾ أي: على بصيرة مما شهدوا به، فلذلك لا يعملون بخلاف ما شهدوا إلا جهلًا منهم بتحقيق معنى التوحيد، فلذلك يظنون أنهم لم يخرجوا عنه وإن أشركوا، أو يكون المعنى: وهم من أهل العلم، والأصنام ليسوا كذلك، وكأنه أفرد أولًا إشارة إلى أن التوحيد فرض عين على كل أحد بخصوصه وإن خالفه كل غير، وجمع ثانيًا إيذانًا بالأمر بالمعروف ليجتمع الكل على العلم والتوحيد هو الأساس الذي لا تصح عبادة إلا به، وتحقيقه هو العلم الذي لا علم يعدله»[(١)].

۞ قال محيي الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الإيجي (ت: ٩٠٥ هـ تقريبًا) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ﴾: بالتوحيد، ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝٨٦﴾، حقيقة ما شهدوا به ولا يكونون منافقين»[(٢)].

❊ قال - تعالى -: ﴿وَنَزَعۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا فَقُلۡنَا هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ۝٧٥﴾ [القصص].

۞ قال السدي (ت: ١٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ﴾ يعني التوحيد»[(٣)].

۞ قال يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة التيمي. (ت: ١٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ﴾ يعني: التوحيد»[(٤)].

---

(١) تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (سورة الزخرف، الآية: ٨٦).
(٢) تفسير جامع البيان في تفسير القرآن للإيجي (سورة الزخرف، الآية: ٨٦).
(٣) تفسير يحيى بن سلام (سورة القصص، الآية: ٧٥).
(٤) تفسير يحيى بن سلام (سورة القصص، الآية: ٧٥).

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ﴾ يعني: التوحيد لله عَزَّ وَجَلَّ»(١).

۞ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلۡحَقَّ﴾: التوحيد»(٢).

۞ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ﴾ أي: لا إله غيره»(٣).

۞ قال محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ﴾ في الإلهية، وأنه وحده لا شريك له»(٤).

قال - تعالى -: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوًى لِّلۡكَٰفِرِينَ ٦٨﴾ [العنكبوت].

۞ قال السدي (ت: ١٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ يعني: التوحيد»(٥).

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ يعني: بالتوحيد»(٦).

۞ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿أَوۡ كَذَّبَ

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة القصص، الآية: ٧٥).
(٢) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة القصص، الآية: ٧٥).
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (سورة القصص، الآية: ٧٥).
(٤) تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني (سورة القصص، الآية: ٧٥).
(٥) تفسير يحيى بن سلام (سورة العنكبوت، الآية: ٦٨).
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة العنكبوت، الآية: ٦٨).

﴿بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ﴾ يقول: أو كذّب بما بعث الله به رسوله محمدًا ﷺ من توحيده، والبراءة من الآلهة والأنداد لما جاءه هذا الحقّ من عند الله»[(١)].

۞ الاسم الواحد والثلاثون: ومن أسماء التوحيد «الحق المبين»:

▩ قال ـ تعالى ـ: ﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ۝٧٩﴾ [النمل].

۞ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: «﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ۝٧٩﴾ على الدين الظاهر وهو الإسلام»[(٢)].

۞ قال السدي (ت: ١٢٨هـ) رحمه الله: «يعني: الإسلام»[(٣)].

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رحمه الله: «﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ۝٧٩﴾؛ يعني: على الدين البين وهو الإسلام»[(٤)].

۞ قال علي بن يحيى السمرقندي (ت: ٨٨٠ هـ تقريبًا) رحمه الله: «﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ۝٧٩﴾ يعني: الدين المبين، وهو الإسلام»[(٥)].

۞ الاسم الثاني والثلاثون: ومن أسماء التوحيد «القول المرضي»:

▩ قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ۝١٠٩﴾ [طه].

---

(١) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري (سورة العنكبوت، الآية: ٦٨).
(٢) تفسير تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروزأبادي (سورة النمل، الآية: ٧٩).
(٣) تفسير يحيى بن سلام (سورة النمل، الآية: ٧٩).
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة النمل، الآية: ٧٩).
(٥) تفسير بحر العلوم لعلي بن يحيى السمرقندي (سورة النمل، الآية: ٧٩).

۞ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يعني: قال لا إله إلا الله»[١].

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾: التوحيد»[٢].

۞ قال يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي (ت: ٢٠٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾: التَّوْحِيدُ»[٣].

۞ قال أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾: وهو قول الشهادة والتوحيد»[٤].

۞ قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾: يعني: التوحيد»[٥].

۞ قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾ أي: قال: لا إله إلا الله»[٦].

۞ قال الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهم المسلمون الذين رضي الله قولهم لأنهم قالوا لا إله إلا الله وهذا معنى قوله: ﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾»[٧].

۞ قال السمرقندي (ت: ٨٨٠ هـ تقريبًا) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾

---

(١) تفسير معالم التنزيل تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة طه، الآية: ١٠٩)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (سورة طه، الآية: ١٠٩).
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة طه، الآية: ١٠٩).
(٣) تفسير يحيى بن سلام (سورة طه، الآية: ١٠٩).
(٤) تفسير تأويلات أهل السنة للماتريدي (سورة طه، الآية: ١٠٩).
(٥) تفسير ابن أبي زمنين (سورة طه، الآية: ١٠٩).
(٦) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (سورة طه، الآية: ١٠٩).
(٧) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (سورة طه، الآية: ١٠٩).

يعني: إذا قال بإخلاص القلب لا إلٰه إلا الله في الدنيا»[١].

۞ الاسم الثالث والثلاثون: ومن أسماء التوحيد «الزكاة»:

۞ قال - تعالى -: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤﴾ [الأعلى].

۞ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «قال لا إلٰه إلا الله فتطهر من الشرك»[٢].

۞ عن عكرمة (ت: ١٠٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤﴾ [الأعلى]، «من قال لا إلٰه إلا الله»[٣].

۞ قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤﴾ [الأعلى]، أفلح في هذه الآية معناه: فاز ببغيته، وتزكى معناه: طهر نفسه ونماها إلى الخير»[٤].

۞ قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤﴾: أي تطهّر من الشرك وقال: لا إلٰه إلّا الله»[٥].

۞ قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: قد أدرك طلبته وظفر ببغيته من تظهر الكفر وعمل بطاعة الله»[٦].

---

(١) تفسير بحر العلوم لعلي بن يحيى السمرقندي (سورة طه، الآية: ١٠٩).
(٢) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري (سورة الأعلى، الآية: ١٤)، كتاب الأسماء والصفات للبيهقي ١/ ٢٧١، تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (سورة الأعلى، الآية: ١٤).
(٣) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري (سورة الأعلى، الآية: ١٤).
(٤) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (سورة الأعلى، الآية: ١٤).
(٥) تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (سورة الأعلى، الآية: ١٤).
(٦) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (سورة الأعلى، الآية: ١٤).

❁ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤﴾ «تطهر من الشرك وقال: لا إله إلا الله»[(١)].

❁ قال العز بن عبد السلام (ت: ٦٣٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿تَزَكَّىٰ ٧٦﴾ تطهر من الشرك بالإيمان»[(٢)].

❁ قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: من تطهر من الشرك بإيمان»[(٣)].

❁ قال علي بن يحيى السمرقندي (ت: ٨٨٠ هـ تقريبًا) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤﴾ يعني: فاز ونجا من هذا العذاب وسعد بالجنة من تزكى يعني وحّد الله تعالى وزكى نفسه بالتوحيد»[(٤)].

❁ قال محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الله الإيجي (ت: ٩٠٥ هـ تقريبًا) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤﴾: تطهر نفسه من الكفر والمعصية»[(٥)].

❁ قال محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤﴾ أي: من تطهر من الشرك فآمن بالله ووحده وعمل بشرائعه»[(٦)].

قال - تعالى - عن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في خطابه لفرعون: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨﴾ [النازعات].

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة الأعلى، الآية: ١٤).
(٢) تفسير العز بن عبد السلام (سورة الأعلى، الآية: ١٤).
(٣) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (سورة الأعلى، الآية: ١٤).
(٤) تفسير بحر العلوم لعلي بن يحيى السمرقندي (سورة الأعلى، الآية: ١٤).
(٥) تفسير جامع البيان في تفسير القرآن للإيجي (سورة الأعلى، الآية: ١٤).
(٦) تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني (سورة الأعلى، الآية: ١٤).

❁ عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما في قوله: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ قال: إلى أن تقول لا إله إلا الله»[١].

❁ عن عكرمة (ت: ١٠٥هـ) رحمه الله، قول موسى لفرعون: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾، هل لك إلى أن تقول لا إله إلا الله»[٢].

❁ قال قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رحمه الله: «إلى أن تُسْلِم»[٣].

❁ قال ابن زيد (ت: ١٨٢هـ) رحمه الله، في قوله: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ قال: إلى أن تسلم. قال: والتزكّي في القرآن كله: الإسلام، وقرأ قول الله ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [طه]، قال: من أسلم، وقرأ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾﴾ [عبس]، قال: يسلم، وقرأ: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾﴾ [عبس]، أن لا يسلم»[٤].

❁ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رحمه الله: «﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾، يقول: «هل لك أن تصلح ما قد أفسدت، يقول: وأدعوك لتوحيد الله»[٥].

❁ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رحمه الله: «وقوله: ﴿فَقُلْ

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي ١/ ٢٧١، تفسير الدر المنثور للسيوطي (سورة النازعات، الآية: ١٨)، وعزاه للبيهقي في الأسماء والصفات.

(٢) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري (سورة النازعات، الآية: ١٨)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (سورة النازعات، الآية: ١٨)، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) تفسير النكت والعيون للماوردي (سورة النازعات، الآية: ١٨).

(٤) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري (سورة النازعات، الآية: ١٨).

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة النازعات، الآية: ١٨).

﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾، يقول: فقل له: هل لك إلى أن تتطهّر من دنس الكفر، وتؤمنَ بربك»[(١)].

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ «إلى أن تؤمن»[(٢)].

قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ «ومعناه تسلّم وتصلح وتطهّر»[(٣)].

قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقل له، ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ أي: هل لك يا فرعون في أن تتطهر من دنس الكفر، وتؤمن بربك؟»[(٤)].

قال الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ أترغب في أن تتطهر من كفرك بالإيمان»[(٥)].

قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ «والتزكي هو التطهر من النقائص، والتلبس بالفضائل، وفسر بعضهم: ﴿تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ بتسلم وفسرها بقول: لا إلـٰه إلا الله، وهذا تخصيص، وما ذكرناه يعم جميع هذا»[(٦)].

---

(١) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري (سورة النازعات، الآية: ١٨).
(٢) تفسير ابن أبي زمنين (سورة النازعات، الآية: ١٨).
(٣) تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي (سورة النازعات، الآية: ١٨).
(٤) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (سورة النازعات، الآية: ١٨).
(٥) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (سورة النازعات، الآية: ١٨).
(٦) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (سورة النازعات، الآية: ١٨).

❁ قال علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ أي: تتطهر من الشّرك والكفر»[١].

❁ قال ابن جزي (ت: ٧٤١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ أن تتطهر من الكفر والذنوب والعيوب والرذائل، وقال بعضهم: تزكى تسلم، وقيل: تقول لا إله إلا الله، والأول أعم»[٢].

❁ قال أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾: تزكى: تتحلى بالفضائل وتتطهر من الرذائل، والزكاة هنا يندرج فيها الإسلام وتوحيد الله تعالى»[٣].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلقهَا بهَا؛ فالقلوب آنية الله فِي أرضه فأحبها إلَيه أرقها وأصلبها وأصفاها»[٤].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فما كبر النفوس وشرفها، ورفعها، وأعزها مثل طاعة الله، وما صغر النفوس وأذلها، وحقرها مثل معصية الله عَزَّ وَجَلَّ»[٥].

❁ قال علي بن يحيى السمرقندي (ت: ٨٨٠ هـ تقريبًا) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ يعني: ألم يأن لك أن تسلم. ويقال: معناه هل ترغب في توحيد ربك، وتشهد أن لا إله إلا الله، وتزكي نفسك من

---

(١) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (سورة النازعات، الآية: ١٨).
(٢) تفسير التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (سورة النازعات، الآية: ١٨).
(٣) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (سورة النازعات، الآية: ١٨).
(٤) الفوائد ١/ ٢٦٢.
(٥) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص١٤٩.

الكفر، والشرك»[١].

قال - تعالى -: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ۝٧٦﴾ [طه].

قال الكلبي (ت: ٢٠٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني أعطى زكاة نفسه وقال: لا إلٰه إلّا الله»[٢].

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: ﴿مَن تَزَكَّىٰ ۝٧٦﴾ أي: من آمن»[٣].

قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ۝٧٦﴾ أي: صلح، وقيل: تطهّر من الكفر والمعاصي»[٤].

قال الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: ﴿جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ۝٧٦﴾ تطهر من الشرك بقول لا إلٰه إلا الله»[٥].

قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ۝٧٦﴾ أي: من تطهر من الكفر والمعاصي»[٦].

قال عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت: ٧١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ۝٧٦﴾ تطهر من الشرك بقول لا إلٰه إلا الله»[٧].

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ۝٧٦﴾

---

(١) تفسير بحر العلوم لعلي بن يحيى السمرقندي (سورة النازعات، الآية: ١٨).
(٢) تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي (سورة طه، الآية: ٧٦)، وتفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة طه، الآية: ٧٦).
(٣) تفسير ابن أبي زمنين (سورة طه، الآية: ٧٦).
(٤) تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي (سورة طه، الآية: ٧٦).
(٥) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (سورة طه، الآية: ٧٦).
(٦) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (سورة طه، الآية: ٧٦).
(٧) تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (سورة طه، الآية: ٧٦).

أي: طهر نفسه من الدنس والخبث والشرك، وعبد الله وحده لا شريك له، وصدق المرسلين فيما جاؤوا به من خَبَر وطلب»(١).

❁ قال علي بن يحيى السمرقندي (ت: ٨٨٠ هـ تقريبًا) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾، يعني: ثواب من وحَّد»(٢).

❁ قال - تعالى -: ﴿...وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت].

❁ عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿...وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت] الذين لا يقولون: لا إله إلا الله»(٣).

❁ عن عكرمة (ت: ١٠٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، قوله: ﴿...وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: الذين لا يقولون: لا إله إلا الله»(٤).

❁ قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي: لا يوحدون الله»(٥).

❁ قال منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال بعضهم: لا يؤتون الزكاة أي: لا يقولون: لا إله إلا الله، قال ابن عباس، في رواية عطاء، فعلى هذا معناه: لا يطهرون أنفسهم من الشرك بقبول

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (سورة طه، الآية: ٧٦).
(٢) تفسير بحر العلوم لعلي بن يحيى السمرقندي (سورة طه، الآية: ٧٦).
(٣) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري (سورة فصلت، الآية: ٧)، الأسماء والصفات للبيهقي ١/ ٢٧١.
(٤) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري (سورة فصلت، الآية: ٧).
(٥) تفسير ابن أبي زمنين (سورة فصلت، الآية: ٧).

التوحيد»[١].

۞ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿...وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ): الذين لا يقولون لا إله إلا الله وهي زكاة الأنفس، والمعنى: لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد»[٢].

۞ قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، والجمهور: ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ في هذه الآية: لا إله إلا الله التوحيد كما قال موسى لفرعون: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨﴾، ويرجح هذا التأويل أن الآية من أول المكي، وزكاة المال إنما نزلت بالمدينة، وإنما هذه زكاة القلب والبدن؛ أي: تطهيرهما من الشرك والمعاصي، وقاله مجاهد والربيع»[٣].

۞ قال عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت: ٧١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ لا يفعلون ما يكونون به أزكياء وهو الإيمان»[٤].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوحيد الذي هو إخلاص الدين لله أصل كل خير من علم نافع وعمل صالح»[٥].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال أكثر المفسرين من

---

(١) تفسير السمعاني ٥/٣٧. (سورة فصلت، الآية: ٧).
(٢) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة فصلت، الآية: ٧).
(٣) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي (سورة فصلت، الآية: ٧).
(٤) تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (سورة فصلت، الآية: ٧).
(٥) مجموع الرسائل ١/١٣٣.

السلف ومن بعدهم: هي التوحيد: شهادة أن لا إله إلا الله، والإيمان الذى به يزكو القلب، فإنه يتضمن نفي إلهية ما سوى الحق من القلب، وذلك طهارته، وإثبات إلهيته سبحانه؛ وهو أصل كل زكاة ونماء، فإن التزكي - وإن كان أصله النماء والزيادة والبركة - فإنما يحصل بإزالة الشر. فلهذا صار التزكي ينتظم الأمرين جميعًا. فأصل ما تزكو به القلوب والأرواح. هو التوحيد: والتزكية جعل الشيء زكيًّا، إما في ذاته، وإما في الاعتقاد والخبر عنه، كما يقال: عدلته وفسقته، إذا جعلته كذلك في الخارج، أو في الاعتقاد والخبر»[(١)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال - تعالى -: ﴿...وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت]؛ أي: لا يؤتون ما تزكى به أنفسهم من التوحيد»[(٢)].

۞ عن عمير بن حبيب الخطمي (لم أقف على تاريخ وفاته) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «الإيمان يزيد وينقص. فقيل: فما زيادته؟ وما نقصانه؟ قال: إذا ذكرنا ربنا وخشيناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه»[(٣)].

۞ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ): «من اتقى الله وفق لمعرفة الحق»[(٤)].

۞ الاسم الرابع والثلاثون: ومن أسماء التوحيد «الدعوة إلى الله»:

۞ قال - تعالى -: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦﴾ [الأحزاب].

---

(١) إغاثة اللهفان ٤٩.
(٢) مفتاح دار السعادة ٢/ ١١٦٠.
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان (١٤)، والمصنف ٦/ ١٦٠ (٣٠٣٢٧).
(٤) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٥٢.

۞ عن قتادة (ت: ١١٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلى شهادة أن لا إله إلا الله»[(١)].

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعني: إلى معرفة الله عَزَّوَجَلَّ بالتوحيد»[(٢)].

۞ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ يقول: وداعيًا إلى توحيد الله، وإفراد الألوهية له، وإخلاص الطاعة لوجهه دون كلّ من سواه من الآلهة والأوثان»[(٣)].

۞ قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: إلى توحيد الله، وطاعته»[(٤)].

۞ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلى توحيده وطاعته»[(٥)].

۞ قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والدعاء إلى الله تعالى هو تبليغ التوحيد والأخذ به ومكافحة الكفرة»[(٦)].

۞ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: داعيًا للخلق إلى عبادة ربهم عن أمره لك بذلك»[(٧)].

---

(١) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري (سورة الأحزاب، الآية: ٤٦).
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة الأحزاب، الآية: ٤٦).
(٣) تفسير الطبري (سورة الأحزاب، الآية: ٤٦).
(٤) تفسير مكي بن أبي طالب (سورة الأحزاب، الآية: ٤٦).
(٥) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة الأحزاب، الآية: ٤٦).
(٦) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤/ ٣٨٩.
(٧) تفسير ابن كثير (سورة الأحزاب، الآية: ٤٦).

❁ قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «والداعي إلى الله هو الذي يدعو الناس إلى ترك عبادة غير الله ويدعوهم إلى اتباع ما يأمرهم به الله»(١).

❁ الاسم الخامس والثلاثون: ومن أسماء التوحيد «نعمة الله»:

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان، الآية: ٢٠].

❁ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «أراد الإسلام»(٢).

❁ عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «النعمة الظاهرة: الإسلام والقرآن، والباطنة: ما ستر عليك من الذنوب ولم يعجل عليك بالنقمة»(٣).

❁ عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾: هو الإسلام، أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبدًا، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبدًا، وقد رضيه الله فلا يَسْخَطُه أبدًا»(٤).

❁ قال مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «المراد: لا إلٰه إلا الله»(٥).

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة، الآية: ٣].

❁ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «هذه أكبر نعم الله تعالى على

---

(١) تفسير ابن عاشور (سورة الأحزاب، الآية: ٤٦).
(٢) تفسير الطبري (سورة لقمان، الآية: ٢٠)؛ وانظر تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤/ ٣٥٢.
(٣) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة لقمان، الآية: ٢٠).
(٤) تفسير ابن كثير (سورة المائدة، الآية: ٣).
(٥) تفسير الطبري (سورة لقمان، الآية: ٢٠)؛ وانظر تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤/ ٣٥٢.

هذه الأمة؛ حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم، صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خُلْف؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام، الآية: ١١٥]؛ أي: صدقًا في الأخبار، وعدلًا في الأوامر والنواهي، فلما أكمل الدين لهم تَمَّت النعمة عليهم، ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة، الآية: ٣]؛ أي: فارضوه أنتم لأنفسكم؛ فإنه الدين الذي رضيه الله وأحبه، وبعث به أفضل رسله الكرام، وأنزل به أشرف كتبه»[(١)].

قال ـ تعالى ـ: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾ [النحل].

وقال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو عبادة الله وحده لا شريك له على شرع مرضي»[(٢)].

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ [البقرة].

قال ابن زيد (ت: ١٨٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نعمته الإسلام، ولا نعمة أعظم منها، وما سِواها تبع لها»[(٣)].

---

(١) تفسير ابن كثير (سورة المائدة، الآية: ٣).
(٢) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة النحل، الآية: ١٢١).
(٣) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (سورة البقرة، الآية: ٤٠).

۞ الاسم السادس والثلاثون: ومن أسماء التوحيد «الدين الخالص»:

❋ قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣)﴾ [الزمر].

۞ عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ «شهادة أن لا إله إلا الله»(١).

۞ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقيل: لا يستحق الدين الخالص إلا الله وقيل: الدين الخالص من الشرك هو لله»(٢).

۞ قال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان معنى الآية: «قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾، يعني: الخالص من الشرك، وما سواه ليس بدين الله الذي أمر به. وقيل: المعنى لا يستحق الدين الخالص إلا الله؟.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني: آلهة. ويدخل في هؤلاء اليهود حين قالوا: عزير ابن الله، والنصارى لقولهم: المسيح ابن الله، وجميع عباد الأصنام»(٣).

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإذا كان أصل العمل الديني هو إخلاص الدين لله، وهو إرادة الله وحده فالشيء المراد لنفسه هو

---

(١) تفسير الطبري (سورة الزمر، الآية: ٣).
(٢) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة الزمر، الآية: ٣).
(٣) زاد المسير في علم التفسير ٧/ ١٦١.

المحبوب لذاته، وهذا كمال المحبة، ولكن أكثر ما جاء المطلوب باسم العبادة كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات الآية: ٥٦]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة الآية: ٢١]، وأمثال هذا»(١).

۞ قال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت: ٨١٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فحقيقة الإخلاص: التعري من دون الله. و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص، الآية: ١]، سميت سورة الإخلاص؛ لأنها خالص التوحيد؛ وسبب خلاص أهله»(٢).

۞ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا تقرير للأمر بالإخلاص، وبيان أنه تعالى كما أنه له الكمال كله، وله التفضل على عباده من جميع الوجوه، فكذلك له الدين الخالص الصافي من جميع الشوائب، فهو الدين الذي ارتضاه لنفسه، وارتضاه لصفوة خلقه وأمرهم به، لأنه متضمن للتأله لله في حبه وخوفه ورجائه، وللإنابة إليه في عبوديته، والإنابة إليه في تحصيل مطالب عباده.

وذلك الذي يصلح القلوب ويزكيها ويطهرها، دون الشرك به في شيء من العبادة. فإن الله بريء منه، وليس لله فيه شيء، فهو أغنى الشركاء عن الشرك، وهو مفسد للقلوب والأرواح والدنيا والآخرة، مُشْقٍ للنفوس غاية الشقاء؛ فلذلك لما أمر بالتوحيد والإخلاص، نهى عن الشرك به»(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٥٦، ٥٧).
(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب ٢/ ١٧٣.
(٣) تفسير السعدي (سورة الزمر، الآية: ٣).

۞ الاسم السابع والثلاثون: ومن أسماء التوحيد «ملة إبراهيم»:

❋ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة].

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾، يعني: الإسلام»(١).

۞ قال القشيري (ت: ٤٦٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخبر أنه آثر الخليل ـ صلوات الله عليه ـ على البرية، فجعل الدينَ دينَه، والتوحيدَ شِعارَه، والمعرفةَ صِفته؛ فمن رَغِبَ عن دينه أو حاد عن سُنَّتِه فالباطل مطرحه، والكفر مهواه؛ إذ ليست الأنوار بجملتها إلا مقتبسة من نوره»(٢).

۞ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول ـ تبارك وتعالى ـ رَدًّا على الكفار فيما ابتدعوه وأحدثوه من الشرك بالله، المخالف لملة إبراهيم الخليل، إمام الحنفاء، فإنه جَرد توحيد ربه ـ تبارك وتعالى ـ، فلم يَدْع معه غيره، ولا أشرك به طرفة عين، وتبرأ من كل معبود سواه، وخالف في ذلك سائر قومه، حتى تبرأ من أبيه»(٣).

❋ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة].

۞ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «في التوحيد»(٤).

۞ قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما ثبت أن إبراهيم

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة البقرة، الآية: ١٣٠).
(٢) لطائف الإشارات للقشيري (سورة البقرة، الآية: ١٣٠).
(٣) تفسير ابن كثير (سورة البقرة، الآية: ١٣٠).
(٤) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (سورة النساء، الآية: ١٢٥).

كان قائلًا بالتوحيد، وثبت أن النصارى يقولون بالتثليث، واليهود يقولون بالتشبيه، فثبت أنهم ليسوا على دين إبراهيم عليه السلام، وأن محمدًا عليه السلام لما دعا إلى التوحيد، كان هو على دين إبراهيم»(١).

قال - تعالى -: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [آل عمران].

قال علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ) رحمه الله: «ملة إبراهيم وهي الإسلام وهو الدين الصحيح»(٢).

قال أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) رحمه الله: «﴿فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ وهي ملة الإسلام التي عليها رسول الله ﷺ والمؤمنون معه»(٣).

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رحمه الله: «أمرهم باتباع ملة أبيهم إبراهيم عليه السلام بالتوحيد وترك الشرك الذي هو مدار السعادة، وبتركه حصول الشقاوة، وفي هذا دليل على أن اليهود وغيرهم ممن ليس على ملة إبراهيم مشركون غير موحدين»(٤).

قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء].

قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رحمه الله: «﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الذي اشتهر عند جميع الطوائف أنه ما دعا إلا إلى الله تعالى وحده، وتبرأ

---

(١) تفسير مفاتيح الغيب للفخر الرازي (سورة البقرة، الآية: ١٣٥).
(٢) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (سورة آل عمران، الآية: ٩٥).
(٣) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (سورة آل عمران، الآية: ٩٥).
(٤) تفسير تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن لابن سعدي (سورة آل عمران، الآية: ٩٥).

مما سواه من فلك وكوكب وصنم وطبيعة وغيرها حال كون ذلك المتبع ﴿حَنِيفًا﴾ أي: لينًا سهلًا ميّالًا مع الدليل، والملة: ما دعت إليه الفطرة الأولى بمساعدة العقل السليم من كمال الإسلام بالتوحيد»(١).

۞ قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: دينه وشرعه ﴿حَنِيفًا﴾ أي: مائلًا عن الشرك إلى التوحيد، وعن التوجه للخلق إلى الإقبال على الخالق»(٢).

قال - تعالى -: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأنعام].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾، يعني مخلصًا»(٣).

قال - تعالى -: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل].

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾، يعني: الإسلام، ﴿حَنِيفًا﴾، يعني: مخلصًا»(٤).

۞ قال العز بن عبد السلام (ت: ٦٣٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ في الإسلام والبراءة من الأوثان»(٥).

۞ قال علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي المعروف بالخازن

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (سورة النساء، الآية: ١٢٥).
(٢) تفسير تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن لابن سعدي (سورة النساء، الآية: ١٢٥).
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة الأنعام، الآية: ١٦١).
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة النحل، الآية: ١٢٣).
(٥) تفسير العز بن عبد السلام (سورة النحل، الآية: ١٢٣).

(ت: ٧٤١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾، يعني: دينه وما كان عليه من الشريعة والتوحيد»(١).

❁ عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى (ت: ٧٠ هـ تقريبًا) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَصْبَحَ قَالَ: «**أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَدِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**»(٢).

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وتأمل هذه الألفاظ كيف جعل الفطرة للإسلام فإنه فطرة الله التي فطر الناس عليها، وكلمة الإخلاص هي شهادة أن لا إله إلا الله، والملة لإبراهيم فإنه صاحب الملة وهي التوحيد وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له ومحبته فوق كل محبة، والدين للنبي ﷺ وهو دينه الكامل وشرعه التام الجامع لذلك كله وسماه سبحانه إمامًا وأمة وقانتًا وحنيفًا قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة]، فأخبر سبحانه أنه جعله إمامًا للناس وأن الظالم من ذريته لا ينال رتبة الإمامة، والظالم هو المشرك وأخبر سبحانه أن عهده بالإمامة لا ينال من أشرك به وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [النحل].

---

(١) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (سورة النحل، الآية: ١٢٣).

(٢) إسناده حسن: أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (١/ ٣٤٣، ٣٤٤)، وفي «الكبرى» (٢٩، ٩٨، ١٠١٧٥، ١٠١٧٦)، والدارمي (٢٦٨٨)، وأحمد ٣/ ٤٠٧، وابن أبي شيبة ٩/ ٧٧ ١٠/ ٢٣٩، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٤)، والطبراني في «الدعاء» (٢٩٤)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (٢٦).

فالأمة هو القدوة المعلم للخير والقانت المطيع لله الملازم لطاعته والحنيف المقبل على الله المعرض عما سواه ومن فسره بالمائل فلم يفسره بنفس موضوع اللفظ وإنما فسره بلازم المعنى فإن الحنف هو الإقبال ومن أقبل على شيء مال عن غيره والحنف في الرجلين هو إقبال إحداهما على الأخرى ويلزمه ميلها عن جهتها.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم، الآية: ٣٠]، فـ ﴿حَنِيفًا﴾ هو حال مقررة لمضمون قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ ولهذا فسرت مخلصًا فتكون الآية قد تضمنت الصدق والإخلاص فإن إقامة الوجه للدين هو إفراد طلبه بحيث لا يبقى في القلب إرادة لغيره والحنيف المفرد لا يريد غيره فالصدق أن لا ينقسم طلبك والإفراد أن لا ينقسم مطلوبك، الأول: توحيد الطلب، والثاني: توحيد المطلوب.

والمقصود أن إبراهيم عليه السلام هو أبونا الثالث وهو إمام الحنفاء ويسميه أهل الكتاب عمود العالم، وجميع أهل الملل متفقة على تعظيمه وتوليه ومحبته وكان خير بنيه سيد ولد آدم محمد ﷺ يجله ويعظمه ويبجله ويحترمه»[(١)].

الاسم الثامن والثلاثون: ومن أسماء التوحيد «صبغة الله»:

قال ـ تعالى ـ: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة].

عن مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) رحمه الله قال: قوله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ أي: دين الله»[(٢)].

---

(١) جلاء الأفهام ص٢٦٨ ـ ٢٦٩.

(٢) أخرجه ابن جرير رقم ٢١١٩، ٢١٢٠ من طريق سفيان وابن أبي نجيح، كلاهما، عن مجاهد ـ مثله.

ومن طريق ابن أبي نجيح عنه قال: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ «أي: فطرة الله»[(١)].

۞ قال ابن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: الزموا صبغة الله لا صبغة النصارى أولادهم، وأراد بها ملة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ»[(٢)].

۞ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بمعنى: آمنا هذا الإيمان، فيكون الإيمان حينئذ هو صبغة الله»[(٣)].

۞ قال أبو عبيد الهروي (ت: ٤٠١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: فطرته أي قل يا محمد أنتبع صبغة الله، وقال أبو عمرو: الصبغة الدين»[(٤)].

۞ قال علي بن محمد الماوردي (ت: ٤٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيه تأويلان:

أحدهما: معناه دين الله، وهذا قول قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وسبب ذلك أن النصارى كانوا يصبغون أولادهم في ماء لهم، ويقولون هذا تطهير لهم كالختان، فرد الله تعالى ذلك عليهم بأن قال: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: صبغة الله أحسن صبغة، وهي الإسلام.

والثاني: أن صبغة الله، هي خلقة الله، وهذا قول مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

= وبه فسره الضحاك عن ابن عباس، وأبو العالية، وعكرمة، وإبراهيم، والحسن، وقتادة، وعبد الله بن كثير، وعطية العوفي، والربيع بن أنس، والسدي. انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٢٧٢.

(١) أخرجه ابن جرير رقم ٢١٢٦ من طريق عيسى، عن ابن أبي نجيح، عنه، مثله. وذكره السيوطي في الدر المنثور ١/ ٣٤٠ وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٢) كتاب تأويل مشكل القرآن ص٩٧.

(٣) تفسير الطبري (سورة البقرة، الآية: ١٣٨).

(٤) كتاب الغريبين في القرآن والحديث ٤/ ١٠٦١.

فإن كانت الصبغة هي الدين، فإنما سمي الدين صبغة، لظهوره على صاحبه، كظهور الصبغ على الثوب، وإن كانت هي الخلقة فلإحداثه كإحداث اللون على الثوب»[١].

۞ قال أبو حفص عمر بن محمد النسفي (ت: ٥٣٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «والله تعالى سمى الإسلام بأسماء وأضاف كل واحد من ذلك إلى نفسه: هدى الله، صراط الله، فطرة الله، صبغة الله، دين الله، نور الله، حبل الله، كلمة الله، وآياتها: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [آل عمران، الآية: ٧٣]، ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى﴾ [الشورى، الآية: ٥٣]، ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى﴾ [الروم، الآية: ٣٠]، ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة، الآية: ١٣٨]، ﴿يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ [النصر]، ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران، الآية: ١٠٣]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة، الآية: ٣٢]، ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ [التوبة، الآية: ٤٠]»[٢].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿...وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١٣٧ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ۝١٣٨﴾ [البقرة، الآيات: ١٣٧ ـ ١٣٨]، صبغ القلوب والأشياء بهذا الإيمان حتى أنارت به القلوب، وأشرقت به الوجوه، وظهر الفرقان بين وجوه أهل السنة وأهل البدعة، كما قال في المؤمنين: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ [البقرة، الآية: ٢٧٣]، وفي الكفار: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ۝١٦﴾ [القلم]، وفي المنافقين: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ [محمد، الآية: ٣٠]»[٣].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «القلب لا يستقر ولا يثبت إلا

---

(١) تفسير الماوردي (النكت والعيون) (سورة البقرة، الآية: ١٣٨).
(٢) كتاب التيسير في التفسير ١/ ٢٦٣.
(٣) جامع المسائل ٦/ ٣٣.

إذا كان عالمًا موقنًا بالحق، فيكون العلم والإيمان صبغة له ينصبغ بها كما قال: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ ويصير مكانة له كما قال: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة]، والمكان والمكانة قد يراد به ما يستقر الشيء عليه وإن لم يكن محيطًا به كالسقف مثلًا وقد يراد به ما يحيط به. فالمهتدون لما كانوا على هدى من ربهم ونور وبينة وبصيرة صار مكانة لهم استقروا عليها وقد تحيط بهم بخلاف الذين قال فيهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج].

فإن هذا ليس ثابتًا مستقرًّا مطمئنًا بل هو كالواقف على حرف الوادي وهو جانبه فقد يطمئن إذا أصابه خير وقد ينقلب على وجهه ساقطًا في الوادي. وكذلك فرق بين من ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ﴾ [التوبة، الآية: ١٠٩]، وبين ﴿أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة، الآية: ١٠٩]، وكذلك الذين كانوا على شفا حفرة من النار فأنقذهم منها وشواهد هذا كثيرة»[(١)].

◎ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمسلم الصادق إذا عبد الله بما شرع؛ فتح الله عليه أنوار الهداية في مدة قريبة.

فالمهتدون من مشايخ العُبَّاد والزهاد يُوصون باتِّباع العلم المشروع، كما أن أهل الاستقامة من العلم يُوصون بعلمهم؛ الذي يسلكه أهل الاستقامة من العُبَّاد والزهاد.

وأمَّا المنحرفون من الطائفتين فيُعْرِضون عن المشروع؛ إمّا من العلم

(١) مجموع الفتاوى ١٥/ ٦٣ ـ ٦٤.

وإمّا من العمل، وهما طريق المغضوب عليهم والضالين»[(١)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَقَدْ أَوْعَبَت الْأُمَّةُ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ إِيعَابًا فَمَنْ نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ هَدَاهُ بِمَا يَبْلُغُهُ مِنْ ذَلِكَ، وَمَنْ أَعْمَاهُ لَمْ تَزِدْهُ كَثْرَةُ الْكُتُبِ إِلَّا حَيْرَةً وَضَلَالًا»[(٢)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فتبارك من جعل كلامه شفاء لصدور المؤمنين، وحياة لقلوبهم، ونورًا لبصائرهم، وغذاء لقلوبهم، ودواء لسقامهم، وقرة لعيونهم، وفتح به منهم أعينًا عميًا وآذانًا صمًّا وقلوبًا غلفًا، وأمطر على قلوبهم سحائب ديمه، فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، فأشرقت به الوجوه، واستنارت به القلوب، وانقادت به الجوارح إلى طاعته ومحبته، فصبغ القلوب به معرفة وإيمانًا، وملأها حكمة وإيقانًا، ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ۝١٣٨﴾ [البقرة]»[(٣)].

۞ قال الإمام ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ «الشيء الكامن في النفس يظهر على صفحات الوجه، فالمؤمن إذا كانت سريرته صحيحةً مع الله أصلح الله ظاهره للنّاس»[(٤)].

۞ قال الشيخ محمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: صبغنا بما ذكر من ملة إبراهيم صبغة الله وفطرته فطرنا عليها، وهي ما صبغ الله به أنبياءه ورسله والمؤمنين من عباده على سنة الفطرة»[(٥)].

---

(١) الاستقامة ١/ ١٠٠.
(٢) مجموع الفتاوى ١٠/ ٦٦٥.
(٣) الكلام على مسألة السماع ١/ ٣١٥.
(٤) تفسير القران العظيم ٧/ ٣٦١.
(٥) تفسير المنار (سورة البقرة، الآية: ١٣٨).

۞ وقال محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾؛ «الصبغة» معناها اللون؛ وقالوا: المراد بـ ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ دين الله؛ وسمي «الدين» صبغة لظهور أثره على العامل به؛ فإن المتدين يظهر أثر الدين عليه: يظهر على صفحات وجهه، ويظهر على مسلكه، ويظهر على خشوعه، وعلى سمته، وعلى هيئته كلها؛ فهو بمنزلة الصبغ للثوب يظهر أثره عليه؛ وقيل: سمي صبغة للزومه كلزوم الصبغ للثوب؛ ولا يمنع أن نقول: إنه سمي بذلك للوجهين جميعًا: فهو صبغة للزومه؛ وهو صبغة أيضًا لظهور أثره على العامل به»(١).

۞ الاسم التاسع والثلاثون: ومن أسماء التوحيد «حبل الله»:

۞ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران، الآية: ١٠٣].

۞ قال سهل التستري (ت: ٢٨٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: تمسكوا بعهده وهو التوحيد، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝٧٨﴾ [مريم]؛ أي: توحيدًا وتمسكوا بما ملككم من تأدية فرضه وسنة نبيه، وكذلك قوله: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران، الآية: ١١٢] معناه إلا بعهد من الله ودينه، وإنما سماه حبلًا لأنه من تمسك به توصل إلى الأمر الذي يؤمنه»(٢).

۞ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال آخرون: بل ذلك هو إخلاص التوحيد لله»(٣).

---

(١) تفسير ابن عثيمين (سورة البقرة، الآية: ١٣٨).
(٢) تفسير التستري ص٤٧.
(٣) تفسير الطبري (سورة آل عمران، الآية ١٠٣).

۞ قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: تعلقوا بأسباب الله ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟ۚ﴾ أي: تمسكوا بدين الله. والحبل في اللغة الذي يتوصل به إلى البغية.

۞ قال ابن مسعود (ت: ٣٢هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حبل الله الجماعة.

۞ عن أبي سعيد الخدري (ت: ٧٤هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**كتاب الله حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض**»[(١)].

وقيل: حبله، عهده وأمره.

وأكثر المفسرين على أنه القرآن.

۞ قال أبو العالية (ت: ٩٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ حبل الله الإخلاص والتوحيد.

۞ قال ابن زيد (ت: ٢٨٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: حبل الله: الإسلام.

۞ وقال القتبي [وهو ابن قتيبة] (ت: ٢٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: حبل الله: دينه»[(٢)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَٱعۡتَصِمُوا۟ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ۚ﴾ [آل عمران، الآية: ١٠٣]، قيل: حبل الله هو دين الإسلام وقيل: القرآن وقيل: عهده وقيل: طاعته وأمره وقيل: جماعة المسلمين؛ وكل هذا حق»[(٣)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في فضل كلمة التوحيد: «هي الحبل الذي لا يصل إلى الله إلا من يتعلق بسببه»[(٤)].

---

(١) رواه الترمذي (٣٧٩٠) وأحمد (٣/ ١٤، ١٧، ٢٦، ٥٩) والطبري (ج ٧ رقم ٧٥٧٢ صفحة ٧٢).
(٢) كتاب الهداية إلى بلوغ النهاية ٢/ ١٠٨٦.
(٣) مجموع الفتاوى ٧/ ٤٠.
(٤) الجواب الكافي ص١٧٠.

الاسم الأربعون: ومن أسماء التوحيد «عهد الله»:

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ٨٧﴾ [مريم].

عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما، قال: «العهد: شهادة أن لا إله إلا الله، ويتبرأ إلى الله من الحول والقوّة ولا يرجو إلا الله»[١].

قال يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي (ت: ٢٠٠هـ) رحمه الله: «﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ٨٧﴾: وقال بعضهم: العهد: التَّوْحِيدُ»[٢].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رحمه الله: «ثم أخبر فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾، فنقضوا العهد الأول، ونقضوا ما أخذ عليهم في التوراة أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا، وأن يؤمنوا بالنبي ﷺ، وكفروا بعيسى وبمحمد عليهما السلام، وآمنوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض، ﴿وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾، يعني ويعملون فيها بالمعاصي، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧﴾ [البقرة] في العقوبة، يعني اليهود، ونظيرها في الرعد: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ من إيمان بمحمد ﷺ، ﴿وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥﴾ [الرعد]»[٣].

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رحمه الله: «اختلف أهل المعرفة في معنى العهد الذي وصف الله هؤلاء الفاسقين بنقضه، فقال بعضهم: هو وصية الله إلى خلقه، وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعته،

---

(١) تفسير الطبري (سورة مريم، الآية: ٨٧).
(٢) تفسير يحيى بن سلام (سورة مريم، الآية: ٨٧).
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة البقرة، الآية: ٢٧).

ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من معصيته في كتبه وعلى لسان رسوله ﷺ، ونقضهم ذلك تركهم العمل به.

وقال آخرون: إنما نزلت هذه الآيات في كفار أهل الكتاب والمنافقين منهم، وإياهم عنى الله جل ذكره بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ وبقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ فكل ما في هذه الآيات فعذل لهم وتوبيخ إلى انقضاء قصصهم. قالوا: فعهد الله الذي نقضوه بعد ميثاقه: هو ما أخذه الله عليهم في التوراة من العمل بما فيها، واتباع محمد ﷺ إذا بعث، والتصديق به وبما جاء به من عند ربهم. ونقضهم ذلك هو جحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته، وإنكارهم ذلك، وكتمانهم علم ذلك عن الناس، بعد إعطائهم الله من أنفسهم الميثاق ليبيننه للناس ولا يكتمونه. فأخبر الله جل ثناؤه أنهم نبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنًا قليلًا.

وقال بعضهم: إن الله عنى بهذه الآية جميع أهل الشرك والكفر والنفاق وعهده إلى جميعهم في توحيده ما وضع لهم من الأدلة الدالة على ربوبيته وعهده إليهم في أمره ونهيه ما احتج به لرسله من المعجزات التي لا يقدر أحد من الناس غيرهم أن يأتي بمثلها الشاهدة لهم على صدقهم. قالوا: ونقضهم ذلك تركهم الإقرار بما قد تبينت لهم صحته بالأدلة، وتكذيبهم الرسل والكتب، مع علمهم أن ما أتوا به حق.

وقال آخرون: العهد الذي ذكره الله جل ذكره، هو العهد الذي أخذه عليهم حين أخرجهم من صلب آدم، الذي وصفه في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآيتين، ونقضُهم ذلك، تركهم الوفاء به»[(١)].

(١) تفسير الطبري (سورة البقرة، الآية: ٢٧).

۞ قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ وهو الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم، وتفسيره في سورة الأعراف ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ): يعني ما أمر الله به من الإيمان بالنبيين كلهم ﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: يعملون فيها بالشرك والمعاصي ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة] خسروا أنفسهم أن يغنموها فيصيروا في الجنة، فصاروا في النار»[(١)].

۞ قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾ [مريم]؛ أي: لم يفعل، والعهد: التوحيد؛ في تفسير بعضهم»[(٢)].

۞ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيرها: «يعني: لا إله إلا الله»[(٣)].

۞ قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾ [مريم]: العهد: هو قول لا إله إلا الله.

وأقول: الذي يدل على صحة هذا القول وجوه:

الأول: أن قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾ نكرة في طرف الثبوت، وذلك لا يفيد إلا عهدًا واحدًا، فهذه الآية تدل على أن تلك الشفاعة تحصل بسبب عهد واحد، ثم أجمعنا على أن ما سوى الإيمان فإن الواحد منه، بل مجموعه لا يفيد تلك الشفاعة البتة، فوجب

(١) تفسير ابن أبي زمنين (سورة البقرة، الآية: ٢٧).
(٢) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٣/ ١٠٥.
(٣) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة مريم، الآية: ٨٧).

أن يكون العهد الواحد الذي يفيد تلك الشفاعة هو الإيمان، وهو قول: لا إله إلا الله.

والثاني: أن جماعة من المفسرين قالوا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة، الآية: ٤٠]. هو عهد الإيمان، بدليل أن لفظ العهد مجمل، فلما أعقبه بقوله: ﴿وَءَامِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [البقرة، الآية: ٤١]. علمنا أن المراد من ذلك العهد هو الإيمان، وهو قول «لا إله إلا الله، محمد رسول الله».

والثالث: أن أول ما وقع من العهد قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف، الآية: ١٧٢]، وذلك في الحقيقة هو قول لا إله إلا الله، فكأن لفظ العهد محمول عليه.

والرابع: أنه تعالى قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ﴾ [التوبة، الآية: ١١١]، فكان العهد من جانبك عهد الإقرار بالعبودية، ومن جانب الحق سبحانه وتعالى عهد الكرم والربوبية، فثبت بهذه الوجوه: أن المراد من قوله: ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝٨٧﴾ هو قول: لا إله إلا الله.

الخامس: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ [البقرة، الآية: ٨٠]. أي: قلتم لا إله إلا الله»[١].

۞ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رحمه الله: «وهو شهادة أن لا إله إلا الله، والقيام بحقها»[٢].

---

(١) عجائب القرآن للرازي ص٦٥ ـ ٦٧.
(٢) تفسير ابن كثير (سورة مريم، الآية: ٨٧).

۞ قال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت: ٨١٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝٨٧﴾ [مريم] المراد توحيد الله والإيمان به»[1].

❖ قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٢٧﴾ [البقرة].

۞ قال أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واختلفوا في تفسير العهد على أقوال:

أحدها: أنه وصية الله إلى خلقه، وأمره لهم بطاعته، ونهيه لهم عن معصيته في كتبه المنزلة وعلى ألسنة أنبيائه المرسلة، ونقضهم له تركهم العمل به.

الثاني: أنه العهد الذي أخذه الله عليهم حين أخرجهم من أصلاب آبائهم في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ الآية، ونقضهم له كفر، بعضهم بربوبيته، وبعضهم بحقوق نعمته.

الثالث: ما أخذه الله عليهم في الكتب المنزلة من الإقرار بتوحيده والاعتراف بنعمه والتصديق لأنبيائه ورسله، وبما جاؤوا به في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية، ونقضهم له نبذه وراء ظهورهم، وتبديل ما في كتبهم من وصفه ﷺ.

الرابع: ما أخذه الله تعالى على الأنبياء ومتبعيهم أن لا يكفروا بالله ولا بالنبي ﷺ، وأن ينصروه ويعظموه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم﴾ الآية، ونقضهم له إنكارهم لنبوته وتغييرهم لصفته.

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤/ ١١٤.

الخامس: إيمانهم به ﷺ ورسالته قبل بعثه ونقضهم له جحدهم لنبوته ولصفته.

السادس: ما جعله في عقولهم من الحجة على توحيده وتصديق رسوله، بالنظر في المعجزات الدالة على إعجاز القرآن وصدقه ونبوة محمد ﷺ، ونقضهم هو تركهم النظر في ذلك وتقليدهم لآبائهم.

السابع: الأمانة المعروضة على السمٰوات والأرض التي حملها الإنسان، ونقضهم تركهم القيام بحقوقها.

الثامن: ما أخذه عليهم من أن لا يسفكوا دماءهم ولا يخرجوا أنفسهم من ديارهم، ونقضهم عودهم إلى ما نهوا عنه، وهذا القول يدل على أن المخاطب بذلك بنو إسرائيل.

التاسع: هو الإيمان والتزام الشرائع، ونقضه كفره بعد الإيمان.

وهذه الأقوال التسعة منها ما يدل على العموم في كل ناقض للعهد، ومنها ما يدل على أن المخاطب قوم مخصوصون، وهذا الاختلاف مبني على الاختلاف الذي وقع في سبب النزول، والعموم هو الظاهر.

فكل من نقض عهد الله من مسلم وكافر ومنافق أو مشرك أو كتابي تناوله هذا الذم، و﴿مِنۢ﴾ متعلقة بقوله: ﴿يَنقُضُونَ﴾، وهي لابتداء الغاية، ويدل على أن النقض حصل عقيب توثق العهد من غير فصل بينهما، وفي ذلك دليل على عدم اكتراثهم بالعهد، فإثر ما استوثق الله منهم نقضوه»[1].

۞ الاسم الواحد والأربعون: ومن أسماء التوحيد «أمر الله»:

▪ قال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ

(١) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (سورة البقرة، الآية: ٢٧).

﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ۝٤٨﴾ [التوبة].

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ﴾ يعني: الكفر في غزوة تبوك، ﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ﴾ ظهرًا لبطن كيف يصنعون، ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ﴾، يعنى الإسلام، ﴿وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ يعني: دين الإسلام، ﴿وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ۝٤٨﴾ للإسلام»(١).

۞ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ يقول: وظهر دين الله الذي أمر به وافترضه على خلقه وهو الإسلام»(٢).

۞ قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾ يعني: الشرك ﴿مِن قَبۡلُ﴾ أي: من قبل أن تهاجروا ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ﴾ القرآن ﴿وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ الإسلام ﴿وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ۝٤٨﴾ لظهوره»(٣).

۞ قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ أي: المتصف بجميع صفات الكمال من الجلال والجمال حتى لا مطمع لهم في ستره ﴿وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ۝٤٨﴾ أي: لجميع ذلك»(٤).

۞ الاسم الثاني والأربعون: ومن أسماء التوحيد «الحسنة»:

قال - تعالى -: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ۝٨٩﴾ [النمل].

۞ عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، في قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة التوبة، الآية: ٤٨).
(٢) تفسير الطبري (سورة التوبة، الآية: ٤٨).
(٣) تفسير ابن أبي زمنين (سورة التوبة، الآية: ٤٨).
(٤) تفسير البقاعي نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (سورة التوبة، الآية: ٤٨).

﴿خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾ قال: من جاء بلا إله إلا الله، ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾، قال: بالشرك»[(١)].

❁ قال زين العابدين علي بن الحسين (ت: ٩٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هي لا إله إلا الله»[(٢)].

❁ عن سعيد بن جبير (ت: ٩٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ [النمل]، قال: «لا إله إلا الله»[(٣)].

❁ عن إبراهيم بن يزيد النخعي (ت: ٩٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ قال: لا إلهَ إلّا الله»[(٤)].

❁ عن الشعبي (ت: ١٠٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ قال: كان حذيفة (ت: ٣٦هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، جالسًا في مسجد الكوفة في حلقة، فقال: ما تقولون في هذه الآية: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ [النمل، الآيات: ٨٩ ـ ٩٠]؟ فقالوا: نعم يا حذيفة، من جاء بالحسنة ضعفت له عشر أمثالها. فأخذ كفًّا من حصى فضرب بها الأرض، وقال: تبًّا لكم ـ وكان حديدًا (أي: فيه حدة) ـ وقال: من جاء بـ «لا إله إلا الله» وجبت له الجنة، ومن جاء بالشرك وجبت له النار»[(٥)].

❁ عن مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ [النمل، الآية: ٨٩]، قال: «كلمة الإخلاص لا إله إلا الله»[(٦)].

---

(١) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري (سورة النمل، الآية: ٨٩).
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (سورة النمل، الآية: ٨٩).
(٣) الدعاء للطبراني ص٤٤٢.
(٤) تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي (سورة النمل، الآية: ٨٩).
(٥) سنن سعيد بن منصور تكملة التفسير ٦/ ٥١٤ ـ ٥١٥؛ وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» ١١/ ٤١٨ للمصنف وابن المنذر.
(٦) الدعاء للطبراني ص٤٤١.

۞ عن عكرمة (ت: ١٠٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾ قال: شهادة أن لا إله إلا الله؛ ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ قال: السيئة: الشرك»[١].

۞ عن عطاء بن أبي رباح (ت: ١١٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ؛ في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾، قال: لا إلــه إلا الله، ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾؛ قال: الشرك»[٢].

۞ عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾ قال: الإخلاص، ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ قال: الشرك»[٣].

۞ قَالَ قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾، يَعْنِي: التَّوْحِيدَ»[٤].

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾ في الآخرة؛ يعني: بلا إله إلا الله»[٥].

---

(١) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري (سورة النمل، الآية: ٨٩).

(٢) سنن سعيد بن منصور تكملة التفسير ٦/ ٥١٤؛ وقال المحقق: «وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١١/ ٤١٨ ـ ٤١٩) لعبد بن حميد. وقد أخرجه الطبراني في «الدعاء» (١٥٢٦) من طريق المصنف، عن هشيم، عن عبد الملك، به.
وأخرجه ابن جرير في «تفسيره» ١٠/ ٤٠ عن يعقوب بن إبراهيم، عن هشيم، به. وأخرجه ابن جرير ١٠/ ٣٩ من طريق عبد الله بن نمير ومحمد بن فضيل، و١٨/ ١٤١ من طريق جرير بن عبد الحميد، والطبراني في «الدعاء» (١٥٢٦) من طريق زائدة بن قدامة؛ جميعهم (ابن نمير، وابن فضيل، وجرير، وزائدة) عن عبد الملك، به. وأخرجه ابن جرير في «تفسيره» ١٨/ ١٤١ من طريق ابن جريج، عن عطاء.

(٣) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري (سورة النمل، الآية: ٨٩)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (سورة النمل، الآية: ٨٩).

(٤) تفسير يحيى بن سلام (سورة القصص، الآية: ٨٤).

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة النمل، الآية: ٨٩).

۞ قال يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي (ت: ٢٠٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾: «لا إله إلا الله مخلصًا بها قلبه»[١].

۞ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول تعالى ذكره: مَنْ جَاءَ الله بتوحيده والإيمان به، وقول لا إله إلا الله موقنًا به قلبه، فَلَهُ من هذه الحسنة عند الله خَيرٌ يوم القيامة، وذلك الخير أن يثيبه الله مِنْهَا الجنة، ويؤمّنه مِنْ فَزَعِ الصيحة الكبرى وهي النفخ في الصور. ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ يقول: ومن جاء بالشرك به يوم يلقاه، وجحود وحدانيته فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ في نار جهنم»[٢].

۞ قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾ بـ «لا إله إلا الله»[٣].

۞ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾ بكلمة الإخلاص، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، قال أبو معشر: كان إبراهيم يحلف ولا يستثني: أن الحسنة لا إله إلا الله. وقال قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ): بالإخلاص»[٤].

۞ قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال ابن مسعود (ت: ٣٢هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، والقاسم بن أبي بزة (ت: ١٢٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، وغيرهم: «الحسنة» لا إله إلا الله «والسيئة» الكفر»[٥]. قال علي بن يحيى السمرقندي (ت: ٨٨٠ هـ تقريبًا) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿مَن

---

(١) تفسير يحيى بن سلام (سورة القصص، الآية: ٨٤).
(٢) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري (سورة النمل، الآية: ٨٩).
(٣) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٣/ ٣١٥.
(٤) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة النمل، الآية: ٨٩).
(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢/ ٣٦٨.

جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ أي: بالإيمان والتوحيد، وكلمة الإخلاص، وشهادة أن لا إله إلا الله»(١).

قال ـ تعالى ـ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ١٦٠﴾ [الأنعام].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ٣٤﴾ [فصلت].

قال منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما الحسنة والسيئة ففيهما أقوال: أحدها: أنهما التوحيد والشرك»(٢).

الاسم الثالث والأربعون: ومن أسماء التوحيد «الحسنى»:

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ٦﴾ [الليل].

عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ٦﴾: «يقول: صدّق بلا إله إلّا الله»(٣).

عن الضحاك بن مزاحم (ت: ١٠٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ٦﴾ بلا إله إلّا الله»(٤).

عن أبي حصين (ت: ١٢٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن أبي عبد الرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٨هـ): ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ٦﴾ قال: «بلا إله إلّا الله»(٥).

---

(١) تفسير بحر العلوم لعلي بن يحيى السمرقندي (سورة النمل، الآية: ٨٩).
(٢) تفسير السمعاني ٥/٥٢ (فصلت، الآية: ٣٤).
(٣) تفسير الطبري (سورة الليل، الآية: ٦).
(٤) تفسير الطبري (سورة الليل، الآية: ٦).
(٥) تفسير الطبري (سورة الليل، الآية: ٦).

۞ قال سهل التستري (ت: ٢٨٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦﴾، كلمة التوحيد»[١].

۞ قال علي بن محمد الماوردي (ت: ٤٥٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: بتوحيد الله، وهو قول لا إلٰه إلا الله، قاله الضحاك بن مزاحم (ت: ١٠٢هـ).

الثاني: بموعود الله، قاله قتادة (ت: ١١٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ.

الثالث: بالجنة، قاله مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ.

الرابع: بالثواب، قاله خصيف (ت: ١٣٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ.

الخامس: بالصلاة والزكاة والصوم، قاله زيد بن أسلم (ت: ١٣٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ.

السادس: بما أنعم الله عليه، قاله عطاء بن أبي رباح (ت: ١١٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ.

السابع: بالخلف من عطائي، قاله الحسن (ت: ١١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، ومعاني أكثرها متقاربة»[٢].

۞ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ قال أبو عبد الرحمٰن (ت: ١٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، والضحاك بن مزاحم (ت: ١٠٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: وصدق بلا إلٰه إلا الله، وهي رواية عطية عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ)»[٣].

۞ قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَصَدَّقَ﴾ أي:

---

(١) تفسير التستري ص١٩٦.

(٢) تفسير الماوردي (سورة الليل، الآية: ٦).

(٣) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة الليل، الآية: ٦).

أوقع التصديق للمخبر ﴿بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦﴾ أي: وهي كلمة العدل التي هي أحسن الكلام من التوحيد وما يتفرع عنه من الوعود الصادقة بالآخرة والإخلاف في النفقة في الدنيا وإظهار الدين وإن قل أهله على الدين كله، وغير ذلك من كل ما وعد به الرسول ﷺ»[١].

❁ قال السيوطي (ت: ٩١١هـ) رحمه الله: «وأخرج الفريابي (ت: ٢١٢هـ) رحمه الله، وعبد بن حميد (ت: ٢٤٩هـ) رحمه الله، وابن جرير (ت: ٣١٠هـ) رحمه الله، وابن المنذر (ت: ٣١٨هـ) رحمه الله، وابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ) رحمه الله، عن أبي عبد الرحمٰن السلمي (ت: ١٢٨هـ) رحمه الله ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦﴾ قال: بلا إله إلا الله»[٢].

❁ الاسم الرابع والأربعون: ومن أسماء التوحيد «الأحسن»:

❁ قال - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝١٨﴾ [الزمر].

❁ قال ابن زيد (ت: ١٨٢هـ) رحمه الله، في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا... ۝١٧﴾ الآيتين، حدثني أبي أن هاتين الآيتين نزلتا في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله: زيد بن عمرو، وأبي ذر الغفاري (ت: ٣٠ أو ٣١هـ) رضي الله عنه، وسلمان الفارسي (ت: ٣٣هـ) رضي الله عنه، نزل فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا﴾ في جاهليتهم ﴿...وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ﴾ لا إله إلا الله»[٣].

❁ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: «نزلت في

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (سورة الليل، الآية: ٦).
(٢) تفسير الدر المنثور للسيوطي (سورة الليل، الآية: ٦).
(٣) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (سورة الزمر، الآية: ١٨).

ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله: زيد بن عمرو بن نفيل، وأبي ذر الغفاري (ت: ٣٠ أو ٣١هـ) رضي الله عنه، وسلمان الفارسي (ت: ٣٣هـ) رضي الله عنه. والأحسن: قول لا إله إلا الله»[١].

❁ قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) رحمه الله: «أحسن القول على من جعل الآية فيمن وحد الله قبل الإسلام «لا إله إلا الله»»[٢].

❁ قال أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٨٨٠هـ) رحمه الله: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾، فهذا في أبواب الاعتقادات»[٣].

❁ الاسم الخامس والأربعون: ومن أسماء التوحيد «العروة الوثقى»:

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان].

❁ عن عبد الله بن سلام (ت: ٤٣هـ) رضي الله عنه قال: «رأيت كأني في روضة، وسط الروضة عمود، في أعلى العمود عروة، فقيل لي: ارقه، قلت: لا أستطيع، فأتاني وصيف فرفع ثيابي فرقيت، فاستمسكت بالعروة، فانتبهت وأنا مستمسك بها، فقصصتها على النبي ﷺ فقال: **«تلك الروضة روضة الإسلام، وذلك العمود عمود الإسلام، وتلك العروة عروة الوثقى، لا تزال مستمسكًا بالإسلام حتى تموت»**[٤].

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة الزمر، الآية: ١٨).
(٢) تفسير القرطبي (سورة الزمر، الآية: ١٨).
(٣) تفسير اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (سورة الزمر، الآية: ١٨).
(٤) أخرجه البخاري برقم (٦٦١٢) واللفظ له، وأخرجه مسلم برقم (٢٤٨٤).

❁ عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ قال: لا إله إلا الله»[١].

❁ عن سعيد بن جبير (ت: ٩٥هـ) رحمه الله: العروة: لا إله إلا الله»[٢].

❁ عن الضحاك بن مزاحم (ت: ١٠٢هـ) رحمه الله: العروة: لا إله إلا الله»[٣].

❁ قال مجاهد (ت: ١٠٤هـ) رحمه الله: «في قوله: ﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ قال: الإيمان»[٤].

❁ قال السدي (ت: ١٢٨هـ) رحمه الله: «العروة الوثقى: هو الإسلام»[٥].

❁ قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: «﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ﴾ يعني: وجهته في الدين ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ لا إله إلا الله»[٦].

❁ قال الكرماني (ت: ٧٨٦هـ) رحمه الله: «قال الكرماني: يحتمل أن يراد بالعروة الوثقى الإيمان»[٧].

---

(١) تفسير الطبري (سورة لقمان، الآية: ٢٢)، تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة لقمان، الآية: ٢٢).
(٢) تفسير الطبري (سورة البقرة، الآية: ٢٥٦)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (سورة البقرة، الآية: ٢٥٦).
(٣) تفسير الطبري (سورة البقرة، الآية: ٢٥٦)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (سورة البقرة، الآية: ٢٥٦)، ١/ ٣٤٤.
(٤) تفسير الطبري (سورة البقرة، الآية: ٢٥٦).
(٥) تفسير الطبري (سورة البقرة، الآية: ٢٥٦).
(٦) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٣/ ٣٧٧.
(٧) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري للكرماني ٢٤/ ١١٩، وفتح الباري لابن حجر ١٢/ ٣٩٨.

❁ قال عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ت: ١٢٨٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «والعروة الوثقى هي: «لا إله إلا الله»»[١].

❁ **الاسم السادس والأربعون: ومن أسماء التوحيد «الدعوة التامة»:**

❁ عن جابر بن عبد الله (ت: ٧٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: «**من قال حين يسمع النداء: اللّهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة**»[٢].

❁ قال ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الدعوة التامة المراد بها: دعوة التوحيد، كقولة: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ﴾ [الرعد]، وقيل لدعوة التوحيد تامة لأن الشركة نقص، وقال ابن التين: وصفت بالتامة لأن فيها أتم القول وهو: لا إله إلا الله»[٣].

❁ **الاسم السابع والأربعون: ومن أسماء التوحيد «دعوة الله»:**

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ١٢﴾ [غافر].

❁ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ﴾ يعني: إذا ذكر الله ﴿وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ﴾ به يعني بالتوحيد ﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ﴾ يعني: وإن يعدل به تصدقوا»[٤].

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص٨٣.
(٢) رواه البخاري (٦١٤).
(٣) فتح الباري (٢/١١٢ ـ ١١٣).
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة غافر، الآية: ١٢).

۞ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ﴾، فأنكرتم أن تكون الألوهية له خالصة، وقلتم ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا﴾ [ص، الآية: ٥]»[(١)].

۞ قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ﴾ في الدُّنيا كفرتم به وأنكرتم أن لا تكون الإلهية له خالصة، وقلتم ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا﴾ [ص، الآية: ٥]، ﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ﴾ غيره. ﴿تُؤۡمِنُواْ﴾ تصدقوا ذلك المشرك»[(٢)].

۞ قال علي بن محمد الماوردي (ت: ٤٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ﴾ أي: كفرتم بتوحيد الله»[(٣)].

۞ قال الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ﴾ نكرتم وحدانيته ﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْ﴾ تصدقوا ذلك الشرك»[(٤)].

۞ قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ﴾ معناه: بحالة توحيد ونفي لما سواه من الآلهة والأنداد.

وقوله: ﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ﴾ أي: إذا ذكرت اللات والعزى وغيرهما صدقتم واستقرت نفوسكم»[(٥)].

۞ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِذَا دُعِيَ

---

(١) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (سورة غافر، الآية: ١٢).
(٢) الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي (سورة غافر، الآية: ١٢).
(٣) تفسير النكت والعيون للماوردي (سورة غافر، الآية: ١٢).
(٤) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (سورة غافر، الآية: ١٢).
(٥) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (سورة غافر، الآية: ١٢).

﴿ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ﴾؛ أي: إذا قيل: لا إلٰه إلا الله أنكرتم، وقلتم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص، الآية: ٥]، ﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ﴾ غيره ﴿تُؤْمِنُوا۟﴾ تصدقوا ذلك الشرك»[(١)].

۞ قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ﴾ أي: وحد الله ﴿وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ﴾ وأنكرتم أن تكون الألوهية له خاصة، وإن أشرك به مشرك صدقتموه وآمنتم بقوله»[(٢)].

۞ قال البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ذَٰلِكُم﴾ الذي أنتم فيه. ﴿بِأَنَّهُۥ﴾ بسبب أنه ﴿إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ﴾ متحدًا أو توحد وحده فحذف الفعل وأقيم مقامه في الحالية. ﴿كَفَرْتُمْ﴾بالتوحيد. ﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟﴾ بالإشراك.

﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ﴾ المستحق للعبادة حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد الدائم. ﴿ٱلْعَلِىِّ﴾ عن أن يشرك به ويسوى بغيره. ﴿ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ حيث حكم على من أشرك وسوى به بعض مخلوقاته في استحقاق العبادة بالعذاب السرمد»[(٣)].

۞ قال عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت: ٧١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟﴾ أي: ذلكم الذي أنتم فيه وأن لا سبيل لكم إلى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وإيمانكم بالإشراك به»[(٤)].

۞ قال علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي المعروف بالخازن

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة غافر، الآية: ١٢).
(٢) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (سورة غافر، الآية: ١٢).
(٣) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (سورة غافر، الآية: ١٢).
(٤) تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (سورة غافر، الآية: ١٢).

(ت: ٧٤١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ﴾ معناه فأجيبوا أن لا سبيل إلى الخروج وهذا العذاب والخلود في النار بأنكم إذا دعي الله وحده كفرتم يعني إذا قيل لا إلٰه إلا الله أنكرتم ذلك؛ ﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ﴾ أي: غيره ﴿تُؤۡمِنُواْ﴾ أي: تصدقوا ذلك الشرك»[(١)].

۞ قال أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ﴾: أي إذا أفرد بالإلهية ونفيت عن سواه، ﴿كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ﴾: أي ذكرت اللات والعزى وأمثالهما من الأصنام، صدقتم بألوهيتها وسكنت نفوسكم إليها»[(٢)].

۞ قال علي بن يحيى السمرقندي (ت: ٨٨٠ هـ تقريبًا) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ﴾ يعني: إذا قيل لكم لا إلٰه إلا الله جحدتم، وأقمتم على الكفر، ﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْ﴾ يعني: إذا دعيتم إلى الشرك، وعبادة الأوثان، تصدقوا»[(٣)].

۞ قال أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٨٨٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ﴾ أي: ذلك الذي أنتم فيه من العذاب والخلود من النار وأن لا سبيل لكم إلى خروج قط إنما وقع بسبب كفرهم بتوحيد الله؛ أي: إذا قيل لا إلٰه إلا الله كفرتم وقلتم ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ﴾ [ص، الآية: ٥]، ﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ﴾ أي: تصدقوا ذلك الشرك»[(٤)].

۞ قال محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ

---

(١) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (سورة غافر، الآية: ١٢).
(٢) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (سورة غافر، الآية: ١٢).
(٣) تفسير بحر العلوم لعلي بن يحيى السمرقندي (سورة غافر، الآية: ١٢).
(٤) اللباب في علوم الكتاب (سورة غافر، الآية: ١٢).

إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ﴾ أي: ذلك الذي أنتم فيه من العذاب بسبب أنه إذا دعي الله في الدنيا وحده دون غيره كفرتم به وتركتم توحيده. ﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ﴾ غيره من الأصنام أو غيرها ﴿تُؤۡمِنُواْ﴾ بالإشراك به، وتجيبوا الدّاعي إليه، فبيّن سبحانه لهم السبب الباعث على عدم إجابتهم إلى الخروج من النار، وهو ما كانوا فيه من ترك توحيد الله، وإشراك غيره به في العبادة التي رأسها الدّعاء»[1].

الاسم الثامن والأربعون: ومن أسماء التوحيد «الكلمة السواء»:

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ۝٦٤﴾ [آل عمران].

قال أبو العالية (ت: ٩٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكلمة السواء»، لا إلٰه إلا الله»[2].

قال مجاهد (ت: ١٠٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ [آل عمران، الآية: ٦٤]، كلمة التوحيد: لا إلٰه إلا الله»[3].

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿تَعَالَوۡاْ﴾ هلمّوا ﴿إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ﴾ يعني: إلى كلمة عدل ﴿بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ والكلمة

---

(١) تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني (سورة غافر، الآية: ١٢).
(٢) تفسير الطبري (سورة آل عمران، الآية: ٦٤)، تفسير المحرر الوجيز لابن عطية (سورة آل عمران، الآية: ٦٤).
(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٣٨/٦.

العدل: هي أن نوحد الله فلا نعبد غيره، ونبرأ من كل معبود سواه فلا نشرك به شيئًا. وقوله: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾ يقول: ولا يدين بعضنا لبعض بالطاعة فيما أمر به من معاصي الله، ويعظمه بالسجود له، كما يسجد لربه. ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ يقول: فإن أعرضوا عما دعوتهم إليه من الكلمة السواء التي أمرتك بدعائهم إليها، فلم يجيبوك إليها، فقولوا أيها المؤمنون للمتولين عن ذلك: اشهدوا بأنا مسلمون»[(١)].

۞ قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾ أي: عدل ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ يعني: لا إلٰه إلا الله»[(٢)].

۞ قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟﴾. الكلمة ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ وما بعده. وقيل: الكلمة لا إله إلا الله. والسواء: النَّصَفَة والعدل والقصد»[(٣)].

۞ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ﴾ والعرب تسمي كل قصة لها شرح كلمة، ومنه سميت القصيدة كلمة (سواء) عدل بيننا وبينكم مستوية؛ أي: أمر مستو يقال: دعا فلان إلى السواء؛ أي: إلى النصفة، وسواء كل شيء وسطه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ وإنما قيل للنصفة سواء لأن أعدل الأمور وأفضلها أوسطها ﴿سَوَآءٍ﴾ نعت لـ ﴿كَلِمَةٍ﴾ إلا أنه مصدر، والمصدر لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، فإذا فتحت السين

---

(١) تفسير الطبري (سورة آل عمران، الآية: ٦٤).
(٢) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (سورة آل عمران، الآية: ٦٤).
(٣) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (سورة آل عمران، الآية: ٦٤).

مددت، وإذا كسرت أو ضممت قصرت، كقوله تعالى: ﴿مَكَانًا سُوًى ۝٥٨﴾ ثم فسر الكلمة فقال: قوله تعالى: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ ومحل (أن) رفع على إضمار هي، وقال الزجاج: رفع بالابتداء، وقيل: محله نصب بنزع حرف الصلة، معناه بأن لا نعبد إلا الله، وقيل: محله خفض بدلًا من الكلمة؛ أي: تعالوا إلى أن لا نعبد إلا الله.

قوله تعالى: ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ كما فعلت اليهود والنصارى، قال الله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، وقال عكرمة (ت: ١٠٥هـ): هو سجود بعضهم لبعض؛ أي: لا نسجد لغير الله، وقيل: معناه: لا نطيع أحدًا في معصية الله.

قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟﴾ أي: فقولوا أنتم يا أمة محمد ﷺ لهم اشهدوا.

قوله تعالى: ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٦٤﴾ مخلصون بالتوحيد»[(١)].

❁ قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) رحمه الله: «فالمعنى أجيبوا إلى ما دعيتم إليه، وهو الكلمة العادلة المستقيمة التي ليس فيها ميل عن الحق. وقد فسرها بقوله تعالى: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾»[(٢)].

❁ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رحمه الله: «﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ﴾ والكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما قال هاهنا. ثم وصفها بقوله: ﴿سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: عدل ونصف، نستوي نحن وأنتم فيها. ثم فسرها بقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ لا وثنًا، ولا

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة آل عمران، الآية: ٦٤).

(٢) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (سورة آل عمران، الآية: ٦٤).

صنمًا، ولا صليبًا ولا طاغوتًا، ولا نارًا، ولا شيئًا بل نُفرِدُ العبادة لله وحده لا شريك له. وهذه دعوة جميع الرسل، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء، الآية: ٢٥]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل، الآية: ٣٦]. ثم قال: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وقال ابن جُرَيْج (ت: ١٥٠هـ): يعني: يطيع بعضنا بعضًا في معصية الله. وقال عكرمة (ت: ١٠٥هـ): يعني: يسجد بعضنا لبعض.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ أي: فإن تولوا عن هذا النَّصَف وهذه الدعوة فأشْهدوهم أنتم على استمراركم على الإسلام الذي شرعه الله لكم»[١].

۞ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«هذه الآية الكريمة كان النبي ﷺ يكتب بها إلى ملوك أهل الكتاب، وكان يقرأ أحيانًا في الركعة الأولى من سُنَّة الفجر: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ الآية [البقرة، الآية: ١٣٦]، ويقرأ بها في الرَّكعة الآخرة من سنَّة الصبح؛ لاشتمالها على الدعوة إلى دين واحد قد اتَّفق عليه الأنبياء والمرسلون، واحتوت على توحيد الإلهية المبنيِّ على عبادة الله وحده لا شريك له، وأن يعتقد أن البشر وجميع الخلق كلهم في طور البشرية لا يستحقُّ منهم أحدٌ شيئًا من خصائص الرُّبوبية ولا من نعوت الإلهية، فإن انقاد أهل الكتاب وغيرهم إلى هذا فقد اهتدوا»[٢].

---

(١) تفسير ابن كثير (سورة آل عمران، الآية: ٦٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان، المعروف بـ«تفسير السعدي» (آل عمران: ٦٤).

الاسم التاسع والأربعون: ومن أسماء التوحيد «كلمة النجاة»:

ﷻ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء].

❁ عن علي بن أبي طالب (ت: ٤٠هـ) رضي الله عنه: «إن هذه الآية أرجى آية في القرآن قوله: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾»[(١)].

❁ عن علي بن أبي طالب (ت: ٤٠هـ) رضي الله عنه قال: ما في القرآن آية أحب إلي من هذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء]»[(٢)].

❁ عن ابن عمر (ت: ٧٣هـ) رضي الله عنهما: «كنا معشر أصحاب رسول الله ﷺ لا نشك في قاتل المؤمن، وآكل مال اليتيم، وشاهد الزور، وقاطع الرحم، يعني في الشهادة له بالنار حتى نزلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ فأمسكنا عن الشهادة»[(٣)].

❁ عن مجاهد (ت: ١٠٤هـ) رحمه الله، «أن الاستثناء لأهل التوحيد»[(٤)].

❁ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رحمه الله: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة النساء، الآية: ٤٨).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه وقال: «هذا حديث حسن غريب وأبو فاختة اسمه سعيد بن علاقة وثوير يكنى أبا جهم وهو رجل كوفي من التابعين وقد سمع من ابن عمر وابن الزبير وابن مهدي كان يغمزه قليلًا»، انظر: وقال الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٣٠٣٧)، وقال: «ضعيف الإسناد».

(٣) تفسير الطبري (سورة النساء، الآية: ٤٨) وذكره السيوطي في الدر المنثور (سورة النساء، الآية: ٤٨)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم والبزار وهو في تفسير ابن أبي حاتم (٤٩٢٩) و(٥٢٣٥) و(٥٤٦٠).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة النساء، الآية: ٤٨).

يُشْرَكَ بِهِۦ﴾، فيموت عليه، يعني اليهود، ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ الشرك ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ لمن مات موحدًا، فمشيئته ـ تبارك وتعالى ـ لأهل التوحيد، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ معه غيره، ﴿فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾، يقول: فقد قال ذنبًا عظيمًا»(١).

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾﴾ [غافر].

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ [غافر، الآية: ٤١]: إلى الإيمان بالله ﴿وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾﴾ [غافر]: إلى الكفر الذي يدخل به صاحبه النار»(٢).

عن جابر بن عبد الله (ت: ٧٨هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: سئل رسول الله ﷺ عن الموجبتين، فقال: «**من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار**»(٣).

قال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت: ٨١٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والكلمة الموجبة: لا إله إلا الله»(٤).

عن أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن قال: لا إلهَ إلا اللهُ؛ نَفَعتْه يومًا من دهرِه، يُصيبُه قبلَ ذلكَ ما أصابَه**»(٥).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة النساء، الآية: ٤٨).
(٢) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٤/ ١٣٥.
(٣) أخرجه مسلم برقم (٩٣).
(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٥/ ١٦١.
(٥) أخرجه البزار (٨٢٩٢)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٣٩٦) واللفظ لهما، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» ٧/ ١٢٦، وصححه الألباني في صحيح الترغيب برقم (١٥٢٥).

❁ قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الاسم الرابع عشر: كلمة النجاة، والذي يدل عليه القرآن والحديث والعقول:

أما القرآن فمن وجهين:

الأول: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾. فهذه الآية صريحة في أن النجاة لا تحصل بدون الإيمان بلا إلٰه إلا الله، وتحصل مع الايمان بلا إلٰه إلا الله.

والثاني: قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾﴾ النجاة: قول لا إلٰه إلا الله.

وأما الأخبار فيدل عليه الأخبار التي ذكرناها في الفصل الثاني، ونزيد ههنا أخبارًا أخرى.

أحدها: ما روى جابر بن عبد الله (ت: ٧٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن الموحدين فقال: **«مَنْ لقيَ الله لا يشركُ به شيئًا دخلَ الجنّة، ومَنْ لقيَ الله يُشركُ به شيئًا دخل النار»**[(١)].

وثانيها: عن أبي سعيد الخدري (ت: ٧٤هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال ﷺ: **«لقنوا موتاكُم لا إلٰه إلا الله»**[(٢)].

وثالثها: عن جابر بن عبد الله (ت: ٧٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت عمر بن الخطاب (ت: ٢٣هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول لطلحة بن عبيد الله (ت: ٣٦هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما لي أراك قد شعثت واغبررت منذ توفي رسول الله ﷺ لعلك ساءك يا طلحة إمارة ابن عمك قال: معاذ الله إني لأحذركم أن لا أفعل ذلك إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **إني لأعلم كلمة لا يقولها أحد عند حضرة**

---

(١) أخرجه مسلم (٩٣).

(٢) أخرجه مسلم (٩١٧).

الموت إلا وجد روحه لها روحًا حين تخرج من جسده وكانت له نورًا يوم القيامة» فلم أسأل رسول الله ﷺ عنها ولم يخبرني بها فذلك الذي دخلني قال عمر رضي الله عنه: فأنا أعلمها قال: فللّه الحمد فما هي؟ قال: هي الكلمة التي قالها لعمه لا إلٰه إلا الله قال طلحة: صدقت»[(١)].

رابعها: روى أبو أمامة رضي الله عنه (ت: ٨١هـ ـ أو ٨٦هـ)، قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر ينادي في الناس: **«مَنْ شَهد أنْ لا إلٰه إلا الله وجبت له الجنة»**[(٢)].

وخامسها: قال معاذ بن جبل (ت: ١٨هـ) رضي الله عنه حين حضرته الوفاة: «اكشفوا عني سجف القبة أحدثكم حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ ـ وقال مرة: أخبركم بشيء سمعته من رسول الله ﷺ ـ لم يمنعني أن أحدثكموه إلا أن تتكلوا، سمعته يقول: **«من شهد أن لا إلٰه إلا الله مخلصًا من قلبه ـ أو يقينًا من قلبه ـ لم يدخل النار ـ أو دخل الجنة ـ وقال مرة: دخل الجنة، ولم تمسه النار»**[(٣)].

وسادسها: عن عبد الله بن أبي قتادة رحمه الله (ت: ٩٥هـ)، عن أبيه رضي الله عنه (ت: ٥٤هـ) قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قال: أشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، يجري بها لسانه، ويطمئن بها قلبه، حُرّمت عليه النار»**.

---

(١) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٩٣٧)، وأحمد (١٨٧) باختلاف يسير.

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده (١/ ١٠٠ ـ ١٠١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٥: وفي إسناده سويد بن عبد العزيز، وهو متروك.

(٣) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٩٧٥)، وابن ماجه (٣٧٩٦) بمعناه، وأحمد (٢٢٠٦٠) واللفظ له.

وسابعها: روى أبو هريرة (ت: ٥٨هـ) ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ لأبي ذر (ت: ٣٠ أو ٣١هـ) ﵁: «ناد في الناس: من شهد أن لا إله إلا الله وجبت له الجنة». قال أبو ذر: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق» - حتى قالها ثلاث مرات - فقال الثالثة: «وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر».

وثامنها: روى معاذ بن جبل (ت: ١٨هـ) ﵁ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله، وفاضت نفسه بعده، دخل الجنة»»[1].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) ﵀: «وإنما ضمنت النجاة لمن حكم هدى الله تعالى على غيره، وتزود التقوى، وأتم بالدليل وسلك الصراط المستقيم، واستمسك من التوحيد واتباع الرسول ﷺ بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والله سميع عليم»[2].

❁ الاسم الخمسون: ومن أسماء التوحيد «كلمة الاستقامة»:

❁ قال - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت].

❁ قال - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [آل عمران].

❁ قال - تعالى -: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [يس].

---

(١) عجائب القرآن للرازي ص٦٣ - ٦٥.
(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية ١/ ٨٣.

❁ سئل أبو بكر الصديق (ت: ١٣هـ) رضي الله عنه عن الاستقامة فقال: «أن لا تشرك بالله شيئًا»[(١)].

❁ قرأت عند أبي بكر الصدّيق (ت: ١٣هـ) رضي الله عنه هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ قال: «هم الذين لم يشركوا بالله شيئًا»[(٢)].

❁ عن أبي بكر (ت: ١٣هـ) رضي الله عنه أنه قال لأصحابه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ قال: قالوا: ربنا الله ثم عملوا بها، قال: «لقد حملتموها على غير المحمل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ الذين لم يعدلوها بشرك ولا غيره»[(٣)].

❁ فسر أبو بكر رضي الله عنه الاستقامة في قوله تعالى: «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾، بأنهم لم يلتفتوا إلى غيره»[(٤)].

❁ قال عثمان بن عفان (ت: ٣٥هـ) رضي الله عنه: «استقاموا: أخلصوا العمل لله»[(٥)].

❁ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: «قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ وحّدوا الله تعالى»[(٦)].

❁ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: «قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ

---

(١) تفسير معالم التنزيل للبغوي (سورة فصلت، الآية: ٣٠).
(٢) تفسير الطبري (سورة فصلت، الآية: ٣٠).
(٣) تفسير الطبري (سورة فصلت، الآية: ٣٠).
(٤) تفسير الطبري (سورة فصلت، الآية: ٣٠)، جامع العلوم والحكم ١٩٣.
(٥) تفسير معالم التنزيل للبغوي (سورة فصلت، الآية: ٣٠)، تفسير ابن أبي زمنين (سورة فصلت، الآية: ٣٠)، مدارج السالكين ٢/ ١٠٤.
(٦) تفسير النكت والعيون للماوردي (سورة فصلت، الآية: ٣٠).

رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ [فصلت: ٣٠] على شهادة لا إلٰه إلا الله»[(١)].

❁ قال الربيع (ت: قبل ٦٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أعرضوا عما سوى الله»[(٢)].

❁ قال مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وعكرمة (ت: ١٠٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «استقاموا على شهادة أن لا إلٰه إلا الله حتى لحقوا بالله»[(٣)].

❁ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم أخبر عن المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾، فعرفوه، ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ على المعرفة، ولم يرتدوا عنها»[(٤)].

❁ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى ذكره: إنّ الّذِينَ قالُوا رَبّنا اللهُ وحده لا شريك له، وبرئوا من الآلهة والأنداد، ثُمّ اسْتَقامُوا على توحيد الله، ولم يخلطوا توحيد الله بشرك غيره به، وانتهوا إلى طاعته فيما أمر ونهى»[(٥)].

❁ قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ مخلصين له ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ عليها»[(٦)].

❁ قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ إن الذين وحدوا الله وعلموا أنه

---

(١) كتاب الأسماء والصفات للبيهقي ١/ ٢٧١.
(٢) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (سورة فصلت، الآية: ٣٠).
(٣) تفسير الطبري (سورة فصلت، الآية: ٣٠)، تفسير معالم التنزيل للبغوي (سورة فصلت، الآية: ٣٠)، تفسير معالم التنزيل للبغوي (سورة فصلت، الآية: ٣٠)، مدارج السالكين ٢/ ١٠٤.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة فصلت، الآية: ٣٠).
(٥) تفسير الطبري (سورة فصلت، الآية: ٣٠).
(٦) تفسير ابن أبي زمنين (سورة فصلت، الآية: ٣٠).

لا رب لهم غيره، ثم استقاموا على التوحيد والطاعة إلى الوفاة»[١].

۞ قال الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ أي: وحدوه ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ على التوحيد فلم يشركوا به شيئًا»[٢].

۞ قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وذهب أبو بكر الصديق (ت: ١٣هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وجماعة معه إلى أن المعنى ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ على قولهم: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾، فلم يختل توحيدهم ولا اضطرب إيمانهم. وروى أنس بن مالك (ت: ٩٠هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية وقال: قد قالها الناس ثم كفر أكثرهم، فمن مات عليها فهو ممن استقام. المعنى فهو في أول درجات الاستقامة من الخلود، فهذا كقوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»[٣] وهذا هو المعتقد إن شاء الله، وذلك أن العصاة من أمة محمد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وغيرها فرقتان: فأما من قضى الله بالمغفرة له وترك تعذيبه، فلا محالة ممن تنزل عليه الملائكة بالبشارة، وهو إنما استقام على توحيده فقط، وأما من قضى الله بتعذيبه مرة ثم بإدخاله الجنة، فلا محالة أنه يلقى جميع ذلك عند موته ويعلمه، وليس يصح أن يكون حاله كحالة الكافر اليائس من رحمة الله، وإذ قد كان هذا فقد حصلت له بشارة بأن لا يخاف الخلود ولا يحزن منه وبأنه يصير آخرًا إلى الخلود في الجنة، وهل العصاة المؤمنون إلا تحت الوعد بالجنة، فهم داخلون فيمن يقال لهم: ﴿وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٣٠﴾ ومع

(١) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (سورة فصلت، الآية: ٣٠).

(٢) التفسير البسيط للواحدي (سورة فصلت، الآية: ٣٠).

(٣) رواه أحمد (٢١٥٢٩) وأبو داود (٣١١٦) وحسنه الألباني في «إرواء الغليل» (٦٨٧).

هذا كله فلا يختلف أن الموحد المستقيم على الطاعة أتم حالًا وأكمل بشارة، وهو مقصد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعلى نحو ذلك قال سفيان: ﴿ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾، عملوا بنحو ما قالوا، وقال الربيع: أعرضوا عما سوى الله. وقال الفضيل: زهدوا في الفانية ورغبوا في الباقية، وبالجملة فكلما كان المرء أشد استعدادًا كان أسرع فوزًا بفضل الله تعالى»(١).

❁ قال الإمام ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: «والصديق رضي الله عنه استقى هذا المعنى من آيتين في كتاب الله تعالى.. الآية الأولى: قول الله عن عيسى عليه السلام لقومه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٥١﴾ [آل عمران].

والثانية: ﴿۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١﴾ [يس]»(٢).

❁ قال الإمام ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: «فمن أعرض عن الله بالكلية؛ أعرض الله عنه بالكلية، ومن أعرض الله عنه؛ لزمه الشقاء والبؤس»(٣).

۞ الاسم الواحد والخمسون: ومن أسماء التوحيد «العمل الصالح»:

❁ قال - تعالى -: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر، الآية: ١٠].

---

(١) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (سورة فصلت، الآية: ٣٠).
(٢) مدارج السالكين ٢/ ١٠٤.
(٣) طريق الهجرتين ص٣٦٧.

۞ قال قتادة (ت: ١١٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ﴿وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر، الآية: ١٠]، التوحيد؛ لا يرتفع العمل إلا بالتوحيد»[(١)].

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ يقول: شهادة ألا إلٰه إلا الله ترفع العمل الصالح إلى الله عَزَّ وَجَلَّ في السماء»[(٢)].

۞ قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معنى ﴿يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ أي: يجعله رفيعًا ذا وزن وقيمة، كما يُقال: طود رفيع ومرتفع، وقيل: العمل الصالح هو الخالص، يعني أنّ الإخلاص سبب قبول الخيرات من الأقوال والأعمال، دليله قوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾ [الكهف، الآية: ١١٠]؛ أي: خالصًا ثم قال: ﴿وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف]، فجعل نقيض الصالح الشرك والرياء»[(٣)].

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف].

۞ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾ يقول: فليخلص له العبادة، وليفرد له الربوبية»[(٤)].

۞ قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ أي: يخلص له العمل»[(٥)].

۞ قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا

---

(١) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (سورة فاطر: الآية ١٠).
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة فاطر: الآية ١٠).
(٣) تفسير الثعلبي (سورة فاطر: الآية: ١٠).
(٤) تفسير الطبري (سورة الكهف، الآية: ١١٠).
(٥) تفسير ابن أبي زمنين (سورة الكهف، الآية: ١١٠).

﴿صَٰلِحًا﴾ فليخلص العبادة لله ويعمل بطاعته»[(١)].

⊛ قال الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ خالصًا ﴿وَلَا يُشْرِكْ﴾ ولا يرائي ﴿بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝١١٠﴾ نزلت هذه الآية في النهي عن الرياء بالأعمال»[(٢)].

⊛ قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾: خالصًا، ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝١١٠﴾ أي: ولا يرائي»[(٣)].

قال ـ تعالى ـ: ﴿...رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون].

⊛ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «قوله تعالى: ﴿...رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون، الآية: ٩٩ ـ ١٠٠] «أقول: لا إله إلا الله»[(٤)].

⊛ قال عكرمة (ت: ١٠٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، في قوله: ﴿لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ قال: لعلي أقول لا إله إلا الله»[(٥)].

⊛ قال قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: ما تمنى أن يرجع إلى أهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضي الشهوات، ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله»[(٦)].

---

(١) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (سورة الكهف، الآية: ١١٠).

(٢) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (سورة الكهف، الآية: ١١٠).

(٣) تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي (سورة الكهف، الآية: ١١٠).

(٤) كتاب الأسماء والصفات للبيهقي ١/ ٢٧١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (سورة المؤمنون: الآيات ٩٩ ـ ١٠٠).

(٥) تفسير الدر المنثور للسيوطي (سورة المؤمنون: الآيات ٩٩ ـ ١٠٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة المؤمنون: الآيات ٩٩ ـ ١٠٠).

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿لَعَلِّيٓ﴾ يعني: لكي ﴿أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ من العمل الصالح، يعني: الإيمان»(١).

۞ قال الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا﴾ «أي: أشهد بالتوحيد»(٢).

۞ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ أي: لعلي أن أقول لا إله إلا الله. وقيل: أعمل بطاعة الله»(٣).

۞ قال البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ في الإيمان الذي تركته؛ أي: لعلي آتي الإيمان وأعمل فيه»(٤).

۞ قال ابن جزي (ت: ٧٤١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ قيل: يعني فيما تركت من المال، وقيل: فيما تركت من الإيمان فهو كقوله: ﴿أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ﴾، والمعنى أن الكافر رغب أن يرجع إلى الدنيا ليؤمن ويعمل صالحًا في الإيمان الذي تركه أول مرة»(٥).

۞ قال أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ في الإيمان الذي تركته والمعنى لعلي آتى بما تركته من الإيمان وأعمل فيه

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة المؤمنون، الآيات: ٩٩ ـ ١٠٠).
(٢) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (سورة المؤمنون: الآيات ٩٩ ـ ١٠٠).
(٣) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة المؤمنون، الآيات: ٩٩ ـ ١٠٠).
(٤) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (سورة المؤمنون، الآيات: ٩٩ ـ ١٠٠).
(٥) تفسير التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (سورة المؤمنون، الآيات: ٩٩ ـ ١٠٠).

صالحًا»[1].

۞ قال محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا﴾ أي: أعمل عملًا صالحًا في الدنيا إذا رجعت إليها من الإيمان وما يتبعه من أعمال الخير»[2].

۞ الاسم الثاني والخمسون: ومن أسماء التوحيد «الرشد»:

۞ قال ـ تعالى ـ: ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢﴾ [الجن].

۞ قال علي بن محمد الماوردي (ت: ٤٥٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مراشد الأمور.

الثاني: إلى معرفة الله»[3].

۞ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾ يدعو إلى الصواب من التوحيد والإيمان»[4].

۞ قال العز بن عبد السلام (ت: ٦٣٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿ٱلرُّشۡدِ﴾ مراشد الأمور، أو معرفة الله ـ تعالى ـ»[5].

۞ قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾ أي: إلى

---

(١) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (سورة المؤمنون، الآيات: ٩٩ ـ ١٠٠).

(٢) تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني (سورة المؤمنون، الآيات: ٩٩ ـ ١٠٠).

(٣) تفسير النكت والعيون للماوردي (سورة الجن، الآية: ٢).

(٤) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة الجن، الآية: ٢).

(٥) تفسير العز بن عبد السلام (سورة الجن، الآية: ٢).

مراشد الأمور. وقيل: إلى معرفة الله تعالى»[(١)].

❁ قال البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ إلى الحق والصواب ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ على ما نطقت به الدلائل القاطعة على التوحيد»[(٢)].

❁ قال عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت: ٧١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ يدعو إلى الصواب أو إلى التوحيد والإيمان ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ بالقرآن. ولما كان الإيمان به إيمانًا بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا: ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ من خلقه»[(٣)].

❁ قال علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ أي: يدعو إلى الصواب يعني التوحيد والإيمان»[(٤)].

❁ قال أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾: أي: يدعو إلى الصواب. وقيل: إلى التوحيد والإيمان.

﴿يَهْدِىٓ إِلَى﴾: أي بالقرآن. ولما كان الإيمان به متضمنًا الإيمان بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا: ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾»[(٥)].

❁ قال علي بن يحيى السمرقندي (ت: ٨٨٠ هـ تقريبًا) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ يعني: يدعو إلى الهدى، وهو الإسلام. ويقال: إلى الصواب، والتوحيد، والأمر والنهي. ويقال: يدل على الحق. ﴿فَـَٔامَنَّا

---

(١) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (سورة الجن، الآية: ٢).
(٢) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (سورة الجن، الآية: ٢).
(٣) تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (سورة الجن، الآية: ٢).
(٤) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (سورة الجن، الآية: ٢).
(٥) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (سورة الجن، الآية: ٢).

بِهِۦ﴾ يعني: صدقنا بالقرآن. ويقال: آمنا بالله تعالى. ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ يعني: إبليس، يعني: لن نشرك بعبادته أحدًا من خلقه»[1].

قال أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٨٨٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾. المعنى: يهدي إلى الصواب. وقيل: إلى التوحيد»[2].

قال - تعالى -: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف، الآية: ١٤٦].

قال علي بن محمد الماوردي (ت: ٤٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيه وجهان:

أحدهما: أن الرشد الإيمان، والغي: الكفر.

والثاني: أن الرشد الهداية. والغي: الضلال»[3].

قال العز بن عبد السلام (ت: ٦٣٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ٱلرُّشْدِ﴾ الإيمان، والغي: الكفر، أو الرشد: الهدى، والغي: الضلال»[4].

الاسم الثالث والخمسون: ومن أسماء التوحيد «مقاليد السموات والأرض»:

قال - تعالى -: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٦٣﴾ [الزمر].

قال - تعالى -: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝١٢﴾ [الشورى].

---

(١) تفسير بحر العلوم لعلي بن يحيى السمرقندي (سورة الجن، الآية: ٢).
(٢) تفسير اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (سورة الجن، الآية: ٢).
(٣) تفسير النكت والعيون للماوردي (سورة الأعراف، الآية: ١٤٦).
(٤) تفسير العز بن عبد السلام (سورة الأعراف، الآية: ١٤٦).

۞ عن عثمان بن عفان (ت: ٣٥هـ) رضي الله عنه، أنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فقال: «ما سألني عنها أحد قبلك يا عثمان»، قال: «تفسيرها: لا إلٰه إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله وبحمده، أستغفر الله، ولا قوة إلا بالله، الأول والآخر، والظاهر والباطن، بيده الخير، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير» الحديث...»[1].

۞ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: «هو قول لا إلٰه إلا الله»[2].

۞ قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رحمه الله: «وأقول: هذا هو الحق، ويدل عليه وجوه:

الأول: أنه تعالى بين أنه لو كان في الوجود إلهان لحصل الفساد في العالم، ولاختلت المصالح، قال الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء، الآية: ٢٢]. فثبت أن الشرك سبب لفساد العالم، وأن التوحيد سبب لانتظام العالم. فثبت أن مقاليد السمٰوات والأرض هو قول: لا إلٰه إلا الله.

الثاني: أنا بينا أن الشرك سبب لفساد العالم بدليل قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝٩١﴾ [مريم، الآيات: ٩٠ ـ ٩١]، وإذا كان كذلك كان التوحيد سببًا لعمران العالم.

الثالث: أن أبواب السمٰوات لا تفتح عند الدعاء إلا بقول لا إلٰه

---

(١) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (٧٣) من طريق أبي عن شجاع بن مخلد عن يحيى بن حماد به، وقال الهيثمي في المجمع ١٠/١١٥: «رواه أبو يعلى في الكبير، وفيه الأغلب بن تميم، وهو ضعيف».

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ص٦٨.

إلا الله، وأبواب الجنان لا تنفتح إلا بهذا القول، وأبواب النيران لا تغلق إلا بهذا القول، وباب القلب لا يفتح إلا بهذه الكلمة، وأنواع الوساوس لا تندفع إلا بهذا القول، فكانت هذه الكلمة أشرف مقاليد السمٰوات والأرض، وأعز مفاتيح الأرواح والنفوس والأجسام والعقول»[(١)].

۞ قال عبد الرحمٰن الثعالبي المالكي (ت: ٨٧٥هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «﴿مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فقال: هِيَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، واللهُ أَكْبَرُ، وسُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ يُحْيِي ويُمِيتُ، وَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[(٢)].

۞ الاسم الرابع والخمسون: ومن أسماء التوحيد «البر»:

۞ قال ـ تعالى ـ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة].

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾، يعني صدق بالله بأنه واحد لا شريك له»[(٣)].

۞ قال سفيان الثوري (ت: ١٦١هـ) رَحِمَهُ اللهُ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ الآية، قال: «هذه أنواع البر كلها، وصدق رحمه الله، فإن من اتصف

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي ص٦٨ ـ ٦٩.
(٢) تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي (سورة الشورى، الآية: ١٢).
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة البقرة، الآية: ١٧٧).

بهذه الآية، فقد دخل في عرى الإسلام كلها، وأخذ بمجامع الخير كله، وهو الإيمان بالله وأنه لا إله إلا هو، وصدق بوجود الملائكة الذين هم سفرة بين الله ورسله»(١).

❁ قال أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ بأنه واحد لا شريك له؛ يعني صدق بالله، وبأنه واحد لا شريك له، ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾: وصدق بالبعث الذي فيه جزاء الأعمال، وصدق بالكتب والملائكة والنبيين»(٢).

❁ قال الفخر الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «والإشارة في الآية: أن من كان مشتغلًا بجميع الجوانب والجهات لم يكن صاحب البر، إنما صاحب البر هو الذي يتوجه إلى صاحب الكعبة: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام، الآية: ٧٩]. فقوله: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ إشارة إلى الكثرة والقول بالشركاء، وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ إشارة إلى التوحيد، فصار معناه هو المفهوم من قول «لا إله إلا الله»»(٣).

❁ قال البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ أي: ولكن البر الذي ينبغي أن يهتم به بر من آمن بالله، أو لكن ذا البر من آمن»(٤).

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الله سبحانه يحب أعمال البر فيجازى عليها بالهدى والفلاح ويبغض أعمال الفجور ويجازي عليها

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (سورة البقرة، الآية: ١٧٧).
(٢) تفسير تأويلات أهل السنة للماتريدي (سورة البقرة، الآية: ١٧٧).
(٣) عجائب القرآن للرازي ٦٩ ـ ٧٠.
(٤) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (سورة البقرة، الآية: ١٧٧).

بالضلال والشقاء»(١).

۞ الاسم الخامس والخمسون: ومن أسماء التوحيد «التهليل»(٢):

۞ عن النعمان بن بشير (ت: ٦٥هـ) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما تذكرون من جلال الله التسبيح، والتهليل، والتحميد ينعطفن حول العرش، لهن دوي كدوي النحل، تذكر بصاحبها، أما يحب أحدكم أن يكون له أو لا يزال له من يذكر به؟»(٣).

۞ عن مجاهد (ت: ١٠٤هـ) رحمه الله، عن ابن سخبرة (ت: نيف وستين) رحمه الله قال: غدوت مع عبد الله [ابن مسعود] (ت: ٣٢هـ) رضي الله عنه، من منى إلى عرفة، وكان عبد الله رجلًا آدم، له ضفيران، عليه مسحة أهل البادية، وكان يلبي، فاجتمع عليه غوغاء من غوغاء الناس: يا أعرابي، إن هذا ليس بيوم تلبية، إنما هو تكبير قال: فعند ذلك التفت إلي، وقال: أجهل الناس أم نسوا؟ والذي بعث محمدًا بالحق لقد خرجت مع رسول الله ﷺ من منى إلى عرفة، فما ترك التلبية حتى رمى الجمرة العقبة، إلا أن يخلطها بتهليل أو تكبير»(٤).

۞ عقد ابن المبارك (ت: ١٨١هـ) رحمه الله، في كتاب الزهد بابًا

---

(١) الفوائد ص١٢٩.

(٢) «التهليل: هو قول لا إله إلا الله: يقال: هلل الرجل؛ أي: من الهيللة، من قول: لا إله إلا الله». انظر: المصباح المنير، ولسان العرب، ومختار الصحاح مادة: «هلل».

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٨٣٦٢) (١٨٣٨٨)، وأخرجه ابن ماجه (٣٨٠٩) قال الألباني: صحيح.

(٤) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ٤/ ٢٥٠، (٢٨٠٦) وقال الأعظمي: إسناده حسن.

بعنوان: «في التهليل والحمد والاستغفار والاسترجاع»[(١)].

۞ وعقد أبو بكر بن أبي شيبة (ت: ٢٣٥هـ): في كتاب الأدب بابًا بعنوان «باب التهليل والتسبيح والتحميد حين يأوي إلى فراشه»[(٢)].

۞ وقد بوب الإمام البخاري (ت: ٢٥٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بابًا في صحيحه أسماه: «باب فضل التهليل، في كتاب الدعوات»[(٣)].

۞ وعقد النسائي (ت: ٣٠٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سننه بابًا في كتاب مناسك الحج سماه: «التهليل على الصفا»[(٤)]، كذا في السنن الكبرى في كتاب المساجد بابين أحدهما: «التهليل بعد التسليم»، والآخر: «عدد التهليل والذكر بعد التسليم»»[(٥)]؛ وفي كتاب المناسك باب بعنوان «كم التهليل على الصفا»[(٦)].

۞ وعقد ابن خزيمة (ت: ٣١١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في كتابه صحيح ابن خزيمة في كتاب الصلاة بابًا بعنوان «باب التهليل والثناء على الله بعد السلام»[(٧)].

۞ وعقد الطبراني (ت: ٣٦٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في كتاب الدعاء بابًا بعنوان: «باب فضل الجوامع من التهليل»[(٨)].

وتتبع مثل هذا يطول.

---

(١) الزهد لابن المبارك ـ الملحق: ص٥٠.
(٢) كتاب الأدب لابن أبي شيبة ص٢٦٢.
(٣) صحيح البخاري ٨/ ٨٥.
(٤) سنن النسائي ٥/ ٢٤٠.
(٥) السنن الكبرى للنسائي ٢/ ٩٥؛ ٢/ ٩٦.
(٦) السنن الكبرى للنسائي ٤/ ١٤١.
(٧) صحيح ابن خزيمة ١/ ٣٦٤.
(٨) الدعاء للطبراني ص٤٦٦.

❁ قال الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والتهليل: أن يقول لا إلٰه إلا الله، ومن هذه الجملة ركبت هذه اللفظة كقولهم: التبسمل والبسملة»[(١)].

❁ قال القاضي عياض (ت: ٥٤٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد جاء في الحديث هنا أيضًا: أفضل الذكر التهليل، وأنه أفضل ما قاله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ والنبيون من قبله. وقد قيل: إنه اسم الله الأعظم، وهي كلمة الإخلاص»[(٢)].

❁ قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جميع الطاعات تزول يوم القيامة مثل الصلاة والصيام والحج، فإن التكاليف الظاهرة تزول في عالم الغيب، أما طاعة التهليل والتحميد فلا تزول عنهم، وكيف يمكن زوالها عنهم والقرآن يدل على أنهم مواظبون على الحمد، والمواظبة على الحمد تدل على المواظبة على الذكر والتوحيد. وإنما قلنا: إنهم مواظبون على الحمد لقوله تعالى حكاية عن أهل الجنة: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر، الآية: ٧٤]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [القصص] فثبت أنهم مواظبون على الحمد، والمواظبة على الحمد مواظبة على الذكر، فعلمنا أن جميع العبادات زائلة عن أهل الجنة إلا طاعة الذكر والتوحيد»[(٣)].

❁ قال النووي (ت: ٦٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَظَاهِرُ إِطْلَاقِ الْحَدِيثِ أَنَّهُ

---

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٨٤٣.
(٢) «إكمال المعلم» للقاضي عياض ٨/ ١٩٢.
(٣) عجائب القرآن ص٣٨.

يُحَصِّلُ هَذَا الْأَجْرَ الْمَذْكُورَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَنْ قَالَ هَذَا التَّهْلِيلَ مِائَةَ مَرَّةٍ فِي يَوْمِهِ سَوَاءٌ قَالَهُ مُتَوَالِيَةً، أَوْ مُتَفَرِّقَةً فِي مَجَالِسَ، أَوْ بَعْضَهَا أَوَّلَ النَّهَارِ وَبَعْضَهَا آخِرَهُ.

لَكِنَّ الْأَفْضَلَ: أَنْ يَأْتِيَ بِهَا مُتَوَالِيَةً، فِي أَوَّلِ النَّهَارِ؛ لِيَكُونَ حِرْزًا لَهُ فِي جَمِيعِ نَهَارِهِ»[١].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما «التهليل والتكبير»: فـ«التهليل» يتضمن: اختصاصه بالإلهية وما يستلزم الإلهية، فهذا لا يكون لغيره، بل هو مختص به. و«التكبير» يتضمن: أنه أكبر من كل شيء»[٢].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما التهليل: فيتضمن تخصيصه بالإلهية، ليس هناك أحد يتصف بها حتى يقال إنه أكبر منه فيها؛ بل لا إلٰه إلا الله»[٣].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولهذا قرن هذا في شعار الإسلام الذي هو الأذان بين التكبير والتهليل، فإن التكبير ـ وهو قول «الله أكبر» ـ يمنع كبر غير الله، وقول لا إلٰه إلا الله يوجب التوحيد، وهاتان الكلمتان قرينتان»[٤].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما التهليل فهو قرين التكبير كما في كلمات الأذان: الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إلٰه إلا الله أشهد أن محمدًا رسول الله ثم بعد دعاء العباد إلى الصلاة: الله أكبر الله أكبر لا إلٰه إلا الله فهو مشتمل على التكبير والتشهد أوله وآخره. وهو ذكر لله

---

(١) «شرح النووي على مسلم» ١٧/١٧.
(٢) كتاب قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات لابن تيمية ص٢٣.
(٣) كتاب قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات ص٢٦.
(٤) جامع المسائل ١/ ٢٢٤.

تعالى وفي وسطه دعاء الخلق إلى الصلاة والفلاح. فالصلاة هي العمل. والفلاح هو ثواب العمل لكن جعل التكبير شفعًا والتشهد وترًا فمع كل تكبيرتين شهادة؛ وجعل أوله مضاعفًا على آخره ففي أول الأذان يكبر أربعًا ويتشهد مرتين والشهادتان جميعًا باسم الشهادة وفي آخره التكبير مرتان فقط مع التهليل الذي لم يقترن به لفظ الشهادة ولا الشهادة الأخرى. وهذا والله أعلم بمنزلة الركعتين الأوليين من الصلاة مع الركعتين الأخريين فإن الأوليين فضلتا بقراءة السورة وبالجهر في القراءة فحصل الفضل في قدر القراءة ووصفها كما أن الشطر الأول من الأذان فضل في قدر الذكر وفي وصفه لكن الوصف هنا كون التوحيد قرن به لفظ أشهد؛ ولهذا حذف في الإقامة عند من يختار إيتارها وهي إقامة بلال ـ ما فضل به من القدر كما يخفض من صوت الإقامة لأن هذا المزيد من جنس الأصل فأشبه حذف الركعتين الأخريين في صلاة المسافر. وأما الكلمات الأصول فلم يحذف منها شيء. وهكذا سنة النبي ﷺ في قيام الليل وصلاة الكسوف وغيرهما تطويل أول العبادة على آخرها؛ لأسباب تقتضي ذلك. وكما جمع بين التكبير والتهليل في الأذان جمع بينهما في تكبير الأشراف فكان على الصفا والمروة وإذا علا شرفا في غزوة أو حجة أو عمرة يكبر ثلاثًا. ويقول: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده**»[1]، يفعل ذلك ثلاثا. وهذا في الصحاح وكذلك على الدابة كبر ثلاثًا وهلل ثلاثًا فجمع بين التكبير والتهليل. وكذلك حديث عدي بن حاتم (ت: بين ٦٦ ـ ٦٩هـ) رضي الله عنه الذي رواه أحمد والترمذي فيه أن النبي ﷺ قال له:

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٤٩)، والنسائي (٤٧٩٩)، وابن ماجه (٢٦٢٨).

«يا عدي ما يفرك؟ أيفرك أن يقال: لا إله إلا الله فهل تعلم من لا إله إلا الله؟ يا عدي ما يفرك أيفرك أن يقال: الله أكبر؟ فهل من شيء أكبر من الله»[(١)]، فقرن النبي ﷺ بين التهليل والتكبير.

وفي صحيح مسلم حديث أبي مالك الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال: **«الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو قال تملأ ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو: فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»**[(٢)]، فأخبر أنه يملأ ما بين السماء والأرض وهذا أعظم من ملئه للميزان. وفي الحديث الذي في الموطأ حديث طلحة بن عبد الله بن كريز أن النبي ﷺ قال: **«أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»**[(٣)]. فجمع في هذا الحديث بين «أفضل الدعاء وأفضل الثناء فإن الذكر نوعان: دعاء وثناء فقال: أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة. وأفضل ما قلت هذا الكلام». ولم يقل أفضل ما قلت يوم عرفة هذا الكلام. وإنما هو أفضل ما قلت مطلقًا.

وكذلك في حديث رواه ابن أبي الدنيا **«أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله»**[(٤)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٥٣).

(٢) صحيح مسلم: (٢٢٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٥٠٠)، وأحمد (٦٩٦١)، ومالك في الموطأ (٩٤٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨٤٧٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٠٧٢).

(٤) سنن الترمذي (٣٣٨٣) وحسنه، وابن ماجه (٣٨٠٠)، وابن حبان (٨٤٦)، والحاكم (١٨٣٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٥٩٩)، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي».

وأيضًا ففي الصحيح عن أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة: أعلاها قول لا إلٰه إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»[١]، فقد صرح بأن أعلى شعب الإيمان هي هذه الكلمة. وأيضًا ففي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**يا أبي: أتدري أي آية في كتاب الله أعظم؟**»، قال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة، الآية: ٢٥٥]، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ليهنك العلم أبا المنذر**»، فأخبر في هذا الحديث الصحيح أنها أعظم آية في القرآن وفي ذاك أنها أعلى شعب الإيمان وهذا غاية الفضل فإن الأمر كله مجتمع في القرآن والإيمان فإذا كانت أعظم القرآن وأعلى الإيمان ثبت لها غاية الرجحان. وأيضًا فإن التوحيد أصل الإيمان وهو الكلام الفارق بين أهل الجنة وأهل النار وهو ثمن الجنة ولا يصح إسلام أحد إلا به ومن كان آخر كلامه لا إلٰه إلا الله دخل الجنة وكل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء فمنزلته منزلة الأصل ومنزلة التحميد والتسبيح منزلة الفرع. وأيضًا فإنه مشروع على وجه التعظيم والجهر وعند الأمور العظيمة مثل الأذان الذي ترفع به الأصوات وعند الصعود على الأماكن العالية لما في ذلك من العلو والرفعة ويجهر بالتكبير في الصلوات وهو المشروع في الأعياد»[٢].

الاسم السادس والخمسون: ومن أسماء التوحيد «ذكر الله»:

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف].

عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ

(١) أخرجه البخاري (٩) ومسلم (٣٥) (٥٨) واللفظ له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) مجموع الفتاوى ٢٤/ ٢٣٢ ـ ٢٣٥.

أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ قال: نزلت في أمية بن خلف الجمحي، وذلك أنه دعا النبي ﷺ إلى أمر كرهه من تجرد الفقراء عنه وتقريب صناديد أهل مكة فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾، يعني: من ختمنا على قلبه عن التوحيد»[١].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الذكر ثلاثة أنواع: ذكر الأسماء والصفات ومعانيها، والثناء على الله بها، وتوحيد الله بها، وذكر الأمر والنهي والحلال والحرام، وذكر الآلاء والنعماء والإحسان والأيادي»[٢].

۞ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ أي: شغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا»[٣].

۞ قال محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ أي: جعلناه غافلًا بالختم عليه، نهى رسول الله ﷺ عن طاعة من جعل الله قلبه غافلًا عن ذكره كأولئك الذين طلبوا منه أن ينحي الفقراء عن مجلسه، فإنهم طالبوا تنحية الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه وهم غافلون عن ذكر الله، ومع هذا فهم ممن اتبع هواه وآثره على الحق فاختار الشرك على التوحيد»[٤].

۞ الاسم السابع والخمسون: ومن أسماء التوحيد «الأمانة»:

۞ قال منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي

(١) تفسير ابن أبي حاتم (سورة الكهف، الآية: ٢٨).
(٢) مدارج السالكين ٢/٤٠٣.
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (سورة الكهف، الآية: ٢٨).
(٤) تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني (سورة الكهف، الآية: ٢٨).

السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ⑧﴾ [المعارج]؛ أي: حافظون.

وقيل: أصل الأمانة أن كلمة التوحيد ائتمن الله تعالى المؤمنين عليها»[1].

الاسم الثامن والخمسون: ومن أسماء التوحيد «الكوثر»:

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ①﴾ [الكوثر].

قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال هلال بن يساف (ت: ما بين ٩١هـ إلى ١٠٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: هو قول لا إله إلا الله، محمد رسول الله»[2].

قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال أنس (ت: ٩٠هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وابن عمر (ت: ٧٣هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وجماعة من الصحابة والتابعين: الكوثر: نهر في الجنة، حافتاه قباب من در مجوف وطينه مسك وحصباؤه ياقوت، ونحو هذا من صفاته، وإن اختلفت ألفاظ الرواة، وقال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أيضًا: الكوثر: الخير الكثير.

قال القاضي أبو محمد: كوثر: بناء مبالغة من الكثرة، ولا مجال أن الذي أعطى الله محمدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ من النبوة والحكمة والعلم بربه والفوز برضوانه والشرف على عباده هو أكثر الأشياء وأعظمها كأنه يقول في هذه الآية: إنا أعطيناك الحظ الأعظم، قال سعيد بن جبير (ت: ٩٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: النهر الذي في الجنة هو من الخير الذي أعطاه الله إياه، فنعم ما ذهب

(١) تفسير السمعاني ٦/ ٥٠.
(٢) الكشف والبيان في تفسير القرآن (سورة الكوثر، الآية ١).

إليه ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما، ونعم ما تمم ابن جبير (ت: ٩٥هـ) رحمه الله، وأمر النهر ثابت في الآثار في حديث الإسراء وغيره صلى الله على محمد ونفعنا بما منحنا من الهداية. قال الحسن (ت: ١١٠هـ) رحمه الله: الكوثر، القرآن، وقال أبو بكر بن عياش (ت: ١٩٣هـ) رحمه الله: هو كثرة الأصحاب والأتباع، وقال جعفر الصادق (ت: ١٤٨هـ) رحمه الله: نور في قلبه دله عليه وقطعه عما سواه، وقال أيضًا: هو الشفاعة، وقال هلال بن يساف (ت: ما بين ٩١هـ إلى ١٠٠هـ) رحمه الله: هو التوحيد»[1].



(١) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/٥٢٩.



المبحث الثاني

مكانة التوحيد من الدين عمومًا

المطلب الأول

التوحيد هو الغاية من خلق الإنس والجن

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات].

توحيد الله تعالى هو أعظمُ عملٍ، وأشرف مهمة، وهو السبب الذي خلَق الله سبحانه من أجلِه الإنسَ والجن؛ وفي تفسير الآية الكريمة قال العلماء:

قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قيل: إن هذا خاصٌّ فيمن سبَق في علم الله تعالى أنه يعبُدُه، فجاء بلفظ العموم ومعناه الخصوص، والمعنى: وما خلقتُ أهلَ السعادة من الجن والإنس إلا ليوحِّدون»[1].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوحيد هو الغاية المطلوبة من جميع المقامات، والأعمال والأحوال فغايتها كلها التوحيد، وإنما كلام العلماء والمحققين من أهل السلوك كله لقصد تصحيحه، وهذا بين من أول المقامات إلى آخرها فإنها تشير إلى تصحيحه وتجريده»[2].

---

(١) تفسير القرطبي (الذاريات: ٥٦).

(٢) مدارج السالكين ٣/ ٤٧٧.

❁ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه الغاية، التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه»[(١)].

❁ قال حافظ بن أحمد حكمي (ت: ١٣٧٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار»[(٢)].

❁ قال عبد العزيز بن باز (ت: ١٤٢٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فبيَّن ـ سبحانه ـ الحكمة في خلقهم، وهي أن يعبدوا الله وحده، وأنهم لم يُخلقوا عبثًا ولا سدًى، بل خُلقوا لهذا الأمر العظيم؛ وهو أن يعبدوا الله ـ جل وعلا ـ ولا يشركوا به شيئًا، ويخصُّوه بدعائهم، وخوفهم ورجائهم، وصلاتهم وصومهم، وذبحهم ونذرهم، وغير ذلك»[(٣)].

❁ قال محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واللام في قوله: ﴿لِيَعۡبُدُونِ﴾ للتعليل لكن هذا التعليل تعليل شرعي؛ أي: لأجل أن يعبدوني، حيث أمرهم فيمتثلوا أمره، وليست اللام هنا تعليلًا قدريًّا؛ لأنه لو كان تعليلًا قدريًّا للزم أن يعبده جميع الجن والإنس، لكن اللام هنا لبيان الحكمة الشرعية في خلق الجن والإنس»[(٤)].

---

(١) تفسير السعدي (سورة الذاريات ٥٦).
(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد لحافظ الحكمي. ص٢٢١.
(٣) «بيان معنى كلمة لا إله إلا الله» لفضيلة الشيخ: ابن باز ص٤٥ ـ ٤٦.
(٤) لقاء الباب المفتوح ٣/١٥٥، وكتاب القول المفيد على كتاب التوحيد ١/٢٥.

المطلب الثاني

التوحيد أصل الدين وأول ما دعت إليه الرسل

۞ قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل (ت: ١٨هـ) رضي الله عنه: «**إنك تقدم على قومٍ من أهل الكتاب، فليكن أوَّل ما تدعوهم إليه أن يوحِّدوا الله ـ تعالى ـ . .**»[(١)].

۞ قال ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ) رحمه الله: «قوله: «**ستأتي قومًا أهل كتاب**» هي كالتوطئة للوصية لتستجمع همته عليها؛ لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة، فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجُهَّال من عَبَدَة الأوثان، وليس فيه أن جميع مَنْ يقدم عليهم من أهل الكتاب، بل يجوز أن يكون فيهم من غيرهم، وإنما خصَّهم بالذكر تفضيلًا لهم على غيرهم، قوله: «**فإذا جئتهم**» قيل: عبر بلفظ (إذا) تفاؤلًا بحصول الوصول إليهم، قوله: «**فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله**»، كذا للأكثر وقد تقدَّم في أوَّل الزكاة بلفظ: «**وأنِّي رسول الله**»، كذا في رواية زكريا بن إسحاق لم يختلف عليه فيها، وأمَّا إسماعيل بن أمية ففي رواية روح بن القاسم عنه: «**فأوَّل ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله . . .**»، وفي رواية الفضل بن العلاء عنه: «**إلى أن يوحدوا الله، فإذا عرفوا ذلك . . .**»، ويجمع بينها بأن المراد بعبادة الله توحيده، وبتوحيده الشهادة له بذلك ولنبيه بالرسالة، ووقعت البداءة بهما؛ لأنهما أصل الدين الذي لا يصحُّ شيءٌ غيرهما إلا بهما، فمَن كان منهم غير موحِّد فالمطالبة متوجِّهة إليه بكل واحدة من الشهادتين على التعيين، ومَن

---

(١) رواه البخاري: (٧٣٧٢/كتاب التوحيد/باب: ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله).

كان موحِّدًا فالمطالبة له بالجمع بين الإقرار بالوحدانية والإقرار بالرسالة وإن كانوا يعتقدون ما يقتضي الإشراك أو يستلزمه؛ كمَن يقول ببنوَّة عزير، أو يعتقد التشبيه، فتكون مطالبتهم بالتوحيد لنفي ما يلزم من عقائدهم»[(١)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والقرآن مملوء من ذكر وصف الله بأنه أحد وواحد ومن ذكر أن إلهكم واحد ومن ذكر أنه لا إلٰه إلا الله ونحو ذلك. فلا بد أن يكون الصحابة يعرفون ذلك فإن معرفته أصل الدين وهو أول ما دعا الرسول ﷺ إليه الخلق، وهو أول ما يقاتلهم عليه، وهو أول ما أمر رسله أن يأمروا الناس به وقد تواتر عنه أنه أول ما دعا الخلق إلى أن يقولوا: لا إلٰه إلا الله ولما أمر بالجهاد بعد الهجرة قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلٰه إلا الله وأني رسول الله**»[(٢)]، وفي الصحيحين «**أنه لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك فأعلمهم أن الله تعالى قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة فإن هم أطاعوا لك بذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»[(٣)].

فقال لمعاذ: ليكن أول ما تدعوهم إليه التوحيد ومع هذا كانوا من أهل الكتاب كانوا يهودًا، فإن اليهود كانوا كثيرين بأرض اليمن وهذا

---

(١) «فتح الباري شرح صحيح البخاري»؛ لابن حجر ٣/٣٥٨.

(٢) رواه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ٤/٣٧٨، ح٧٣٧٢.

الذي أمر به معاذًا موافق لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ﴾ [التوبة، الآية: ٥]، وفي الآية الأخرى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ﴾ [التوبة، الآية: ١١]. وهذا مطابق لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة]. وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «**الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»[(١)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «التوحيد الذي هو أصل الإسلام، وهو دين الله الذي بعث به جميع رسله، وله خلق الخلق، وهو حقه على عباده: أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئًا»[(٢)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): «التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه الذي لا يقبل الله عملًا إلا به ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه وكما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء]، ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام، وأعظمه فأعظم آية في القرآن آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ﴾ [البقرة، الآية: ٢٥٥]. وقال ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»[(٣)]»[(٤)].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٧/٣٥٣ ـ ٣٥٥.
(٢) ينظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» ٤/١٣٣.
(٣) رواه أحمد (٢١٥٢٩)، وأبو داود (٣١١٦)، وحسنه الألباني في «إرواء الغليل» (٦٨٧).
(٤) مجموع الفتاوى ٣/٤٠٠.

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): «و«أصل الإسلام»: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. فمن طلب بعباداته الرياء والسمعة فلم يحقق شهادة أن لا إله إلا الله ومن خرج عما أمره به الرسول من الشريعة وتعبد بالبدعة فلم يحقق شهادة أن محمدًا رسول الله. وإنما يحقق هذين «الأصلين» من لم يعبد إلا الله ولم يخرج عن شريعة رسول الله ﷺ التي بلغها عن الله فإنه قال: «**تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك**»[1]، وقال: «**ما تركت من شيء يقربكم إلى الجنة إلا قد حدثتكم به ولا من شيء يبعدكم عن النار إلا وقد حدثتكم به**»[2]، وقال ابن مسعود (ت: ٣٢هـ) رضي الله عنه: «خط لنا رسول الله ﷺ خطًّا وخط خطوطًا عن يمينه وشماله ثم قال: «**هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**»، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام، الآية: ١٥٣]»[3]»[4].

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رحمه الله: «قوله سبحانه: ﴿فَٱعۡبُدۡنِي﴾ يعني: فوحدني، فإنه ليس معي إله»[5].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «وعبادة الله وحده: هي أصل الدين وهو التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب فقال

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (١٧١٤٤) باختلاف يسير.
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٥٤٧٣)، والحاكم (٢١٣٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٣٧٦) باختلاف يسير.
(٣) أخرجه أحمد (٤١٤٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١١٧٤)، والدارمي (٢٠٢) باختلاف يسير.
(٤) مجموع الفتاوى (١١/٦١٧ ـ ٦١٨).
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة طه، الآية: ١٤).

ـ تعالى ـ: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل، الآية: ٣٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء]»[(١)].

۞ قال ابن تيمية: (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا الأصل وهو التوحيد هو أصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين دينًا غيره وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل، الآية: ٣٦]»[(٢)].

۞ وقال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «محبة الله سبحانه والأنس به، والشوق إلى لقائه، والرضا به وعنه: أصل الدين، وأصل أعماله وإرادته، كما أن معرفته والعلم بأسمائه وصفاته وأفعاله أجل علوم الدين كلها. فمعرفته أجل المعارف، وإرادة وجهه أجل المقاصد، وعبادته أشرف الأعمال، والثناء عليه بأسمائه وصفاته ومدحه وتمجيده أشرف الأقوال، وذلك أساس الحنيفية ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقد قال ـ تعالى ـ لرسوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل].

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ٣٩٧.
(٢) انظر: «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» ١/ ٣٦٥ ـ ٣٦٧.

وكان النبي ﷺ يوصي أصحابه إذا أصبحوا أن يقولوا: «**أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد، وملة أبينا إبراهيم حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين**»(١).

وذلك هو حقيقة شهادة أن لا إلٰه إلا الله، وعليها قام دين الإسلام الذي هو دين جميع الأنبياء والمرسلين، وليس لله دين سواه ولا يقبل من أحد دينًا غيره»(٢).

❁ قال أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال ـ تعالى وتقدس ـ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه، الآية: ١٤]. فذكر العبادة عقيب التوحيد، لأن التوحيد هو الأصل، والعبادة فرعه»(٣).

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «والإيمان به أصل الإيمان بما عداه»(٤).

❁ قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوحيد هو الأمر الذي لا يقوم بناء إلا عليه»(٥).

---

(١) رواه الطبراني في الدعاء (٢٩٤) من حديث عبد الرحمٰن بن أبزى رضي الله عنه، ورواه ابن أبي شيبة ٥/ ٣٢٤، وأحمد (٣/ ٤٠٦، ٤٠٧)، والدارمي (٢٦٨٨)، والنسائي في الكبرى (٩٨٢٩ ـ ٩٨٣١، ١٠١٧٥، ١٠١٧٦) وغيرهم عن عبد الرحمٰن بن أبزى أن النبي ﷺ كان يقول ذلك، وفي إسناده اختلاف، قال الهيثمي في المجمع ١٠/ ١٥٦: «رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح»، وصححه النووي في الأذكار (٢٢٥)، والعراقي في تخريج الإحياء (١١٥٠)، وحسنه ابن حجر في نتائج الأفكار ٢/ ٤٠١، وهو في السلسلة الصحيحة (٢٩٨٩). وفي الباب عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) إغاثة اللهفان ٢/ ٩٤٤.

(٣) البحر المحيط في التفسير ١/ ٤٤.

(٤) الصواعق المرسلة ١/ ٣٦٥.

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤/ ١٩٦.

۞ قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «والتوحيد هو الأساس الذي لا تصح عبادة إلا به، وتحقيقه هو العلم الذي لا علم يعدله»[(١)].

۞ قال حافظ بن أحمد حكمي (ت: ١٣٧٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهي أصل الدين وأساسه ورأس أمره وساق شجرته وعمود فسطاطه، وبقية أركان الدين وفرائضه متفرعة عنها، ومتشعبة منها مكملات لها مقيدة بالتزام معناها والعمل بمقتضاها»[(٢)].

۞ قال عبد العزيز بن باز (ت: ١٤٢٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوحيد هو أصل دين الإسلام وهو أساس الملة وهو رأس الأمر وهو أهم الفرائض وهو الحكمة في خلق الثقلين والحكمة في إرسال الرسل جميعًا ـ عليهم الصلاة والسلام»[(٣)].

المطلب الثالث

التوحيد هو الأساس الذي قام عليه دين الإسلام

دعا النبي ﷺ للتوحيد في مكة ثلاث عشرة سنة قبل الهجرة وفي المدينة إلى أن توفاه الله تعالى.

۞ فعن ربيعة بن عباد الدؤلي (ت: في حدود ٩٠هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: رأيت رسول الله في الجاهلية بسوق ذي المجاز وهو يقول: «**يا أيها الناس،**

---

(١) تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (سورة الزخرف، الآية: ٨٦).
(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد لحافظ الحكمي. ص٢٢١.
(٣) إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله أو صدق الكهنة والعرافين ص٤٧.

قولوا لا إلٰه إلا الله تفلحوا»[(١)].

❁ وعن جندب بن عبد الله (ت: ٧٠ هـ تقريبًا) رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: «**ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك**»[(٢)].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «هذه الكلمة هي: أساس الدين»[(٣)].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله في فضل كلمة التوحيد: «هي الكلمة التي قامت بها الأرض والسمٰوات وفطر الله عليها جميع المخلوقات، وعليها أسست الملة، ونصبت القبلة، وجردت سيوف الجهاد، وهي محض حق الله على جميع العباد، وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار، وهي المنشور الذي لا يدخل أحد الجنة إلا به، والحبل الذي لا يصل إلى الله إلا من يتعلق بسببه، وهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وبها انقسم الناس إلى شقي وسعيد ومقبول وطريد، وبها انفصلت دار الكفر من دار الإسلام، وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان، وهي العمود الحامل للفرض والسنة»[(٤)].

فالإيمان بالله هو أساس كل خير، ومصدر كل هداية، وسبب كل فلاح، ذلك لأن الإنسان لما كان مخلوقًا مربوبًا عاد في علمه وعمله إلى

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣٩).
(٢) رواه مسلم (١١٨٨).
(٣) قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات لابن تيمية ص٢٦.
(٤) الجواب الكافي ص١٧٠.

خالقه وباريه فبه يهتدي، وله يعمل، وإليه يصير، فلا غنى له عنه، وانصرافه إلى غيره هو عين هلاكه وفساده، والإنسان له بالله عن كل شيء عوض، وليس لكل شيء عن الله عوض، فليس للعبد صلاح ولا فلاح إلا بمعرفة ربه وعبادته، فإذا حصل له ذلك فهو الغاية المرادة له والتي خلق من أجلها، فما سوى ذلك إما فضل نافع، أو فضول غير نافعة، أو فضول ضارة، ولهذا صارت دعوة الرسل لأممهم إلى الإيمان بالله وعبادته، فكل رسول يبدأ دعوته بذلك كما يعلم من تتبع دعوات الرسل في القرآن.

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «من أَرَادَ علو بُنْيَانه فَعَلَيهِ بتوثيق أساسه وإحكامه وَشدَّة الاعتناء بِهِ، فَإِن علو الْبُنيان على قدر تَوْثِيق الأساس وإحكامه، فالأعمال والدرجات بُنيان وأساسها الْإِيمَان وَمَتى كَانَ الأساس وثيقًا حمل الْبُنيان واعتلى عَلَيْهِ»[(١)].

۞ وقال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوحيد هو الأساس الذي ينبني عليه كل خير، والمنتهى الذي هو غاية السير، والعالي على كل غير»[(٢)].

المطلب الرابع

كلمة التوحيد هي الكلمة التي قامت بها الأرض والسموات

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ عن كلمة التوحيد: «هي الكلمة التي قامت بها الأرض والسمٰوات»[(٣)].

(١) الفوائد ص١٥٥.
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١/ ٥٧.
(٣) الجواب الكافي ص١٧٠.

المطلب الخامس

التوحيد رأس الأمر

۞ عن معاذ بن جبل (ت: ١٨هـ) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رَأْسُ الأَمْرِ: الإِسْلامُ، وَعَمُودُهُ: الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله»[(١)].

۞ قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) رحمه الله: «التوحيد والكفر هما رأس الأمرين»[(٢)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «وكان التوحيد بقول: لا إلٰه إلا الله؛ رأس الأمر»[(٣)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: «وكان توحيد الإلهية رأس الأمر»[(٤)].

۞ قال عبد العزيز بن باز (ت: ١٤٢٠هـ) رحمه الله: «التوحيد هو أصل دين الإسلام وهو أساس الملة وهو رأس الأمر»[(٥)].

۞ قال عبد الرحمن بن قاسم (ت: ١٣٩٢هـ) رحمه الله: «(رأس الأمر)،

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب: الفتن، برقم (٣٩٧٣)؛ والترمذي في كتاب: الإيمان، برقم (٢٦١٦)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»؛ وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، برقم (٢٤٠٨)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(٢) تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) ١/٤٨٦.

(٣) مجموع الفتاوى ١/٢٣.

(٤) إغاثة اللهفان ١/٤٥.

(٥) إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله أو صدق الكهنة والعرافين ص٤٧.

والأمر هو الدين، يعني: رأس الدين الذي جاء به النبي ﷺ هو (الإسلام): الذي هو: معنى لا إلٰه إلا الله، المتضمن للكفر بالطاغوت، والإيمان بالله»[١].

۞ قال صالح بن فوزان الفوزان ـ حفظه الله ـ: «وهذا معنى لا إلٰه إلا الله يعني الكفر بالطاغوت والإيمان بالله. الإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك وأهله، هذا هو رأس أمر الدين، الشهادتان هما رأس الإسلام وهما أصل الإسلام، فلا يدخل الإنسان في الإسلام إلا إذا أتى بالشهادتين نطقًا وعلمًا وعملًا واعتقادًا، لا يكون الإنسان مسلمًا إلا بذلك»[٢].

المطلب السادس

التوحيد هو أس الإيمان

۞ قال محمد بن أحمد السفاريني (ت: ١١٨٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كلمة الإخلاص، وهي لا إلٰه إلا الله وهي أس الإيمان»[٣].

المطلب السابع

التوحيد رأس أعمال الدين

۞ قال الخطابي (ت: ٣٨٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يصح عمل من الأعمال

---

(١) حاشية ثلاثة الأصول، عبد الرحمٰن بن قاسم ص١٠٠، وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول د. عبد المحسن القاسم ص٢٠٨.
(٢) شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان ص٣٠٩.
(٣) لوائح الأنوار السنية ولوائح الأفكار السنية ٢/ ٢٠٠.

الدينية أقوالها وأفعالها إلا بنية دخل فيها التوحيد الذي هو رأس أعمال الدين فلا يصح القول بالتوحيد إلا بمعرفة وقصد إخلاص فيه، وكذلك سائر أعمال الدين، من الصلاة والزكاة والصيام والوضوء بالماء والتيمم بالتراب»[(١)].

المطلب الثامن

التوحيد أول واجبات الشريعة

❁ عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما أن النبي ﷺ بعث معاذًا إلى اليمن فقال: «**ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله عز وجل افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم**»[(٢)].

❁ قال الخطابي (ت: ٣٨٨هـ) رحمه الله: «في هذا الحديث من العلم أنه رتب واجبات الشريعة، فقدم كلمة التوحيد، ثم أتبعها فرائض الصلاة لأوقاتها، وأخر ذكر الصدقة لأنها إنما تجب على قوم من الناس دون آخرين، وإنما تلزم بمضي الحول على المال واستكمال النصاب»[(٣)].

❁ قال علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال (ت: ٤٤٩هـ) رحمه الله: «قرن الله التقى ونفى الإشراك به تعالى بإقامة الصلاة، فهي أعظم دعائم الإسلام بعد التوحيد، وأقرب الوسائل إلى الله تعالى، ومفهوم هذه الآية

---

(١) معالم السنن للخطابي ١/ ٢١.

(٢) رواه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩) بلفظ: «فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله». من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) للخطابي ١/ ٧٢٦.

يدل أنه من لم يقم الصلاة فهو مشرك، ولذلك قال عمر: «ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة»(١)(٢).

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أعمال القلوبِ كمحبةِ اللَّه ورسولِهِ والتوكُّلِ على اللهِ وَإخلاصِ الدينِ له والخوف منه والرجاء له وما يتبع ذلك واجِب على جميعِ الخلْقِ مأْمورون به بِاتِّفَاقِ أَئِمَّةِ الدِّينِ لَا يَكُونُ تَرْكهَا مَحْمُودًا فِي حالِ أَحد وإن ارتقى مقامه»(٣).

المطلب التاسع

التوحيد أول الدين وآخره وظاهره وباطنه

۞ عن معاذ (ت: ١٨هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال ﷺ: «فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله»(٤).

۞ قال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت: ٨١٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والدين ورد في القرآن بمعنى التوحيد والشهادة ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران، الآية: ١٩]، ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر، الآية: ٣]، ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [آل عمران، الآية: ٨٣]؛ أي: التوحيد وله نظائر»(٥).

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٨٢)، وعبد الرزاق في مصنفه (٥٥٥ ـ ٥٥٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨٢٥٧)، وأحمد في الزهد (٦٦٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦٤٩٩).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٢/ ١٥٢.

(٣) الآداب الشرعية ٢/ ٢٧٧.

(٤) رواه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩) بلفظ: «فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله». من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٢/ ٦١٧.

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «أول الدين وآخره وظاهره وباطنه هو التوحيد وإخلاص الدين كله لله هو تحقيق قول لا إله إلا الله»[١].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «أصول الإيمان» وأعلاها وأفضلها هو «التوحيد» وهو شهادة أن لا إله إلا الله، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل، الآية: ٣٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ [الشورى، الآية: ١٣]»[٢].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «التوحيد كثير في القرآن، وهو أول الدين وآخره، وباطن الدين وظاهره»[٣].

❁ قال ابن المنذر (ت: ٣١٨هـ) رحمه الله: «أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم على أن الكافر إذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وأن كل ما جاء به محمد حق، وأبرأ من كل دين خالف دين الإسلام، وهو بالغ صحيح العقل أنه مسلم، فإن رجع بعد ذلك فأظهر الكفر كان مرتدًا، يجب عليه ما يجب على المرتد»[٤].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: «مقام التوحيد أولى المقامات

(١) مجموع الفتاوى ١٥/ ٢٦٤، الفتاوى الكبرى ٥/ ٢٣٧.
(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ٣٦٥.
(٣) منهاج السنة ٥/ ٣٤٩.
(٤) الأوسط ص٧٣٥.

أن يبدأ به، كما أنه أول دعوة الرسل كلهم، قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل (ت: ١٨هـ) رضي الله عنه، حين بعثه إلى اليمن «**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إلٰه إلا الله**»، وفي رواية: «**إلى أن يعرفوا الله**»، ولأنه لا يصح مقام من المقامات، ولا حال من الأحوال إلا به، فلا وجه لجعله آخر المقامات، وهو مفتاح دعوة الرسل، وأول فرض فرضه الله على العباد، وما عدا هذا من الأقوال فخطأ، كقول من يقول: أول الفروض النظر، أو القصد إلى النظر، أو المعرفة، أو الشك الذي يوجب النظر. وكل هذه الأقوال خطأ»[(١)].

❁ قال مُحمد بنُ عبد الوهّاب (ت: ١٢٠٦هـ) رحمه الله: «فأهمُّ مَا عَليكَ: مَعرفةُ التوحِيد، قَبل مَعرفة العِبَادَاتِ كلِّها، حتىٰ الصَّلاة»[(٢)].

المطلب العاشر

التوحيد أول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: «التوحيد أول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى»[(٣)].

❁ قال ابن أبي العز (ت: ٧٩٢هـ) رحمه الله: «اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل»[(٤)].

---

(١) مدارج السالكين ١/ ١٥٤.
(٢) الدُّرَرُ السنيَّة فِي الأَجوبةِ النَّجدِيَّة ١/ ١٠٧.
(٣) مدارج السالكين ٣/ ٤١١.
(٤) شرح العقيدة الطّحاويّة لابن أبي العزّ الحنفيّ: ٧٧ ـ ٧٨.

❁ قال ابن القيم (٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولما كان كمال الإرادة بحسب كمال مرادها، وشرف العلم تابعًا لشرف معلومه، كانت نهاية سعادة العبد الذي لا سعادة له بدونها، ولا حياة له إلا بها؛ أن تكون إرادته متعلقة بالمراد الذي لا يبلى ولا يفوت، وعزمات همته مسافرة إلى حضرة الحي الذي لا يموت، ولا سبيل له إلى هذا المطلب الأسنى، والحظ الأوفى؛ إلا بالعلم الموروث عن عبده ورسوله وخليله وحبيبه الذي بعثه لذلك داعيًا، وأقامه على هذا الطريق هاديًا، وجعله واسطة بينه وبين الأنام، وداعيا لهم بإذنه إلى دار السلام، وأبى سبحانه أن يفتح لأحد منهم إلا على يديه، أو يقبل من أحد منهم سعيًا إلا أن يكون مبتدئًا منه، ومنتهيًا إليه ﷺ»[1].

المطلب الحادي عشر

كلمة التوحيد هي الأعلى

❁ قال - تعالى -: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٤٠﴾ [التوبة].

عن أبي موسى الأشعري (ت: ٤٤هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حَمِيَّة، ويقاتل رياء؛ أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»[2].

عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «قوله: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٥٩.

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٨١٠)، وصحيح مسلم برقم (١٩٠٤).

كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ﴾، وهي: الشرك بالله ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾، وهي: لا إله إلا الله»(١).

قال السيوطي (ت: ٩١١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأخرج ابن المنذر (ت: ٣١٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والبيهقي (ت: ٤٥٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأسماء والصفات، عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قوله: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ﴾ قال: هي الشرك ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ قال: لا إله إلا الله. وأخرج أبو الشيخ (ت: ٣٦٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن الضحاك بن مزاحم (ت: ١٠٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ مثله»(٢).

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، وهي كلمة الشرك ﴿ٱلسُّفْلَىٰ﴾، لأنها قُهِرَت وأذِلَّت، وأبطلها الله تعالى، ومحق أهلها، وكل مقهور ومغلوب فهو أسفل من الغالب، والغالب هو الأعلى ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾، يقول: ودين الله وتوحيده وقولُ لا إله إلا الله، وهي كلمتُه (العليا)، على الشرك وأهله، الغالبةُ»(٣).

وقال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، يعني دعوة الشرك ﴿ٱلسُّفْلَىٰ﴾، ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾، يعنى دعوة الإخلاص، ﴿هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ يعني: العالية، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه، ﴿حَكِيمٌ ۝٤٠﴾ حكم إطفاء دعوة المشركين، وإظهار

---

(١) تفسير الطبري (سورة التوبة، الآية: ٤٠)، وانظر تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة التوبة، الآية: ٤٠).
(٢) تفسير الدر المنثور (سورة التوبة، الآية: ٤٠).
(٣) تفسير الطبري (سورة التوبة، الآية: ٤٠).

التوحيد»[١].

۞ وقال يحيى بن زياد الفراء (ت: ٢٠٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و﴿كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الشرك بالله، ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ قول: (لا إله إلا الله)»[٢].

المطلب الثاني عشر

كلمة التوحيد أعلى شعب الإيمان

قال - تعالى -: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى].

۞ عن أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**» متفق عليه[٣].

وفي لفظ آخرَ عند أحمد: «**أرفعها وأعلاها قول: لا إله إلا الله**»[٤].

فتوحيدُ اللهِ وعَدَمُ الإشراكِ به هو مَبدأُ الإيمانِ ومُنتَهاهُ، وما كان سِواهُ مِن أعمالٍ فهو مِن مُكَمِّلاتِ الإيمانِ.

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ يقول سبحانه: نزه اسم ربك الأعلى، يقول: نزهه من الشرك

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة التوبة، الآية: ٤٠).
(٢) معاني القرآن للفراء (سورة التوبة، الآية: ٤٠).
(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، برقم (٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، برقم (٣٥)، واللفظ له.
(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٣٧٩، برقم (٨٩٢٦).

بشهادة أن لا إله إلا الله، فذلك قوله: «﴿الْأَعْلَى ①﴾»[١].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «والعلمُ الأعلى، هو العلمُ بالأعلى»[٢].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا بخلاف العلم الأعلى عند المسلمين فإنه العلم بالله، الذي هو في نفسه أعلى من غيره من كل وجه، والعلم به أعلى العلوم من كل وجه، والعلم به أصل لكل علم»[٣].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنما العلم الأعلى هو العلم بالله، والله هو الأعلى على كل شيء من كل وجه، كما قال سبحانه: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ①﴾ [الأعلى]، فالعلم به أعلى العلوم، وإرادة وجهه أفضل الإرادات، ومحبته أفضل المحبات»[٤].

المطلب الثالث عشر

الإيمان بالله الذي هو التوحيد هو خير العمل

❁ قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «جميع الأعمال كلها هو أولًا وقبل كل شيء الإيمان بالله، وذلك أنه ﷺ سئل: أي الأعمال أفضل يا رسول الله؟

قال: «إيمان بالله».

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة الأعلى، الآية: ١).
(٢) جامع الرسائل ٢/ ٦٨٥.
(٣) الرد على المنطقيين ص١١١.
(٤) الرد على الشاذلي في حزبيه وما صنفه في آداب الطريق ١/ ٢٤٢.

قيل: ثم ماذا؟

فقال مرة: «**الجهاد في سبيل الله**»(١)

وقال مرة: «**الصلاة على أول وقتها**»(٢).

وقال مرة: «**بر الوالدين**»، وفي كل مرة يقدم إيمانًا بالله.

فعليه الإيمان بالله هو خير العمل، وليست الصلاة، ثم بعد الإيمان بالله فهو بحسب حال السائل وحالة كل شخص، فمن كان قويًّا وليس عليه حق لوالديه، فالجهاد أفضل الأعمال في حقه مع الحفاظ على الصلاة، فإن كان ذا والدين، فبرهما مقدم على كل عمل، ولم لا! فإن الصلاة على أول وقتها لغير هؤلاء، فإطلاق القول بالصلاة خير العمل في حق جميع الناس لا يصح مع هذه الأحاديث، ولهذا منع رسول الله ﷺ بلالًا أن يقولها، وجعلها: خيرًا من النوم، وهذا لا نزاع فيه ولا بالنسبة لأي أحد من الناس، والله تعالى أعلم»(٣).

المطلب الرابع عشر

التوحيد أفضل الأعمال

❁ عن أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمانُ بضْعٌ وسَبْعُونَ، أوْ بضْعٌ وسِتُّونَ شُعْبَةً، فأفْضَلُها قَوْلُ لا إلَهَ**

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٥١٩)، وأخرجه مسلم برقم (٨٣).

(٢) أخرجه البخاري برقمك (٥٢٧)، وأخرجه مسلم برقم (٨٥) باختلاف يسير من حديث عبد الله بن مسعود قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة على وقتها**»، قال: ثم أي؟ قال: «**ثم بر الوالدين**»، قال: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»، قال: حدثني بهن، ولو استزدته لزادني.

(٣) أضواء البيان ٨/ ١٥٧.

إِلَّا اللهُ، وأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، والْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ»[١].

۞ عن أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ أو أي الأعمال خير؟ قال: «**إيمان بالله ورسوله**»، قيل: ثم أي؟ قال: «**الجهاد سنام العمل**»، قيل: ثم أي؟ قال: «**ثم حج مبرور**»[٢].

۞ عن أبي ذر (ت: ٣٠ أو ٣١هـ) رضي الله عنه «سألت النبي ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: «**إيمان بالله، وجهاد في سبيله**» الحديث..»[٣].

۞ عبد الله بن المقفع (ت: ١٤٢هـ): «الدين أفضل المواهب التي وصلت من الله إلى خلقه، وأعظمها منفعة، وأحمدها في كل حكمة، فقد بلغ فضل الدين والحكمة أن مدحا على ألسنة الجهال، على جهالتهم بهما وعماهم عنهما»[٤].

۞ قال علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال (ت: ٤٤٩هـ) رحمه الله: «معنى قوله: إنها تعدل ثلث القرآن أن الله جعل القرآن ثلاثة أجزاء: **أحدها**: القصص والعبر والأمثال، **والثاني**: الأمر والنهي والثواب والعقاب، **والثالث**: التوحيد والإخلاص، وتضمنت هذه السورة صفة توحيده تعالى وتنزيهه عن الصاحبة والوالد والولد، فجعل لقارئها من الثواب كثواب من قرأ ثلث القرآن»[٥].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٥).
(٢) أخرجه البخاري برقم (١٥١٩)، وأخرجه مسلم برقم (٨٣).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٥١٨).
(٤) كتاب الأدب الصغير والأدب الكبير ص٣٣.
(٥) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٠/٢٥١.

۞ قال العز بن عبد السلام (ت: ٦٣٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد صرح عليه السلام بأنه أفضل الأعمال، لما قيل له: أي الأعمال أفضل؟ فقال: «**إيمان بالله**»[(١)].

۞ قال العز بن عبد السلام (ت: ٦٣٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوحيد وصفات الإله؛ فإن معرفة ذلك من أفضل المقاصد والتوسل إليه من أفضل الوسائل»[(٢)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا إله إلا الله أفضل الكلمات؛ كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة ـ أو ستون ـ أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»[(٣)]»[(٤)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالعلوم بعضها أفضل من بعض فالعلم بالله أفضل من العلم بخلقه، ولهذا كانت آية الكرسي أفضل آية في القرآن؛ لأنها صفة الله تعالى. وكانت: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص، الآية: ١]، تعدل ثلث القرآن؛ لأن القرآن «ثلاثة أثلاث: ثلث توحيد، وثلث قصص، وثلث أمر ونهي. وثلث التوحيد أفضل من غيره»[(٥)].

المطلب الخامس عشر

التوحيد أول العمل

۞ عن عبد الله بن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل (ت: ١٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين بعثه إلى اليمن: «**إنك ستأتي قومًا**

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١/ ٣٤ ـ ٣٥.
(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١/ ١٢٤.
(٣) أخرجه البخاري (٩) ومسلم (٣٥) (٥٨) واللفظ له من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٤) كتاب قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات ص٢٧.
(٥) مجموع الفتاوى ٩/ ٣٠٦.

أهل كتاب، فإذا جئتهم، فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»(١).

❁ قال الخطابي (ت: ٣٨٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضعة وسبعون بابًا، أفضلها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»(٢).

وحدثنا إسماعيل بن محمد الصفار قال: حدثنا الحسن بن مكرم قال: حدثنا علي بن عاصم قال: حدثنا سهيل، عن عبد الله بن دينار، حدثني أبوك ـ أبو صالح ـ عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ مثله، إلا أنه قال: «أولها لا إله إلا الله». فقد ثبت برواية سليمان بن بلال التي اعتمدها أبو عبد الله، ثم بمشايعة سهيل إياه في روايته أن الإيمان اسم ينشعب إلى أمور ذات عدد، جماعها الطاعة، ولهذا (صار) من صار من العلماء إلى أن الناس متفاضلون في درج الإيمان، وإن كانوا متساوين في اسمه، وكان بدء الإيمان كلمة الشهادة، وأقام رسول الله ﷺ بضع عشرة سنة يدعو الناس إليها، ويسمى من أجابه إلى ذلك مؤمنًا إلى أن نزلت الفرائض بعد، وبهذا الاسم خوطبوا عند إيجابها عليهم. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ وقال:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ٤/٣٧٨، ح٧٣٧٢.

(٢) مسند أحمد ٢/٤٤٥/٩٧٥٥، سنن ابن ماجه ١/٢٢، سنن الترمذي ٤/١٢٣.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾ وهذا الحكم مستمر في كل اسم»[١].

المطلب السادس عشر

التوحيد جماع الدين

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوحيد جماع الدين، والله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء»[٢].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوحيد هو جماع الدين الذي هو أصله وفرعه ولبُّه، وهو الخير كله، والاستغفار يزيل الشر كله، فيحصل من هذين جميع الخير وزوال جميع الشر. وكل ما يصيب المؤمن من الشر فإنما هو بذنوبه»[٣].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذان الأصلان جماع الدين: أن لا نعبد إلا الله، وأن نعبده بما شرع، لا نعبده بالبدع.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف].

وكان عمر بن الخطّاب (ت: ٢٣هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول في دعائه: «اللّهم اجعل عملي كله صالحًا، واجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه شيئًا»[٤].

---

(١) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) للخطابي ١/ ١٤٢ ـ ١٤٣.
(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٢١٢، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ١/ ١٠٧.
(٣) جامع المسائل ٦/ ٢٧٤.
(٤) أخرجه أحمد في الزهد (٦١٥) من طريق الحسن أن عمر كان يقول، فذكره؛ =

❁ وقال الفضيل بن عياض (ت: ١٨٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في قوله تعالى: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ [الملك]. قال: «أخلصه وأصوبه». قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ قال: «إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة»[(١)(٢)].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «توحيد الله الذي هو إخلاص الدين له، والعدل الذي نفعله نحن هو جماع الدين»[(٣)].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جماع الدين هو عبادة الله وحده، وأعظم الذنوب الشرك، والقرآن مملوء من تعظيم التوحيد بالدعاء إليه والترغيب فيه، وبيان سعادة أهله، وتعظيم الشرك بالنهي عنه والتحذير منه وبيان شقاوة أهله»[(٤)].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وجماع الدين أصلان: ألا نعبد إلا الله، ولا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بالبدع، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف].

وذلك تحقيق الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدًا رسول الله.

= والحسن لم يسمع عن عمر. وأخرجه أبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان (١٠١٨) من طريق آخر..

(١) ذكره أبو نعيم في الحلية بسنده عن إبراهيم بن الأشعث أنه سمع الفضيل يقول ذلك ٨/ ٩٥.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٣٧٣.

(٣) جامع المسائل ٨/ ٤٥، مجموع الفتاوى ١/ ٨٧.

(٤) الرد على الإخنائي ص١٧٢.

ففي الأولى: ألا نعبد إلا إياه.

وفي الثانية: أن محمدًا ﷺ هو رسول مبلغ عنه، فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره»(١).

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقال النبي ﷺ لمعاذ: «**والله إني لأحبك؛ فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة: اللّهم! أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»(٢).

وليس المراد بالذكر مجرد ذكر اللسان، بل الذكر القلبي واللساني، وذكره يتضمن ذكر أسمائه وصفاته، وذكر أمره ونهيه وذكره بكلامه، وذلك يستلزم معرفته والإيمان به وبصفات كماله ونعوت جلاله والثناء عليه بأنواع المدح، وذلك لا يتم إلا بتوحيده.

فذكره الحقيقي يستلزم ذلك كله ويستلزم ذكر نعمه وآلائه وإحسانه إلى خلقه.

وأما الشكر فهو القيام له بطاعته والتقرب إليه بأنواع محابه ظاهرًا وباطنًا.

وهذان الأمران هما جماع الدين؛ فذكره مستلزم لمعرفته، وشكره متضمن لطاعته.

وهذان هما الغاية التي خلق لأجلها الجن والإنس والسماوات والأرض، ووضع لأجلها الثواب والعقاب، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل، وهي الحق الذي به خلقت السماوات والأرض وما بينهما»(٣).

---

(١) العبودية لابن تيمية ص١٤١.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٤، ٢٤٧) وأبو داود (١٥٢٢) والنسائي ٣/ ٥٣ عن معاذ. وإسناده صحيح.

(٣) الفوائد ١/ ١٨٦.

۞ قال عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (١٢٨٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «جماع الدين أن لا يعبد إلا الله، وأن لا يعبد إلا بما شرع لا يعبد بالبدع»(١).

۞ قال عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (ت: ١٣٩٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «إخلاص جميع الأعمال لله وحده لا شريك له، ومتابعة الرسول ﷺ وهذان الأصلان هما جماع الدين، ولا يستقيم دين إلا عليهما، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف]»(٢).

المطلب السابع عشر

التوحيد أول واجب على المكلف

۞ قال ابن المنذر (ت: ٣١٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم أن الكافر إذا قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وأن كل ما جاء به محمد ﷺ حق وأبرأ إلى الله من كل دين يخالف دين الإسلام، وهو بالغ صحيح يعقل، أنه مسلم»(٣).

۞ قال عبد القادر الجيلاني (ت: ٥٨٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الذي يجب على من يريد الدخول في دين الإسلام أولًا أن يتلفظ بالشهادتين لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويتبرأ من كل دين غير دين الإسلام، ويعتقد بقلبه وحدانية الله تعالى»(٤).

---

(١) كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس ص٥٥.
(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١٤/ ٢٠.
(٣) الإجماع ص١٥٤.
(٤) الغنية للجيلاني ١/ ٢.

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن السلف والأئمة متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان، ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقب البلوغ»[(١)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن السلف والأئمة متفقون على أن أول ما يؤمر به العباد الشهادتان»[(٢)].

ولا يقدح في هذا الإجماع ما يذكره بعض أصحاب المذاهب الأربعة ممن تأثر بعلم الكلام في نسبة القول بأن أول واجب على المكلف هو المعرفة والنظر إلى الأصحاب، ويعني به أصحاب المذهب، وهو في الحقيقة قول من تأثر به من أصحاب الكلام.

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولما كان الكلام في هذه الأبواب المبتدعة مأخوذة في الأصل عن المعتزلة والجهمية ونحوهم، وقد تكلم هؤلاء في أول الواجبات: هل هو النظر، أو القصد، أو الشك، أو المعرفة؟ صار كثير من المنتسبين إلى السنة، المخالفين للمعتزلة في جمل أصولهم، يوافقونهم على ذلك، ثم الواحد من هؤلاء إذا انتسب إلى إمام من أئمة العلم كمالك، وأبي حنيفة، والشافعي (ت: ٢٠٤هـ)، وأحمد، وصنف كتابًا في هذا الباب يقول فيه: (قال أصحابنا) و(اختلف أصحابنا)، فإنما يعني بذلك أصحابه الخائضين في هذا الكلام، وليسوا من هذا الوجه من أصحاب ذلك الإمام..»[(٣)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الصحيح: أن أول واجب يجب على المكلف: شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر، ولا القصد إلى

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ١١/٨.
(٢) درء تعارض العقل والنقل ٨/١١.
(٣) درء تعارض العقل والنقل ٨/٣.

النظر، ولا الشك ـ كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم[(١)(٢)].

❁ قال ابن أبي العز (ت: ٧٩٢هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إلٰه إلا الله، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك، فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، فهو أول واجب وآخر واجب»[(٣)].

❁ قال محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (ت: ١٢٠٦هـ) رَحِمَهُ اللهُ في رده على محمد بن عباد في هذا الجانب: «قولك أول واجب على كل ذكر وأنثى النظر في الوجود ثم معرفة العقيدة ثم علم التوحيد، وهذا خطأ وهو من علم الكلام الذي أجمع السلف على ذمه، وإنما الذي أتت به الرسل أول واجب هو التوحيد ليس النظر في الوجود ولا معرفة العقيدة كما ذكرته أنت في الأوراق أن كل نبي يقول

(١) يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي: «إن سأل سائل فقال: ما أول ما أوجب الله عليك؟ فقل النظر المؤدي إلى معرفة الله تعالى؛ لأنه تعالى لا يعرف ضرورة ولا بالمشاهدة، فيجب أن نعرفه بالتفكير والنظر». «المحيط بالتكليف» للقاضي عبد الجبار ص٢٦، و«شرح الأصول الخمسة» له (ص٧٠، ٧٦).
ويقول عبد القاهر البغدادي: «الصحيح عندنا قول من يقول: إن أول الواجبات على المكلف النظر والاستدلال المؤديان إلى المعرفة بالله تعالى وبصفاته وتوحيده وعدله وحكمته، ثم النظر والاستدلال المؤديان إلى جواز إرسال الرسل منه، وجواز تكليف العباد ما شاء، ثم النظر المؤدي إلى وجوب الإرسال والتكليف منه، ثم النظر المؤدي إلى تفصيل أركان الشريعة، ثم العمل بما يلزمه منها على شروطه». «أصول الدين» للبغدادي ص٧٥.
ويقول الجويني: «أول ما يجب على العاقل البالغ ـ باستكمال سن البلوغ أو الحلم شرعًا ـ القصد إلى النظر الصحيح المفضي إلى العلم بحدوث العالم..». «الشامل» للجويني ص٢٦.

(٢) مدارج السالكين ٣/ ٤١١ ـ ٤١٢.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/ ٢١ ـ ٢٣).

لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون، الآية: ٣٢]»[1].

المطلب الثامن عشر

التوحيد هو حق الله على العبيد

قال - تعالى -: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۝٥٧﴾ [الذاريات]، والمعنى: ما خلقت الجن والإنس إلا ليُوحِّدونِ[2].

عن معاذ بن جبل (ت: ١٨هـ) رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: له: «يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده»؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا»، ثم سار ساعة ثم قال: «يا معاذ، هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حقّ العباد على الله أن لا يعذِّبَ من لا يشرك به شيئًا»[3].

قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾ قال علي بن أبي طالب (ت: ٤٠هـ) رحمه الله: معناه إلّا لآمرهم أن يعبدوني، وأدعوهم إلى عبادتي،

---

(١) الرسائل الشخصية - الرسالة الثانية ص١٦، والدرر السنية في الأجوبة النجدية ١/ ٦٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي ١٧/ ٥٧.

(٣) متفق عليه: البخاري، كتاب اللباس، باب إرداف الرجل خلف الرجل ٧/ ٨٩، برقم ٥٩٦٧، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، قطعًا ١/ ٥٨، برقم ٣٠، واللفظ للبخاري، برقم ٢٨٥٦، ورقم ٦٥٠٠.

واعتمد الزجاج هذا القول، ويؤيده قوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ﴾ [التوبة، الآية: ٣١]، وقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة، الآية: ٥]. قال ابن عباس: ليقرّوا لي بالعبودية طوعًا أو كرهًا.

ووجه الآية في الجملة أنّ الله تعالى لم يخلقهم للعبادة خلق جبلة وإجبار وإنّما خلقهم خلق تكليف واختيار، فمن وفّقه وسدّده أقام العبادة التي خُلق لها، ومن خذله وطرده حرمه إياها واستعمله لما خلقه له»[(١)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولكن عبادته وحده حق استحقه عليهم لذاته، كما قال: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨]، فأخبر أنه إنما خلق الخلق لعبادته، وأخبر أن الذي خلقه لهم وأمره بهم ورضيه وأحبه وأراده بأمره منهم هو عبادته، لم يرد منهم رزقًا ولا أن يطعموه، والرزق يعم كل ما ينتفع به الحي ظاهرًا وباطنًا، فلم يرد منهم ما يريده السادة والمخلوقون من عبادهم، من جلب المنفعة إليهم التي هي الرزق.

۞ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٧٤ وَنَزَعۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا﴾ [القصص].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأخبر تعالى أنهم علموا يومئذ أن الحق لله، وأن أولئك الشركاء الذين اتخذوهم من دون الله لم يكن لهم في ذلك الحق شيء، بل كان دعواهم أن لهم حقًّا افتراء افتروه، فضل عنهم وقت الحقيقة ما افتروه»[(٢)].

---

(١) تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي (تفسير سورة الذاريات، الآية: ٥٦).

(٢) جامع المسائل ١/٢٣٦ ـ ٢٣٧.

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال ﷺ في الحديث المشهور في السنن من رواية فقيهي الصحابة: عبد الله بن مسعود (ت: ٣٢هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وزيد بن ثابت (ت: ٤٥هـ) ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ: «**ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر ولزوم جماعة المسلمين؛ فإن دعوتهم تحيط من ورائهم**» وفي حديث أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) ـ رضي الله تعالى عنه ـ المحفوظ: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم**». فقد جمع في هذه الأحاديث بين الخصال الثلاث؛ إخلاص العمل لله ومناصحة أولي الأمر ولزوم جماعة المسلمين، وهذه الثلاث تجمع أصول الدين وقواعده وتجمع الحقوق التي لله ولعباده، وتنتظم مصالح الدنيا والآخرة. وبيان ذلك أن الحقوق قسمان: حق لله وحق لعباده، فحق الله أن نعبده ولا نشرك به شيئًا، كما جاء لفظه في أحد الحديثين؛ وهذا معنى إخلاص العمل لله، كما جاء في الحديث الآخر. وحقوق العباد قسمان: خاص وعام؛ أما الخاص فمثل بر كل إنسان والديه، وحق زوجته وجاره؛ فهذه من فروع الدين؛ لأن المكلف قد يخلو عن وجوبها عليه؛ ولأن مصلحتها خاصة فردية.

وأما الحقوق العامة فالناس نوعان: رعاة ورعية؛ فحقوق الرعاة مناصحتهم؛ وحقوق الرعية لزوم جماعتهم؛ فإن مصلحتهم لا تتم إلا باجتماعهم، وهم لا يجتمعون على ضلالة؛ بل مصلحة دينهم ودنياهم في اجتماعهم واعتصامهم بحبل الله جميعًا؛ فهذه الخصال تجمع أصول الدين. وقد جاءت مفسرة في الحديث الذي رواه مسلم عن تميم الداري قال: قال رسول الله ﷺ «**الدين النصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة**». قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة

المسلمين وعامتهم». فالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله تدخل في حق الله وعبادته وحده لا شريك له، والنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم هي مناصحة ولاة الأمر ولزوم جماعتهم، فإن لزوم جماعتهم هي نصيحتهم العامة، وأما النصيحة الخاصة لكل واحد منهم بعينه، فهذه يمكن بعضها ويتعذر استيعابها على سبيل التعيين»[1].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أن هذا حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، كما في الحديث الصحيح الذي رواه معاذ (ت: ١٨هـ) عن النبي ﷺ أنه قال: «أتدري ما حق الله على عباده؟». قال قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا؛ أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟» قال قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حقهم أن لا يعذبهم»»[2].

۞ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه الغاية، التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك يتضمن معرفة الله تعالى، فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم»[3].

---

(١) مجموع الفتاوى ١/ ١٨ ـ ١٩.
(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٢٣.
(٣) تفسير تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن لابن سعدي، (تفسير سورة الذاريات، الآية: ٥٦).

المطلب التاسع عشر

التوحيد برهان على أن الحق واحد وهو الصراط المستقيم

قال - تعالى -: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام].

قال - تعالى -: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج].

قال - تعالى -: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ [يوسف].

ودين الحق واحد، وهو دين الإسلام، وبقية الأديان باطلة.

قال - تعالى -: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران].

قال - تعالى -: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة].

فالأدلة متوافرة على أن الدين واحد، وهو الصراط الموصل إلى الله، وأن منهجه، وسبيله التوحيد، فالإسلام واحد، فالله تعالى هو الإله الحق الواحد، ومن يعبدونه، ويوحدونه هم أهل الحق، والآلهة الأخرى باطلة، وعابدوها على الباطل.

فطريق الحق واحد، وهو طريق الله، وهو طريق الهداية، وهو طريق الإسلام، وهو طريق الاستقامة، وسبُل الضلال كثيرة خبيثة، وقد قال - تعالى -: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ [المائدة، الآية: ١٠٠].

فالحق واحد، وهو صراط الله المستقيم، الذي أُمرنا بالتمسك به،

فأفرد الله الصراط، وجمع السبُل، وأمرنا أن نسأله ذلك في كل صلاة ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة: ٦ ـ ٧] فهو واحد، وقال ﷻ: ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ۝٤١﴾ [الحجر].

❁ عن عبد الله بن مسعود (ت: ٣٢هـ) رضي الله عنه قال: «خط رسول الله ﷺ خطًّا بيده، ثم قال: «هذا سبيل الله مستقيمًا، ثم خطّ عن يمينه وشماله، ثم قال: هذه السبل، وليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ النبي ﷺ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾ [الأنعام، الآية: ١٥٣]، بعد ذلك قال: «ثمّ خط عن يمينه وشماله، ثم قال: هذه السُّبل، وليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾ [الأنعام، الآية: ١٥٣]»[(١)].

❁ وسئل صديق الأمة وأعظمها استقامة أبو بكر الصديق (ت: ١٣هـ) رضي الله عنه عن الاستقامة فقال: «ألا تشرك بالله شيئًا». قال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت: ٨١٧هـ) رحمه الله: «يريد الاستقامة على محض التوحيد»[(٢)].

❁ قال عثمان بن عفان (ت: ٣٥هـ) رضي الله عنه: «استقاموا: أخلصوا العمل لله»[(٣)].

❁ قال مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) رحمه الله: «استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله»[(٤)].

---

(١) رواه أحمد: ٤١٤٢، وابن حبان: ٧، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان ١/١٤٧. وهو حديث حسن صحيح.
(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤/ ٣١٢.
(٣) مدارج السالكين ٢/ ١٠٤.
(٤) مدارج السالكين ٢/ ١٠٤.

۞ قال محمد بن المنكدر (ت: ١٣٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت»[١].

۞ قال سفيان الثوري (ت: ١٦١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «نحن اليوم علىٰ الطريق، فإذا رأيتمونا قد أخذنا يمينًا أو شمالًا فلا تقتدوا بنا»[٢].

۞ قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشَّوب، هم أهل السنة والجماعة، وفيهم الصديقون، والشهداء، والصالحون، ومنهم أعلام الهدى، ومصابيح الدجى، وهم الطائفة المنصورة»[٣].

۞ قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الحق واحد، ولا يخرج عما جاءت به الرسل، وهو الموافق لصريح العقل فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا»[٤].

۞ قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «غاية الكرامة لزوم الاستقامة، فلم يكرم الله عبدًا بمثل أن يعينه على ما يحبه ويرضاه ويزيده مما يقربه إليه ويرفع به درجته»[٥].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمقصود أن طريق الحق واحد إذ مرده إلى الله الملك الحق، وطرق الباطل متشعبة، ومتعددة»[٦].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمقصود أن الطريق إلى الله

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ١٤١.
(٢) أخبار الشيوخ للمروذي (٩٩).
(٣) العقيدة الواسطية ١/ ٣٢.
(٤) منهاج السنة النبوية ٥/ ١٩٠.
(٥) مجموع الفتاوى ١١/ ٢٩٨.
(٦) بدائع الفوائد ١/ ١٢٧.

تعالى واحد، فإنه الحق المبين، والحق واحد، مرجعه إلى واحد، وأما الباطل والضلال فلا ينحصر، بل كل ما سواه باطل، وكل طريق إلى الباطل فهو باطل، فالباطل متعدد وطرقه متعددة»(١).

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحق واحد، وهو صراط الله المستقيم الذي لا صراط يوصل إليه سواه، وهو عبادته وحده لا شريك له، بما شرعه على لسان رسوله ﷺ، لا بالأهواء والبدع وطرق الخارجين عما بعث به رسوله من الهدى ودين الحق؛ بخلاف طرق الباطل؛ فإنها متعددة متشعبة. ولهذا يفرد ﷻ الحق، ويجمع الباطل، كقوله: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ﴾ [البقرة، الآية: ٢٥٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام، الآية: ١٥٣]»(٢).

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّمَا يُكْرِمُ الله مَنْ يُكْرِمُهُ بِمَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَطَاعَتِهِ، وَيُهِينُ مَنْ يُهِينُهُ بِالْإِعْرَاضِ عنه؛ فالإكرام والإهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق وتقديره، فإنه سبحانه يوسع على الكافر ويقتر على المؤمن لا لإهانته»(٣).

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «على قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط في هذه الدار، يثبت على الصراط في الآخرة»(٤).

❁ قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «أصل الاستقامة استقامة

(١) طريق الهجرتين ص١٦٢.
(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ص٤٣.
(٣) مدارج السالكين ١٧٢.
(٤) مدارج السالكين ١/ ١٦.

القلب على التوحيد، وقد فسر أبو بكر رضي الله عنه الاستقامة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾، بأنهم لم يلتفتوا إلى غيره»[(١)].

والصديق رضي الله عنه استقى هذا المعنى من آيتين في كتاب الله تعالى.. الآية الأولى: قول الله عن عيسى عليه السلام لقومه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٥١﴾ [آل عمران]. والثانية: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١﴾ [يس، الآيات: ٦٠ ـ ٦١].

❁ قال محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ) رحمه الله: «أجمع العقلاء على أن قولنا: لا إله إلا الله يوجب التوحيد المحض»[(٢)].

❁ قال محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١هـ): «السوء لا ينال الناس إلا بأعمالهم؛ لقوله تعالى: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، فالمصائب الدينية والدنيوية كلها بسبب أعمالنا نحن، فلو استقمنا استقامت لنا الأمور: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۗ﴾ [الأنفال، الآية: ٢٩]»[(٣)].

المطلب العشرون

التوحيد مصدر كل هداية

قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾ [الأنعام].

(١) جامع العلوم ١٩٣.
(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٢/ ١٢.
(٣) تفسير سورة الروم ص٢١٧.

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ برب واحد، ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، يعني ولم يخلطوا تصديقهم بشرك، فلم يعبدوا غيره، ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾ من الضلالة»[1].

۞ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾ فإنه يعني: هؤلاء الذين آمنوا ولم يخلطوا إيمانهم بشرك، لهم الأمن يوم القيامة من عذاب الله، ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾ يقول: وهم المصيبون سبيل الرشاد والسالكون طريق النجاة»[2].

۞ قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ﴾ يعني: يخلطوا ﴿إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ بشرك ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ يوم القيامة ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾ في الدنيا»[3].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الهداية لا نهاية لها ولو بلغ العبد فيها ما بلغ ففوق هدايته هداية أخرى وفوق تلك الهداية هداية أخرى إلى غير غاية»[4].

۞ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال الله تعالى فاصلًا بين الفريقين: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ﴾ أي: يخلطوا ﴿إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾ الأمن من المخاوف والعذاب والشقاء، والهداية إلى الصراط المستقيم، فإن كانوا

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة الأنعام، الآية: ٨٢).
(٢) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (سورة الأنعام، الآية: ٨٢).
(٣) تفسير ابن أبي زمنين (سورة الأنعام، الآية: ٨٢).
(٤) الفوائد ١/ ١٣٠.

لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقًا، لا بشرك، ولا بمعاص، حصل لهم الأمن التام، والهداية التامة. وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، ولكنهم يعملون السيئات، حصل لهم أصل الهداية، وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها»(١).

المطلب الواحد والعشرون

التوحيد هو قلب الإيمان

❁ قال سهل التستري (ت: ٢٨٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾ [آل عمران] قال: الإيمان أربعة أركان: **الأول:** التوكل على الله، **والثاني:** الاستسلام لأمره، **والثالث:** الرضا بقضائه، **والرابع:** الشكر لنعمائه والتقوى.

واليقين قلب الإيمان، والصبر عماد الإيمان، والإخلاص كمال الإيمان؛ لأن العبد بالإخلاص ينال التصديق، وبالتصديق ينال التحقيق، وبالتحقيق يصل إلى الحق. والإخلاص ثمرة اليقين، لأن اليقين مشاهدة السر، فمن لم تكن له مشاهدة السر مع مولاه لم يخلص عمله لله، والله تَعَالَىٰ أعلم»(٢).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وتوحيد الله وإخلاص الدين له في عبادته واستعانته في القرآن: كثير جدًّا بل هو قلب الإيمان وأول

---

(١) تفسير تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان، لابن سعدي (سورة الأنعام، الآية: ٨٢).

(٢) تفسير التستري المقدمة ص٥٢.

الإسلام وآخره. كما قال النبي ﷺ «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله**»[(١)]، وقال: «**إني لأعلم كلمة لا يقولها عند الموت أحد إلا وجد روحه لها روحًا**»[(٢)]، وقال: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله: وجبت له الجنة**»[(٣)]، وهو قلب الدين والإيمان. وسائر الأعمال كالجوارح له»[(٤)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالإيمان قلب الإسلام ولبه، واليقين قلب الإيمان ولبه، وكل علم وعمل لا يزيد الإيمان واليقين قوة فمدخول، وكل إيمان لا يبعث على العمل فمدخول»[(٥)].

المطلب الثاني والعشرون

كلمة التوحيد أحد أصلي الإيمان

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: «**أما بعد، فإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**»[(٦)]. فعلم بذلك كمال موقع هذا الكلام من الدين، وذلك لأنه مشتمل على أصلي الإيمان: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدًا رسول الله، على الإيمان بالله ورسله، فبين فيه جماع أمور الدين،

---

(١) رواه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢).
(٢) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٩٣٧)، وأحمد (١٨٧) باختلاف يسير.
(٣) رواه أحمد (٢١٥٢٩)، وأبو داود (٣١١٦)، وحسنه الألباني في «إرواء الغليل» (٦٨٧).
(٤) مجموع الفتاوى ١/ ٧٠.
(٥) الفوائد ١/ ١٢٤.
(٦) أخرجه النسائي في «المجتبى» ٣/ ١٨٨، وأحمد ٣/ ٣١٠ باختلاف يسير.

فإنها نوعان: قول وعمل، كما قال عبد الله بن مسعود (ت: ٣٢هـ) رضي الله عنه: «إنما هما شيئان: الكلام والهدي»[(١)(٢)].

المطلب الثالث والعشرون

التوحيد قطب رحى الإسلام

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «و«لا إلٰه إلا الله» تقتضي الإخلاص والتوكل. والإخلاص يقتضي الشكر. فهي أفضل الكلام. وهي أعلى شعب الإيمان. كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال **«الإيمان بضع وستون ـ أو بضع وسبعون ـ شعبة. أعلاها: قول لا إلٰه إلا الله. وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»**[(٣)]. فـ «لا إلٰه إلا الله» هي قطب رحى الإيمان وإليها يرجع الأمر كله»[(٤)].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «والعبادة تجمع غاية الحب

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١/١٨، رقم ٤٦) قال البوصيري ١/١٠: هذا إسناد ضعيف عبيد بن ميمون أبو عبيد قال فيه أبو حاتم: مجهول، وأخرجه الطبراني في الصغير برقم ٢٦٠٦ ورمز لحسنه، وقال الزين العراقي: إسناده جيد.
وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لسنن ابن ماجه ١/٣٢: «صحيح موقوفًا أكثره عن ابن مسعود، وهذا إسناد قابل للتحسين، عبيد بن ميمون روى عنه اثنان وذكره ابن حبان في «ثقاته»، وباقي رجاله ثقات. والصواب أن أكثر هذه الكلمات موقوفة على ابن مسعود من قوله غير آخره في الكذب والصدق فمرفوع. وانظر تمام تخريجه في «مسند أحمد» (٣٨٩٦).

(٢) جامع المسائل ٨/٢١٣.

(٣) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) (٥٨) واللفظ له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) مجموع الفتاوى ١٤/٤٢١.

وغاية الذل، فيحبون الله بأكمل محبة، ويذلون له أكمل ذل، ولا يعدلون به، ولا يجعلون له أندادًا، ولا يتخذون من دونه أولياء ولا شفعاء.

كما قد بين القرآن هذا التوحيد في غير موضع، وهو قطب رحى القرآن الذي يدور عليه [القرآن] وهو يتضمن التوحيد في العلم والقول، والتوحيد في الإرادة والعمل»[(١)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ الآية [البينة، الآية: ٥]. ونظائر هذا في القرآن كثير، وكذلك في الأحاديث، وكذلك في إجماع الأمة، ولاسيما أهل العلم والإيمان منهم، فإن هذا عندهم قطب رحى الدين كما هو الواقع»[(٢)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مدار رحى الإسلام على أن يرضى العبد بعبادة ربه وحده، وأن يسخط عبادة غيره. والعبادة هي الحب مع الذل. فكل من ذللت له وأطعته وأحببته دون الله، فأنت عابد له»[(٣)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الموحد مبين لحقائق أسمائه وكمال أوصافه وذلك قطب رحى التوحيد؛ فالمعطل يعبد عدمًا، والممثل يعبد صنمًا؛ والموحد يعبد ربًّا ليس كمثله شيء له الأسماء الحسنى والصفات العلى وسع كل شيء رحمة وعلمًا»[(٤)].

۞ قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ

---

(١) منهاج السنة ٣/ ٢٩٠.
(٢) قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة ص٢٩.
(٣) مدارج السالكين ٢/ ١٧٩.
(٤) الصواعق المرسلة ١/ ١٤٨.

(ت: ١٢٩٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قلب رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا؛ فإن الرضا بهذه الأصول الثلاثة قطب رحى الدين، وعليه تدور حقائق العلم واليقين، وذلك يتضمن من محبة الله، وإيثار مرضاته، والغيرة لدينه، والانحياز إلى أوليائه، ما يوجب البراءة، كل البراءة، والتباعد، كل التباعد، عمن تلك نحلته، وذاك دينه»[(١)].

❁ قال الشيخ محمد بن عبد الرحمٰن بن قاسم (ت: ١٤٢١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «بين القرآن هذا التوحيد في غير موضع، وهو قطب رحى القرآن الذي يدور عليه القرآن»[(٢)].

المطلب الرابع والعشرون

التوحيد أشرف العلوم وأفضلها على الإطلاق

❁ عن أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ: **«الإيمان بضع وستون خصلة، أكبرها شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأصغرها إماطة الأذى عن الطريق»**[(٣)].

❁ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن قال قائل: أي: أنواع الذكر أفضل؛ فإن ذلك أنواع كثيرة، منها التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير؟ قيل: أعلى ذلك وأشرفه الكلمة التى لا يصح لأحد عمل إلا بها، ولا إيمان إلا بالإقرار بها، وذلك التهليل، وهو لا إلٰه إلا الله»[(٤)].

---

(١) آل الرسول وأولياؤه ص١٤.
(٢) عيون الرسائل والأجوبة على المسائل ١/ ٢١٢.
(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨٣٦٢).
(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٠/ ١٣٩.

۞ قال علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال (ت: ٤٤٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «تمام الإيمان وتمام العلم إنما هو المعرفة بالله ورسله، ومعرفة الدلالة على ذلك»(١).

۞ قال الشيخ أبو إسماعيل الأنصاري (ت: ٤٨١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «أشرف علوم الخلائق، علم الأمر والنهى، وعلم الأسماء والصفات والتوحيد، وعلم المعاد واليوم الآخر»(٢).

۞ قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «شرف العلم بشرف المعلوم، فمهما كان المعلوم أشرف كان العلم الحاصل به أشرف، ولما كان أشرف المعلومات ذات الباري تعالى وصفاته، وجب أن يكون معرفته وتوحيده أشرف العلوم.

ثم إن العلم إما أن يكون دينيًّا، أو يكون غير ديني. ولا شك أن العلم الديني أشرف من غير الديني. وأما العلم الديني فإما أن يكون علم الأصول أو ما عداه. أما ما عداه على الأصول فإن صحته متوقفة على صحة علم الأصول، لأن المفسر إنما يبحث عن معاني كلام الله تعالى، وذلك فرع على معرفة الصانع المختار المتكلم. وأما المحدث فإنما يبحث عن كلام رسول الله ﷺ، وذلك فرع على إثبات نبوته. والفقيه يبحث عن أحكام الله تعالى، وذلك فرع على ثبوت التوحيد والنبوة. فثبت أن هذه العلوم مفسرة إلى علم الأصول. وظاهر أن علم الأصول غني عنها بأسرها، فوجب أن يكون علم الأصول أشرف»(٣).

۞ قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأشرف المعارف

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٣/ ٤٤ ـ ٤٥.
(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٥/ ٤٠٢.
(٣) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١/ ١٢٤.

وأجلها معرفة أنه لا إله إلا هو»[١].

۞ قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «شرف العلم بشرف المعلوم فمهما كان المعلوم أشرف كان العلم الحاصل به أشرف فلما كان أشرف المعلومات ذات الله تعالى وصفاته وجب أن يكون العلم المتعلق به أشرف العلوم»[٢].

۞ قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن أشرف كلمة يذكرها الإنسان هي هذه الكلمة، فإذا كان في أكثر الأوقات مشتغلًا بذكرها وبتكريرها كان مشتغلًا بأعظم أنواع العبادات، فكان الغرض من التكرير في هذه الآية حث العباد على تكريرها»[٣].

۞ قال العز بن عبد السلام (ت: ٦٣٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكذلك معرفة التوحيد أفضل المعارف، واعتقاده أفضل الاعتقادات»[٤].

۞ قال العز بن عبد السلام (ت: ٦٣٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد «سئل عَلَيْهِ السَّلَامُ أي الأعمال أفضل؟ فقال: «**إيمان بالله**»، قيل: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»، قيل: ثم أي؟ قال: «**حج مبرور**»[٥].

جعل الإيمان أفضل الأعمال لجلبه لأحسن المصالح، ودرئه لأقبح المفاسد، مع شرفه في نفسه وشرف متعلقه، ومصالحه ضربان:

أحدهما: عاجلة وهي إجراء أحكام الإسلام، وصيانة النفوس والأموال والحرم والأطفال.

---

(١) تفسير مفاتح الغيب للرازي (سورة النحل، الآية: ٢).
(٢) تفسير مفاتح الغيب للرازي (سورة البقرة، الآية: ٢١).
(٣) تفسير الرازي ٧/ ٢٢١.
(٤) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١/ ٣٥.
(٥) أخرجه مسلم برقم (٨٣).

والثاني: آجلة وهو خلود الجنان ورضاء الرحمٰن»[(١)].

۞ قال العز بن عبد السلام (ت: ٦٣٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تعليم ما يجب تعليمه، وتفهيم ما يجب تفهيمه، يختلف باختلاف رتبه، وهذان قسمان:

أحدهما: وسيلة إلى ما هو مقصود في نفسه، كتعريف التوحيد وصفات الإله؛ فإن معرفة ذلك من أفضل المقاصد والتوسل إليه من أفضل الوسائل.

القسم الثاني: ما هو وسيلة إلى وسيلة كتعليم أحكام الشرع، فإنه وسيلة إلى العلم بالأحكام التي هي وسيلة إلى إقامه الطاعات، التي هي وسائل إلى المثوبة والرضوان، وكلاهما من أفضل المقاصد»[(٢)].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنما العلم الأعلى هو العلم بالله، والله هو الأعلى على كل شيء من كل وجه، كما قال سبحانه: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى]، فالعلم به أعلى العلوم، وإرادة وجهه أفضل الإرادات، ومحبته أفضل المحبات»[(٣)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهذا ورد في فضل هذه الكلمة شهادة أن لا إلٰه إلا الله من الدلائل ما يضيق هذا الموضع عن ذكره وهي أفضل الكلام وما فيها من العلم والمحبة أفضل العلوم والمحبات كالحديث الذي في السنن «**أفضل الذكر لا إلٰه إلا الله**»[(٤)]»[(٥)].

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١/ ٥٤.
(٢) تفسير الرازي ٧/ ٢٢١.
(٣) الرد على الشاذلي في حزبيه ١/ ٢٤٢.
(٤) قاعدة في المحبة ص١٣.
(٥) سنن الترمذي (٣٣٨٣) وحسنه، وابن ماجه (٣٨٠٠)، وابن حبان (٨٤٦)، والحاكم (١٨٣٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٥٩٩)، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي».

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «معرفة رب العالمين غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية، وزبدة الرسالة الإلهية»[(١)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «لما كان العلم للعمل قرينًا وشافعًا، وشرفه لشرف معلومه تابعًا، كان أشرف العلوم على الإطلاق علم التوحيد»[(٢)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «إن شرف العلم تابع لشرف معلومه، لوثوق النفس بأدلة وجوده وبراهينه ولشدة الحاجة إلى معرفته وعظم النفع بها.

ولا ريب أن أجل معلوم وأعظمه وأكبره هو الله الذي لا إلٰه إلا هو رب العالمين، وقيوم السمٰوات والأرضين، الملك الحق المبين، الموصوف بالكمال كله، المنزه عن كل عيب ونقص وعن كل تشبيه وتمثيل في كماله.

فلا ريب أن العلم به وبأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأفضلها، ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات»[(٣)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «فإن قيل: فالعلم إنما هو وسيلة إلى العمل ومراد له، والعمل هو الغاية، ومعلوم أن الغاية أشرف من الوسيلة، فكيف تفضل الوسائل على غاياتها؟

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/ ١٣.
(٢) إعلام الموقعين ١/ ٤.
(٣) مفتاح دار السعادة ١/ ٨٦.

قيل: كل من العلم والعمل ينقسم إلى قسمين، منه ما يكون وسيلة، ومنه ما يكون غاية، فليس العلم كله وسيلة مرادة لغيرها، فإن العلم بالله وأسمائه وصفاته هو أشرف العلوم على الإطلاق وهو مطلوب لنفسه مراد لذاته، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق] فقد أخبر سبحانه أنه خلق السمٰوات والأرض ونزل الأمر بينهن ليعلم عباده أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير فهذا العلم هو غاية الخلق المطلوبة، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد، الآية: ١٩] فالعلم بوحدانيته تعالى وأنه لا إلٰه إلا هو مطلوب لذاته وإن كان لا يكتفى به وحده، بل لابد معه من عبادته وحده لا شريك له، فهما أمران مطلوبان لأنفسهما.

الأمر الأول: أن يعرف الرب تعالى بأسمائه، وصفاته وأفعاله وأحكامه.

والأمر الثاني: أن يعبد بموجبها ومقتضاها.

فكما أن عبادته مطلوبة مرادة لذاتها، فكذلك العلم به ومعرفته أيضًا، فإن العلم من أفضل العبادات»[(١)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مراتب العلمِ به سبحانه خمس مراتب:

١ ـ العلم بذاته، ٢ ـ وصفاته، ٣ ـ وأفعاله، ٤ ـ وأسمائه، ٥ ـ وتنزيهه عما لا يليق به»[(٢)].

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/١٧٨.

(٢) مدارج السالكين ١/١٢٨.

۞ قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأفضل العلم العلم بالله وهو العلم بأسمائه وصفاته وأفعاله التي توجب لصاحبها معرفة الله وخشيته ومحبته وهيبته وإجلاله وعظمته والتبتل إليه والتوكل عليه والصبر والرضا عنه والاشتغال به دون خلقه.

وتبع ذلك العلم بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتفاصيل ذلك والعلم بأوامر الله ونواهيه وشرائعه وأحكامه، وما يحبه من عباده من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

ومن جمع هذه العلوم فهو من العلماء الربانيين، العلماء بالله العلماء بأمره وهم أكمل ممن قصر علمه على العلم بالله دون العلم بأمره، وبالعكس»[(١)].

۞ قال محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن لكل علم حدًّا لا يتجاوزه، ولكل عالم ناموسًا لا يخل به؛ فمن الوجوه المغلِّطة أن يظن في العلم فوق غايته؛ كما يظن بالطب أنه يبرئ جميع الأمراض؛ وليس كذلك، فإن كثيرًا من الأمراض لا يبرأ بالمعالجة.

ومنها أن يظن بالعلم فوق مرتبته في الشرف؛ كما يظن بالفقه أنه أشرف العلوم على الإطلاق؛ وليس كذلك؛ فإن التوحيد والعلم الإلهي أشرف منه قطعًا»[(٢)].

۞ قال الملا علي القاري (ت: ١٠١٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «علم التوحيد أفضل العلوم وأكملها، وعالم هذا العلم أفضل العلماء، وبهذا السبب خصهم الله بالذكر في أجل المراتب فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

(١) شرح حديث أبي الدرداء لابن رجب ص٤١.
(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/ ٤٥.

وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ [آل عمران]»[١].

۞ قال عبد الرحمٰن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عند تفسير قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران]: «وفي هذا دليل على أن أشرف الأمور علم التوحيد لأن الله شهد به بنفسه وأشهد عليه خواص خلقه، والشهادة لا تكون إلا عن علم ويقين، بمنزلة المشاهدة للبصر، ففيه دليل على أن من لم يصل في علم التوحيد إلى هذه الحالة فليس من أولي العلم»[٢].

۞ قال عبد الرحمٰن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «علم العقائد وأصول التوحيد؛ هو أشرف العلوم على الإطلاق، وأفضلها وأكملها، وبه تستقيم القلوب على العقائد الصحيحة، وبه تزكو الأخلاق وتنمو، وبه تصح الأعمال وتكمل»[٣].

المطلب الخامس والعشرون

التوحيد أعلى مراتب الإيمان

۞ قال أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري، الرازي اللالكائي (ت: ٤١٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جعل النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ توحيد الله عَزَّ وَجَلَّ أعلى مراتب الإيمان، وهو كذلك حقًّا»[٤].

(١) شرح الفقه الأكبر ص٣٨.
(٢) تفسير ابن سعدي (سورة آل عمران، الآية: ١٨).
(٣) فتح الرحيم الملك العلام ص٢١.
(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٤/ ٥٣.

۞ قال الفخر الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أن التكليف له ركنان أحدهما: الاعتقاد والرأس والرئيس فيه اعتقاد التوحيد»[(١)].

۞ قال العز بن عبد السلام (ت: ٦٣٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكذلك معرفة التوحيد أفضل المعارف، واعتقاده أفضل الاعتقادات»[(٢)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «أصول الإيمان وأعلاها وأفضلها هو التوحيد، وهو شهادة أن لا إلٰه إلا الله كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل، الآية: ٣٦]»[(٣)].

۞ قال أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [التوبة]، «وفي هذه الآية دلالة على أن النظر في التوحيد أعلى المقامات»[(٤)].

۞ قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوحيد الذي ليس في درج الإيمان أعلى منه، فهو التاج الذي هو خاصة الملك المحسوسة، كما أن التوحيد خاصته المعقولة»[(٥)].

۞ قال إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي (ت: ١١٢٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «أركان الإسلام خمسة وهي غنائم دينية لكن التوحيد

---

(١) تفسير مفاتيح الغيب للرازي ٢٧/ ٥٤٣.
(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١/ ٣٥.
(٣) مجموع الرسائل الكبرى لابن تيمية ١/ ٢٧٠.
(٤) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٥/ ١٣.
(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤/ ١٩٧.

أعلى من الكل»[١].

المطلب السادس والعشرون

كلمة التوحيد أعظم شهادة في الوجود

قال - تعالى -: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنعام].

قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «المعنى الله أكبر شهادة أي انفراده بالربوبية، وقيام البراهين على توحيده أكبر شهادة وأعظم، فهو شهيد بيني وبينكم على أني قد بلغتكم وصدقت فيما قلته وادعيته من الرسالة»[٢].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «أنه استشهد بهم على أجل مشهود به وأعظمه وأكبره وهو شهادة أن لا إلٰه إلا الله، والعظيم القدر إنما يستشهد على الأمر العظيم أكابر الخلق وساداتهم»[٣].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «واستشهد الله عَزَّ وَجَلَّ بأهل العلم على أجل مشهود به وهو التوحيد، وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، وفي ضمن ذلك تعديلهم، فإنه لا يستشهد بمجروح»[٤].

قال ابن أبي العز (ت: ٧٩٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال - تعالى -: ﴿شَهِدَ

(١) روح البيان ٣/ ٣٥٠.
(٢) تفسير الجامع لأحكام للقرطبي (سورة آل عمران، الآية: ١٩).
(٣) مفتاح دار السعادة ١/ ٤٩.
(٤) مدارج السالكين ٣/ ٢٨٢.

ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران]. «فتضمنت هذه الآية الكريمة إثبات حقيقة التوحيد، والرد على جميع طوائف الضلال، فتضمنت أجل شهادة وأعظمها وأعدلها وأصدقها، من أجل شاهد، بأجل مشهود به»(١).

۞ قال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت: ٨١٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واستشهد الله عَزَّ وَجَلَّ أهل العلم على أجل مشهود وهو التوحيد، وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، وفي ضمن ذلك تعديلهم فإنه لا يستشهد بمجروح»(٢).

۞ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي هذه الآية دليل على شرف العلم من وجوه كثيرة، منها: أن الله خصهم بالشهادة على أعظم مشهود عليه دون الناس»(٣).

۞ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير قوله تعالى: «﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١٨].

«هذه أجل الشهادات على الإطلاق؛ فإنها صدرت من الملك العظيم، ومن ملائكته وأنبيائه وأهل العلم على أجل مشهود عليه؛ وهو توحيد الله وقيامه بالقسط»(٤).

۞ قال عبد الرحمن بن قاسم (ت: ١٣٩٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «شهادة أن لا إله

---

(١) شرح الطحاوية ١/ ٤٤.
(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤/ ٩١.
(٣) تفسير ابن سعدي (سورة آل عمران، الآية: ١٨).
(٤) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن لابن سعدي ١/ ١٩.

إلا الله أعظم شهادة في الوجود على أعظم مشهود به، فلا ينصرف الإطلاق إلّا إليها»(١).

المطلب السابع والعشرون

التوحيد سيد العلوم

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن له من مخلوقاته فالعلم به تابع للعلم بالله، والعلم الأعلى هو العلم بالأعلى كما قال: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى]، فهو رب كل ما سواه، فهو الأصل، فكذلك العلم به سيد جميع العلوم وهو أصل لها»(٢).

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وتعظيمهم للعلم الإلهي الذي هو سيد العلوم وأعلاها، وأشرفها وأسناها»(٣).

المطلب الثامن والعشرون

التوحيد أصل العلوم كلها

۞ قال أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن القرافي (ت: ٦٨٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «علم أصول الدين هو أصل العلوم كلها» . . . «ومن فروعه إثبات النبوات بالنظر العقلي في المعجزات، ومن فروع النبوة علم التفسير، وعلم الحديث وعلم الأصول التي ينبني عليها الفقه، ونحو ذلك من فروع علم أصول الفقه، فهو الغاية والنهاية»(٤).

(١) حاشية ثلاثة الأصول (٤٨).
(٢) جامع المسائل ٥/ ٢٦٨.
(٣) درء تعارض العقل والنقل ٣/ ٧٠.
(٤) نفائس الأصول في شرح المحصول ١/ ١٦٣.

۞ قال الحسين بن علي بن حجاج بن علي، حسام الدين السِّغْنَاقي (ت: ٧١١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «(علم التوحيد والصفات) وإنما ذكر علم التوحيد والصفات هنا مع أنه في بيان أصول الفقه لا في بيان أصول الدين؛ لأنه لما حصر العلم ـ أي العلم الذي ابتلي بتعلمه ـ على نوعين لا غير، وجب عليه بيان ذينك النوعين، حتى إن شمس الأئمة والقاضي أبا زيد ـ رحمهما الله ـ لما لم يذكرا في كتابيهما حصر العلم على نوعين، لم يذكرا علم التوحيد والصفات. ثم المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ إنما ذكر حصر العلم على هذين النوعين؛ لأن العلم الذي يهمنا ويسعدنا ويبلغنا إلى درجة الكمال في الدنيا والآخرة هذا العلم، وإن كان اكتساب غيره أيضًا قد يكون من المناقب السنية والفضائل العلية، لكن يكون لك على وجه الوسائل إلى هذا العلم، لا على وجه المقاصد بنفسه. ثم قدم بيان علم أصول الدين على علم الشرائع والأحكام؛ لأن علم أصول الدين أصل جميع العلوم ـ على ما قررنا في صدر «**الوافي**» ـ فوجب تقديمه على غيره»[(١)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «إخلاص الدين لله هو أصل كل علم وهدى»[(٢)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الله ـ سبحانه ـ لما كان هو الأول الذي خلق الكائنات والآخر الذي إليه تصير الحادثات؛ فهو الأصل الجامع؛ فالعلم به أصل كل علم وجامعه وذكره أصل كل كلام وجامعه والعمل له أصل كل عمل وجامعه»[(٣)].

---

(١) كتاب الكافي شرح البزدوي ١/ ١٥٠ ـ ١٥١.
(٢) جامع المسائل ١/ ١٣٦.
(٣) مجموع الفتاوى ٢/ ١٦.

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فكل علم هو تابع للعلم به، مفتقر في تحقق ذاته إليه، فالعلم به أصل كل علم ومنشؤه، فمن عرف الله عرف ما سواه، ومن جهل ربه فهو لما سواه أجهل، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر] فتأمل هذه الآية تجد تحتها معنى شريفًا عظيمًا، وهو: أن من نسي ربه أنساه ذاته ونفسه فلم يعرف حقيقته ولا مصالحه، بل نسي ما به صلاحه وفلاحه في معاشه ومعاده؛ لأنه خرج عن فطرته التي خلق عليها فنسي ربه فأنساه نفسه وصفاتها وما تكمل به وتزكو به وتسعد به في معاشها ومعادها، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف] فغفل عن ذكر ربه فانفرط عليه أمره وقلبه، فلا التفات له إلى مصالحه، وكماله وما تزكو به نفسه وقلبه، بل هو مشتت القلب مضيعه، مفرط الأمر حيران لا يهتدي سبيلًا.

فالعلم بالله أصل كل علم، وهو أصل علم العبد بسعادته وكماله ومصالح دنياه وآخرته، والجهل به مستلزم للجهل بنفسه ومصالحها وكمالها وما تزكو به وتفلح به، فالعلم به سعادة العبد والجهل به أصل شقاوته»[(١)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالعلم بأسمائه وإحصاؤها أصل لسائر العلوم، فمن أحصى أسماءه كما ينبغي للمخلوق أحصى جميع العلوم؛ إذ إحصاء أسمائه أصل لإحصاء كل معلوم؛ لأن المعلومات هي من مقتضاها ومرتبطة بها، وتأمل صدور الخلق والأمر عن علمه وحكمته تعالى، ولهذا لا تجد فيها خللًا ولا تفاوتًا؛ لأن الخلل الواقع فيما يأمر به العبد أو يفعله إما أن يكون لجهل العبد به أو لعدم حكمته، أما الربّ تعالى فهو العليم الحكيم، فلا يلحق فعله ولا

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٨٦.

أمره خلل ولا تفاوت ولا تناقض»(١).

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «العلم به ـ تعالى ـ أصل للعلم بكل ما سواه، فالعلم بأسمائه وإحصاؤها أصل لسائر العلوم»(٢).

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا ريب أن العلم به وبأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأفضلها ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات، وكما أن العلم به أجل العلوم وأشرفها فهو أصلها كلها، كما أن كل موجود فهو مستند في وجوده إلى الملك الحق المبين ومفتقر إليه في تحقق ذاته وأينيته وكل علم فهو تابع للعلم به مفتقر في تحقق ذاته إليه فالعلم به أصل كل علم»(٣).

۞ قال محمد بن مفلح (ت: ٧٦٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال صاحب المحيط من الحنفية: أفضل العلوم عند الجمهور بعد معرفة أصل الدين وعلم اليقين، معرفة الفقه والأحكام الفاصلة بين الحلال والحرام»(٤).

۞ قال إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «نحن نعلم أن النطق بالشهادتين والصلاة وغيرهما من العبادات؛ إنما شرعت للتقرب بها إلى الله، والرجوع إليه، وإفراده بالتعظيم والإجلال، ومطابقة القلب للجوارح في الطاعة والانقياد»(٥).

---

(١) طريق الهجرتين ص٣١٨ (بتصرف).
(٢) بدائع الفوائد ١/ ٢٨٧.
(٣) مفتاح دار السعادة ١/ ٨٦.
(٤) الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/ ١٢٥، وكتاب الفروع وتصحيح الفروع لابن مفلح ٢/ ٣٥٦.
(٥) الموافقات ٢/ ٣٨٥.

۞ قال محمد بن علي التهانوي (ت: بعد ١١٥٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ «وأما تسميته بأصول الدين فلكونه أصل العلوم الشرعية لابتنائها عليه»[(١)].

۞ قال محمد بن أحمد السفاريني (ت: ١١٨٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في منظومته:

«وبعد فاعلم أن كل العلم... كالفرع للتوحيد فاسمع نظمي»[(٢)].

۞ قال محمد بن أحمد السفاريني (ت: ١١٨٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالعلم بأسمائه وإحصاؤها أصل لسائر العلوم، فمن أحصاها كما ينبغي للمخلوق، دخل الجنة.»[(٣)].

۞ قال مبارك بن محمد الميلي الجزائري (ت: ١٣٦٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذه أركان الإسلام الخمسة؛ إنما شرعت كسائر العبادات، للاحتفاظ بالتوحيد، والابتعاد عن الوثنية:

فلم يكتف في الشهادتين بالتوحيد المجرد، حتى صرح بنفي التعدد، وحصر التشريع في شخص المرسل بالتبليغ.

ولم يقتصر في الصلاة على افتتاحها بالتكبير الذي فيه تعريض باطراح الأوثان، حتى خللت به، وكرر فيها مخاطبة رب العالمين بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.

وزكاة المرء شعار غناه، ودليل اعترافه للرب بجليل نعماه، وأنه لا دخل فيها للأصنام وكل ما سواه.

والصوم يذر فيه الصائم شهوته وطعامه وشرابه من أجل مولاه، ويراقبه وهو صائم، ولو انفرد بمحل سكناه.

---

(١) كتاب كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ص٣١.
(٢) العقيدة السفارينية الموسومة بـ (الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية) ص٣٩.
(٣) لوامع الأنوار البهية للسفاريني ١/ ١٢٦.

والحج فاتحته الإحرام، المصحوب بالتلبية المتكررة في كل حال، وهي صريحة في حياطة التوحيد بنكران الشريك»[١].

❁ قال عبد الرحمٰن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا الفن الذي هو أصل الأصول، وبه تقوم العلوم كلها»[٢].

❁ قال عبد الرحمٰن بن قاسم (ت: ١٣٩٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيتعين على كل مكلف معرفة معنى لا إلٰه إلا الله، الذي هو أصل الأصول، وأوجب العلوم»[٣].

❁ قال محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «كلما غفل الإنسان عن ذكر ربه انقطعت به السبل، وكلما عمر قلبه بذكر ربه وصل إلى الغاية.

فإن الذكر بمنزلة النور يهتدي به الإنسان في ظلمات الطرق حتى يصل غايته»[٤].

المطلب التاسع والعشرون

التوحيد أصل القلب السليم

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].

❁ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ «حَيِي يشهد أن لا إلٰه إلا الله»[٥].

---

(١) الشرك ومظاهره للميلي ص٤٥ ـ ٤٦.
(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد ص١٩٤.
(٣) الدرر السنية ١٢/ ١٥٤.
(٤) شرح الكافية الشافية ٢/ ٤٦٧.
(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (الشعراء، الآية: ٨٩)، وأورده السيوطي في =

۞ قال سعيد بن المسيّب (ت: ٩٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القلب السليم هو الصحيح، وهو قلب المؤمن لأنّ قلب الكافر والمنافق مريض، قال الله سبحانه: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة، الآية: ١٠]»(١).

۞ قال الضحاك بن مزاحم (ت: ١٠٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في قول الله: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ قال: «هو الخالص»(٢).

۞ عن مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾، قال: «ليس فيه شكّ في الحقّ»(٣).

۞ قال محمد بن سيرين (ت: ١١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القلب السليم أن يعلم أن الله حق، وأن الساعة قائمة، وأن الله يبعث من في القبور»(٤).

۞ عن ابن عون (ت: ١٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: ذكروا الحجاج (ت: ٩٥هـ)، عند ابن سيرين (ت: ١١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال: غير ما تقولون أخوف على الحجاج عندي منه؛ قلت: وما هو؟ قال: إن كان لقي الله بقلب سليم فقد أصاب الذنوب خير منه، قلت: وما القلب السليم؟ قال: أن يعلم

= الدر المنثور، (الشعراء، الآية: ٨٩)، وعزاه لابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم.

(١) تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي. (الشعراء، الآية: ٨٩)، وتفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي. (الشعراء، الآية: ٨٩)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (الشعراء، الآية: ٨٩).

(٢) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري (الشعراء، الآية: ٨٩)..

(٣) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري (الشعراء، الآية: ٨٩)، وأورده السيوطي في الدر المنثور، (الشعراء، الآية: ٨٩)، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٤) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي. (الشعراء، الآية: ٨٩)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (الشعراء، الآية: ٨٩).

أنه لا إله إلا الله»(١).

۞ عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، في قوله: ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ قال: «سليم من الشرك»(٢).

۞ قال ابن زيد (ت: ١٨٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ قال: «سليم من الشرك، فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد»(٣).

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ﴾ في الآخرة، ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ من الشرك مخلصًا لله عَزَّ وَجَلَّ بالتوحيد، فينفعه يوم البعث ماله وولده»(٤).

۞ قال أبو عثمان سعيد بن إسماعيل النيسابوري (ت: ٢٩٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «هو القلب الخالي من البدعة المطمئن على السنة»(٥).

۞ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ يقول: «ولا تخزني يوم يبعثون، يوم لا ينفع إلا القلب السليم.

والذي عني به من سلامة القلب في هذا الموضع: هو سلام القلب من الشكّ في توحيد الله، والبعث بعد الممات»(٦).

---

(١) تفسير الدر المنثور للسيوطي، (الشعراء، الآية: ٨٩)، وعزاه لعبد بن حميد.
(٢) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري (الشعراء، الآية: ٨٩)، وأورده السيوطي في الدر المنثور، (الشعراء، الآية: ٨٩)، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير.
(٣) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري (الشعراء، الآية: ٨٩).
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (الشعراء، الآية: ٨٩).
(٥) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي (الشعراء، الآية: ٨٩)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (الشعراء، الآية: ٨٩).
(٦) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري (الشعراء، الآية: ٨٩).

❁ قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ خالص من الشرك والشك، فأمّا الذنوب فليس يسلم منها أحد هذا قول أكثر المفسّرين»[١].

❁ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ أي: خالص من الشرك والشك، فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد، هذا قول أكثر المفسرين»[٢].

❁ قال علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ أي: خالص من الشرك والشك فأما الذنوب فلا يسلم منها أحد»[٣].

❁ قال ابن جزي (ت: ٧٤١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ «قيل: سليم من الشرك والمعاصي، وقيل: الذي يلقى ربه وليس في قلبه شيء غيره، وقيل: بقلب لديغ من خشية الله، والسليم هو اللديغ لغة»[٤].

❁ قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ﴾ أي: الملك الأعظم الذي له الغنى المطلق في هذا الموطن ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ أي: عن مرض غيّره عن الفطرة الأولى التي فطره الله عليها، وهي الإسلام الذي رأسه التوحيد، والاستقامة على فعل الخير، وحفظ طريق

---

(١) تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي (الشعراء، الآية: ٨٩).
(٢) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي (الشعراء، الآية: ٨٩).
(٣) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (الشعراء، الآية: ٨٩).
(٤) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (الشعراء، الآية: ٨٩).

السنة كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ليس فيها من جدعاء فإن (المال والبنون) ينفعانه بما تصرف فيهما من خير»(١).

المطلب الثلاثون

التوحيد أصل والعمل فرع

قال الله ﷻ لرسوله: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [محمد، الآية: ١٩].

قال سهل التستري (ت: ٢٨٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أصل عمل المؤمن كلمة التوحيد، وهو أصل ثابت، وفرعه وهو عمله مرفوع إلى السماء مقبول، إلا أن فيه خللًا وإحداثًا، ولكن لا يزول أصل عمله، وهو كلمة التوحيد، كما أن الرياح تزعزع أغصان النخلة، ولا يزول أصلها، . . . وليس في خزائن الله أكبر من التوحيد»(٢).

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أن الله تعالى قدم الأمر بمعرفة التوحيد على الأمر بالاستغفار، والسبب فيه: أن معرفة التوحيد إشارة إلى علم الأصول، والاشتغال بالاستغفار إشارة إلى علم الفروع، والأصل يجب تقديمه على الفرع، فإنه ما لم يعلم وجود الصانع امتنع القيام بطاعته وخدمته، وهذه الدقيقة معتبرة في آيات كثيرة.

ومنها: أن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما اشتغل بالدعاء قدم المعرفة على الطاعة فقال: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣﴾ [الشعراء]، فقوله: ﴿هَبۡ لِي حُكۡمٗا﴾ إشارة إلى استكمال القوة النظرية بمعرفة حقائق الأشياء،

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (الشعراء، الآية: ٨٩).

(٢) تفسير التستري ص٨٧.

وقوله: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ۝١٠١﴾ إشارة إلى استكمال القوة العملية بالاجتناب عن طرفي الإفراط والتفريط، فقدم العلم على العمل.

ومنها: أنه تعالى لما أوحى إلى موسى عليه السلام راعى هذا الترتيب فقال: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ۝١٣ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ۝١٤﴾ [طه]. فقوله: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا﴾ إشارة إلى علم الأصول. وقوله: ﴿فَاعْبُدْنِي﴾ إشارة إلى علم الفروع»[(١)].

ومنها: قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ۝٢﴾ [النحل].

فقوله: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا﴾ إشارة إلى علم الأصول. وقوله: ﴿فَاتَّقُونِ ۝٥٢﴾ إشارة إلى علم الفروع»[(٢)].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «والدين القائم بالقلب من الإيمان علمًا وحالًا هو «الأصل»، والأعمال الظاهرة هي «الفروع» وهي كمال الإيمان.

فالدين أول ما يبنى من أصوله ويكمل، كما أنزل الله بمكة أصوله من التوحيد والأمثال التي هي المقاييس العقلية والقصص والوعد والوعيد، ثم أنزل بالمدينة ـ لما صار له قوة ـ فروعه الظاهرة من الجمعة والجماعة والأذان والإقامة والجهاد والصيام وتحريم الخمر والزنا والميسر وغير ذلك من واجباته ومحرماته»[(٣)].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «فإذا كان أصل العمل الديني

(١) عجائب القرآن للرازي ص٧.
(٢) عجائب القرآن للرازي ص١٤ ـ ١٥.
(٣) مجموع الفتاوى ١٥/ ٣٥٥.

هو إخلاص الدين لله، وهو إرادة الله وحده فالشيء المراد لنفسه هو المحبوب لذاته، وهذا كمال المحبة، ولكن أكثر ما جاء المطلوب باسم العبادة كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة، الآية: ٢١]، وأمثال هذا»[(١)].

المطلب الواحد والثلاثون

التوحيد مجمع عليه بين الرسل ـ صلوات الله عليهم ـ

قال سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (ت: ٧١٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوحيد مجمع عليه بين الرسل وكل مجمع عليه بين الرسل، فهو حق فالتوحيد حق:

بيان الأولى: قوله عَزَّ وَجَلَّ بعد: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء].

بيان الثانية: أن الأنبياء معصومون جماعة وفرادى فلا يقولون إلا صدقًا، ولا يعتقدون إلا حقًّا»[(٢)].

المطلب الثاني والثلاثون

كلمة التوحيد أفضل الحسنات

فعن أبي ذر (ت: ٣٠ أو ٣١هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قلتُ: يا رسول الله، أوْصِني، قال: «إذا عَمِلْتَ سيِّئةً، فأتبِعْها حَسنةً تَمْحُها»، قال: قلتُ:

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٥٦، ٥٧).

(٢) كتاب الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية ص٤٣٨.

يا رسولَ الله، أمِنَ الحَسنات «لا إلهَ إلا الله»؟ قال: «**هي أفْضَلُ الحَسناتِ**»[١].

۞ قال علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال (ت: ٤٤٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا حسنة أعظم من توحيد الله والإقرار بوجوده والتضرع إليه في المغفرة»[٢].

المطلب الثالث والثلاثون

كلمة التوحيد هي أفضل الكلام

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولهذا ورد في فضل هذه الكلمة شهادة أن لا إله إلا الله من الدلائل ما يضيق هذا الموضع عن ذكره وهي أفضل الكلام وما فيها من العلم والمحبة أفضل العلوم والمحبات كالحديث الذي في السنن «**أفضل الذكر لا إله إلا الله**»[٣]»[٤].

۞ قال محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (ت: ١٢٠٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه، وأعظم آية في القرآن آية الكرسي»[٥].

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٥٢٥)، وصححه الألباني انظر: صحيح الترغيب للمنذري (٣١٦٢) وفي الصحيحة (١٣٧٣) وصحيح الجامع (٦٩٠).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٠/٥٠٣.

(٣) قاعدة في المحبة ص١٣.

(٤) سنن الترمذي (٣٣٨٣) وحسنه، وابن ماجه (٣٨٠٠)، وابن حبان (٨٤٦)، والحاكم (١٨٣٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٥٩٩)، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي».

(٥) مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب «الجزء الأول» ص٢٩٣.

المطلب الرابع والثلاثون

الحاجة إلى التوحيد أعظم الحاجات

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وليس للخلق صلاح إلا في معرفة ربهم وعبادته. وإذا حصل لهم ذلك: فما سواه إما فضل نافع وإما فضول غير نافعة؛ وإما أمر مضر»(١).

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأين التوحيد للخالق بالرغبة إليه والرجاء له والتوكل عليه والحب له من الإشراك به بالرغبة إلى المخلوق والرجاء له والتوكل عليه وأن يحب كما يحب الله، وأين صلاح العبد في عبودية الله والذل له والافتقار إليه من فساده في عبودية المخلوق والذل له والافتقار إليه؟ فالرسول ﷺ أمر بتلك الأنواع الثلاثة الفاضلة المحمودة التي تصلح أمور أصحابها في الدنيا والآخرة ونهى عن الأنواع الثلاثة التي تفسد أمور أصحابها»(٢).

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا توجه العبد إلى الله بصدق الافتقار إليه، واستغاث به مخلصًا له الدين؛ أجاب دعاءه، وأزال ضرره، وفتح له أبواب الرحمة، فمثل هذا قد ذاق من حقيقة التوكل والدعاء لله ما لم يذق غيره»(٣).

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا يلتذ ولا يسر ولا يطيب ولا يسكن ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحبه والإنابة إليه. ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/ ١٦.

(٢) مجموع الفتاوى ١/ ١٩٥.

(٣) مجموع الفتاوى ٦/ ٣٢١.

يسكن؛ إذ فيه فقرٌ ذاتيٌّ إلى ربه»[(١)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والشرك أعظم الفساد كما أن التوحيد أعظم الصلاح»[(٢)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأصل الصلاح: التوحيد والإيمان وأصل الفساد: الشرك والكفر. كما قال عن المنافقين: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ وذلك أن صلاح كل شيء أن يكون بحيث يحصل له وبه المقصود الذي يراد منه»[(٣)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعلوم أن حاجتهم إلى معرفة ربهم وفاطرهم فوق مراتب هذه الحاجات كلها، فإنه لا سعادة لهم ولا فلاح ولا صلاح ولا نعيم إلا بأن يعرفوه ويعتقدوه، ويكون هو وحده غاية مطلوبهم، والتقرب إليه قرة عيونهم، فمتى فقدوا ذلك كانوا أسوأ حالًا من الأنعام، وكانت الأنعام أطيب عيشًا منهم في العاجل وأسلم عاقبة في الآجل. وإذا علم أن ضرورة العبد إلى معرفة ربه فوق كل ضرورة كانت العناية ببيانها أيسر الطرق وأهداها وأبينها»[(٤)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الفقر فقران: فقر اضطراري، وهو فقر عام لا خروج لبرّ ولا فاجر عنه، وهذا لا يقتضي مدحًا ولا ذمًّا ولا ثوابًا ولا عقابًا، بل هو بمنزلة كون المخلوق مخلوقًا ومصنوعًا.

والفقر الثاني فقر اختياري، هو نتيجة علمين شريفين:

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠/ ١٩٤.
(٢) مجموع الفتاوى ١٨/ ١٦٢.
(٣) مجموع الفتاوى ١٨/ ١٦٣.
(٤) انظر: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ١/ ٣٦٥ ـ ٣٦٧.

أَحدهما: معرفة العبد بربه، والثاني: معرفته بنفسه.

فمتى حصلت له هاتان المعرفتان، أنتجتا له فقرًا هو عين غناه وعنوان فلاحه وسعادته»[١].

۞ قال محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «جانب التوحيد أعظم الجوانب حقًّا أن يوفى به، فإذا أخل به الإنسان فإن الله سبحانه لا يغفره، بخلاف المعاصي الأخرى التي دونه أو التي سوى الشرك فإن الله يغفرها»[٢].

۞ قال محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «أعظم ما نهى الله عنه الشرك، وذلك لأن أعظم الحقوق هو حق الله عَزَّ وَجَلَّ، فإذا فرط فيه الإنسان فقد فرط في أعظم الحقوق، هو توحيد الله عَزَّ وَجَلَّ»[٣].

المطلب الخامس والثلاثون

التوحيد أصل صلاح الناس

۞ قال الحسن البصري (ت: ١١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ابن آدم هل لك بمحاربة الله من طاقة؟ فإن من عصى الله فقد حاربه»[٤].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوحيد أصل صلاح الناس والإشراك أصل فسادهم والقسط مقرون بالتوحيد؛ إذ التوحيد أصل العدل؛ وإرادة العلو مقرونة بالفساد؛ إذ هو أصل الظلم فهذا مع هذا

(١) طريق الهجرتين ص٩.
(٢) تفسير العثيمين (سورة النساء) ١/ ٣٨٧.
(٣) كتاب مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ٦/ ٣٥.
(٤) حلية الأولياء ٢/ ١٣٤.

وهذا مع هذا كالملزوزين في قرن، فالتوحيد وما يتبعه من الحسنات هو صلاح وعدل؛ ولهذا كان الرجل الصالح هو القائم بالواجبات؛ وهو البر؛ وهو العدل. والذنوب التي فيها تفريط أو عدوان في حقوق الله تعالى وحقوق عباده هي فساد وظلم؛ ولهذا سمي قطاع الطريق مفسدين وكانت عقوبتهم حقًّا لله تعالى لاجتماع الوصفين والذي يريد العلو على غيره من أبناء جنسه هو ظالم له باغ؛ إذ ليس كونك عاليًا عليه بأولى من كونه عاليًا عليك وكلاكما من جنس واحد فالقسط والعدل أن يكونوا إخوة كما وصف الله المؤمنين بذلك. والتوحيد وإن كان أصل الصلاح فهو أعظم العدل؛ ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران]»[(١)].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأصل الصلاح: التوحيد والإيمان وأصل الفساد: الشرك والكفر. كما قال عن المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة]، وذلك أن صلاح كل شيء أن يكون بحيث يحصل له وبه المقصود الذي يراد منه؛ ولهذا يقول الفقهاء: العقد الصحيح ما ترتب عليه أثره وحصل به مقصوده. والفاسد ما لم يترتب عليه أثره ولم يحصل به مقصوده والصحيح المقابل للفاسد في اصطلاحهم هو الصالح. وكان يكثر في كلام السلف: هذا لا يصلح أو يصلح كما كثر في كلام المتأخرين يصح ولا يصح والله تعالى إنما خلق الإنسان لعبادته وبدنه تبع لقلبه كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح:

(١) مجموع الفتاوى ١٨/ ١٦٥.

«**ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد. وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب**» وصلاح القلب: في أن يحصل له وبه المقصود الذي خلق له من معرفة الله ومحبته وتعظيمه وفساده في ضد ذلك. فلا صلاح للقلوب بدون ذلك قط. والقلب له قوتان: العلم والقصد، كما أن للبدن الحس والحركة الإرادية؛ فكما أنه متى خرجت قوى الحس والحركة عن الحال الفطري الطبيعي فسدت، فإذا خرج القلب عن الحال الفطرية التي يولد عليها كل مولود وهي أن يكون مقرًّا لربه مريدًا له فيكون هو منتهى قصده وإرادته. وذلك هي العبادة؛ إذ العبادة: كمال الحب بكمال الذل فمتى لم تكن حركة القلب ووجهه وإرادته لله تعالى كان فاسدًا؛ إما بأن يكون معرضًا عن الله وعن ذكره غافلًا عن ذلك مع تكذيب أو بدون تكذيب أو بأن يكون له ذكر وشعور ولكن قصده وإرادته غيره لكون الذكر ضعيفًا لم يجتذب القلب إلى إرادة الله ومحبته وعبادته. وإلا فمتى قوي علم القلب وذكره أوجب قصده وعلمه قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [النجم]، فأمر نبيه بأن يعرض عمن كان معرضًا عن ذكر الله ولم يكن له مراد إلا ما يكون في الدنيا. وهذه حال من فسد قلبه؛ ولم يذكر ربه؛ ولم ينب إليه فيريد وجهه ويخلص له الدين. ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ فأخبر أنهم لم يحصل لهم علم فوق ما يكون في الدنيا؛ فهي أكبر همهم ومبلغ علمهم. وأما المؤمن فأكبر همه هو الله وإليه انتهى علمه وذكره. وهذا الآن باب واسع عظيم قد تكلمنا عليه في مواضعه»[(١)].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كلّ صلاح في الأرض فسببه

(١) مجموع الفتاوى ١٨/ ١٦٣ ـ ١٦٤.

توحيد الله وعبادته، وطاعة رسوله ﷺ؛ وكلّ شرّ في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك؛ فسببه مخالفة الرسول ﷺ، والدعوة إلى غير الله»[(١)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «والعبد لا صلاح له ولا قيام إلا بعبادة الله الجامعة لمعرفته ومحبته والذل له، فتفويته هذا ظلم عظيم فيه عليه الضرر العظيم الذي لا ينجبر»[(٢)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء]؛ أي: لو كان في السمٰوات والأرض آلهة تعبد غير الله لفسدتا وبطلتا ولم يقل أرباب بل قال: ﴿ءَالِهَةٌ﴾ والإله هو المعبود المألوه، وهذا يدل على أنه من الممتنع المستحيل عقلًا أن يشرع الله عبادة غيره أبدًا، وإنه لو كان معه معبود سواه لفسدت السماوات والأرض، فقبح عبادة غيره قد استقر في الفطر والعقول وإن لم يرد بالنهي عنه شرع، بل العقل يدل على أنه أقبح القبيح على الإطلاق وأنه من المحال أن يشرعه الله قط، فصلاح العالم في أن يكون الله وحده هو المعبود، وفساده وهلاكه في أن يعبد معه غيره، ومحال أن يشرع لعباده ما فيه فساد العالم وهلاكه بل هو المنزه عن ذلك»[(٣)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكما أن السماوات والأرض لو كان فيهما آلهة غيره سبحانه لفسدتا كما قال ـ تعالى ـ: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء: ٢٢] فكذلك القلب إذا كان فيه معبود غير الله تعالى فسد فسادًا لا يرجى صلاحه إلا بأن يخرج ذلك المعبود منه،

---

(١) جامع الرسائل ١٥/ ٢٥.
(٢) جامع المسائل ١/ ٢٥١.
(٣) مفتاح دار السعادة ٢/ ٨٨٦.

ويكون الله تعالى وحده إلهه ومعبوده الذي يحبه ويرجوه ويخافه ويتوكل عليه وينيب إليه»[١].

المطلب السادس والثلاثون

التوحيد حصن الله الأعظم

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإذا جرد العبد التوحيد فقد خرج من قلبه خوف ما سواه، وكان عدوه أهون عليه من أن يخافه مع الله، بل يفرد الله بالمخافة وقد أمنه منه. وخرج من قلبه اهتمامه به، واشتغاله به وفكره فيه، وتجرد لله محبة وخشية وإنابة وتوكلًا، واشتغالًا به عن غيره، فيرى أن إعماله فكره في أمر عدوه وخوفه منه واشتغاله به من نقص توحيده، وإلا فلو جرد توحيده لكان له فيه شغل شاغل، والله يتولى حفظه والدفع عنه، فإن الله يدافع عن الذين آمنوا، فإن كان مؤمنًا بالله فالله يدافع عنه ولا بد. وبحسب إيمانه يكون دفاع الله عنه.

فإن كمل إيمانه كان دفع الله عنه أتم دفع، وإن مزج مزج له. وإن كان مرة ومرة فالله له مرة ومرة، كما قال بعض السلف: من أقبل على الله بكليته أقبل الله عليه جملة، ومن أعرض عن الله بكليته أعرض الله عنه جملة، ومن كان مرة ومرة فالله له مرة ومرة.

فالتوحيد حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين، قال بعض السلف: من خاف الله خافه كل شيء. ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء»[٢].

---

(١) إغاثة اللهفان ص٤٩.

(٢) التفسير القيم ص٦٥٦.

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الطاعة حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين من عقوبة الدنيا والآخرة، ومن خرج عنه أحاطت به المخاوف من كل جانب. فمن أطاع الله انقلبت المخاوف في حقه أمانا، ومن عصاه انقلبت مآمنه مخاوف، فمن خاف الله آمنه من كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء»[(١)].

۞ عن محمد بن المنكدر (ت: ١٣٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «إن الله تعالى يحفظ المؤمن في ولده وولد ولده ويحفظه في دويرته وفي دويرات حوله فما يزالون في حفظ وعافية ما كان بين أظهرهم»[(٢)].

المطلب السابع والثلاثون

التوحيد هو المقصود الأعظم

۞ قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تعليقه على قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة]: «فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ مقررًا لكمال التوحيد، فإنه **المقصود الأعظم** من جميع الشرائع ولكن الإنسان لما جبل عليه من النقصان لا بد له من ترغيب يشده وترهيب يرده ومواعظ ترفقه وأعمال تصدقه وأخلاق تحققه، فخلل سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ آي التوحيد بالأحكام والقصص، والأحكام تفيد

(١) الداء والدواء ص١٨٢.
(٢) صفة الصفوة ٢/ ١٤٢.

الأعمال الصالحة فترفع أستار الغفلة عن عيون القلوب وتكسب الأخلاق الفاضلة لتصقل الصدأ عن مرائي النفوس فتتجلى فيها حقائق التوحيد، والقصص تلزم بمواعظها واعتباراتها بالأحكام وتقرر دلائل المعارف فيرسخ التوحيد»[1].

المطلب الثامن والثلاثون

كلمة التوحيد وافق الله العبد فيها دون سائر الطاعات

قال ـ تعالى ـ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨﴾ [آل عمران].

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الفضيلة الثانية لهذه الكلمة أنه تعالى أمرك بطاعات كثيرة، من الصلاة والصيام والحج، ويستحيل أن يوافقك الله في شيء منها، ثم أمرك أن تقول: لا إله إلا الله، ثم إن الله يوافقك فيها فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨﴾»[2].

المطلب التاسع والثلاثون

كلمة التوحيد هي منتهى الصواب

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ۝٣٨﴾ [الأنعام].

(١) كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤/ ٢٧ ـ ٢٨.
(٢) كتاب عجائب القرآن للرازي ص٣٤.

❁ عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما، في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾، يقول: إلا من أذن له الربّ بشهادة أن لا إلٰه إلا الله، وهي منتهى الصواب»[(١)].

❁ عن أبي صالح ذكوان بن عبد الله (ت: ١٠١هـ) رحمه الله، في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ قال: لا إلٰه إلا الله»[(٢)].

❁ عن عكرمة (ت: ١٠٥هـ) رحمه الله في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ قال: لا إلٰه إلا الله»[(٣)].

❁ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رحمه الله: «﴿وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ يعني: شهادة أن لا إلٰه إلا الله، فذلك الصواب»[(٤)].

❁ قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: «قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ في الدنيا لا إلٰه إلا الله»[(٥)].

❁ قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رحمه الله: «﴿وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ قال: لا إلٰه إلّا الله في الدنيا»[(٦)].

❁ قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) رحمه الله: «و«الصواب» المشار إليه لا إلٰه إلا الله»[(٧)].

---

(١) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (سورة النبأ، الآية: ٣٨)، وكتاب الأسماء والصفات للبيهقي ١/ ٢٧١.
(٢) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (سورة النبأ، الآية: ٣٨).
(٣) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (سورة النبأ، الآية: ٣٨).
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة النبأ، الآية: ٣٨).
(٥) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٥/ ٨٦.
(٦) تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي (سورة النبأ، الآية: ٣٨).
(٧) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (سورة النبأ، الآية: ٣٨).

❁ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿وَقَالَ صَوَابًا ۝٣٨﴾ أي: حقًّا، ومن الحق: لا إله إلا الله»(١).

❁ قال علي بن يحيى السمرقندي (ت: ٨٨٠ هـ تقريبًا) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَقَالَ صَوَابًا ۝٣٨﴾ يعني: لا إله إلا الله يعني: من كان معه من التوحيد، وهو من أهل الشفاعة»(٢).

❁ قال محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَقَالَ صَوَابًا ۝٣٨﴾ وقال في الدنيا صوابًا؛ أي: شهد بالتوحيد»(٣).

المطلب الأربعون

التوحيد أعظم نعم الله

❁ قال -تعالى-: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝١١٤﴾ [النحل].

❁ قال سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (ت: ٧١٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: توحدونه بالعبادة، وهي تدل على أن شكر النعمة من التوحيد؛ لأنه يضيف النعمة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ وحده كما توجه العبادة إليه وحده»(٤).

❁ قال -تعالى-: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ

---

(١) تفسير ابن كثير (سورة النبأ، الآية: ٣٨).
(٢) تفسير بحر العلوم للسمرقندي (سورة النبأ، الآية: ٣٨).
(٣) تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني (سورة النبأ، الآية: ٣٨).
(٤) الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية ص٣٨٥.

عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ [النحل].

قال حافظ بن أحمد حكمي (ت: ١٣٧٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فنعمة التوحيد هي أعظم نعمة أنعم الله عَزَّوَجَلَّ بها على عباده أن هداهم إليها، ولهذا ذكرها في سورة النحل التي هي سورة النعم، فقدمها أولًا قبل كل نعمة»(١).

قال ـ تعالى ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ [الأحقاف، الآية: ١٥].

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ (ت: ما بين ٣٢ ـ ٣٨هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ لَمْ يَعْرِفْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِ إِلَّا فِي مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ فَقَدْ قَلَّ عِلْمُهُ، وَحَضَرَ عَذَابُهُ»(٢).

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «نعمتك في التوحيد»(٣).

قَالَ رُفَيْعٌ أبو العالية (ت: ٩٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا يَهْلِكَ عَبْدٌ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ: نِعْمَةٍ يَحْمَدُ اللهَ عَلَيْهَا، وَذَنْبٍ يَسْتَغْفِرُ مِنْهُ»(٤).

قال أبو حازم (ت: ١٠٠ هـ تقريبًا) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كلّ نعمة لا تقرّب من الله عَزَّوَجَلَّ فهي بليّة»(٥).

قال أبو حازم (ت: ١٠٠ هـ تقريبًا) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا رأيت الله عَزَّوَجَلَّ يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذرْه»(٦).

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد لحافظ الحكمي ص٢٢١.
(٢) الشكر لابن أبي الدنيا ص٣٣.
(٣) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (سورة الأحقاف، الآية: ١٥)، ٥/ ٩٨.
(٤) الشكر لابن أبي الدنيا ص٣٢.
(٥) صفة الصفوة ١/ ٣٨٦.
(٦) صفة الصفوة ١/ ٣٨٦.

۞ عن مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان، الآية: ٢٠] قال: «لا إله إلا الله»(١).

۞ عن سفيان بن عيينة (ت: ١٩٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: «ما أنعم الله على العباد نعمة من أن عرفهم أن لا إله إلا الله، قال: وإن لا إله إلا الله لهم في الآخرة كالماء في الدنيا»(٢).

۞ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ يقول: أوزعني بشكر نعمتك التي أنعمت عليّ في تعريفك إياي توحيدك وهدايتك لي للإقرار بذلك، والعمل بطاعتك»(٣).

۞ قال محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [غافر]، والمراد بالنعمة التي استوزع الشكر عليها: نعمة التوحيد والإسلام»(٤).

۞ قال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «متى رأيت تكديرًا في حال، فاذكر نعمة ما شكرت، أو زلة قد فعلت، واحذر من نفار النعم ومفاجأة النقم، ولا تغتر بانبساط الحلم فربما عجل انقباضه»(٥).

۞ قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [غافر]، على نعمة التوحيد والإيمان»(٦).

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأعظم نعمته عليهم أن

---

(١) كتاب الشكر لابن أبي الدنيا ص٣٤ رقم (٩٥).
(٢) كتاب الشكر لابن أبي الدنيا ص٣٤. برقم (٩٦).
(٣) تفسير الطبري (سورة الأحقاف، الآية: ١٥).
(٤) تفسير الكشاف للزمخشري (غافر، الآية: ٦١).
(٥) صيد الخاطر ١/ ٢٠.
(٦) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير سورة غافر، الآية: ٦١).

أمرهم بالإيمان وهداهم إليه، فهؤلاء هم أهل النعمة المطلقة المذكورين في قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة]»(١).

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَمِنْ أَعْظَم نِعَم اللهِ عَلَى عِبَادِهِ وَأَشْرَفِ مِنَّةٍ عَلَيْهِمْ: أَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رُسُلَهُ؛ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كُتُبَهُ؛ وَبَيَّنَ لَهُمْ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانُوا بِمَنْزِلَةِ الْأَنْعَامِ وَالْبَهَائِمِ بَلْ أَشَرَّ حَالًا مِنْهَا فَمَنْ قَبِلَ رِسَالَةَ اللهِ وَاسْتَقَامَ عَلَيْهَا فَهُوَ مِنْ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ وَمَنْ رَدَّهَا وَخَرَجَ عَنْهَا فَهُوَ مِنْ شَرِّ الْبَرِيَّةِ وَأَسْوَأُ حَالًا مِنَ الْكَلْبِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْحَيَوَانِ الْبَهِيمِ»(٢).

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَأعظم نعْمَة أنعمها الله على الْعباد هِيَ الْإِيمَان، وَهُوَ قَول وَعمل يزِيد وَينْقص يزِيد بِالطَّاعَةِ والحسنات وَينْقص بالفسوق والعصيان، فكلما ازْدَادَ الْإِنْسَان عملًا للخير ازْدَادَ إيمَانه؛ هَذَا هُوَ الإيمان الْحَقِيقِيّ الْمَذْكُور فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بل نعم الدُّنْيَا بِدُونِ الدّين؛ وَهل هِيَ نعْمَة أم لَا؟ فِيهِ قَولَانِ مشهوران للْعُلَمَاء من أَصْحَابنَا وَغَيرهم؛ وَالتَّحْقِيق: أَنَّهَا نعْمَة من وَجه، وَإِن لم تكن نعْمَة تَامَّة من كل وَجه. وَأما الإنعام بِالدّينِ، من فعل الْمَأْمُور وَترك الْمَحْظُور: فَهُوَ الْخَيْر كُله، وَهُوَ النِّعْمَة الْحَقِيقِيَّة عِنْد أهل السّنة؛ إِذْ عِنْدهم أَن الله هُوَ الَّذِي أنعم بِالْخَيرِ كُله...»(٣).

۞ قال الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة كتاب العلو: «الحمد لله

---

(١) جامع المسائل ٤/ ٢٨٤.
(٢) مجموع الفتاوى ١٩/ ١٠٠.
(٣) مختصر الفتاوى المصرية (٢٦٨).

العلي العظيم رب العرش العظيم على نعمه السابغة الظاهرة والباطنة والحمد لله على نعمة التوحيد»[(١)].

۞ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذِهِ أَكْبَرُ نِعَمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ: حَيْثُ أَكْمَلَ تَعَالَى لَهُمْ دِينَهُمْ، فَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى دِينِ غَيْرِهِ، وَلَا إِلَى نَبِيٍّ غَيْرِ نَبِيِّهِمْ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ؛ وَلِهَذَا جَعَلَهُ اللهُ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ، وَبَعَثَهُ إِلَى الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، فَلَا حَلَالَ إِلَّا مَا أَحَلَّهُ، وَلَا حَرَامَ إِلَّا مَا حَرَّمَهُ، وَلَا دِينَ إِلَّا مَا شَرَعَهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ أَخْبَرَ بِهِ فَهُوَ حَقٌّ وَصِدْقٌ لَا كَذِبَ فِيهِ وَلَا خُلْف، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام، الآية: ١١٥] أَيْ: صِدْقًا فِي الْأَخْبَارِ، وَعَدْلًا فِي الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، فَلَمَّا أَكْمَلَ الدِّينَ لَهُمْ تَمَّتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ»[(٢)].

قال محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: عند تفسير قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾ [النحل]، وقيل: أراد الحمد لله على ما أنعم به على أوليائه من نعمة التوحيد»[(٣)].

المطلب الواحد والأربعون

التوحيد أول الحقوق

قال - تعالى -: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ

(١) العلو للعلي الغفار ص٧.
(٢) «تفسير ابن كثير» ٣/ ٢٦.
(٣) تفسير فتح القدير للشوكاني (سورة النحل، الآية: ٧٥).

إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء].

۞ قال عبد الرحمٰن بن قاسم (ت: ١٣٩٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾ وتسمى هذه الآية آية الحقوق العشرة، وابتداؤه تعالى بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك أدل دليل على أنه هو أهمها، فإنه لا يبدأ إلا بالأهم فالأهم، فدلت على أن التوحيد أوجب الواجبات»[(١)].

فتسمية هذه الآية بآية الحقوق العشرة لأنها جمعت عشرة حقوق أولها حق الله تعالى وهو التوحيد، وحق الوالدين، وحق ذي القربى، وحق اليتامى، وحق المساكين، وحق الجار ذي القربى، وحق الجار الجنب، وحق الصاحب، وحق ابن السبيل، وحق ملك اليمين وتلك هي عشرة حقوق»[(٢)].

المطلب الثاني والأربعون

التوحيد رأس المعروف

قال - تعالى -: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان].

---

(١) حاشية الأصول الثلاثة ص٣٤.

(٢) منهم من صنف فيها وسمى كتابه باسمها، مثل: كتاب آية الحقوق العشرة، من تأليف الدكتور عقيل عبد الرحمٰن العقيل، وكتاب آية الحقوق العشرة، من تأليف سليمان إبراهيم اللاحم.

۞ وقد سُئِل النبي ﷺ: أي العمل أفضل؟ فقال ﷺ: «**إيمان بالله ورسوله**»[(١)].

۞ وسُئِل النبي ﷺ: أيُّ الذنب أعظم عند الله؟ فقال ﷺ: «**أن تجعل لله ندًّا، وهو خلقك**»[(٢)].

۞ قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال بعض العلماء: «المعروف» التوحيد، والمنكر الكفر، والآية نزلت في الجهاد.

۞ قال الفقيه القاضي: ولا محالة أن التوحيد والكفر هما رأس الأمرين، ولكن ما نزل عن قدر التوحيد والكفر، يدخل في الآية ولا بد»[(٣)].

۞ قال عز الدين بن عبد السلام (ت: ٦٦٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالأمر بالإيمان أفضل أنواع الأمر بالمعروف. وكذلك الأمر بالفرائض أفضل من الأمر بالنوافل، والأمر بإماطة الأذى عن الطريق من أدنى مراتب الأمر بالمعروف، قال ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»[(٤)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «أصل الدين هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ورأس المعروف هو التوحيد ورأس المنكر هو الشرك»[(٥)].

---

(١) رواه البخاري: (٢٥/ كتاب الإيمان/ باب: من قال: إن الإيمان هو العمل).
(٢) رواه البخاري: (٤٣٨٩/ كتاب تفسير القرآن/ باب: قوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨]).
(٣) تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) ١/ ٤٨٦.
(٤) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١/ ١٢٤.
(٥) مجموع الفتاوى ٢٧/ ٤٤٢.

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمقصود أن الشرك لما كان أظلم الظلم، وأقبح القبائح، وأنكر المنكرات، كان أبغض الأشياء إلى الله وأكرهها له، وأشدها مقتًا لديه، ورتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواه، وأخبر أنه لا يغفره، وأن أهله نجس، ومنعهم من قربان حرمه، وحرم ذبائحهم ومناكحهم، وقطع الموالاة بينهم وبين المؤمنين، وجعلهم أعداء له سبحانه ولملائكته ورسله وللمؤمنين، وأباح لأهل التوحيد أموالهم ونساءهم وأبناءهم، وأن يتخذوهم عبيدًا. وهذا لأن الشرك هضم لحق الربوبية، وتنقص لعظمة الإلهية، وسوء ظن برب العالمين، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦﴾ [الفتح].

فلم يجمع على أحد من الوعيد والعقوبة ما جمع على أهل الإشراك؛ فإنهم ظنوا به ظن السوء حتى أشركوا به، ولو أحسنوا به الظن لوحدوه حق توحيده، ولهذا أخبر سبحانه عن المشركين أنهم ما قدروه حق قدره في ثلاثة مواضع من كتابه؛ وكيف يقدره حق قدره من جعل له عدلًا وندًّا يحبه، ويخافه، ويرجوه، ويذل له، ويخضع له، ويهرب من سخطه، ويؤثر مرضاته؟

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة، الآية: ١٦٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام، الآية: ١]؛ أي يجعلون له عدلًا في العبادة والمحبة والتعظيم»[(١)].

(١) إغاثة اللهفان ١/١٠١ ـ ١٠٢.

۞ قال الشيخ: عبد اللطيف بن عبد الرحمن النجدي الحنبلي (ت: ١٢٩٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنما أُرْسِلت الرُّسل وأُنْزِلت الكتب للأمر بالمعروف الذي رأسه وأصله التوحيد، والنهي عن المنكر الذي رأسه وأصله الشرك»(١).

المطلب الثالث والأربعون

التوحيد أعظم القرب

۞ قال ـ تعالى ـ: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء، الآية: ٥٧].

۞ عن أبي بكرة (ت: ٥١هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**دعوات المكروب: اللّهم رحمتك أرجو؛ فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، أصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت**»(٢).

۞ في الحديث القدسي: «**ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئًا لقيته بمثلها مغفرة**»(٣).

فدل الحديث على أن الإنسان الذي يأتي بقراب الأرض معاصي، وهو يعلم أن لا إله إلا الله مخلصًا لربّ العالمين سبحانه، وأنه وحده الذي يغفر الذنوب، فإنه تدركه رحمة ربّ العالمين والله يغفر له.

۞ قال عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ت: ١٢٨٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهؤلاء دينهم التوحيد وهو بخلاف من دعاهم من دون الله ووصفهم

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ص٥٥٥، ٥٥٦.
(٢) أخرجه: أحمد، برقم (٢٠٤٢٩)، وأبو داود برقم (٥٠٩٠)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، رقم (٤٢٤٦).
(٣) رواه مسلم (٢٦٨٧).

بقوله: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾، فيطلبون القرب من الله بالإخلاص له وطاعته فيما أمر، وترك ما نهاهم عنه. وأعظم القرب التوحيد الذي بعث الله به أنبياءه ورسله، وأوجب عليهم العمل به والدعوة إليه، وهذا الذي يقربهم إلى الله أي إلى عفوه ورضاه، ووصف ذلك بقوله: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾، فلا يرجون أحدًا سواه ولا يخافون غيره، وذلك هو توحيده؛ لأن ذلك يمنعهم من الشرك، ويوجب لهم الطمع في رحمة الله والهرب من عقابه»[(١)].

فالتوحيد أعظم القربات وأجلّ ما يُسأل به الله، وتأمّل دعوة ذي النّون ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ الذي تغشّته الكربات ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء].

المطلب الرابع والأربعون

التوحيد أعظم الوسائل إلى الله

❁ قال عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ت: ١٢٨٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأعظم الوسائل إلى الله تعالى التوحيد الذي بعث الله به أنبياءه ورسله وخلق الخلق لأجله.

ومن التوسل إليه التوسل بأسمائه وصفاته كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف]، وكما ورد في الأذكار المأثورة من التوسل بها في الدعوات كقوله: «اللّهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام»[(٢)].

---

(١) قرة عيون الموحدين ص٤٤.

(٢) رواه أبو داود رقم (١٤٩٥) في الصلاة: باب الدعاء، والترمذي رقم (٣٥٣٨) =

وقوله: «اللّهم إني أسألك بأنك أنت الله لا إلٰه إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد»(١)، وغير ذلك من الأعمال الصالحة الخالصة التي لم يشبها شرك، فالتوسل إلى الله هو بما يحبه ويرضاه لا بما يكرهه ويأباه من الشرك الذي نزه نفسه عنه بقوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٤٣﴾ [الطور]، وقوله: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٠٨﴾ [يوسف]»(٢).

المطلب الخامس والأربعون

التوحيد هو الإكسير الأعظم

❁ قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**التوحيد هو الإكسير الأعظم**، فلو وضع ذرة منها على جبال الذنوب والخطايا، لقلبها حسنات، كما في «المسند» وغيره، عن أم هانئ، عن النبي ﷺ، قال: «**لا إلٰه إلا الله لا تترك ذنبًا ولا يسبقها عمل**»(٣)»(٤).

= في الدعوات: باب رقم ١٠٩، والنسائي ٣/ ٥٢ في السهو: باب الدعاء بعد الذكر، وأحمد ٣/ ١٢٠، وابن ماجه رقم (٣٨٥٨)، من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه ابن حبان رقم (٢٣٨٢) «موارد»، والحاكم ١/ ٥٠٣ و٥٠٤ ووافقه الذهبي وهو كما قالا..

(١) رواه أبو داود رقم (١٤٩٢) في الصلاة: باب الدعاء، والترمذي رقم (٢٤٧١) في الدعوات: باب ما جاء في جامع الدعوات عن رسول الله ﷺ، وابن ماجه رقم (٣٨٥٧)، وأحمد في «المسند» ٥/ ٣٦٠ وهو حديث صحيح، وصححه ابن حبان رقم (٢٣٨٣) والحاكم ١/ ٥٠٤ ووافقه الذهبي، من حديث بريدة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولفظه أن النبي ﷺ سمع رجلًا يقول: «اللّهم إني أسألك...» الحديث.

(٢) قرة عيون الموحدين ص٤٥.

(٣) رواه أحمد برقم (٢٦٣٢٤)، رواه ابن ماجه ٢/ ١٢٤٨.

(٤) تفسير ابن رجب ١/ ٣٤٠.

المطلب السادس والأربعون

التوحيد أحسن الحسنات

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء].

❁ عن شداد بن أوس (ت: ٥٨هـ) رضي الله عنه، وعبادة بن الصامت (ت: ٣٤هـ) رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «ارفعوا أيديكم وقولوا: لا إله إلا الله»، فرفعنا أيدينا ساعة، فوضع رسول الله ﷺ يده وقال: «الحمد الله، اللّهم بعثْتَني بهذه الكلمة، وأمرتني بها، ووعدتني الجَنَّة وإنك لا تخلف الميعاد»، ثم قال: «أبشروا؛ إن الله قد غفر لكم وهي أحسَن الحسنات، وهي تمحو الذنوب والخطايا»[(١)].

❁ عن أبي ذر (ت: ٣٠ أو ٣١هـ) رضي الله عنه مرفوعًا: «هي أحسن الحسنات»[(٢)].

❁ قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) رحمه الله: «﴿يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، فقالت فرقة: هي لا إله إلا الله»[(٣)].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «إن الله خلق الخلق لعبادته الجامعة لمعرفته والإنابة إليه ومحبته والإخلاص له فبذكره تطمئن قلوبهم؛ وبرؤيته في الآخرة تقر عيونهم ولا شيء يعطيهم في الآخرة أحب إليهم من النظر إليه؛ ولا شيء يعطيهم في الدنيا أعظم من الإيمان به.

---

(١) الترغيب والترهيب ٢/ ٤١٥.

(٢) رواه الطبري ١٢/ ٢٧٩ وحسنه ابن حجر في «الأمالي المطلقة» ص١٢٩، والألباني في «كلمة الإخلاص» لابن رجب ص٥٥.

(٣) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣/ ٤٦٤.

وحاجتهم إليه في عبادتهم إياه وتألههم كحاجتهم وأعظم في خلقه لهم وربوبيته إياهم؛ فإن ذلك هو الغاية المقصودة لهم؛ وبذلك يصيرون عاملين متحركين، ولا صلاح لهم ولا فلاح؛ ولا نعيم ولا لذة؛ بدون ذلك بحال. بل من أعرض عن ذكر ربه فإن له معيشة ضنكًا ونحشره يوم القيامة أعمى. ولهذا كان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ولهذا كانت لا إله إلا الله **أحسن الحسنات**، وكان التوحيد بقول: لا إله إلا الله؛ رأس الأمر»[(١)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويحرم الحلف بغير الله تعالى، وهو ظاهر المذهب، وعن ابن مسعود وغيره: لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقًا، قال أبو العباس: لأن حسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق، وسيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك»[(٢)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولهذا كانت «لا إله إلا الله» **أحسن الحسنات**، وكان توحيد الإلهية رأس الأمر»[(٣)].

۞ قال شمس الدين محمد بن مفلح (ت: ٧٦٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعن ابن مسعود وغيره: (لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقًا)[(٤)]. قال شيخنا: لأن حسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق، وسيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك»[(٥)].

---

(١) مجموع الفتاوى ١/ ٢٣.
(٢) المستدرك على مجموع الفتاوى ٨/ ١٤٠.
(٣) إغاثة اللهفان ١/ ٤٥.
(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٨/ ٤٦٩.
(٥) كتاب الفروع وتصحيح الفروع لابن مفلح ١٥/ ٤٣٧.

المطلب السابع والأربعون

التوحيد أحسن الحسن

❁ قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوحيد أحسن الحسن»[١].

المطلب الثامن والأربعون

ليس في خزائن الله أكبر من التوحيد

❁ قال سهل التستري (ت: ٢٨٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وليس في خزائن الله أكبر من التوحيد»[٢].

❁ قال محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال بعضهم: الجنة كثير للمؤمن لأنها ثواب الله، وما أعطاه من المغفرة أفضل. ولم يخرج من خزائن الله أفضل من التوحيد»[٣].

المطلب التاسع والأربعون

كلمة التوحيد أطيب الكلام والعقائد

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن الاعتقاد هو الكلمة التي يعتقدها المرء؛ وأطيب الكلام والعقائد: كلمة التوحيد واعتقاد أن لا إلٰه إلا الله.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٧/ ١٩١.
(٢) تفسير التستري ص٨٧، وانظر: حلية الأولياء ١٥/ ١٩٦.
(٣) كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ٢/ ١٤١.

وأخبث الكلام والعقائد: كلمة الشرك وهو اتخاذ إلٰه مع الله. فإن ذلك باطل لا حقيقة له»[(١)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود].
فذكر أن محبته وطاعته والإقبال عليه ضامن لأطيب الحياة»[(٢)].

المطلب الخمسون

عبودية التوحيد أسمى المقامات

۞ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد سمى الله رسوله بعبده في **أشرف مقاماته** فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف، الآية: ١]، وقال: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن، الآية: ١٩]، وقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء، الآية: ١] فسماه عبدًا عند إنزاله عليه وقيامه في الدعوة وإسرائه به»[(٣)].

المطلب الواحد والخمسون

كلمة التوحيد أفضل الذكر

۞ عن جابر بن عبد الله (ت: ٧٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضلُ الذِّكرِ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأفضَلُ الدُّعاءِ الحمدُ للهِ**»[(٤)].

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/ ٧٤.
(٢) مدارج السالكين ٣/ ٢٥٩.
(٣) تفسير ابن كثير ١/ ١٣٦.
(٤) سنن الترمذي (٣٣٨٣) وحسنه، وابن ماجه (٣٨٠٠)، وابن حبان (٨٤٦)، =

❁ عن ابن عمرو (ت: ٦٥هـ) رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[(١)].

❁ وعَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ كَرِيزٍ رضي الله عنه؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَفْضَلُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ. وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»[(٢)].

المطلب الثاني والخمسون

كلمة التوحيد أفضل الكلام

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «و«لا إلٰه إلا الله» تقتضي الإخلاص والتوكل. والإخلاص يقتضي الشكر. فهي أفضل الكلام. وهي أعلى شعب الإيمان»[(٣)].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «كلمة التوحيد أفضل الكلام، وأعظمه»[(٤)].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «ولهذا ورد في فضل هذه الكلمة شهادة أن لا إلٰه إلا الله من الدلائل ما يضيق هذا الموضع عن ذكره وهي أفضل الكلام وما فيها من العلم والمحبة أفضل العلوم

= والحاكم (١٨٣٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٥٩٩)، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي».
(١) سنن الترمذي (٣٥٨٥) وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي».
(٢) وروى الإمام مالك في «الموطأ» (٧٢٦)، والبيهقي في «السنن» (٨٣٩١).
(٣) مجموع الفتاوى ١٤/ ٤٢٠.
(٤) مجموع الفتاوى ٣/ ٤٠٠.

والمحبات كالحديث الذي في السنن «أفضل الذكر لا إله إلا الله»[(١)][(٢)].

المطلب الثالث والخمسون

كلمة التوحيد أبلغ الثناء

۞ قال الإمام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «أبلغ الثناء: قول لا إله إلا الله، وأبلغ الدعاء: أستغفر الله»[(٣)].

المطلب الرابع والخمسون

التوحيد سبب النجاة

۞ عن أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قال: لا إلهَ إلا اللهُ؛ نَفَعتْه يومًا من دهرِه، يُصيبُه قبلَ ذلكَ ما أصابَه»[(٤)].

۞ قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ [غافر، الآية: ٤١]: إلى الإيمان بالله ﴿وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۝٤١﴾ [غافر]: إلى الكفر الذي يدخل به صاحبه النار»[(٥)].

---

(١) سنن الترمذي (٣٣٨٣) وحسنه، وابن ماجه (٣٨٠٠)، وابن حبان (٨٤٦)، والحاكم (١٨٣٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٥٩٩)، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي».

(٢) قاعدة في المحبة ص١٣.

(٣) مجموع الفتاوى ١١/ ٦٩٧.

(٤) أخرجه البزار (٨٢٩٢)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٣٩٦) واللفظ لهما، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» ٧/ ١٢٦، وصححه الألباني في صحيح الترغيب برقم (١٥٢٥).

(٥) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٤/ ١٣٥.

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنما ضمنت النجاة لمن حكم هدى الله تعالى على غيره، وتزود التقوى، وأتم بالدليل وسلك الصراط المستقيم، واستمسك من التوحيد واتباع الرسول ﷺ بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والله سميع عليم»[(١)].

۞ وأوصى ابنُ قُدامَة (ت: ٦٢٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ أحد إخوانه: «واعلم أنّ مَن هوَ في البَحرِ على اللوحِ، ليسَ بأحوَجَ إلى اللهِ وإلى لُطفه ممن هوَ في بيتِه بينَ أهلِه ومالِه، فإذا حققتَ هذا في قَلبِك فاعتمد على الله اعتمادَ الغريقِ الذي لا يعلمُ له سبب نجاةٍ غير الله!»[(٢)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «والقرآن كله مملوء من تحقيق هذا التوحيد والدعوة إليه، وتعليق النجاة والفلاح، واقتضاء السعادة في الآخرة به»[(٣)].

۞ قال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت: ٨١٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «والتوحيد الحقيقي الذي هو سبب النجاة ومادة السعادة في الدار الآخرة ما بينه الله تعالى وهدانا في كتابه العزيز بقوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران]»[(٤)].

۞ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوحيد جعله الله موصلًا إلى كل خير دافعًا لكل شر ديني ودنيوي، وجعل الشرك به والكفر سببًا للعقوبات الدينية والدنيوية، ولهذا إذا ذكر

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية ١/ ٨٣.
(٢) الوصية المُباركة ص٧٧.
(٣) منهاج السنة ٥/ ٣٤٧.
(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٥/ ١٧١.

تعالى قصص الرسل مع أمم المطيعين والعاصين، وأخبر عن عقوبات العاصين ونجاة الرسل ومن تبعهم، قال عقب كل قصة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ [البقرة، الآية: ٢٤٨]؛ أي: لعبرة يعتبر بها المعتبرون فيعلمون أن توحيده هو الموجب للنجاة، وتركه هو الموجب للهلاك»[(١)].

● قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لم يضمن الله لأحد ألا يكون ضالًّا في الدنيا ولا شقيًّا في الآخرة إلا لمتبعي الوحي وحده. قال ـ تعالى ـ في طه: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه، الآية: ١٢٣]، وقد دلت آية طه هذه على انتفاء الضلال والشقاوة عن متبعي الوحي. ودلت آية البقرة على انتفاء الخوف والحزن عنه، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة]»[(٢)].

المطلب الخامس والخمسون

القلوب في سجن من الجحيم في هذه الدار ولا تزال في هذا السجن حتى تتخلص إلى فضاء التوحيد

● قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذه القلوب في سجن من الجحيم في هذه الدار، وإن أريد بها الخير كان حظها من سجن الجحيم في معادها، ولا تزال في هذا السجن حتى تتخلص إلى فضاء التوحيد، والإقبال على الله، والأنس به، وجعل محبته في محل دبيب خواطر القلب ووساوسه، بحيث يكون ذكره تعالى وحبه، وخوفه ورجاؤه،

---

(١) تفسير ابن سعدي (سورة آل عمران، الآية: ١٨).

(٢) أضواء البيان ٧/ ٣٠٢.

والفرح به والابتهاج بذكره هو المستولي على القلب، الغالب عليه، الذي متى فقده فقد قوته الذي لا قوام له إلا به، ولا بقاء له بدونه، ولا سبيل إلى خلاص القلب من هذه الآلام التي هي أعظم أمراضه وأفسدها له إلا بذلك، ولا بلاغ إلا بالله وحده، فإنه لا يوصل إليه إلا هو، ولا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يصرف السيئات إلا هو، ولا يدل عليه إلا هو، وإذا أراد عبده لأمر هيأه له، فمنه الإيجاد، ومنه الإعداد، ومنه الإمداد، وإذا أقامه في مقام؛ أيَّ مقام كان، فبحمده أقامه فيه، وحكمته إقامته فيه، ولا يليق به غيره، ولا يصلح له سواه، ولا مانع لما أعطى الله، ولا معطي لما منع، ولم يمنع عبده حقًّا هو للعبد فيكون بمنعه ظالمًا؛ بل منعه ليتوصل إليه بمحابه ليعطيه، وليتضرع إليه، ويتذلل بين يديه، ويتملقه، ويعطي فقره إليه حقه، بحيث يشهد في كل ذرة من ذراته الباطنة والظاهرة فاقة تامة إليه على تعاقب الأنفاس»(١).

المطلب السادس والخمسون

التوحيد أصل في إقامة الدين

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم].

قال سعيد بن جبير (ت: ٩٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ أي: أخلص دينك لله»(٢).

(١) زاد المعاد ٢/٤٢٨ ـ ٤٢٩.
(٢) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة الروم، الآية: ٣٠).

۞ قال السدي (ت: ١٢٨) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ [الروم: ٣٠]، يعني: التوحيد»[١].

۞ قال يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي (ت: ٢٠٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ [الروم: ٣٠]، يعني: التوحيد»[٢].

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ يعني: فأخلص دينك الإسلام لله عَزَّ وَجَلَّ»[٣].

۞ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإقامة الوجه: إقامة الدين»[٤].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإقامة وجهه للدين حنيفًا عبادة الله وحده لا شريك له وذلك يجمع الإيمان بكل ما أمر الله به وأخبر به أن يكون الدين كله لله.

ثم قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ [الروم]، وذلك أنه إذا كان الدين كله لله حصل الإيمان والطاعة لكل ما أنزله وأرسل به رسله وهذا يجمع كل حق ويجمع عليه كل حق، وإذا لم يكن كذلك فلا بد أن يكون لكل قول ما يمتازون به مثل معظم مطاع أو معبود لم يأمر الله بعبادته وطاعته ومثل قول ودين ابتدعوه لم يأذن الله به ولم يشرعه فيكون كل من الفريقين مشركًا من هذا الوجه»[٥].

---

(١) تفسير يحيى بن سلام (سورة الروم، الآية: ٣٠).
(٢) تفسير يحيى بن سلام (سورة الروم، الآية: ٣٠).
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة الروم، الآية: ٣٠).
(٤) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة الروم، الآية: ٣٠).
(٥) قاعدة في المحبة ص٤٤.

۞ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول تعالى: فسدد وجهك واستمر على الذي شرعه الله لك، من الحنيفية ملة إبراهيم، الذي هداك الله لها، وكملها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة، التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره»[1].

۞ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوحيد فطرة الله التي فطر الناس عليها: قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ [الروم]؛ «﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ أي: انصبه ووجِّهه ﴿لِلدِّينِ﴾ الذي هو الإسلام والإيمان والإحسان؛ بأن تتوجَّه بقلبك وقصدك وبدنك إلى إقامة شرائع الدين الظاهرة؛ كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، ونحوها، وشرائعه الباطنة؛ كالمحبة، والخوف، والرجاء، والإنابة، والإحسان في الشرائع الظاهرة والباطنة، بأن تعبد الله فيها كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك، وخصَّ الله إقامة الوجه؛ لأن إقبال الوجه تبعٌ لإقبال القلب، ويترتَّب على الأمرين سعيُ البدن، ولهذا قال: ﴿حَنِيفًا﴾ أي: مُقْبِلًا على الله في ذلك، معرِضًا عمَّا سواه، وهذا الأمر الذي أمرناك به هو ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾، ووضع في عقولهم حسنها، واستقباح غيرها. فإن جميع أحكام الشرع، الظاهرة والباطنة، قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم الميلَ إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق وإيثار الحق، وهذه حقيقة الفِطَر، ومَن خرج عن هذا الأصل، فلِعارِضٍ عرض لفطرته أفسدها؛ كما قال النبي ﷺ: «كل مولود يُولَد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (سورة الروم، الآية: ٣٠).

يمجِّسانه». ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: لا أحد يبدِّل خلق الله، فيجعل المخلوق على غير الوضع الذي وضعه الله ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي أمرناك به ﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُۚ﴾ أي: الطريق المستقيم الموصل إلى الله، وإلى دار كرامته، فإنَّ مَن أقام وجهه للدين حنيفًا فإنه سالك الصراط المستقيم في جميع شرائعه وطرقه؛ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾، فلا يتعرَّفون الدين القيم، وإن عرفوه لم يسلكوه[(١)].

المطلب السابع والخمسون

التوحيد حياة الدنيا

قال يحيى بن عمار (ت: ٤٢٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العلوم خمسة: ١ ـ حياة الدنيا؛ هو علم التوحيد. ٢ ـ غذاء الدين؛ هو علم التذكر بمعاني القرآن والحديث. ٣ ـ دواء الدين؛ هو علم الفتوى إذا نزل بالعبد نازلة احتاج إلى من يشفيه منها. ٤ ـ داء الدين؛ هو الكلام المحدث. ٥ ـ هلاك الدين؛ وهو علم السحر ونحوه»[(٢)].

المطلب الثامن والخمسون

التوحيد أعظم ما أمر الله به

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد].

---

(١) «تفسير السعدي» (الروم: ٣٠).

(٢) مجموع الفتاوى ١٥/١٤٦.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء، الآية: ٢٣].

قال ابن أبي العز (ت: ٧٩٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أن التوحيد هو أول دعوة الرسل وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عَزَّ وَجَلَّ... ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك، فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، فهو أول واجب وآخر واجب»[(١)].

قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوحيد أعظم المأمورات، وكان العصيان فيه أعظم العصيان»[(٢)].

قال محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (ت: ١٢٠٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أعظم ما أمر الله به التوحيد؛ وهو إفراد الله بالعبادة، وأعظم ما نهى عنه الشرك؛ وهو دعوة غيره معه، والدليل قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء، الآية: ٣٦]»[(٣)].

قال محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (ت: ١٢٠٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أهم ما فرض على العباد معرفة أن الله رب كل شيء ومليكه ومدبّره بإرادته»[(٤)].

قال محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلِّقًا على قول الشيخ ابن عبد الوهاب: «وأعظم ما أمر الله به التوحيد: وإنما كان التوحيد أعظم ما أمر الله لأنه الأصل الذي ينبني عليه الدين كله، ولهذا بدأ

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ١/ ٢١ ـ ٢٣.
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١١/ ١٧٥.
(٣) ثلاثة الأصول ص٨.
(٤) مجموع الرسائل والمسائل النجدية ١/ ١٦.

به النبي ﷺ في الدعوة إلى الله، وأمر من أرسله للدعوة أن يبدأ به»[١].

۞ قال حافظ بن أحمد حكمي (ت: ١٣٧٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمقصود أن الشرك أعظم ما نهى الله عنه كما أن التوحيد أعظم ما أمر الله به؛ ولهذا كان أول دعوة الرسل كلهم إلى توحيد الله ﷻ ونفي الشرك فلم يأمروا بشيء قبل التوحيد ولم ينهوا عن شيء قبل الشرك»[٢].

۞ قال الشيخ عبد الرحمٰن بن قاسم (ت: ١٣٩٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء، الآية: ٣٦]: «وتسمى هذه الآية آية الحقوق العشرة. لأنها اشتملت على حقوق عشرة. أحدها الأمر بالتوحيد ثم عطف عليه التسعة الباقية وابتداؤه تعالى بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك أدل دليل على أنه هو أهمها، فإنه لا يبدأ إلا بالأهم فالأهم، فدلت على أن التوحيد أوجب الواجبات، وأن ضده وهو الشرك أعظم المحرمات»[٣].

المطلب التاسع والخمسون:

التوحيد عظيم

قال - تعالى -: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١﴾ [الحج].

۞ قال بشر بن الحارث الحافي (ت: ٢٢٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو تفكر الناس في عظمة الله تعالى لما عصوه»[٤].

---

(١) شرح ثلاثة الأصول ص٤١.
(٢) كتاب معارج القبول بشرح سلم الوصول ٢/ ٤٨١.
(٣) حاشية الأصول الثلاثة ص٣٤.
(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/ ١٨٥.

۞ قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ الذي له الكمال كله، فلا ميل في شيء من فعله، وإنما كانا كذلك مع اجتماعهما في مطلق الميل، لأن الزور تدور مادته على القوة والوعورة، والحنف ـ كما مضى في البقرة ـ على الرقة والسهولة، فكان ذو الزور معرضًا عن الدليل بما فيه من الكثافة، والحنيف مقبلًا على الدليل بما له من الإطافة.

ولما أفهم ذلك التوحيد، أكده بقوله: ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ أي: شيئًا من إشراك، بل مخلصين له الدين، ودل على عظمة التوحيد وعلوه، وفظاعة الشرك وسفوله، بقوله زاجرًا عنه عاطفًا على ما تقديره: فمن امتثل ذلك أعلاه اعتداله إلى الرفيق الأعلى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ﴾ أي: يوقع شيئًا من الشرك ﴿بِٱللَّهِ﴾ أي: الذي له العظمة كلها، لشيء من الأشياء في وقت من الأوقات ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ لعلو ما كان فيه من أوج التوحيد وسفول ما انحط إليه من حضيض الإشراك.

ولما كان الساقط من هذا العلو متقطعًا لا محالة إما بسباع الطير أو بالوقوع على جلد، عبر عن ذلك بقوله: ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ أي: قِطعًا بينها، وهو نازل في الهواء قبل أن يصل إلى الأرض ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ﴾أي حيث لم يجد في الهواء ما يهلكه ﴿فِي مَكَانٍ﴾ من الأرض ﴿...سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ أي: بعيد في السفول، فيتقطع حال وصوله إلى الأرض بقوة السقطة وشدة الضغطة لبعد المحل الذي خر منه وزل عنه، فالآية من الاحتباك: خطف الطير الملزوم للتقطع أولًا دال على حذف التقطع ثانيًا، والمكان السحيق الملزوم لبلوغ الأرض ثانيا دليل على حذف ضده أولا؛ ثم عظم ما تقدم من التوحيد وما هو مسبب عنه بالإشارة بأداة البعد»(١).

---

(١) كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٣/ ٤٣ ـ ٤٤.

المطلب الستون

التوحيد سلعة، الله مشتريها

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا إلٰه إلا الله سلعة، الله مشتريها، وثمنها الجنة، والدلال الرسول، ترضى بيعها بجزء يسير مما لا يساوي كله جناح بعوضة»(١).

المطلب الواحد والستون

كلمة التوحيد هي الموجبة

❁ عن جابر بن عبد الله (ت: ٧٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتى النَّبيَّ ﷺ رجلٌ فقالَ: يا رسولَ اللهِ، ما المُوجِبَتانِ؟ فقالَ: «**من ماتَ لا يُشرِكُ باللهِ شيئًا دخلَ الجنَّةَ، ومن ماتَ يشركُ باللهِ شيئًا دخلَ النَّارَ**»(٢).

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «يريد أن التوحيد والشرك رأس الموجبات وأصلها، فهما بمنزلة السم القاتل قطعًا والترياق المنجي قطعًا.

وكما أن البدن قد تعرض له أسباب ردية لازمة توهن قوته وتضعفها، فلا ينتفع معها بالأسباب الصالحة والأغذية النافعة، بل تحيلها تلك المواد الفاسدة إلى طبعها وقوتها، فلا يزداد بها إلا مرضًا، وقد تقوم به مواد صالحة وأسباب موافقة توجب قوته وتمكنه من الصحة وأسبابها، فلا تكاد تضره الأسباب الفاسدة، بل تحيلها تلك المواد

(١) الفوائد ص٤٢.
(٢) أخرجه مسلم برقم (٩٣).

الفاضلة إلى طبعها فهكذا مواد صحة القلب وفساده»[١].

❁ قال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت: ٨١٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «والكلمة الموجبة: لا إله إلا الله»[٢].

«ما الموجبتان؟»؛ أي: ما الخصلتان من الخير والشر اللتان إذا فعلت إحداهما أوجبت لصاحبها الجنة أو أوجبت له النار.

المطلب الثاني والستون

التوحيد الشأن كله فيه، والمدار كله عليه

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر].

❁ عن ابن عمر (ت: ٧٣هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿...لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾، قال: «عن لا إله إلّا الله»[٣].

❁ عن أنس بن مالك (ت: ٩٠هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ قال: «عن شهادة أن لا إله إلّا الله»[٤].

❁ قال أبو العالية (ت: ٩٣هـ): كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟»[٥].

❁ قال قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «كلمتان يسأل

(١) زاد المعاد ٣/ ٥٢١ ـ ٥٢٢.
(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٥/ ١٦١.
(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري (سورة الحجر، الآية: ٩٢).
(٤) جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري (سورة الحجر، الآية: ٩٢).
(٥) مجموع الفتاوى ١٥/ ١٠٥، طريق الهجرتين ٢٩٦ ـ ٢٩٧.

عنهما الأولون والآخرون: ماذا كنتم تعبدون وماذا أجبتم المرسلين؟»[١].

❁ عن مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، في قول: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ قال: «عن لا إله إلّا الله»[٢].

❁ قال محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: وقال عدة من أهل العلم في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ «عن قول لا إله إلا الله»[٣].

❁ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فوربك يا محمد لنسألنّ هؤلاء الذين جعلوا القرآن في الدنيا عضين في الآخرة عما كانوا يعملون في الدنيا، فيما أمرناهم به وفيما بعثناك به إليهم من آي كتابي الذي أنزلته إليهم وفيما دعوناهم إليه من الإقرار به ومن توحيدي والبراءة من الأنداد والأوثان»[٤].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فحقيق لمن نصح نفسه وأحب سعادتها ونجاتها أن يتيقظ لهذه المسألة فإن الشأن كله فيها والمدار عليها والسؤال يوم القيامة عنها، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر]، قال غير واحد من السلف: هو عن قول: «لا إله إلا الله»، وهذا حق.

فإن السؤال كله عنها وعن أحكامها وحقوقها وواجباتها ولوازمها، فلا يسأل أحد قط إلا عنها وعن واجباتها ولوازمها وحقوقها، قال

---

(١) التبوكية ١/ ٢٤، إغاثة اللهفان ١/ ٨٤.
(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري (سورة الحجر، الآية: ٩٢).
(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من قال الإيمان هو العمل ١/ ١٨.
(٤) جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري (سورة الحجر، الآية: ٩٢).

أبو العالية (ت: ٩٣هـ): كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟ فالسؤال عماذا كانوا يعبدون هو السؤال عنها نفسها، والسؤال عماذا أجابوا المرسلين سؤال عن الوسيلة والطريق المؤدية إليها: هل سلكوها وأجابوا الرسل لما دعوهم إليها، فعاد الأمر كله إليها.

وأمر هذا شأنه حقيق بأن تنعقد عليه الخناصر، ويعض عليه بالنواجذ، ويقبض فيه على الجمر ولا يؤخذ بأطراف الأنامل، ولا يطلب على فضلة، بل يجعل هو المطلب الأعظم وما سواه إنما يطلب على الفضلة. والله الموفق لا إله غيره ولا رب سواه»(١).

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة].

❂ قال أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة، الآية: ١٠٩]، فإنه يسألهم عند زفرة جهنم، فيقول: ماذا أجبتم في التوحيد؟ فتذهب عقولهم عند زفرة جهنم، فيقولون: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [المائدة، الآية: ١٠٩]، ثم ترجع لهم عقولهم من بعد، فيقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ الَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود، الآية: ١٨]»(٢).

❂ قال محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد، وابن جرير (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، وابن المنذر، وابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، وأبو الشيخ (ت: ٣٦٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، عن مجاهد في قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ فيفزعون فيقولون: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ فترد إليهم أفئدتهم فيعلمون، وأخرج ابن جرير

---

(١) طريق الهجرتين ص٢٩٦ ـ ٢٩٧.
(٢) الرد على الجهمية والزنادقة ص٧٥ ـ ٧٦.

(ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، وابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، وأبو الشيخ (ت: ٣٦٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، عن السدي (ت: ١٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في الآية قال: ذلك أنهم نزلوا منزلًا ذهلت فيه العقول، فلما سئلوا قالوا: لا علم لنا. ثم نزلوا منزلًا آخر فشهدوا على قومهم.

وأخرج ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، وأبو الشيخ (ت: ٣٦٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قالوا: لا علم لنا. فرقًا يذهل عقولهم. ثم يرد الله إليهم عقولهم فيكونون هم الذين يسألون بقول الله: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [الأعراف]»[1].

المطلب الثالث والستون

التوحيد رتبة لا تليق إلا بالله وحده

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «متى استحكم الذل والحب صار عبودية فيصير القلب المحب معبدًا لمحبوبه وهذه الرتبة لا يليق أن تتعلق بمخلوق ولا تصلح إلا لله وحده»[2].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «أعظم الناس خذلانًا من تعلق بغير الله، فإن ما فاته من مصالحه وسعادته وفلاحه؛ أعظم مما حصل له ممن تعلق به، وهو معرض للزوال والفوات. ومثل المتعلق بغير الله كمثل المستظل من الحر والبرد ببيت العنكبوت أوهن البيوت»[3].

---

(١) فتح القدير ٢/١٣٣. وانظر أيضًا: تفسير الطبري ٧/١٢٤، ١٢/٢٠، وتفسير ابن كثير ٢/١٢٣.

(٢) روضة المحبين ١/٢٨١.

(٣) مدارج السالكين ١/٤٥٨.

۞ عن جابر (ت: ٧٨هـ) رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار**»(١).

۞ قال سليمان بن عبد الله آل الشيخ (ت: ١٢٣٣هـ) رحمه الله: «يعني أن معنى لا إلٰه إلا الله: ترك الشرك، وإفراد الله بالعبادة، والبراءة ممن عبد سواه، كما بينه الحديث، وفيه فضيلة من سلم من الشرك»(٢).

المطلب الرابع والستون

التوحيد أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا

۞ قال النبي ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إلٰه إلا الله دخل الجنة**»(٣)، فهو أول واجب؛ وآخر واجب، وأول الأمر؛ وآخره»(٤).

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: «وأجمع المسلمون على أن الكافر إذا قال: لا إلٰه إلا الله، محمد رسول الله فقد دخل في الإسلام، وشهد شهادة الحق، ولم يتوقف إسلامه على لفظ الشهادة وأنه قد دخل في قوله: «**حتى يشهدوا أن لا إلٰه إلا الله**»، وفي لفظ آخر: «**حتى يقولوا لا إلٰه إلا الله**»، فدل على أن مجرد قولهم لا إلٰه إلا الله شهادة منهم»(٥).

---

(١) رواه مسلم: الإيمان (٩٣)، وأحمد ٣/ ٣٧٤.
(٢) تيسير العزيز الحميد ص٩٤.
(٣) رواه أحمد (٢١٥٢٩) وأبو داود (٣١١٦) وحسنه الألباني في «إرواء الغليل» (٦٨٧).
(٤) مدارج السالكين ٣/ ١١١.
(٥) مدارج السالكين ٣/ ٤٢١.

المطلب الخامس والستون

توحيد الله فرض عين على كل إنسان

❁ عن عوف بن مالك الأشجعي (ت: ٧٣هـ) رضي الله عنه قال: «كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقال: «ألا تُبايعون رسول الله ﷺ؟» وكنَّا حَدِيث عهد بِبَيْعة، فقلنا: قد بايَعْنَاك يا رسول الله، ثم قال: «ألا تُبايعون رسول الله» فبَسَطْنَا أيْدِينا، وقلنا: قد بَايَعْناك فَعَلَام نُبايِعُك؟ قال: «على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، والصلوات الخمس وتطيعوا الله» وأَسَر كلمة خفيفة «ولا تسألوا الناس شيئًا»، فلقد رأيت بعض أولئك النَّفرَ يسقط سَوطُ أحدهم فما يسأل أحدًا يناولُه إيَّاه»[(١)].

❁ قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «وطلب العلم الشرعي فرض على الكفاية إلا فيما يتعين، مثل طلب كل واحد علم ما أمره به وما نهاه عنه، فإن هذا فرض على الأعيان»[(٢)].

❁ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رحمه الله، عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد، الآية: ١٩]: «هذا العلم الذي أمر الله به ـ وهو العلم بتوحيد الله ـ فرض عين على كل إنسان لا يسقط عن أحد كائنًا من كان، بل كل مضطر إلى ذلك»[(٣)].

❁ قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين (ت: ١٢٨٢هـ) رحمه الله:

---

(١) رواه مسلم (١٠٤٣).
(٢) مجموع الفتاوى ٣/٣٢٨، ٣٢٩.
(٣) تفسير السعدي (سورة محمد، الآية: ١٩).

«أفرض العلوم معرفة الله سبحانه بأسمائه وصفاته؛ ومعرفة حقه على عباده الذي خلق الجن والإنس لأجله؛ وهو توحيد الألوهية»(١).

۞ قال عبد الرحمٰن بن قاسم (ت: ١٣٩٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوحيد أوجب الواجبات، ومعرفته أفرض الفرائض»(٢).

المطلب السادس والستون

التوحيد محك الخصومة مع الكفار

قال ـ تعالى ـ: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾ [الحج، الآية: ١٩].

۞ قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ﴾ والمعنى أن الإيمان وأهله والكفر وأهله خصمان مذ كانا إلى قيام الساعة بالعداوة والجدال والحرب.

وقوله: ﴿فِي رَبِّهِمۡۖ﴾ معناه في شأن ربهم وصفاته وتوحيده»(٣).

۞ وقال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وعطاء بن أبي رباح (ت: ١١٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ. والكلبي (ت: ٢٠٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هم المؤمنون والكافرون كلهم من أي ملة كانوا»(٤).

۞ قال ابن جزي (ت: ٧٤١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ﴾ الإشارة إلى المؤمنين والكفار على العموم ويدل على ذلك ما ذكر قبلها من اختلاف

---

(١) الرد على البردة ص٣٧٥.
(٢) حاشية الأصول الثلاثة ص١٣٧.
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤/ ١١٤.
(٤) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة الحج، الآية: ١٩).

الناس في أديانهم، وهو قول ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما»[(١)].

۞ قال الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) رحمه الله: «﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ يعني: المؤمنين والكافرين ﴿ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ في دينه»[(٢)].

۞ قال محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٥هـ) رحمه الله: «﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ الخصمان أحدهما أنجس الفرق: اليهود والنصارى والصابئون والمجوس والذين أشركوا، والخصم الآخر: المسلمون، فهما فريقان مختصمان. قاله الفراء (ت: ٢٠٧هـ) رحمه الله، وغيره.

ومعنى: ﴿فِى رَبِّهِمْ﴾ في شأن ربهم؛ أي: في دينه، أو في ذاته، أو في صفاته، أو في شريعته لعباده، أو في جميع ذلك»[(٣)].

۞ قال شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ) رحمه الله: «﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ تعيين لطرفي الخصام وتحرير لمحله فالمراد بـ ﴿هَٰذَانِ﴾ فريق المؤمنين وفريق الكفرة المنقسم إلى الفرق الخمس. وروي عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) ـ رضي الله تعالى عنهما ـ. ومجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) رحمه الله. وعطاء بن أبي رباح (ت: ١١٤هـ) رحمه الله. والحسن (ت: ١١٠هـ) رحمه الله. وعاصم رحمه الله. والكلبي (ت: ٢٠٤هـ) رحمه الله، ما يؤيد ذلك وبه يتعين كون الفصل السابق بين المؤمنين ومجموع من عطف عليهم، ولما كان كل خصم فريقًا يجمع طائفة جاء ﴿ٱخْتَصَمُوا۟﴾ بصيغة الجمع»[(٤)].

---

(١) تفسير التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (سورة الحج، الآية: ١٩).
(٢) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (سورة الحج، الآية: ١٩).
(٣) تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني (سورة الحج، الآية: ١٩).
(٤) تفسير روح المعاني للألوسي (سورة الحج، الآية: ١٩).

المطلب السابع والستون

التوحيد هو الفاصل بين الإيمان والكفر

قال - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحج].

عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية. «قال: الصابئون، قوم يعبدون الملائكة ويصلون القبلة ويقرؤون الزبور، والمجوس عبدة الشمس والقمر والنيران، وأما الذين أشركوا فهم عبدة الأوثان؛ إن الله يفصل بينهم يوم القيامة قال: الأديان ستة: فخمسة للشيطان، ودين لله عَزَّ وَجَلَّ»[(١)].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالأديان ستة، فواحد لله عَزَّ وَجَلَّ، وهو الإسلام، وخمسة للشيطان»[(٢)].

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال بعضهم: جعل الأديان ستة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحج] فجعل خمسة للنار وواحدًا للجنة، فقوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْ﴾ ينصرف إليهم فالمؤمنون خصم وسائر الخمسة خصم»[(٣)].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (سورة الحج، الآية: ١٧)، ٨/٢٤٧٨؛ وانظر تفسير الدر المنثور (سورة الحج، الآية: ١٧).
(٢) تفسير مقاتل (سورة الحج، الآية: ١٧).
(٣) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة الحج، الآية: ١٩).

۞ أخرج ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن عكرمة (ت: ١٠٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: قالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقالت الصابئة: نحن نعبد الملائكة من دون الله، وقالت المجوس: نحن نعبد الشمس والقمر من دون الله، وقالت المشركون: نحن نعبد الأوثان من دون الله؛ فأوحى الله إلى نبيه ليكذب قولهم: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الصمد]، إلى آخرها، ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الإسراء، آية: ١١١]، وأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ﴾»[١].

۞ قال سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (ت: ٧١٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فتارك الحكم بما أنزل الله في التوحيد ونحوه من أركان الدين يكون كافرًا، وتاركه في أحكام الفروع كالقصاص ونحوه يكون ظالمًا فاسقًا»[٢].

۞ قال ابن جزي (ت: ٧٤١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفصل الله بينهم بأن يبين لهم أن الإيمان هو الحق، وسائر الأديان باطلة، وبأن يدخل الذين آمنوا الجنة ويدخل غيرهم النار»[٣].

المطلب الثامن والستون

التوحيد مما يحصل البيعة عليه

قال - تعالى -: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (سورة الحج، الآية: ١٧)، ٨/٢٤٧٨؛ وانظر تفسير الدر المنثور (سورة الحج، الآية: ١٧).

(٢) الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية ص٢١٧.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (سورة الحج، الآية: ١٧).

يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ [الممتحنة].

۞ عن عبادة بن الصامت (ت: ٣٤هـ) رضي الله عنه قال: «بايعت رسول الله ﷺ في رهط، فقال: أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فأخذ به في الدنيا، فهو له كفارة وطهور، ومن ستره الله، فذلك إلى الله: إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له»[(١)].

۞ عن محمد بن الأسود بن خلف (لم أقف على تاريخ وفاته) رحمه الله، أخبره أن أباه الأسود(لم أقف على تاريخ وفاته) رضي الله عنه: أتى النبي ﷺ يبايع الناس يوم الفتح قال: جلس عند قرن مسقلة[(٢)]، فبايع الناس على الإسلام والشهادة، قلت: وما الشهادة؟ قال: أخبرني محمد بن الأسود ـ يعني: ابن خلف ـ أنه بايعهم على الإيمان بالله وشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٦٨).

(٢) اختلفت المصادر في رواية هذه اللفظة: «مسفلة»، «مسقلة»، «مصقلة» وينظر المعجم الكبير ١/٢٥٦ (٨١٥)، وتعليق محقق المسند..

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٥٤٣١) وقال محقق المسند: إسناده محتمل للتحسين، محمد بن الأسود بن خلف، من رجال «التعجيل» روى عنه اثنان، وذكره ابن حبان في «الثقات» وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح.
وهو عند عبد الرزاق في «المصنف» (٩٨٢٠) و(١٩٢٢٢)، ومن طريقه ابن سعد في «الطبقات» ٥/٤٥٩، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني»، والمعجم الكبير ١/٢٥٦ (٨١٥)، والحاكم ٣/٢٩٦، والمختارة ٤/٢٤٣، ٢٤٤ (١٤٤٢، ١٤٤٣) ورواه البيهقي في الدلائل ٥/٩٤، وقال الهيثمي في =

۞ عن أميمة بنت رقيقة رضي الله عنها أنها قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نسوة على الإسلام فقلن: يا رسول الله! نبايعك على أن لا نشرك بالله شيئًا، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيك في معروف فقال رسول الله ﷺ: «**فيما استطعتن وأطعتن**» قالت: فقلن: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا هلم نبايعك يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: «**إني لا أصافح النساء، إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة، أو مثل قولي لامرأة واحدة**»[(١)].

۞ عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت فاطمة بنت عتبة بن ربيعة رضي الله عنها تبايع النبي ﷺ، فأخذ عليها: ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ﴾ [الممتحنة: ١٢] قالت: فوضعت يدها على رأسها حياء، فأعجب النبي ﷺ ما رأى منها، فقالت عائشة: أقري أيتها المرأة، فوالله ما بايعنا إلا على هذا، قالت: فنعم إذًا، فبايعها بالآية»[(٢)].

= المجمع ٦/ ٤٠: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وأحمد باختصار، ورجاله ثقات.

(١) صحيح: رواه مالك في البيعة (٢) عن محمد بن المنكدر، عن أميمة بنت رقيقة قالت: . . . فذكرته.

ورواه الترمذي (١٥٩٧) وابن ماجه (٢٨٧٤) والنسائي ٧/ ١٤٩ وأحمد (٢٧٠٠٦) وصححه ابن حبان (٤٥٥٣) كلهم من حديث سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر بإسناده مثله واللفظ لمالك، ومن طريقه رواه ابن حبان، ورواه الحاكم ٤/ ٧١ من طريق ابن إسحاق عن محمد بن المنكدر.

قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث محمد بن المنكدر نحوه، وروى سفيان الثوري ومالك بن أنس وغير واحد هذا الحديث عن محمد بن المنكدر نحوه. (المصدر: الجامع الكامل في الحديث الصحيح الشامل المرتب على أبواب الفقه للأعظمي ٨/ ٤٨٣).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٥١٧٥) عن عبد الرزاق ـ وهو في مصنفه (٩٨٢٧) ومن طريقه أيضًا ابن حبان (٤٥٥٤) والبزار ـ كشف الأستار (٧٠) قال: أخبرنا =

❁ قال محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واختلف في صفة البيعة كيف كانت؟

فقيل: على الموت.

وقيل: على ألا نفر.

وقيل: على التوحيد؛ لقوله: «لا تشركوا»»[(١)].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان ﷺ يبايع أصحابه في الحرب على أن لا يفروا، وربما بايعهم على الموت، وبايعهم على الجهاد، كما بايعهم على الإسلام، وبايعهم على الهجرة قبل الفتح، **وبايعهم على التوحيد** والتزام طاعة الله ورسوله»[(٢)].

❁ قال مبارك بن محمد الميلي الجزائري (ت: ١٣٦٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذه أطوار البعثة من حين الأمر بالإنذار المطلق في سورة المدثر، إلى الأمر بإنذار العشيرة، إلى الأمر بالصدع بالدعوة، إلى الأمر بالهجرة، إلى الإذن بالقتال، إلى فتح مكة، إلى الإعلام بدنو الحمام؛ لم تخل من إعلان التوحيد وشواهده، ومحاربة الشرك ومظاهره، ويكاد ينحصر غرض البعثة أولًا في ذلك، فلا ترك النبي ﷺ التنديد بالأصنام وهو وحيد، ولا ذهل عنه وهو محصور بالشعب ثلاث سنوات شديدات، ولا نسيه وهو مختف في هجرته والعدو مشتد في طلبه، ولا قطع الحديث عنه وهو ظاهر بمدينته بين أنصاره، ولا غلق باب الخوض فيه بعد فتح مكة، ولا شغل عنه وهو

= معمر، عن الزهري ـ أو غيره ـ عن عروة، عن عائشة فذكرته. ومنهم من رواه بالجزم بأنه عن الزهري. وإسناده صحيح. (المصدر: الجامع الكامل في الحديث الصحيح الشامل المرتب على أبواب الفقه للأعظمي ٨/ ٤٨٤).

(١) كتاب المسالك في شرح موطأ الإمام مالك لابن العربي ٧/ ٥٦٦.

(٢) زاد المعاد ٣/ ١١٥.

يجاهد وينتصر ويكر ولا يفر، ولا اكتفى بطلب البيعة على القتال عن تكرير عرض البيعة على التوحيد ونبذ الشرك، وهذه سيرته المدونة وأحاديثه المصححة؛ فتتبعها، تجد تصديق ما ادعينا، وتفصيل ما أجملنا»[(١)].

المطلب التاسع والستون

أهل التوحيد أكمل إيمان أهل السموات والأرض

قال - تعالى -: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ [الفتح].

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: «بعث الله رسوله بشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدقوه زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصيام ثم الحج ثم الجهاد، حتى أكمل لهم دينهم، فكلما أمروا بشيء فصدقوه ازدادوا تصديقًا إلى تصديقهم»[(٢)].

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: «لما آمنوا بالتوحيد زادهم العبادات شيئًا شيئًا؛ فكانوا يزيدون إيمانًا حتى قال لهم: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة، الآية: ٣] فمنحهم أكمل إيمان أهل السماوات والأرض لا إله إلا الله»[(٣)].

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: «فأوثق إيمان أهل الأرض وأهل السموات وأصدقه وأكمله شهادة أن لا إله إلا الله»[(٤)].

---

(١) الشرك ومظاهره للميلي ص٤٥.
(٢) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة الفتح، الآية: ٤).
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/١٢٧، (سورة الفتح، الآية: ٤).
(٤) تفسير الطبري (سورة الفتح، الآية: ٤).

۞ قيل للحسن البصري (ت: ١١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما التوكل؟ قال: أن لا يكون شيء أوثق من قلب العبد من ربه»(١).

۞ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ﴾ قال: إن الله جلّ ثناؤه بعث نبيه محمدًا ﷺ بشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدّقوا بها زادهم الصلاة، فلما صدّقوا بها زادهم الصيام، فلما صدّقوا به زادهم الزكاة، فلما صدّقوا بها زادهم الحجّ، ثم أكمل لهم دينهم، فقال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ [المائدة، الآية: ٣]»(٢).

۞ قال أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صفوا للمنعم قلوبكم يكفكم المؤن عند همكم»(٣).

۞ يقول عبد الرحمٰن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عند تفسير قوله الله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾ [التوبة، الآية: ٤٠]: «وفيها فضيلة السكينة، وأنها من تمام نعمة الله على العبد في أوقات الشدائد والمخاوف التي تطيش بها الأفئدة؛ وأنها تكون على حسب معرفة العبد بربه، وثقته بوعده الصادق؛ وبحسب إيمانه وشجاعته»(٤).

المطلب السبعون

التوحيد يتضمن كمال المحبة لله تعالى

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والعبادة تتضمن كمال الحب ونهايته، وكمال الذل ونهايته، فالمحبوب الذي لا يعظم ولا يذل له

(١) الفنون لابن عَقِيلٍ ١/ ٤٠.
(٢) تفسير الطبري (سورة الفتح، الآية: ٤).
(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ١/ ٣٢.
(٤) تيسير الكريم الرحمٰن ص٣٣٧.

لا يكون معبودًا، والمعظم الذي لا يحب لا يكون معبودًا، ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة، الآية: ١٦٥].

فبين سبحانه أن المشركين بربهم الذين يتخذون من دون الله أندادًا، وإن كانوا يحبونهم كما يحبون الله، فالذين آمنوا أشد حبًّا لله منهم لله ولأوثانهم.

لأن المؤمنين أعلم بالله، والحب يتبع العلم؛ ولأن المؤمنين جعلوا جميع حبهم لله وحده، وأولئك جعلوا بعض حبهم لغيره وأشركوا بينه وبين الأنداد في الحب، ومعلوم أن ذلك أكمل قال ـ تعالى ـ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزمر].

واسم المحبة فيه إطلاق وعموم فإن المؤمن يحب الله ويحب رسله وأنبياءه وعباده المؤمنين، وإن كان ذلك من محبة الله، وإن كان المحبة التي لله لا يستحقها غيره؛ ولهذا جاءت محبة الله ﷻ مقرونة بما يختص به سبحانه من العبادة والإنابة إليه والتبتل له، ونحو ذلك، فكل هذه الأسماء تتضمن محبة الله ﷻ، وكما أن محبته هي أصل الدين، فكذلك كمال الدين يكون بكمالها ونقصه بنقصها»(١).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «فكلما قال العبد: «الله أكبر» تحقق قلبه بأن يكون الله في قلبه أكبر من كل شيء؛ فلا يبقى لمخلوق على القلب ربانية تساوي ربانية الرب فضلًا عن أن تكون مثلها.

وهذا داخل في التوحيد لا إله إلا الله، فلا يكون في قلبه لمخلوق

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٥٦، ٥٧).

شيء من التأله؛ لا قليل ولا كثير، بل التأله كله لله ولكن للمخلوق عنده نوع من القدر والمنزلة والمحبة، وليست كقدر الخالق، والمحبة المأمور بها هي الحب لله كحب الأنبياء والصالحين، فهو يحبهم؛ لأن الله أمر بحبهم، فهذا هو الحب لله، فأما من أحبهم مع الله فهذا مشرك.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة، الآية: ١٦٥]»[(١)].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي قوله: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ۝١٣﴾ [غافر]: إنّما يتّعظُ من يرجعُ إلى الطّاعة؛ وهذا لأنَّ التّذكُّر التّامَّ يستلزم التّأثُّر بما تذكّره، فإن تذكّر محبوبًا طلبه، وإن تذكّر مرهوبًا هرب منه»[(٢)].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكمال هذه المحبة هو بالعبودية والذل والخضوع والطاعة للمحبوب ﷻ فالحق الذي خلق به ولأجله الخلق هو عبادة الله وحده التي هي كمال محبته والخضوع والذل له، ولوازم عبوديته من الأمر والنهي والثواب والعقاب، ولأجل ذلك أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وخلق الجنة والنار»[(٣)].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنه ليس للقلب والروح ألذ ولا أطيب ولا أحلى ولا أنعم من محبة الله والإقبال عليه وعبادته وحده وقرة العين به، والأنس بقربه، والشوق إلى لقائه ورؤيته، وإن مثقال ذرة من هذه اللذة لا يعدل بأمثال الجبال من لذات الدنيا ولذلك كان مثقال ذرة من إيمان بالله ورسوله يخلص من الخلود في دار الآلام فكيف

---

(١) قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات ص٣٥.

(٢) مجموع الفتاوى ٧/ ٢٥.

(٣) روضة المحبين ص٥٩.

بالإيمان الذي يمنع من دخولها»[١].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «أنفع المحبة على الإطلاق وأوجبها وأعلاها وأجلها محبة من جبلت القلوب على محبته، وفطرت الخليقة على تأليهه، وبها قامت الأرض والسماوات، وعليها فطرت المخلوقات، وهي سر شهادة أن لا إله إلا الله، فإن الإله هو الذي تألهه القلوب بالمحبة والإجلال، والتعظيم والذل له والخضوع والتعبد، والعبادة لا تصلح إلا له وحده، والعبادة هي: كمال الحب مع كمال الخضوع والذل، والشرك في هذه العبودية من أظلم الظلم الذي لا يغفره الله، والله تعالى يحب لذاته من جميع الوجوه، وما سواه فإنما يحب تبعًا لمحبته.

وقد دل على وجوب محبته سبحانه جميع كتبه المنزلة، ودعوة جميع رسله، وفطرته التي فطر عباده عليها، وما ركب فيهم من العقوق، وما أسبغ عليهم من النعم، فإن القلوب مفطورة مجبولة على محبة من أنعم عليها وأحسن إليها، فكيف بمن كان الإحسان منه؟ وما بخلقه جميعهم من نعمة فمنه وحده لا شريك له، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة النحل]»[٢].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإذا كان الحب أصل كل عمل من حق وباطل، فأصل الأعمال الدينية حب الله ورسوله، كما أصل الأقوال الدينية تصديق الله ورسوله، وكل إرادة تمنع كمال الحب لله ورسوله وتزاحم هذه المحبة أو شبهة تمنع كمال التصديق، فهي معارضة لأصل الإيمان أو مضعفة له، فإن قويت حتى عارضت أصل الحب والتصديق كانت كفرًا أو شركًا أكبر، وإن لم تعارضه

(١) روضة المحبين ص١٦٨.
(٢) الجواب الكافي ص٢٢٨.

قدحت في كماله، وأثرت فيه ضعفًا وفتورًا في العزيمة والطلب، وهي تحجب الواصل، وتقطع الطالب، وتنكس الراغب، فلا تصح الموالاة إلا بالمعاداة كما قال ـ تعالى ـ عن إمام الحنفاء المحبين أنه قال لقومه: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء].

فلم يصح لخليل الله هذه الموالاة والخلة إلا بتحقيق هذه المعاداة، فإنه لا ولاء إلا بالبراءة من كل معبود سواه، قال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة، الآية: ٤].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف].

أي: جعل هذه الموالاة لله، والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقية في عقبه يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض وهي كلمة: لا إلٰه إلا الله، وهي التي ورثها إمام الحنفاء لأتباعه إلى يوم القيامة»[(١)].

❁ قال الإمام ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإذا ثقل الظهر بالأوزار منع القلب من السير إلى الله، والجوارح من النهوض في طاعته، وكيف يقطع مسافة السفر مُثقلٌ بالحمل على ظهره! وكيف ينهض إلى الله قلبٌ قد أثقلته الأوزار! فلو وُضعت عنه أوزاره لنهض وطار شوقًا إلى ربه، ولانقلب عسره يسرًا»[(٢)].

---

(١) الجواب الكافي ص١٩٥.
(٢) الكلام في مسألة السماع ص٢٧٨.

المطلب الواحد والسبعون

التوحيد يتضمن كمال غنى الله عزوجل

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران].

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾ [البقرة].

قال ـ تعالى ـ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة، الآية: ١٦].

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء].

فأثنى على أنبيائه ورسله مع أنهم يريدون منه الرحمة، ويريدون منه الجنة والنجاة من النار.

عن أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال النبيُّ ﷺ: «قال اللهُ ـ تباركَ وتعالَى ـ: أنا أغنَى الشركاءِ عن الشركِ؛ مَن عمِل عملًا أشرَكَ فيه معِي غيري، تركتُه وشِركَه»[1].

عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان»[2].

---

(١) رواه مسلم: ٢٩٥٨.

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه» (رقم ٤٦٨١)، والطبراني في «الكبير» (رقم ٧٦١٣ و٧٧٣٧ و٧٧٣٨)، وابن بطة في «الإبانة» (رقم ٨٤٦)، جميعهم من طريق يحيى بن يحيى الذماري، عن القاسم بن عبد الرحمٰن، عن أبي أمامة مرفوعًا. =

❁ في حديث سعد رضي الله عنه: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها، حتى ما تجعل في في امرأتك»(١).

والمذموم أن يعبد العبد ربه لما يريده منه من أمر الدنيا، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ﴾ [الحج، الآية: ١١]، فهو يعبد الله على طرف من الدين، غير متمكن منه، فهو يعبد الله ما استقامت دنياه، فإن أصابته فتنة أو مصيبة أو فقر أو حاجة انقلب على وجهه.

فمن يعبد الله ليعطيه سعادة الدنيا ولا يريد الآخرة، فهذا هو الذي ذمه الله بقوله: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا﴾ فهو يريد المال والولد والجاه والشرف وأنواع المتاع، ﴿...وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النساء، الآية: ١٣٤].

فلم يذم الله الذين يريدون الآخرة إنما ذم الذين يريدون الدنيا ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [الأنفال، الآية: ٦٧]»(٢).

❁ عن عبد الله بن معاوية الغاضري رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الإيمان: من عبد الله وحده، وأنه لا إله إلا الله، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه، وافرة عليه كل عام، ولم يعط

= قال الذهبي في «معجم الشيوخ» ٢/ ٣٤٧: (هذا حديث صحيح).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في مواضع من «صحيحه» منها: (رقم ٥٦)، ومسلم (رقم ١٦٢٨).

(٢) كتاب شرح كلمة الإخلاص للشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر البراك ص٩٥.

الهرمة، ولا الدرنة[١]، ولا المريضة، ولا الشرط اللئيمة[٢]، ولكن من أوسط أموالكم، فإن الله لم يسألكم خيره، ولم يأمركم بشره»[٣].

❁ وفي رواية «وزكى عبد نفسه»، فقال رجل: وما تزكية المرء نفسه؟ قال: «يعلم أن الله عز وجل معه حيث كان»[٤].

❁ قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رحمه الله: «لا ينجو غدًا إلا من أتى الله بقلب سليم، ليس فيه سواه، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء]. القلب السليم: هو الطاهر من أدناس المخالفات، فأما المتلطخ بشيء من المكروهات فلا يصلح لمجاورة حضرة القدس، إلا بعد أن يطهر في كير العذاب، فإذا زال منه الخبث صلح حينئذ للمجاورة «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا»[٥]. فأما

---

(١) الدرنة: الجرباء، وأصله من الدرن الذي هو الوسخ. لسان العرب (درن).

(٢) أي: رذال المال. وقيل: صغاره وشراره. لسان العرب (شرط).

(٣) أخرجه أبو داود ٣/ ٣٢ (١٥٨٢)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤٥٢٨)، والبيهقي (٧٥٢٥)، وقال الطبراني في الصغير ١/ ٣٣٤: «لا يروى هذا الحديث عن ابن معاوية إلا بهذا الإسناد، تفرد به الزبيدي، ولا نعرف لعبد الله بن معاوية الغاضري حديثًا مسندًا غير هذا». وقال الزيلعي في نصب الراية ٢/ ٣٦٢: «ولم يصل أبو داود به سنده، ووصله الطبراني، والبزار». وقال ابن حجر في التلخيص الحبير ٢/ ٣٠٣: «ورواه الطبراني وجود إسناده». وقال الألباني في الصحيحة ٣/ ٣٧ ـ ٣٨ (١٠٤٦): «قلت: وهذا إسناد رجاله ثقات، لكنه منقطع بين ابني جابر وجبير، لكن وصله الطبراني في المعجم الصغير، والبيهقي في السنن من طريقين...». وقال في صحيح أبي داود ٥/ ٣٠٠ (١٤١٠): «صحيح».

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣٢٩٧)، والبيهقي في السنن ٤/ ٩٥، وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير ١/ ١٠٢، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٠٦٢) ٢/ ٣٠٠، وصححه الألباني في «الصحيحة» ح(١٠٤٦).

(٥) أخرجه مسلم (رقم ١٠١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

القلوب الطيبة فتصلح للمجاورة من أول الأمر: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد]، ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر]، ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل]. من لم يحرق اليوم قلبه بنار الأسف على ما سلف، أو بنار الشوق إلى لقاء الحبيب، فنار جهنم له أشد حرًّا. ما يحتاج إلى التطهير بنار جهنم إلا من لم يكمل تحقيق التوحيد والقيام بحقوقه»[1].

المطلب الثاني والسبعون

بحسب تحقيق التوحيد تكمل طاعة الله

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والناس وإن كانوا يقولون بألسنتهم: لا إله إلا الله فقول العبد لها مخلصًا من قلبه له حقيقة أخرى، وبحسب تحقيق التوحيد تكمل طاعة الله. قال ـ تعالى ـ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [الفرقان]، ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان، الآية: ٤٤]، فمن جعل ما يألهه هو ما يهواه فقد اتخذ إلهه هواه أي جعل معبوده هو ما يهواه وهذا حال المشركين الذين يعبد أحدهم ما يستحسنه فهم يتخذون أندادًا من دون الله يحبونهم كحب الله ولهذا قال الخليل: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأنعام]. فإن قومه لم يكونوا منكرين للصانع ولكن كان أحدهم يعبد ما يستحسنه ويظنه نافعًا له كالشمس والقمر والكواكب، والخليل بين أن الآفل يغيب عن عابده

(١) كتاب شرح كلمة الإخلاص للشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر البراك ص٩٧.

وتحجبه عنه الحواجب فلا يرى عابده ولا يسمع كلامه ولا يعلم حاله ولا ينفعه ولا يضره بسبب ولا غيره فأي وجه لعبادة من يأفل. وكلما حقق العبد الإخلاص في قول: لا إلٰه إلا الله خرج من قلبه تأله ما يهواه وتصرف عنه المعاصي والذنوب كما قال ـ تعالى ـ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف]. فعلل صرف السوء والفحشاء عنه بأنه من عباد الله المخلصين وهؤلاء هم الذين قال فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الحجر، الآية: ٤٢]، وقال الشيطان: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [ص]، ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [ص، الآية: ٨٣]. وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من قال: لا إلٰه إلا الله مخلصًا من قلبه حرمه الله على النار**». فإن الإخلاص ينفي أسباب دخول النار؛ فمن دخل النار من القائلين لا إلٰه إلا الله لم يحقق إخلاصها المحرم له على النار؛ بل كان في قلبه نوع من الشرك الذي أوقعه فيما أدخله النار والشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل؛ ولهذا كان العبد مأمورًا في كل صلاة أن يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة]. والشيطان يأمر بالشرك والنفس تطيعه في ذلك فلا تزال النفس تلتفت إلى غير الله، إما خوفًا منه، وإما رجاءً له فلا يزال العبد مفتقرًا إلى تخليص توحيده من شوائب الشرك، وفي الحديث الذي رواه ابن أبي عاصم وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «**يقول الشيطان: أهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إلٰه إلا الله والاستغفار، فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يستغفرون؛ لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا**»[(١)].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «وقال الشيطان فيما أخبر الله

(١) مجموع الفتاوى ١٠/ ٢٦٠ ـ ٢٦١.

عـــنـــه: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾ [ص]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝٤٢﴾ [الحجر]، والمخلصون هم الذين يعبدونه وحده لا يشركون به شيئًا، وإنما يُعبد الله بما أمر به على ألسنة رسله، فمن لم يكن كذلك تولته الشياطين، وهذا بابٌ دخل فيه أمرٌ عظيمٌ على كثير من السالكين»[(١)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعبادته تتضمن كمال الذل له والحب له، وذلك يتضمن كمال طاعته»[(٢)].

المطلب الثالث والسبعون

التوحيد هو وصية السلف لأهليهم

۞ عن أنس بن مالك (ت: ٩٠هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «كانوا يكتبون في صدر وصاياهم: هذا ما أوصى به فلان بن فلان، أوصى أنه يشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأوصى من ترك من أهله أن يتقوا الله، ويصلحوا ذات بينهم، ويطيعوا الله ورسوله إن كانوا مؤمنين، وأوصاهم بما أوصى به إبراهيم بنيه ويعقوب ﴿يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٣٢﴾ [البقرة]»[(٣)].

أملى علي أبو بشر وصيته فقال: اكتب: «هذا ما أوصى به جعفر بن

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠/ ٤٠٠.
(٢) الرسالة التدمرية ص١٦٦.
(٣) سنن سعيد بن منصور ـ الفرائض إلى الجهاد ١/ ١٢٦.

إياس، أوصى أنه يشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، إني رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا، على ذلك أحيا، وعليه أموت، وعليه أبعث، وأوصى أهله ومن ترك بعده أن تتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون»[(١)].

المطلب الرابع والسبعون

توحيد الله أصل عظيم في منهج السلف

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «أصل علم السلف وعملهم هو:

١ ـ العلم بالله.

٢ ـ والعمل لله.

فجمعوا بذلك بين التصديق العلمي والعمل الحبي.

ثم إن تصديقهم عن علم، وعملهم وحبهم عن علم، فسلموا بذلك من آفات منحرفة المتكلمة والمتصوفة.

فالكلاميون: غالب نظرهم وقولهم في الثبوت والانتفاء، والوجود والعدم، والقضايا التصديقية، فغايتهم مجرد التصديق والعلم والخبر.

والصوفيون: غالب طلبهم وعملهم في المحبة والبغضة، والإرادة والكراهة، والحركات العملية، فغايتهم المحبة والانقياد والعمل والإرادة.

---

(١) سنن سعيد بن منصور ـ الفرائض إلى الجهاد ١/ ١٢٧.

فإن كلًّا من المنحرفين له مفسدتان:

إحداهما: القول بلا علم إن كان متكلمًا.

والعمل بلا علم إن كان متصوفًا.

وهو ما وقع من البدع الكلامية والعملية المخالفة للكتاب والسنة.

والمفسدة الثانية: فوت المتكلم العمل.

وفوت المتصوف القول والكلام.

أما السلف وأتباعهم فقد حققوا كلا الأمرين.

من القول التصديقي المعتمد على معرفة أسماء الله وصفاته وأفعاله الواردة في الكتاب والسنة.

والعمل الإرادي وذلك باتباع الأوامر واجتناب النواهي وفق ما شرعه الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ.

ولذلك كان كلامهم وعملهم باطنًا وظاهرًا بعلم، وكان كل واحد من قولهم وعملهم مقرونًا بالآخر وهؤلاء هم المسلمون حقًّا»[(١)].

المطلب الخامس والسبعون

التوحيد شعار أهل السنة والجماعة

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «كل من كان إلى الرسول ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان أقرب، كان أقرب إلى كمال التوحيد والإيمان والعقل والعرفان، وكل من كان عنهم أبعد كان عن ذلك أبعد»[(٢)].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «كانت عادته صلوات الله

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/ ٤١.

(٢) منهاج السنة ٢/ ٢٩٣.

وسلامه عليه أن يقيم شعار التوحيد في مواضع شعار الكفر والشرك، كما أمر أن يبنى مسجد الطائف موضع اللات»[(١)].

المطلب السادس والسبعون

التوحيد بمثابة الأصل والأعمال الظاهرة هي الفروع

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «والدين القائم بالقلب من الإيمان علمًا وحالًا هو «الأصل»، والأعمال الظاهرة هي «الفروع» وهي كمال الإيمان.

فالدين أول ما يبنى من أصوله ويكمل، كما أنزل الله بمكة أصوله من التوحيد والأمثال التي هي المقاييس العقلية والقصص والوعد والوعيد

ثم أنزل بالمدينة ـ لما صار له قوة ـ فروعه الظاهرة من الجمعة والجماعة والأذان والإقامة والجهاد والصيام وتحريم الخمر والزنا والميسر وغير ذلك من واجباته ومحرماته»[(٢)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإذا كان أصل العمل الديني هو إخلاص الدين لله، وهو إرادة الله وحده فالشيء المراد لنفسه هو المحبوب لذاته، وهذا كمال المحبة، ولكن أكثر ما جاء المطلوب باسم العبادة كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات الآية: ٥٦]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة الآية: ٢١]، وأمثال هذا»[(٣)].

---

(١) زاد المعاد ٢/٣٥٨.

(٢) مجموع الفتاوى ١٥/٣٥٥.

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/٥٦، ٥٧).

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أصل الدين هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورأس المعروف هو التوحيد ورأس المنكر هو الشرك»(١).

المطلب السابع والسبعون

التوحيد هو أول المأمورات، وضده هو أول المنهيات

۞ قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام].

۞ عن عبد الله بن عمرو بن العاص (ت: ٦٥هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أن معاذ بن جبل (ت: ١٨هـ)، أراد سفرًا فقال: يا نبي الله أوصني، قال: «**اعبد الله لا تشرك به شيئًا**». قال: يا نبي الله زدني، قال: «**إذا أسأت فأحسن**». قال: يا رسول الله زدني، قال: «**استقم وليحسن خلقك**»(٢).

۞ قال أبو الدرداء (ت: ما بين ٣٢ ـ ٣٨هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أوصاني خليلي «**أن لا تشرك بالله شيئًا، وإن قطعت وحرقت، ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدًا، فمن تركها متعمدًا فقد برئت منه الذمة، ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر**»(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٧/ ٤٤٢.
(٢) رواه الحاكم في مستدركه ١/ ٥٤.
(٣) رواه ابن ماجه (٤٠٣٤).

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «طريقة القرآن في مثل هذا أن يقرن النفي بالإثبات فينفي عبادة ما سوى الله ويثبت عبادته، وهذا هو حقيقة التوحيد.

والنفي المحض ليس بتوحيد.

وكذلك الإثبات بدون النفي.

فلا يكون التوحيد إلا متضمنًا للنفي والإثبات، وهذا حقيقة «لا إله إلا الله»»[(١)].

۞ قال حافظ بن أحمد حكمي (ت: ١٣٧٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمقصود أن الشرك أعظم ما نهى الله عنه، كما أن التوحيد أعظم ما أمر الله به، ولهذا كان أوَّل دعوة الرسل كلهم إلى توحيد الله عَزَّ وَجَلَّ ونفي الشرك، فلم يأمروا بشيء قبل التوحيد، ولم ينهوا عن شيء قبل الشرك، وما ذكر الله ـ تعالى ـ التوحيد مع شيءٍ من الأوامر إلا جعله أوَّلها، ولا ذكر الشرك مع شيء من النواهي إلا جعله أوَّلها، كما في آية النساء: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ [النساء، الآية: ٣٦]، وكما في آية الأنعام التي طلب النبي البيعة عليها، وهي قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ﴾ [الأنعام، الآية: ١٥١]، وكما في آيات الإسراء: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء، الآية: ٢٣]، فابتدأ تلك الأوامر والنواهي بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، وختمها بذلك»[(٢)].

(١) التفسير القيم ص٥٨٩.
(٢) معارج القبول ١/ ٣٥٣.

المطلب الثامن والسبعون

التوحيد من أجله شرع الجهاد

❋ قال - تعالى -: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنفال].

۞ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: شرك، وصد عن سبيل الله ويذعنوا لأحكام الإسلام، ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ﴾ فهذا المقصود من القتال والجهاد لأعداء الدين، أن يدفع شرَّهم عن الدين، وأن يَذُبَّ عن دين الله، الذي خلق الخلق له، حتى يكون هو العالي على سائر الأديان، ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ عمَّا هم عليه من الظُّلم، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾، لا تخفى عليه منهم خافية، ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عن الطاعة وأوضعوا في الإضاعة، ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾، الذي يتولى عباده المؤمنين، ويوصل إليهم مصالحهم، وييسِّر لهم منافعهم الدينية والدنيوية، ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ الذي ينصرهم، فيدفع عنهم كيد الفُجَّار، وتكالُب الأشرار، ومَن كان الله مولاه وناصره فلا خوف عليه، ومَن كان الله عليه فلا عزَّ له، ولا قائمة تقوم له»(١).

۞ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال ابن جريج: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال، الآية: ٣٩]؛ أي: لا يفتَن مؤمن عن دينه، ويكون التوحيد لله خالصًا ليس فيه شركٌ، ويخلع ما دونه من الأنداد»(٢).

---

(١) تفسير السعدي (سورة الأنفال، الآية: ٣٩).

(٢) تفسير السعدي (سورة الأنفال، الآية: ٣٩).

۞ قال سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ (ت: ١٢٣٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فدلَّ على أنه إذا وُجد الشرك فالقتال باقٍ بحاله؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ﴾ [التوبة، الآية: ٣٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥﴾ [التوبة]، فأمر بقتالهم على فعل التوحيد وترك الشرك وإقامة شعائر الدين الظاهرة، فإذا فعلوها خلَّى سبيلهم، ومتى أَبَوْا عن فعلها أو فعل شيء منها فالقتال باقٍ بحاله إجماعًا»[1].

۞ عن ابن عمر (ت: ٧٣هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ أنه قال: «**أُمِرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقِّ الإسلام، وحسابهم على الله** عَزَّوَجَلَّ»[2].

۞ قال الخطابي (ت: ٣٨٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكافر مباح الدم بحكم الدين قبل أن يقول كلمة التوحيد، فإذا قالها حقن دمه فصار محظور الدم بمنزلة المسلم»[3].

۞ قال الخطابي (ت: ٣٨٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المشرك إذا قال: لا إلٰه إلا الله رفع عنه السيف وحرم دمه»[4].

۞ قال ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: «**أُمِرتُ أن أقاتل الناس**

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص١٤٧.
(٢) رواه مسلم: (٢٢/كتاب الإيمان/باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام).
(٣) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) للخطابي ٣/ ١٧١٣.
(٤) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) للخطابي ٣/ ١٧٥٠.

حتى يقولوا: **لا إلٰه إلا الله**» كذا ساقه الأكثر، وفي رواية طارق عند مسلم: «**مَن وحَّد الله وكفر بما يعبد من دونه حرَّم دمه وماله**»، وأخرجه الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، من حديثه كرواية الجمهور، وفي حديث ابن عمر (ت: ٧٣هـ): «**حتى يشهدوا أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة**»، ونحوه في حديث أبي العنبس (ت: ١٥٠هـ تقريبًا)، وفي حديث أنس (ت: ٩٠هـ) عند أبي داود (ت: ٢٧٥هـ): «**حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن يستقبلوا قبلتنا، ويأكلوا ذبيحتنا، ويصلُّوا صلاتنا**»، وفي رواية العلاء بن عبد الرحمٰن (ت: ١٣٢ أو ١٣٨هـ): «**حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، ويؤمنوا بي وبما جئتُ به**»[١].

❁ قال ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد وردت الأحاديث بذلك زائدًا بعضها على بعض؛ ففي حديث أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، الاقتصار على قول: لا إلٰه إلا الله، وفي حديثه من وجهٍ آخر عند مسلم (ت: ٢٦١هـ): «**حتى يشهدوا أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله**»، وفي حديث ابن عمر (ت: ٧٣هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ما ذكرت، وفي حديث أنس (ت: ٩٠هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**... فإذا صلُّوا واستقبلوا وأكلوا ذبيحتنا**»، قال الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وغيره: أمَّا الأول فقاله في حالة قتاله لأهل الأوثان الذين لا يقرُّون بالتوحيد، وأما الثاني فقاله في حالة قتال أهل الكتاب الذين يعترفون بالتوحيد ويجحدون نبوَّته عمومًا أو خصوصًا، وأمَّا الثالث ففيه الإشارة إلى أن من دخل في الإسلام وشهد بالتوحيد وبالنبوة ولم يعمل بالطاعات، أن حكمهم أن يقاتلوا حتى يذعنوا إلى ذلك»[٢].

---

(١) فتح الباري لابن حجر ١٢/ ٢٧٧.
(٢) فتح الباري لابن حجر.

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ «فالمقصود بالجهاد ألا يعبد غير الله، فلا يدعو غيرَه، ولا يُصلِّي لغيره، ولا يسجد لغيره، ولا يعتمر ولا يحج إلا إلى بيته، ولا يذبح القرابين إلا له، ولا ينذر إلا له، ولا يتوكَّل إلا عليه، ولا يخاف إلا إياه...»(١).

المطلب التاسع والسبعون

التوحيد من أجله انقسم الناس إلى مؤمن وكافر وبينهما ولاء وبراء

قال ـ تعالى ـ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة].

۞ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول ـ تعالى ـ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة، الآية: ٢٢]؛ أي: لا يجتمع هذا وهذا، فلا يكون العبد مؤمنًا بالله واليوم الآخر حقيقة، إلا كان عاملًا على مقتضى إيمانه ولوازمه، من محبة مَن قام بالإيمان وموالاته، وبغض مَن لم يقم به ومعاداته، ولو كان أقربَ الناس إليه، وهذا هو الإيمان على الحقيقة الذي وجدت ثمرته والمقصود منه، وأهل هذا الوصف هم الذين كتب الله في قلوبهم الإيمان؛ أي: رسمه وثبَّته، وغرسه غرسًا لا يتزلزل، ولا تؤثِّر فيه الشُّبَه والشكوك، وهم الذين قوَّاهم الله بروح منه؛ أي: بوحيه

(١) مجموع الفتاوى ٣٥/ ٣٦٨.

ومعرفته ومَدَدِه الإلهي، وإحسانه الرباني، وهم الذين لهم الحياة الطيبة في هذه الدار، ولهم جنَّات النعيم في دار القرار، التي فيها كل ما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعين وتختار، ولهم أفضل النعيم وأكبره، وهو أن الله يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبدًا، ويرضون عن ربهم بما يعطيهم من أنواع الكرامات، ووافر المَثُوبات، وجزيل الهبات، ورفيع الدرجات؛ بحيث لا يرون فوق ما أعطاهم مولاهم غاية، ولا وراءه نهاية، وأمَّا مَن يزعُم أنه يؤمن بالله واليوم الآخر، وهو مع ذلك موادٌّ لأعداء الله، محبٌّ لِمَن نبذ الإيمان وراء ظهره، فإن هذا إيمان زعميٌّ لا حقيقة له، فإن كان أمرٌ لا بُدَّ له من برهان يصدِّقه، فمجرَّد الدعوى لا تفيد شيئًا ولا يصدق صاحبها»[1].

المطلب الثمانون

التوحيد سبب الاجتماع والألفة

قال - تعالى -: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾ [البينة].

وقال - تعالى -: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة، الآية: ٢١٣].

قال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الجاسية].

وقال - تعالى - في موسى بن عمران مثل ذلك.

(١) تفسير السعدي (سورة المجادلة، الآية: ٢٢).

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم]، لأن المشركين كل منهم يعبد إلهًا يهواه.

• كما قال في الآية الأولى: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ﴾ [الشورى، الآية: ١٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [المؤمنون].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «فظهر أن سبب الاجتماع والألفة جمع الدين والعمل به كله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، كما أمر به باطنًا، وظاهرًا.

وسبب الفرقة: ترك حظ مما أمر العبد به، والبغي بينهم. ونتيجة الجماعة: رحمة الله، ورضوانه، وصلواته، وسعادة الدنيا والآخرة، وبياض الوجوه.

ونتيجة الفرقة: عذاب الله، ولعنته، وسواد الوجوه، وبراءة الرسول ﷺ منهم.

وهذا أحد الأدلة على أن الإجماع حجة قاطعة، فإنهم إذا اجتمعوا

كانوا مطيعين لله بذلك مرحومين، فلا تكون طاعة الله ورحمته: بفعل لم يأمر الله به من اعتقاد، أو قول، أو عمل، فلو كان القول، أو العمل الذي اجتمعوا عليه لم يأمر الله به لم يكن ذلك طاعة لله، ولا سببًا لرحمته»(١).

المطلب الواحد والثمانون

التوحيد سر القرآن

قال ابن تيمية: «فإن التوحيد، هو سر القرآن ولب الإيمان، وتنويع العبارة بوجوه الدلالات من أهم الأمور وأنفعها للعباد في مصالح المعاش والمعاد»(٢).

المطلب الثاني والثمانون

التوحيد سر الحج

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما الحج فشأن آخر لا يدركه إلا الحنفاء الذين ضربوا في المحبة بسهم وشأنه أجل من أن تحيط به العبارة وهو خاصة هذا الدين الحنيف حتى قيل في قوله تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦ﴾ [الحج، الآية: ٣١]؛ أي: حجاجًا؛ وجعل الله بيته الحرام قيامًا للناس فهو عمود العالم الذي عليه بناؤه فلو ترك الناس كلهم الحج سنة لخرت السماء على الأرض هكذا قال ترجمان القرآن ابن عباس (ت: ٦٨هـ)، فالبيت الحرام قيام العالم فلا يزال قيامًا ما زال

(١) مجموع الفتاوى ١/ ١٦ ـ ١٧.
(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٣٦٨.

هذا البيت محجوجًا. فالحج هو خاصة الحنيفية، ومعونة الصلاة، وسر قول العبد لا إلٰه إلا الله فإنه مؤسس على التوحيد المحض والمحبة الخالصة»[(١)].

«ومشاهد التوحيد في الحج كثيرة يأتي على رأسها التلبية «لبيك اللّهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك» والممعن في هذه الكلمات يجد آثارها في تحقيق هذا الأمر والتذكير به.

ومعنى «لبيك اللّهم لبيك» أي: أجيبك إجابة بعد إجابة، وأنا مقيم على طاعتك، ففيها التصريح بنبذ ما يخالف حقيقة التوحيد «لبيك لا شريك لك لبيك» ولعظمة هذه الكلمة وأثرها ومعانيها العظام.

۞ قال ﷺ: «**أتاني جبريل فأمرني أن آمر أصحابي أن يرفعوا أصواتهم بالإهلال**»[(٢)].

۞ قال جابر بن عبد الله (ت: ٧٨هـ) رضي الله عنهما: «كنّا نصرخ بها صراخًا»[(٣)].

۞ وفي حديث سهل بن سعد (ت: ٩١هـ)، قال ﷺ: «**ما من مسلم يلبي إلا لبى ما عن يمينه من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا**»[(٤)].

ويتكرر مشهد التوحيد والعناية به في هذه الفريضة والتأكيد عليه في مشاهد أخرى من هذه الفريضة العظيمة، يبدو ذلك في الركعتين اللتين

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢/ ٤.
(٢) رواه الإمام أحمد وأهل السنن وصححه الألباني.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

يركعهما الحاج خلف المقام بعد نهاية الطواف حيث ورد في السنة أن المصلي يقرأ في هذا الموضع سورتي الإخلاص، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والكافرون، وهي ذاتها التي يقرأ بها في سنة الفجر، وسنة المغرب.

وإذا أردت أن تعرف مشاهد السورة وما تتركه في قلب المؤمن الحي فتأمل في آياتها لا ترى فيها إلا معلم التوحيد فحسب.. إنه مشهد آخر من مشاهد التأكيد على هذه الغاية الكبيرة في الحج..

ويتكرر مشهد التوحيد ثالثة في الدعاء على الصفا والمروة حين يردد الحاج ما أشار إليه نبينا ﷺ «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده**»[(١)]، وأنت ترى التأكيد على هذه المسألة، وغرس كلماتها ومعانيها وآثارها في نفس كل مسلم على أرض مكة في فريضة الحج.

ومثل ذلك ما قاله ﷺ في دعاء عرفة «**خير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**».

بل ذات المعنى تجده في كل أعمال الحج صغيرها وكبيرها لا فرق، وحين تتأمّل هذه القضية لا تكاد تغيب في مشهد الحج من خروج الإنسان من بيته إلى طواف الوداع مما يعطيك دلالة كبيرة على عظمة التوحيد في الحج»[(٢)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٤٩)، والنسائي (٤٧٩٩)، وابن ماجه (٢٦٢٨).

(٢) المصدر: مقال بعنوان: «التربية في الحج ـ ١. تحقيق التوحيد» لمشعل بن عبد العزيز الفلاحي، منشور على موقع صيد الفوائد.

المطلب الثالث والثمانون

التوحيد صدر الشهادتين

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن صدره الشهادتان اللتان هما أصلا الدين وجماعه؛ فإن جميع الدين داخل في «الشهادتين» إذ مضمونهما أن لا نعبد إلا الله، وأن نطيع رسوله، «والدين» كله داخل في هذا في عبادة الله بطاعة الله وطاعة رسوله، وكل ما يجب أو يستحب داخل في طاعة الله ورسوله»[(١)].

۞ قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوحيد لا ينفع بدون الشهادة له بالرسالة»[(٢)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «محمد رسول الله ﷺ، من تمام قول لا إله إلا الله. فالكلمتان تخرجان من أصل القلب، من مشكاة واحدة. لا تتم إحداهما إلا بالأخرى»[(٣)].

المطلب الرابع والثمانون

أشعة التوحيد تبدد من ضباب الذنوب وغيومها

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أن أشعة لا إله إلا الله تبدد من ضباب الذنوب وغيومها بقدر قوة ذلك الشعاع وضعفه، فلها نور، وتفاوت أهلها في ذلك النور ـ قوة، وضعفًا ـ لا يحصيه إلا الله تعالى.

---

(١) الفتاوى الكبرى ٥/ ٢٣٦.
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٨/ ٢٣٣.
(٣) مدارج السالكين ٣/ ٤٧.

فمن الناس من نور هذه الكلمة في قلبه كالشمس.

ومنهم من نورها في قلبه كالكوكب الدري.

ومنهم من نورها في قلبه كالمشعل العظيم.

وآخر كالسراج المضيء، وآخر كالسراج الضعيف.

ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بأيمانهم، وبين أيديهم، على هذا المقدار، بحسب ما في قلوبهم من نور هذه الكلمة، علمًا وعملًا، ومعرفة وحالًا.

وكلما عظم نور هذه الكلمة واشتد أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته وشدته، حتى إنه ربما وصل إلى حال لا يصادف معها شبهة ولا شهوة، ولا ذنبًا، إلا أحرقه، وهذا حال الصادق في توحيده، الذي لم يشرك بالله شيئًا، فأي ذنب أو شهوة أو شبهة دنت من هذا النور أحرقها، فسماء إيمانه قد حرست بالنجوم من كل سارق لحسناته، فلا ينال منها السارق إلا على غرة وغفلة لا بد منها للبشر، فإذا استيقظ وعلم ما سرق منه استنقذه من سارقه، أو حصل أضعافه بكسبه، فهو هكذا أبدًا مع لصوص الجن والإنس، ليس كمن فتح لهم خزانته، وولى الباب ظهره»[(١)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من قواعد الشرع والحكمة أيضًا: أنَّ من كَثُرت حسناته وعظمت، وكان له في الإسلام تأثيرٌ ظاهرٌ؛ فإنه يُحتمل له ما لايُحتمل لغيره، ويُعفى عنه ما لايُعفى عن غيره»[(٢)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله سبحانه يُوازنُ يوم

---

(١) مدارج السالكين ١/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩.

(٢) مفتاح دار السعادة ١/ ٥٠٤.

القيامة بين حسنات العبد وسيئاته، فأيهما غَلَبَ كان التأثير له، فيفعل مع أهل الحسنات الكثيرة الذين آثروا محابّه ومراضيه وغلبتهم دواعي طبعهم أحيانًا من العفو والمسامحة ما لا يفعله مع غيرهم»[(١)].

۞ ذكر الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال عون بن عُمارة (ت: ٢١٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت هشامًا الدستوائي (ت: ١٥٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «والله ما أستطيع أن أقول: إني ذهبت يومًا قط أطلب الحديث أريد به وجه الله عَزَّ وَجَلَّ».

قلت ـ أي: الذهبي ـ: «والله ولا أنا فقد كان السلف يطلبون العلم لله فنبلوا، وصاروا أئمة يقتدى بهم.

وطلبه قوم منهم أولًا لا لله، وحصلوه، ثم استفاقوا، وحاسبوا أنفسهم فجرهم العلم إلى الإخلاص في أثناء الطريق، كما قال مجاهد (ت: ١٠٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره: «طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كبير نية، ثم رزق الله النية بعدُ»، وبعضهم يقول: «طلبنا هذا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله». فهذا أيضًا حسن. ثم نشروه بنية صالحة.

وقوم طلبوه بنية فاسدة، لأجل الدنيا وليثنى عليهم، فلهم ما نووا. قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ «**من غزا ينوي عقالًا فله ما نوى**»[(٢)]. وترى هذا الضرب لم

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٥٠٧.

(٢) النسائي في الصغرى (حديث رقم ٣١٢٠. وحديث رقم ٣١٢١)؛ والنسائي في الكبرى (حديث رقم ٣٢٥٩)؛ وأحمد في المسند (حديث رقم ٢٢١٧٢، وحديث رقم ٢٢٢٨٠)؛ وابن حبان في صحيحه (حديث رقم ٤٧٢٢)؛ الحاكم في المستدرك (حديث رقم ٢٤٧٦)؛ والدارمي في سننه (حديث رقم ٢٣٩١)؛ وابن المنذر في الأوسط (حديث رقم ٣٢٠٣)؛ والبيهقي في السنن الكبير (حديث رقم ١٢٠٩٥). وقال الألباني في تخريج مشكاة المصابيح برقم (٣٧٧٣): «حسن لغيره».

يستضيئوا بنور العلم، ولا لهم وقع في النفوس، ولا لعلمهم كبير نتيجة من العمل، وإنما العالم من يخشى الله تعالى.

وقوم نالوا العلم، وولوا به المناصب، فظلموا، وتركوا التقيد بالعلم، وركبوا الكبائر والفواحش، فتبًّا لهم فما هؤلاء بعلماء!! وبعضهم لم يتق الله في علمه، بل ركب الحيل، وأفتى بالرخص، وروى الشاذ من الأخبار. وبعضهم اجترأ على الله، ووضع الأحاديث فهتكه الله وذهب علمه، وصار زاده إلى النار.

وهؤلاء الأقسام كلهم رووا من العلم شيئًا كبيرًا، وتضلعوا منه في الجملة، فخلف من بعدهم خلف بَان نقصهم في العلم والعمل، وتلاهم قوم انتموا إلى العلم في الظاهر، ولم يتقنوا منه سوى نزر يسير، أوهموا به أنهم علماء فضلاء، ولم يدر في أذهانهم قط أنهم يتقربون به إلى الله؛ لأنهم ما رأوا شيخًا يُقتدى به في العلم، فصاروا همجًا رعاعًا، غاية المدرس منهم أن يحصل كتبا مُثَمَّنة، يَخْزُنُها، وينظر فيها يومًا ما، فيصحف ما يورده، ولا يقرره.

فنسأل الله النجاة والعفو، كما قال بعضهم: ما أنا عالم، ولا رأيت عالمًا»[(١)].

❁ قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا تجد شيئًا أدخل في الإخلاص من موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه، بل هو عين الإخلاص، ومن جنح إلى منحرف عن دينه أو داهن مبتدعًا في عقده نزع الله نور التوحيد من قلبه»[(٢)].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ١٥٢ ـ ١٥٣.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٩/ ٣٩٩.

المطلب الخامس والثمانون

التوحيد منزلته بمنزلة الماء في الدنيا

عن سفيان الثوري (ت: ١٦١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنه قال: «منزلة لا إله إلا الله في العبد بمنزلة الماء في الدنيا، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء، الآية: ٣٠] فمن لم ينفعه اعتقاد لا إله إلا الله والاقتداء بسنة رسول الله ﷺ فهو ميت»[(١)].

قال سهل التستري (ت: ٢٨٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد، الآية: ١٩] قال: الخلق كلهم موتى إلا العلماء، ولذلك دعا نبيه ﷺ إلى محل الحياة بالعلم بقوله: فاعلم»[(٢)].

المطلب السادس والثمانون

التوحيد منة من الله على عباده الموحدين

قال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران، الآية: ١٦٤].

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات].

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن الله هو الذي منّ عليكم بأن هداكم له، فلا تمنوا عليّ بإسلامكم»[(٣)].

---

(١) تفسير التستري ص٤٨.

(٢) تفسير التستري ص١٤٥.

(٣) تفسير الطبري (سورة الحجرات، الآية: ١٧).

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «المنة تقع بالهداية إلى الإيمان»(١).

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «والله سبحانه بعث محمدًا بالكتاب والسنة، وبهما أتم على أمته المنة. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥٠﴾ [البقرة]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران]»(٢).

۞ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فكما أنه تعالى يمن عليهم، بالخلق والرزق، والنعم الظاهرة والباطنة، فمنته عليهم بهدايتهم إلى الإسلام، ومنته عليهم بالإيمان، أعظم من كل شيء»(٣).

۞ قال عبد العزيز بن باز (ت: ١٤٢٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «المنة لله سبحانه في كل شيء، كما قال ـ تعالى ـ في آخر سورة الحجرات: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١٧﴾ [الحجرات] فالمنة لله وحده في كل شيء من نعم الدنيا والآخرة»(٤).

• وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ٣٧٦.
(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٦.
(٣) تفسير السعدي (سورة الحجرات، الآية: ١٧).
(٤) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ٩/ ٣٠٦.

ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ [النساء].

❁ عن أنس بن مالك (ت: ٩٠هـ) رضي الله عنه، قال: سمع النبي ﷺ رجلًا يقول: «اللّهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إلٰه إلا أنت وحدك لا شريك لك المنان يا بديع السمٰوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار فقال النبي ﷺ: لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب»(١).

❁ وقال أبو بكر الأنباري (ت: ٣٢٨هـ) رحمه الله: في شرح المنان: «معناه: المعطي ابتداء ولله المنة على عباده، ولا منة لأحد منهم عليه، تعالى الله علوًّا كبيرًا»(٢).

❁ وقال الخطابي (ت: ٣٨٨هـ) رحمه الله: «وأما (المنان) فهو كثير العطاء»(٣).

المطلب السابع والثمانون

التوحيد ينال به الموحد أبوة الأنبياء وأمومة أزواج النبي وأخوة المؤمنين

❁ قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ): «وجد المؤمن بهذه الشهادة أبوة إبراهيم، وهو قوله: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج، الآية: ٧٨]، وأمومة

---

(١) رواه أبو داود (١٤٩٥)، والترمذي (٣٥٤٤)، والنسائي ٣/ ٥٢، وابن ماجه (٣٨٥٨) واللفظ له، وأحمد ٣/ ١٢٠ (١٢٢٢٦)، والحاكم ١/ ٦٨٣. والحديث سكت عنه أبو داود. وقال الترمذي: حديث غريب. وقال الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه»: حسن صحيح.

(٢) «اللسان» ٦/ ٤٢٧٩.

(٣) «شأن الدعاء» ص١٠٠، وبنحوه قال البيهقي في «الاعتقاد» ص٦٧.

أزواج النبي ﷺ ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب، الآية: ٦]، وأخوة المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات، الآية: ١٠]»[١].

المطلب الثامن والثمانون

التوحيد ينال به الموحد استغفار الأنبياء والملائكة وشفاعتهم

۞ قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وجد المؤمن بهذه الشهادة استغفار الأنبياء: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد، الآية: ١٩]، واستغفار الملائكة: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر، الآية: ٧]. وشفيعًا مثل محمد ﷺ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أُمتي**»[٢][٣].

الموحد اشتق الله له من اسمه «المؤمن».

قال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون].

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات، الآية: ١٠].

۞ قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وجد المؤمن بهذه الشهادة ومشاركة[٤] الله تعالى في الاسم «المؤمن»[٥]. يعني بذلك اسمه عَزَّ وَجَلَّ (المؤمن) كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

---

(١) عجائب القرآن للرازي ص٣٦.
(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥)، وأحمد (١٣٢٢٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٤٧٣٩).
(٣) عجائب القرآن للرازي ص٣٦ ـ ٣٧.
(٤) لعل الأنسب استعمال كلمة اشتقاق بدل كلمة مشاركة ويشهد لهذا قول حسان بن ثابت:
وشق له من اسمه كي يجله فذو العرش محمود، وهذا محمد.
(٥) عجائب القرآن للرازي ص٣٧.

ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر].

المطلب التاسع والثمانون

أهل التوحيد اشتق لهم اسم من التوحيد فسموا الموحدين

• ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحجر].

۞ عن فروة بن نوفل أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله علمني شيئًا أقوله إذا أويت إلى فراشي، فقال: «اقرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ فإنها براءة من الشرك»[1].

۞ قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الحجر]: الموحدين»[2].

۞ قال الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ أي: الموحدين المؤمنين الذي أخلصوا دينهم عن الشرك»[3].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن سورة الكافرون: «فمقصودها الأعظم هو البراءة المطلقة بين الموحدين والمشركين، ولهذا أتى بالنفي في الجانبين تحقيقًا للبراءة المطلوبة، هذا مع أنها متضمنة

---

(١) أخرجه أبو داود رقم (٥٠٥٥)، والترمذي (٣٤٠٣)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٨٠١)، وابن حبان «الإحسان» (٣/ ٦٩ ـ ٧٠)، والحاكم ٢/ ٥٣٨ وغيرهم من حديث نوفل الأشجعي ـ والحديث صححه الحاكم وابن حبان، وله شواهد عن غير واحد من الصحابة. انظر: «لمحات الأنوار» (٣/ ١٠٧١ ـ ١٠٧٩)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٣٤٠٤).

(٢) تفسير ابن أبي زمنين (سورة الحجر، الآية: ٤٠).

(٣) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (سورة الحجر، الآية: ٤٠).

للإثبات صريحًا فقوله: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢﴾ [الكافرون]، براءة محضة، ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣﴾ [الكافرون]، إثبات أن له معبودًا يعبده وأنهم بريئون من عبادته، فتضمنت النفي والإثبات وطابقت قول إمام الحنفاء: ﴿...إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف]، وطابقت قول الفتية الموحدين: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الكهف، الآية: ١٦] فانتظمت حقيقة لا إله إلا الله، ولهذا كان النبي ﷺ يقرأ بها وبـ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص]، في سنة الفجر وسنة المغرب[(١)]، فإن هاتين السورتين سورتا الإخلاص، وقد اشتملتا على نوعي التوحيد، الذي لا نجاة للعبد ولا فلاح إلا بهما، وهما توحيد العلم والاعتقاد»[(٢)].

المطلب التسعون

التوحيد يورث الثبات في قلب المؤمن

قال ـ تعالى ـ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۝٢٧﴾ [إبراهيم].

قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القول الثابت في الحياة الدنيا، كلمة الإخلاص، والنجاة من النار: لا إله إلا الله، والإقرار بالنبوة.

---

(١) أما قراءتهما في سنة الفجر؛ فعند مسلم رقم (٧٢٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وكذا عن جماعة من الصحابة في السنن وغيرها، انظر: «فتح الباري» ٣/ ٥٧.
أما قراءتهما في سنة المغرب؛ فعند الترمذي (٤٣١)، وقال: غريب، وابن ماجه (١١٦٦) من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وسنده فيه ضعف.

(٢) بدائع الفوائد ١/ ٢٤٣.

وهذه الآية تعم العالم من لدن آدم عليه السلام إلى يوم القيامة، وقال طاوس (ت: ١٠٦هـ) وقتادة (ت: ١١٨هـ)، وجمهور العلماء: الحياة الدنيا هي مدة حياة الإنسان.

﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ هي وقت سؤاله في قبره. وقال البراء بن عازب (ت: ٧٢هـ)، وجماعة: ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ هي وقت سؤاله في قبره - ورواه البراء عن النبي عليه السلام في لفظ متأول.

ووجه القول لأن ذلك في مدة وجود الدنيا.

وقوله: ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ هو يوم القيامة عند العرض.

والأول أحسن، ورجحه الطبري (ت: ٣١٠هـ) رحمه الله»[١].

❁ قال سهل التستري (ت: ٢٨٣هـ) رحمه الله: «﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾، يعني كلمة الإخلاص ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾، يعني: النخلة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾، يعني: أغصانها مرفوعة إلى السماء، فكذلك أصل عمل المؤمن كلمة التوحيد، وهو أصل ثابت، وفرعه وهو عمله مرفوع إلى السماء مقبول، إلا أن فيه خللًا وإحداثًا، ولكن لا يزول أصل عمله، وهو كلمة التوحيد، كما أن الرياح تزعزع أغصان النخلة، ولا يزول أصلها، وشبه عمل الكافر كشجرة خبيثة فقال: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾، يعني شجرة الحنظل أخبث ما فوق الأرض ليس لها أصل في الأرض، كذلك الكفر والنفاق ليس له في الآخرة من ثبات، وليس في خزائن الله أكبر من التوحيد»[٢].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «الكلمة الطيبة لها أصل ثابت

(١) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣/ ٣٣٧.
(٢) تفسير التستري ص٨٧، وحلية الأولياء ١/ ١٩٦.

في قلب المؤمن ولها فرع عال وهي ثابتة في قلب ثابت كما قال: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم، الآية: ٢٧]، فالمؤمن عنده يقين وطمأنينة والإيمان في قلبه ثابت مستقر وهو في نفسه ثابت على الإيمان مستقر لا يتحول عنه والكلمة الخبيثة ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم، الآية: ٢٦]، استؤصلت واجتثت كما يقطع الشيء يجتث من فوق الأرض ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾ لا مكان تستقر فيه ولا استقرار في المكان؛ فإن القرار يراد به مكان الاستقرار كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم]، وقال: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [غافر، الآية: ٦٤].

ويقال: فلان ما له قرار أي ثبات وقد فسر القرار في الآية بهذا وهذا فالمبطل ليس قوله ثابتًا في قلبه ولا هو ثابت فيه ولا يستقر كما قال ـ تعالى ـ في المثل الآخر: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد، الآية: ١٧]، فإنه وإن اعتقده مدة فإنه عند الحقيقة يخونه، كالذي يشرك بالله فعند الحقيقة يضل عنه ما كان يدعو من دون الله. وكذلك الأفعال الباطلة التي يعتقدها الإنسان عند الحقيقة تخونه ولا تنفعه، بل هي كالشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، فمن كان معه كلمة طيبة أصلها ثابت كان له فرع في السماء يوصله إلى الله فإنه سبحانه ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر، الآية: ١٠]، ومن لم يكن معه أصل ثابت فإنه يحرم الوصول؛ لأنه ضيع الأصول؛ ولهذا تجد أهل البدع والشبهات لا يصلون إلى غاية محمودة كما قال ـ تعالى ـ: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد]»[١].

(١) مجموع الفتاوى ١٣/١٥٩ ـ ١٦٠.

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «العبد لا يستغني عن تثبيت الله له طرفة عين. فإن لم يثبته الله، وإلا زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانهما. وقد قال ـ تعالى ـ لأكرم خلقه عليه عبده ورسوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ [الإسراء]»[(١)].

قال ـ تعالى ـ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى].

۞ قال منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ﴾ أي: اثبتوا على التوحيد، وقيل: ﴿أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ﴾ أي: استقيموا على الدين. ويقال: ﴿أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ﴾ هو فعل الطاعات وامتثال الأوامر»[(٢)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الدِّين مداره على أصلين: العزم والثبات، وهما الأصلان المذكوران في الحديث: «**اللّهمَّ إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد**»[(٣)]»[(٤)].

(١) التفسير القيم ٣٤٦.
(٢) تفسير السمعاني ٥/ ٦٧.
(٣) رواه الإمام أحمد (١٧١٥٥)، من حديث شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال مُحقِّقو المسند: حديث حَسَن بِطُرُقِه، والترمذي (٣٤٠٧)، والنسائي (١٣٠٤)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين برقم (١٨٩٦)، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم (٣٢٢٨).
(٤) عدة الصابرين ص١٧٨. صحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم (٣٢٢٨).

المطلب الواحد التسعون

التوحيد يوجب على المؤمن أن يقدر الله حق قدره

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب؛ بأن يكون هو المعبود وحده لا شريك له وإنما يعبد بما أمر به على ألسن رسله. وأصل عبادته معرفته بما وصف به نفسه في كتابه وما وصفه به رسله؛ ولهذا كان مذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وما وصفه به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، والذين ينكرون بعض ذلك ما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته ولا عبدوه حق عبادته، والله سبحانه قد ذكر هذه الكلمة ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ في ثلاثة مواضع: [الأنعام، الآية: ٩١]، [الحج، الآية: ٧٤]، [الزمر، الآية: ٦٤]؛ ليثبت عظمته في نفسه وما يستحقه من الصفات وليثبت وحدانيته وأنه لا يستحق العبادة إلا هو وليثبت ما أنزله على رسله فقال في الزمر: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ الآية [الزمر، الآية: ٦٤]. وقال في الحج: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۝٧٣ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الحج، الآيتان: ٧٣، ٧٤]، وقال في الأنعام: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنعام، الآية: ٩١].

وفي المواضع الثلاثة ذم الذين ما قدروه حق قدره من الكفار فدل ذلك على أنه يجب على المؤمن أن يقدر الله حق قدره كما يجب عليه أن يتقيه حق تقاته وأن يجاهد فيه حق جهاده قال ـ تعالى ـ: ﴿وَجَـٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج، الآية: ٧٨]، وقال: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران، الآية: ١٠٢]، والمصدر هنا مضاف إلى المفعول والفاعل مراد أي حق جهاده

الذي أمركم به وحق تقاته التي أمركم بها واقدروه قدره الذي بينه لكم وأمركم به فصدقوا الرسول فيما أخبر وأطيعوه فيما أوجب وأمر.

ودلت الآية على أن له قدرًا عظيمًا؛ لا سيما قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر، الآية: ٦٧]، وفي تفسير ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (ت: ٦٨هـ) قال: من آمن بأن الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره»[(١)].

المطلب الثاني والتسعون

لا إله إلا الله معناها التوحيد

❁ لما بعث معاذًا (ت: ١٨هـ) رضي الله عنه، إلى اليمن قال له: «**إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأعلمهم أن الله تعالى قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»[(٢)].

و«لا إله إلا الله» معناها التوحيد؛ ولهذا في الأحاديث تارة يُعبر عن هذه الكلمات بالتوحيد، وتارة تُذكر هذه الكلمة.

❁ ومن ذلك: ما جاء في بعض روايات الحديث من قوله ﷺ لمعاذ

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/ ١٦٠ ـ ١٦١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ٤/ ٣٧٨، ح٧٣٧٢.

(ت: ١٨هـ) رضي الله عنه، لما بعثه إلى اليمن: «**إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله ـ تعالى**»(١).

❁ ولفظ مصنف عبد الرزاق (ت: ٢١١هـ) رحمه الله: «**إنك ستأتي على ناس من أهل الكتاب فادعهم إلى التوحيد**»(٢).

❁ عن ابن عمر (ت: ٧٣هـ) رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «**بني الإسلام على خمسة على أن يوحدوا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان والحج**» أخرجه مسلم(٣).

❁ وعنه ﷺ أنه قال: «**من قال لا إلٰه إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله**»(٤).

❁ وفي رواية: «**من وحد الله وكفر بما يعبد من دون الله . . .**»(٥).

❁ فعن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما في قوله: لا إلٰه إلا هو قال: «توحيد»(٦).

❁ قال عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ (ت: ١٢٨٥هـ) رحمه الله: «قوله: «وفي رواية: «**إلى أن يوحدوا الله**»» هذه الرواية ثابتة في كتاب

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ٤/ ٣٧٨، ح٧٣٧٢.
(٢) مصنف عبد الرزاق، باب دعاء العدو ٥/ ٢١٥ (ح٩٤٢٠).
(٣) رواه مسلم ١/ ٣٤ (ح١٢٠).
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥] ١/ ٢٤ (ح٢٥)، ومسلم في كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إلٰه إلا الله ١/ ٥٣، ح٣٧.
(٥) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إلٰه إلا الله ١/ ٥٣، ح٣٨.
(٦) تفسير ابن أبي حاتم ٣/ ١٠٢٢.

التوحيد من صحيح البخاري. وأشار المصنف بذكر هذه الرواية إلى التنبيه على معنى «شهادة أن لا إلٰه إلا الله»؛ فإن معناها توحيد الله بالعبادة ونفي عبادة ما سواه. وفي رواية: ««**فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله**»» وذلك هو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله»[1].

❁ قال عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ (ت: ١٢٨٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن التوحيد أن لا يدعى إلا الله وحده»[2].

المطلب الثالث والتسعون

النعم داعية إلى التوحيد وذاك داع إلى شكرها

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ۝٥٣﴾ [النحل].

❁ قال صالح الدمشقي (من القرن الثاني من الهجرة) رَحِمَهُ اللَّهُ، لابنه: «يا بني، إذا مرَّ بك يوم وليلة قد سلم فيهما دينك، وجسمك، ومالك، وعيالك فأكثِر الشكر لله تعالى»[3].

❁ وقال الحسن البصري (ت: ١١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «كلما شكرت نعمة؛ تجدد لك بالشكر أعظم منها»[4].

❁ وقال الجنيد (ت: ٢٩٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشكر: أن لا يعصى الله عَزَّ وَجَلَّ بنعمه»[5].

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص٨٣.
(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص٩٧.
(٣) سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٢٢.
(٤) سراج الملوك ١/ ٢١٩.
(٥) سراج الملوك ١/ ٢١٨.

❁ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذكرهم النعم، فقال سبحانه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾، ليوحدوا رب هذه النعم، يعني: بالنعم الخير والعافية، ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾، يعني: الشدة، وهو الجوع، والبلاء، وهو قحط المطر بمكة سبع سنين، ﴿فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾، يعني: تضرعون بالدعاء، لا تدعون غيره أن يكشف عنكم ما نزل بكم من البلاء والدعاء حين قالوا في حم الدخان: ﴿رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الدخان]، يعني مصدقين بالتوحيد»[1].

❁ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «شكر العبد هو: إقراره بأن ذلك من الله دون غيره، وإقرار الحقيقة: الفعل، ويصدقه العمل، فأما الإقرار الذي يكذبه العمل، فإن صاحبه لا يستحق اسم الشاكر بالإطلاق، ولكنه يقال شكر باللسان، والدليل على صحة ذلك: قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ [سبأ، الآية: ١٣]، ومعلوم أنه لم يأمرهم، إذ قال لهم ذلك، بالإقرار بنعمه؛ لأنهم كانوا لا يجحدون أن يكون ذلك تفضلًا منه عليهم، وإنما أمرهم بالشكر على نعمه بالطاعة له بالعمل، وكذلك قال ﷺ حين تفطرت قدماه في قيام الليل: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»[2]»[3].

❁ قال أبو عبد الله الحسن بن الحسين الحليمي (ت: ٤٠٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمعلوم أن النعم متفاوتة في مراتبها فأولاها بالشكر نعمة الله تعالى على العبد بالإيمان، والإرشاد إلى الحق، والتوفيق لقوله؛ لأنه هو الغرض الذي ليس بتابع لما سواه، وكل غرض سواه، فهو تابع له،

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة النحل، الآية: ٥٣).
(٢) أخرجه البخاري (٤٨٣٦)، ومسلم (٢٨١٩).
(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ١٨٣، ١٨٤).

فهو ممن جاء به، وثبت عليه شكره لفقره من النعم، والتيسير له نعمة عظيمة يقتضي الشكر لها بالإنهاء على المعاصي، وإتباع الإيمان حقوقه، لأن الإيمان بالله عهد بينه وبين العبد ولكل عهد وفاء. فالوفاء بالإيمان إتباعه ما بعده.

فإن قيل: ألا قلتم إن أولى النعم أولاها بالشكر، هو الحياة ثم العقل والبيان.

قيل: لأن هذه النعم كلها لتكون من المنعم عليه بها الإيمان، فصح أن أفضل النعم الإيمان، فمن شكر الله تعالى تيسيره للإيمان، فقد شكر عامة ما كان الإيمان به، فصارت هذه النعم التي ذكرتها ذات صلة في الشكر والله أعلم»[(١)].

۞ قال ابن عطية (ت: ٥٤٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعنى الآية: التذكير بأن الإنسان في جليل أمره ودقيقه، إنما هو في نعمة الله وأفضاله، إيجاده داخل في ذلك فما بعده، ثم ذكر تعالى بأوقات المرض، لكون الإنسان الجاهل يحس فيها قدر الحاجة إلى لطف الله تعالى»[(٢)].

۞ وقال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمعنى: أنه تعالى بين أن جميع النعم من الله تعالى، ثم إذا اتفق لأحد مضرة توجب زوال شيء من تلك النعم فإلى الله يجأر؛ أي: لا يستغيث أحدًا إلا الله تعالى لعلمه بأنه لا مفزع للخلق إلا هو، فكأنه تعالى قال لهم فأين أنتم عن هذه الطريقة في حال الرخاء والسلامة؟»[(٣)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ شارحًا حديث: «**سلوا الله العفو**

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ٢/ ٥٥٤.
(٢) تفسير ابن عطية (سورة النحل، الآية: ٥٣).
(٣) تفسير الرازي (سورة النحل، الآية: ٥٣).

والعافية والمعافاة»[١]: «وهذا السؤال متضمن للعفو عما مضى، والعافية في الحال، والمعافاة في المستقبل بدوام العافية واستمرارها»[٢].

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ٥٥﴾ [النجم].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْآلَاءُ: هِيَ النِّعَمُ؛ وَالنِّعَمُ كُلُّهَا مِنْ آيَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى نَفْسِهِ الْمُقَدَّسَةِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ»[٣].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ٧﴾ [إبراهيم].

قال ـ تعالى ـ: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ١٤٧﴾ [النساء].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَإِنَّ الْعَبْدَ يَدْعُوهُ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ:

- دَاعِي الشُّكْرِ،
- وَدَاعِي الْعِلْمِ،

فَإِنَّهُ يَشْهَدُ نِعَمَ اللهِ عَلَيْهِ وَذَاكَ دَاعٍ إِلَى شُكْرِهَا»[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٣٥١٤)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي والسلسلة الصحيحة ٤/ ٢٩. وأورده الشوكاني في الفتح الرباني ١١/ ٥٥١٦ وقال: «روي بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح غير يزيد بن أبي زياد وهو حسن الحديث»؛ وأخرجه أحمد (٥) و(١٧)، والنسائي في الكبرى (١٠٧١٧)، وابن ماجه (٣٨٤٩).

(٢) عدة الصابرين ص٢٧١.

(٣) مجموع الفتاوى ٨/ ٣١.

(٤) مجموع الفتاوى ٨/ ٣١.

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وشكر العامة؛ على المطعم والمشرب والملبس وقوت الأبدان، وشكر الخاصة؛ على التوحيد والإيمان وقوت القلوب»(١).

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشكر يكون بالقلب خضوعًا واستكانة، وباللسان ثناء واعترافًا، وبالجوارح طاعة وانقيادًا»(٢).

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنعام الرب تعالى على عبده: فإحسان إليه، وتفضل عليه، ومجرد امتنان. لا لحاجة منه إليه، ولا لمعاوضة، ولا لاستعانة به، ولا ليتكثر به من قلة، ولا ليتعزز به من ذلة، ولا ليقوى به من ضعف. سبحانه وبحمده.

وأمره له بالشكر أيضًا: إنعام آخر عليه، وإحسان منه إليه؛ إذ منفعة الشكر ترجع إلى العبد دنيا وآخرة، لا إلى الله. والعبد هو الذي ينتفع بشكره، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [النمل، الآية: ٤٠] فشكر العبد إحسان منه إلى نفسه دنيا وأخرى؛ فلا يذم ما أتى به من ذلك، وإن كان لا يحسن مقابلة المنعم به ولا يستطيع شكره فإنه إنما هو محسن إلى نفسه بالشكر، لا أنه مكافئ به لنعم الرب، فالرب تعالى لا يستطيع أحد أن يكافئ نعمه أبدًا، ولا أقلها، ولا أدنى نعمة من نعمه. فإنه تعالى هو المنعم المتفضل، الخالق للشكر والشاكر، وما يشكر عليه؛ فلا يستطيع أحد أن يحصي ثناء عليه؛ فإنه هو المحسن إلى عبده بنعمه، وأحسن إليه بأن أوزعه شكرها؛ فشكره نعمة من الله أنعم بها عليه تحتاج إلى شكر آخر. وهلم جرّا»(٣).

(١) مدارج السالكين ٢/ ٢٣٥.
(٢) مدارج السالكين ٢/ ٢٣٧.
(٣) مدارج السالكين ٢/ ٢٤١ ـ ٢٤٢.

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: «نجاسة الزنا واللواط أغلظ من غيرهما من النجاسات، من جهة أنها تفسد القلب، وتضعف توحيده جدًّا، ولهذا أحظى الناس بهذه النجاسة أكثرهم شركًا؛ فكلما كان الشرك في العبد أغلب كانت هذه النجاسة والخبائث فيه أكثر، وكلما كان أعظم إخلاصًا كان منها أبعد، كما قال ـ تعالى ـ عن يوسف الصديق: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف]»[1].

❁ قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رحمه الله: «قال بعض السلف: «الشكر أن لا يُستعان بشيءٍ من النعَم على معصيته»[2].

❁ قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رحمه الله: «الشكر على درجتين:

إحداهما: واجب، وهو أن يأتي بالواجبات، ويتجنب المحرمات، فهذا لا بد منه، ويكفي في شكر هذه النعم، . . . .

ومن هنا قال بعض السلف: «الشكر: ترك المعاصي».

وقال بعضهم: «الشكر أن لا يستعان بشيء من النعم على معصيته».

وذكر أبو حازم الزاهد شكر الجوارح كلها: «أن تكف عن المعاصي، وتستعمل في الطاعات»، ثم قال: «وأما من شكر بلسانه ولم يشكر بجميع أعضائه: فمثله كمثل رجل له كساء فأخذ بطرفه، فلم يلبسه، فلم ينفعه ذلك من البرد، والحر، والثلج، والمطر».

الدرجة الثانية من الشكر: الشكر المستحب، وهو أن يعمل العبد

---

(١) إغاثة اللهفان ١/ ١٠٦.
(٢) جامع العلوم والحكم (٢٤٥).

بعد أداء الفرائض، واجتناب المحارم: بنوافل الطاعات، وهذه درجة السابقين المقربين»[١].

۞ وقال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكل عطاء الله فضل، فإنه لا واجب عليه، فكان لذلك واجبًا على كل أحد إخلاص التوحيد له شكرًا على فضله لما تضافر عليه دليلا العقل والنقل من أن شكر المنعم واجب»[٢].

المطلب الرابع والتسعون

التوحيد يعزز مكارم الأخلاق

۞ عن أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليصمُتْ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليُكرِمْ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**». وفي رواية: «**فلا يؤذِ جاره**»، وللبخاري: «**فليصِلْ رحمه**»[٣].

«وهذا الحديث عظيم تتفرع منه آداب الخير، وقيل فيه: إنه نصف

---

(١) جامع العلوم والحكم ص٢٤٥، ٢٤٦.
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٥/٨٦.
(٣) أخرجه مسلم، حديث (٤٧)، وأخرجه البخاري في «كتاب الأدب» «باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره» حديث (٦٠١٨)، وأخرجه ابن ماجه في «كتاب الفتن» «باب كف اللسان في الفتنة» حديث (٣٩٧١).
وحديث أبي شريح أخرجه مسلم، حديث (٤٨)، وأخرجه البخاري في نفس الباب السابق حديث (٦٠١٩)، وأخرجه أبو داود في «كتاب الأطعمة» «باب ما جاء في الضيافة» حديث (٣٧٤٨)، وأخرجه الترمذي في «كتاب البر والصلة» «باب ما جاء في الضيافة كم هو» حديث (١٩٦٧)، وأخرجه ابن ماجه في «كتاب الأدب» «باب حق الجوار» حديث (٣٦٧٢).

الإسلام؛ لأن الأحكام تتعلق بالحق، أو الخلق، وهذا أفاد الثاني»[(١)].

❁ قال ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر**» المراد بقوله: «**يؤمن**» الإيمان الكامل، وخصه بالله واليوم الآخر إشارة إلى المبدأ أو المعاد؛ أي: من آمن بالله الذي خلَقه، وآمن بأنه سيجازيه بعمله، فليفعل الخصال المذكورات»[(٢)].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالذي شرعه الله ورسوله توحيد وعدل وإحسان وإخلاص وصلاح للعباد في المعاش والمعاد وما لم يشرعه الله ورسوله من العبادات المبتدعة فيه شرك وظلم وإساءة وفساد العباد في المعاش والمعاد. فإن الله تعالى أمر المؤمنين بعبادته والإحسان إلى عباده كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾ [النساء]، وهذا أمر بمعالي الأخلاق وهو سبحانه يحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها. وقد روي عنه ﷺ أنه قال: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» رواه الحاكم في صحيحه»[(٣)].

المطلب الخامس والتسعون

بالتوحيد تحرم الدماء والأعراض ويدخل المرء الإسلام

❁ عن ابن عمر (ت: ٧٣هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت

(١) الجواهر اللؤلؤية شرح الأربعين النووية (١٤٩).
(٢) فتح الباري (١٠/ ٤٦٠ ح٦٠١٩).
(٣) مجموع الفتاوى ١/ ١٩٥.

أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»[(١)].

❁ قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) رحمه الله: «دين الإسلام يحكم بشهادة أن لا إلٰه إلا الله في الظاهر، فالله - جل وعلا - يقبل من المنافقين كلمة (لا إلٰه إلا الله) ظاهرًا، كما أرادوا أن يخدعوه فهو يخدعهم حيث يقبلها منهم ظاهرًا في الدنيا، وهو يعد لهم في الآخرة الدرك الأسفل من النار، كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء]»[(٢)].

المطلب السادس والتسعون

أن الكافر إذا رجع إلى التوحيد هدم التوحيد كفره

❁ قال - تعالى -: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنفال].

❁ عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: «فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: «ما لك يا عمرو؟» قال: قلت: أردت أن أشترط، قال: «تشترط بماذا؟» قلت: أن يغفر لي، قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله؟»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢).
(٢) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير ١/ ٢٨٨.
(٣) أخرجه مسلم (١٢١).

۞ عن عبد الله بن مسعود (ت: ٣٢هـ) رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**من أحْسَن في الإسلام، لم يُؤاخَذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام، أخذ بالأول والآخر**»[(١)].

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رحمه الله: «﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بالتوحيد، ﴿إِن يَنتَهُواْ﴾ عن الشرك ويتوبوا، ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ من شركهم قبل الإسلام»[(٢)].

۞ عن مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ) رحمه الله قال: «لا يؤخذ الكافر بشيء صنعه في كفره إذا أسلم، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾»[(٣)].

۞ قال يحيى بن معاذ الرازي (ت: ٢٥٨هـ) رحمه الله: «توحيد لم يعجز عن هدم ما قبله من كفر، أرجو أن لا يعجز عن هدم ما بعده من ذنب»[(٤)].

۞ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: «قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ﴾، عن الشرك.

قوله تعالى: ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾؛ أي: ما مضى من ذنوبهم قبل الإسلام.

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٨﴾، في

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٩٢١) وأخرجه مسلم برقم (١٢١).
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة الأنفال، الآية: ٣٨).
(٣) تفسير ابن أبي حاتم (سورة الأنفال، الآية: ٣٨)، وتفسير الدر المنثور للسيوطي (سورة الأنفال، الآية: ٣٨).
(٤) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة الأنفال، الآية: ٣٨).

نصر الله أنبياءه، وأولياءه، وإهلاك أعدائه»[(١)].

۞ قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوحيد مؤثر في إزالة الذنب، فالكافر وإن عظم كفره إذا رجع من الكفر إلى التوحيد هدم التوحيد كفره»[(٢)].

۞ قال أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨﴾ [الفرقان]. لأنه نص في مضاعفة العذاب في حق من جمع بين المحظورات، وفائدة الوجوب: أنه لو مات عوقب على تركه، وإن أسلم سقط عنه؛ لأن الإسلام يجبُّ ما قبله»[(٣)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ الكفَّار إذا أسلموا أو عاهدوا لم يضمَّنوا ما أتلفوه للمسلمين من الدَّماء والأموال بل لو أسلموا وبأيديهم ما غنموه من أموال المسلمين كان لهم عند جمهور العلماء كمالك وأبي حنيفة وأحمد وهو الذي مضت به سنَّة رسول الله وسنَّة خلفائه الرَّاشدين»[(٤)].

۞ قال ابن جزي (ت: ٧٤١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِن يَنتَهُوا۟﴾ يعني: عن الكفر إلى الإسلام؛ لأن الإسلام يجبُّ ما قبله، ولا تصح المغفرة إلا به»[(٥)].

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة الأنفال، الآية: ٣٨).
(٢) عجائب القرآن ص٥٨.
(٣) روضة الناظر وجنة المناظر ١/ ١٦٥.
(٤) مجموع الفتاوى ١٥/ ١٧٠.
(٥) تفسير ابن جزي (سورة الأنفال، الآية: ٣٨).

۞ قال زين الدين بن إبراهيم بن محمد، الشهير بابن نجيم (ت: ٩٧٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإسلام يجب ما قبله من حقوق الله تعالى دون حقوق الآدميين، كالقصاص وضمان الأموال إلا في مسائل: لو أجنب الكافر ثم أسلم لم تسقط ومنها لو زنى ثم أسلم وكان زناه ثابتًا ببينة مسلمين لم يسقط الحد بإسلامه وإلا سقط»(١).

۞ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ﴾ عن كفرهم وذلك بالإسلام لله وحده لا شريك له. ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ منهم من الجرائم وَإِنْ يَعُودُوا إلى كفرهم وعنادهم فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ بإهلاك الأمم المكذبة، فلينتظروا ما حل بالمعاندين، فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون، فهذا خطابه للمكذبين»(٢).

المطلب السابع والتسعون

التوحيد شرط لقبول العمل

۞ قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝١١٠﴾ [الكهف].

۞ عن عبد الله بن عمرو بن العاص (ت: ٦٥هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: إن الرجل إذا قال: لا إله إلا الله، فهي كلمة الإخلاص التي لا يقبل الله من أحد عملًا حتى يقولها، فإذا قال: الحمد لله، فهي كلمة الشكر التي لم

(١) كتاب الأشباه والنظائر ص٢٨١.
(٢) تفسير ابن سعدي (سورة الأنفال، الآية: ٣٨).

يشكر الله أحد حتى يقولها، فإذا قال: الله أكبر فهي كلمة تملأ ما بين السماء والأرض، فإذا قال: سبحان الله فهي صلاة الخلائق التي لم يدع الله أحدًا حتى قرره بالصلاة والتسبيح، وإذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. قال: استسلم عبدي»[(١)].

❁ قال أبو محمد عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي (ت: ١٩٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يقبل الله من الأعمال إلا ما كان صوابًا، ومن صوابها إلا ما كان خالصًا، ومن خالصها إلا ما وافق السنة»[(٢)].

❁ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول تعالى ذكره: قل لهؤلاء المشركين يا محمد: إنما أنا بشر مثلكم من بني آدم لا علم لي إلا ما علمني الله وإن الله يوحي إليّ أن معبودكم الذي يجب عليكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، معبود واحد لا ثاني له، ولا شريك ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ يقول: فمن يخاف ربه يوم لقائه، ويراقبه على معاصيه، ويرجو ثوابه على طاعته ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ يقول: فليخلص له العبادة، وليفرد له الربوبية»[(٣)].

❁ قال أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، (ت: ٤٢٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر، الآية: ١٠]: «العمل الصالح هو الخالص، يعني أن الإخلاص سبب قبول الخيرات من الأقوال والأعمال، دليله قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف، الآية: ١١٠]؛ أي: خالصًا، ثم قال: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ١١٠﴾ [الكهف]، فجعل نقيض الصالح الشرك والرياء، وقال

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٠/١٣٩ ـ ١٤٠.
(٢) الاعتصام للشاطبي ١/٦٦.
(٣) تفسير الطبري (سورة الكهف، الآية: ١١٠).

قوم: هذه الكناية راجعة إلى العمل، يعني أن الكلم الطيب يرفع العمل، فلا يرفع ولا يقبل عمل إلا أن يكون صادرًا عن التوحيد»[(١)].

۞ قال علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال (ت: ٤٤٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الرياء ينقسم قسمين: فإن كان الرياء في عقد الإيمان فهو كفر ونفاق، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار، وإن كان الرياء لمن سلم له عقد الإيمان من الشرك، ولحقه شيء من الرياء في بعض أعماله، فليس ذلك بمخرج من الإيمان إلا أنه مذموم فاعله؛ لأنه أشرك في بعض أعماله حمد المخلوقين مع حمد ربه، فحرم ثواب عمله ذلك»[(٢)].

۞ قال علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال (ت: ٤٤٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال بعض السلف في قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الزمر] قال: أعمال كانوا يحسبونها حسنات بدت لهم سيئات، وإنما لحقهم ذلك لعدم المراعاة وقلة الإخلاص، أو لتعديهم السنة وركوبهم بالتأويل وجوه الفتنة»[(٣)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن الله جعل الإخلاص والمتابعة سَبَبًا لقبول الأعمال، فإذا فقدا لم تُقبل الأعمال»[(٤)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: «فإن الله لا يقبل من العباد إلا ما كان له خالصًا»، والأعمال أربعة: واحد مقبول، وثلاثة مردودة، فالمقبول ما كان لله خالصًا وللسنة موافقًا، والمردود ما فقد منه الوصفان أو أحدهما، وذلك أن العمل المقبول هو ما أحبه الله ورضيه،

---

(١) تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (سورة فاطر، الآية: ١٠).
(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١/ ١١٣.
(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١/ ١١٠.
(٤) الروح ص١٣٥.

وهو سبحانه إنما يحب ما أمر به وما عمل لوجهه. وما عدا ذلك من الأعمال فإنه لا يحبها، بل يمقتها ويمقت أهلها.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ﴾ [الملك: ٢]. قال الفضيل [٣٥٠/ب] بن عياض: هو أخلص العمل وأصوبه. فسئل عن معنى ذلك، فقال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا. فالخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة. ثم قرأ قوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف][(١)].

فإن قيل: فقد بان بهذا أن العمل لغير الله مردود غير مقبول، والعمل لله وحده مقبول. فبقي قسم آخر، وهو أن يعمل العمل لله ولغيره، فلا يكون لله محضًا ولا للناس محضًا، فما حكم هذا القسم؟ هل يبطل العمل كله أم يبطل ما كان لغير الله، ويصح ما كان لله؟

قيل: هذا القسم تحته أنواع ثلاثة:

أحدها: أن يكون الباعث الأول على العمل هو الإخلاص، ثم يعرض له الرياء وإرادة غير الله في أثنائه، فهذا المعول فيه على الباعث الأول، ما لم يفسخه بإرادة جازمة لغير الله؟ فيكون حكمه حكم قطع النية في أثناء العبادة وفسخها، أعني قطع ترك استصحاب حكمها.

الثاني عكس هذا، وهو أن يكون الباعث الأول لغير الله، ثم يعرض له قلب النية لله، فهذا لا يحتسب له بما مضى من العمل، ويحتسب له من حين قلب نيته. ثم إن كانت العبادة لا يصح آخرها إلا

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الإخلاص والنية» (٢٢)، وأبو نعيم في «الحلية» ٨/ ٩٥ دون الآية الأخيرة.

بصحة أولها وجبت الإعادة، كالصلاة، وإلا لم تجب كمن أحرم لغير الله، ثم قلب نيته لله عند الوقوف والطواف.

الثالث: أن يبتدئها مريدًا بها الله والناس، فيريد أداء فرضه، والجزاء والشكور من الناس. وهذا كمن يصلي بالأجرة، فهو لو لم يأخذ الأجرة صلى، ولكنه يصلي لله وللأجرة؛ وكمن يحج ليسقط الفرض عنه، ويقال: فلان حج؛ أو يعطي الزكاة لذلك؛ فهذا لا يقبل منه العمل.

وإن كانت النية شرطًا في سقوط الفرض وجبت عليه الإعادة. فإن حقيقة الإخلاص التي هي شرط في صحة العمل والثواب عليه لم توجد، والحكم المعلق بالشرط عدم عند عدمه، فإن الإخلاص هو تجريد القصد طاعة للمعبود، ولم يؤمر إلا بهذا. وإذا كان هذا هو المأمور به فلم يأت به بقي في عهدة الأمر.

وقد دلت السنة الصريحة على ذلك، كما في قوله ﷺ: «**يقول الله عز وجل يوم القيامة: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملًا أشرك فيه غيري فهو كله للذي أشرك به**»[١]، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف]»[٢].

❁ قال عمر بن علي الأنصاري المعروف بابن الملقن (ت: ٨٠٤هـ) رحمه الله: «الإخلاص شرط في العبادة، فمن غلب باعثه الدنيوي، فقد خسر ومن غلب الديني ففائز عند الجمهور خلافًا للحارث المحاسبي»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

(٢) إعلام الموقعين ٢/ ٥١٦ ـ ٥١٨.

(٣) كتاب التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن ٣/ ٦٣٤.

❁ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «أي: فضلت عليكم بالوحي، الذي يوحيه الله إلي، الذي أجله الإخبار لكم: أنما إلهكم إلٰه واحد؛ أي: لا شريك له، ولا أحد يستحق من العبادة مثقال ذرة غيره، وأدعوكم إلى العمل الذي يقربكم منه، وينيلكم ثوابه، ويدفع عنكم عقابه. ولهذا قال: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ وهو الموافق لشرع الله، من واجب ومستحب، ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ أي: لا يرائي بعمله بل يعمله خالصًا لوجه الله تعالى، فهذا الذي جمع بين الإخلاص والمتابعة، هو الذي ينال ما يرجو ويطلب، وأما من عدا ذلك، فإنه خاسر في دنياه وأخراه، وقد فاته القرب من مولاه، ونيل رضاه»(١).

❁ قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء]. في الآية الدليل على أن الأعمال الصالحة لا تنفع إلا مع الإيمان بالله؛ لأن الكفر سيئة لا تنفع معها حسنة، لأنه شرط في ذلك قوله: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾»(٢).

المطلب الثامن والتسعون

التوحيد هو العدل وعليه مدار الأمور كلها

❁ قال - تعالى -: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف، الآية: ٢٩]. ولهذا أمر الله رسوله أن يقول لأهل الكتاب:

(١) تفسير السعدي (سورة الكهف، الآية: ١١٠).
(٢) أضواء البيان ٣/ ٨١.

﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ الآية [آل عمران، الآية: ٦٤].

قال - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل، الآية: ٩٠].

قال سهل التستري (ت: ٢٨٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العدل قول لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، والاقتداء بسنة نبيه ﷺ»[١].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذا كان التوحيد أصل صلاح الناس والإشراك أصل فسادهم والقسط مقرون بالتوحيد؛ إذ التوحيد أصل العدل؛ وإرادة العلو مقرونة بالفساد؛ إذ هو أصل الظلم فهذا مع هذا وهذا مع هذا كالملزوزين في قرن، فالتوحيد وما يتبعه من الحسنات هو صلاح وعدل؛ ولهذا كان الرجل الصالح هو القائم بالواجبات؛ وهو البر؛ وهو العدل. والذنوب التي فيها تفريط أو عدوان في حقوق الله تعالى وحقوق عباده هي فساد وظلم؛ ولهذا سمي قطاع الطريق مفسدين وكانت عقوبتهم حقًّا لله تعالى لاجتماع الوصفين والذي يريد العلو على غيره من أبناء جنسه هو ظالم له باغ؛ إذ ليس كونك عاليًا عليه بأولى من كونه عاليًا عليك وكلاكما من جنس واحد، فالقسط والعدل أن يكونوا إخوة كما وصف الله المؤمنين بذلك. والتوحيد وإن كان أصل الصلاح فهو أعظم العدل؛ ولهذا قال - تعالى -: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤﴾ [آل عمران]، ولهذا كان تخصيصه بالذكر في مثل قوله: ﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ﴾ [الأعراف]، لا يمنع أن يكون داخلًا في القسط كما أن ذكر العمل الصالح

---

(١) تفسير التستري ص٩٢.

بعد الإيمان لا يمنع أن يكون داخلًا في الإيمان كما في قوله: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة، الآية: ٩٨]، و﴿مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ﴾ [الأحزاب، الآية: ٧]، هذا إذا قيل: إن اسم الإيمان يتناوله. سواء قيل: إنه في مثل هذا يكون داخلًا في الأول فيكون مذكورًا مرتين أو قيل: بل عطفه عليه يقتضي أنه ليس داخلًا فيه هنا وإن كان داخلًا فيه منفردًا كما قيل مثل ذلك في لفظ الفقراء والمساكين وأمثال ذلك مما تتنوع دلالته بالإفراد والاقتران. لكن المقصود: أن كل خير فهو داخل في القسط والعدل وكل شر فهو داخل في الظلم. ولهذا كان العدل أمرًا واجبًا في كل شيء وعلى كل أحد والظلم محرمًا في كل شيء ولكل أحد فلا يحل ظلم أحد أصلًا سواء كان مسلمًا أو كافرًا أو كان ظالمًا بل الظلم إنما يباح أو يجب فيه العدل عليه أيضًا قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة، الآية: ٨]؛ أي: لا يحملنكم شنآن أي: بغض قوم ـ وهم الكفار ـ على عدم العدل، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ﴾ [البقرة، الآية: ١٩٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ﴾ [النحل، الآية: ١٢٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ﴾ [الشورى، الآية: ٤٠]. وقد دل على هذا قوله في الحديث: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا**»، «فإن هذا خطاب لجميع العباد أن لا يظلم أحد أحدًا وأمر العالم في الشريعة مبني على هذا وهو العدل في الدماء والأموال؛ والأبضاع والأنساب؛ والأعراض»[(١)].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلا أعدل من توحيد الرسل،

(١) مجموع الفتاوى ١٨/ ١٦٥ ـ ١٦٦.

ولا أظلم من الشرك. فهو سبحانه قائم بالعدل في هذه الشهادة قولًا وفعلًا، حيث شهد بها وأخبر، وأعلم عباده وبين لهم تحقيقها وصحتها، وألزمهم بمقتضاها، وحكم به، وجعل الثواب والعقاب عليها، وجعل الأمر والنهي من حقوقها وواجباتها.

فالدين كله من حقوقها، والثواب كله عليها، والعقاب كله على تركها، وهذا هو العدل الذي قام به الرب تعالى في هذه الشهادة.

فأوامره كلها تكميل لها، وأمر بأداء حقوقها، ونواهيه كلها صيانة لها عما يهدمها ويضادها.

وثوابه كلها عليها، وعقابه على تركها، وترك حقوقها.

وخلقه السموات والأرض وما بينهما كان بها ولأجلها.

وهي الحق الذي خلقت به المخلوقات، وضدها: هو الباطل والعبث الذي نزه الله نفسه عنه، وأخبر أنه لم يخلق به السموات والأرض.

قال ـ تعالى ـ ردًّا على المشركين المنكرين لهذه الشهادة: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ [ص]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأحقاف، الآيات: ١ ـ ٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ [يونس، الآية: ٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الروم]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الدخان]، وهذا كثير في القرآن.

والحق الذي خلقت به السمٰوات والأرض، ولأجله: هو التوحيد وحقوقه: من الأمر والنهي، والثواب والعقاب، والشرع والقدر، والخلق، والثواب والعقاب: قائم بالعدل. والتوحيد صادر عنهما. وهذا هو الصراط المستقيم الذي عليه الرب ﷻ. قال ـ تعالى ـ حكاية عن نبيه هود أنه قال: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود].

فهو سبحانه على صراط مستقيم في قوله وفعله. فهو يقول الحق ويفعل العدل (٦: ١١٥): ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام]، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾ [الأحزاب].

فالصراط المستقيم الذي عليه ربنا تبارك وتعالى: هو مقتضي التوحيد والعدل، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [النحل]»[(١)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: «قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران].

تضمنت الآية توحيده وعدله، وعزته وحكمته، فالتوحيد: يتضمن ثبوت صفات كماله، ونعوت جلاله، وعدم المماثل له فيها وعبادته وحده لا شريك له، والعدل يتضمن وضعه الأشياء موضعها، وتنزيلها منازلها، وأنه لم يخص شيئًا منها إلا بمخصص اقتضى ذلك، وأنه لا يعاقب من لا يستحق العقوبة، ولا يمنع من يستحق العطاء، وإن كان هو الذي جعله

(١) التفسير القيم ص١٨٢ ـ ١٨٣.

مستحقا، والعزة تتضمن كمال قدرته وقوته وقهره، والحكمة تتضمن كمال علمه، وخبرته، وأنه أمر ونهى، وخلق وقدر، لما له في ذلك من الحكم والغايات الحميدة التي يستحق عليها كمال الحمد.

فاسمه العزيز يتضمن الملك، واسمه الحكيم يتضمن الحمد، وأول الآية يتضمن التوحيد، وذلك حقيقة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، وذلك أفضل ما قاله رسول الله ﷺ والنبيون من قبله، والحكيم الذي إذا أمر بأمر كان حسنًا في نفسه وإذا نهى عن شيء كان قبيحًا في نفسه، وإذا أخبر بخبر كان صدقًا، وإذا فعل فعلًا كان صوابًا، وإذا أراد شيئًا كان أولى بالإرادة من غيره، وهذا الوصف على الكمال لا يكون إلا لله وحده.

فتضمنت هذه الآية وهذه الشهادة: الدلالة على وحدانيته المنافية للشرك، وعدله المنافي للظلم، وعزته المنافية للعجز، وحكمته المنافية للجهل والعيب، ففيها الشهادة له بالتوحيد، والعدل، والقدرة والعلم والحكمة، ولهذا كانت أعظم شهادة»[1].

❁ قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ٦﴾ [الليل، الآية: ٦]: «﴿وَصَدَّقَ﴾ أي: أوقع التصديق للمخبر ﴿بِٱلْحُسْنَىٰ ٦﴾ أي: وهي كلمة العدل التي هي أحسن الكلام من التوحيد وما يتفرع عنه»[2].

فالإسلام يتضمن العدل، وهو التسوية بين المتماثلين والتفريق بين المتفاضلين من المخلوقات، إذ ذلك من الإسلام لله رب العالمين وحده، فإنه إذا كان الدين كله لله وكانت كلمة الله هي العليا كان الله يأمر بالعدل

(١) مدارج السالكين ٣/ ٤٢٧.
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (سورة الليل، الآية: ٦).

وينهى عن الظلم. وأصل العدل هو القسط، والقسط هو الإقساط في حق الله تعالى بأن لا يعدل به غيره ولا يجعل له شريك، كما قال النبي ﷺ لمعاذ (ت: ١٨هـ): «**حق الله على عباده أن يعبدوه لا يشركون به شيئًا**» فإذا لم يسلموا له بل عدلوا به غيره كان ذلك ظلمًا عظيمًا، وإذا فعلوا هذا الظلم في حق الله فهم في حقوق العباد أظلم»[١].

۞ وقيل في بعض المواعظ: «عجبًا لمن يخاف العقاب كيف لا يكف عن المعاصي، وعجبًا لمن يرجو الثواب كيف لا يعمل»[٢].

المطلب التاسع والتسعون

التوحيد مركوزٌ في الفِطَر والشرك طارئ ودخيل عليها

۞ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: «ولكن لا عبرة بالإيمان الفطري في أحكام الدنيا، وإنَّما يعتبر الإيمان الشرعي المأمور به المكتسَب بالإرادة والفعل، ألَا ترى أنه يقول: «**فأبواه يهوِّدانه**»؟ فهو مع وجود الإيمان الفطري فيه محكومٌ له بحكم أبويه الكافرين، وهذا معنى قوله ﷺ: «**يقول الله ـ تعالى ـ: إني خلقتُ عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم**»، ويحكى معنى هذا عن الأوزاعي (ت: ١٥٧هـ)، وحماد بن سلمة (ت: ١٦٧هـ)، وحُكِي عن عبد الله بن المبارك (ت: ١٨١هـ)، أنه قال: معنى الحديث: أن كل مولود يولد على فطرته؛ أي: على خلقته التي جُبِل عليها في علم الله ـ تعالى ـ من السعادة أو الشقاوة، فكلٌّ منهم صائرٌ في العاقبة إلى ما فطر عليها، وعامل في الدنيا بالعمل

---

(١) الداء والدواء ص١٨٢.

(٢) أدب الدنيا والدين ١/ ١٢١.

المُشَاكِل لها، فمن أمارات الشقاوة للطفل أن يولد بين يهوديَّين أو نصرانيَّين، فيحملانه ـ لشقائه ـ على اعتقاد دينهما، وقيل: معناه: أن كل مولودٍ يولد في مبدأ الخلقة على الفطرة؛ أي: على الجبلَّة السليمة والطبع المتهيِّئ لقبول الدين، فلو ترك عليها لاستمرَّ على لزومها؛ لأن هذا الدين موجودٌ حسنُه في العقول، وإنَّما يعدل عنه مَن يعدل إلى غيره؛ لآفةٍ من آفات النشوء والتقليد، فلو سَلِم من تلك الآفات لم يعتقد غيره»[1].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن النفس خلقت بفطرتها تقتضي معرفة الله ومحبته. وقد هديت إلى علوم وأعمال تعينها على ذلك. وهذا كله من فضل الله وإحسانه»[2].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأخبر أنه فطر عباده على إقامة الوجه حنيفًا، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، فهذه من الحركة الفطرية الطبيعية المستقيمة المعتدلة للقلب، وتركها ظلم عظيم اتَّبع أهلُه أهواءَهم بغير علم، ولا بُدَّ لهذه الفطرة والخلقة ـ وهي صحة الخلقة ـ من قوت وغذاء يمدُّها بنظير ما فيها مما فطرت عليه علمًا وعملًا؛ ولهذا كان تمام الدين بالفطرة المكمَّلة بالشريعة المنزَّلة، وهي مأدُبة الله كما قال النبي ﷺ في حديث ابن مسعود (ت: ٣٢هـ): «**إنَّ كل آدبٍ يحبُّ أن تُؤتى مأدُبته، وإن مأدُبَة الله هي القرآن**»، ومثله كماءٍ أنزله الله من السماء، كما جرى تمثيله بذلك في الكتاب والسُّنَّة، والمحرِّفون للفطرة المغيِّرون للقلب عن استقامته، هم ممرضون القلوبَ مسقمون لها، وقد أنزل الله كتابه شفاءً لما في الصدور»[3].

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (الروم: ٣٠).
(٢) مجموع الفتاوى ١٤/٣١٦.
(٣) مجموع الفتاوى ١٠/١٤٦.

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن صعب عليهم ترك الذنوب فاجتهد أن تحبب الله إليهم بذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وصفات كماله ونعوت جلاله، فإن القلوب مفطورة على محبته فإذا تعلقت بحبه هان عليها ترك الذنوب والاستقلال منها والإصرار عليها»(١).

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن الله فَطَرَ القلوب على قبول الحق والانقياد له والطمأنينة به، والسكون إليه ومحبته، وفطرها على بغض الكذب والباطل والنفور عنه والريبة به وعدم السكون إليه، ولو بقيت الفِطَر على حالها لما آثرت على الحقِّ سواه، ولما سكنت إلَّا إليه، ولا اطمأنَّت إلا به، ولا أحبَّت غيره»(٢).

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولهذا كان بطلان الشرك وقبحه معلومًا بالفطرة السليمة والعقول الصحيحة، والعلم بقبحه أظهر من العلم بقبح سائر القبائح»(٣).

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١) رَحِمَهُ اللَّهُ: «معرفة الله والشهادة له بالتوحيد، وإثبات أسمائه وصفاته، ورسالة رسله، والبعث للجزاء مسطورة مثبتة في الفطرة»(٤).

❁ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فسدِّد وجهك واستمِرَّ على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملة إبراهيم الذي هداك الله لها، وكمَّلها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها، فإنه ـ تعالى ـ فطر خلقه على معرفته وتوحيده،

---

(١) كتاب الفوائد ص١٦٩.

(٢) مدارج السالكين ٣/ ٤٧١.

(٣) إغاثة اللهفان لابن القيم ٢/ ٢٧١، ط دار إحياء الكتب العربية.

(٤) مفتاح دار السعادة ٢/ ٧٩٨.

وأنه لا إلٰه غيره؛ كما تقدَّم عند قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ﴾ [الأعراف، الآية: ١٧٢]، وفي الحديث: «**إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم**»[(١)].

۞ قال عبد الرحمٰن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«التوحيد فطرة الله التي فطر الناس عليها: قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ [الروم]؛ «﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ أي: انصبه ووجِّهه ﴿لِلدِّينِ﴾ الذي هو الإسلام والإيمان والإحسان؛ بأن تتوجَّه بقلبك وقصدك وبدنك إلى إقامة شرائع الدين الظاهرة؛ كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، ونحوها، وشرائعه الباطنة؛ كالمحبة، والخوف، والرجاء، والإنابة، والإحسان في الشرائع الظاهرة والباطنة، بأن تعبد الله فيها كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك، وخصَّ الله إقامة الوجه؛ لأن إقبال الوجه تبعٌ لإقبال القلب، ويترتَّب على الأمرين سعيُ البدن، ولهذا قال: ﴿حَنِيفًا ۚ﴾ أي: مُقْبِلًا على الله في ذلك، معرِضًا عمَّا سواه، وهذا الأمر الذي أمرناك به هو ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾، ووضع في عقولهم حسنها، واستقباح غيرها. فإن جميع أحكام الشرع، الظاهرة والباطنة، قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم الميلَ إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق وإيثار الحق، وهذه حقيقة الفِطَر، ومَن خرج عن هذا الأصل، فلِعارِضٍ عرض لفطرته أفسدها؛ كما قال النبي ﷺ: «**كل مولود يُولَد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه**». ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾ أي: لا أحد يبدِّل خلق الله، فيجعل المخلوق على غير الوضع الذي وضعه الله ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي أمرناك به

(١) «تفسير ابن كثير» (الروم: ٣٠).

﴿ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ أي: الطريق المستقيم الموصل إلى الله، وإلى دار كرامته، فإنَّ مَن أقام وجهه للدين حنيفًا فإنه سالك الصراط المستقيم في جميع شرائعه وطرقه؛ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣١﴾، فلا يتعرَّفون الدين القيم، وإن عرفوه لم يسلكوه»[1].

❁ قال الشيخ صالح الفوزان: «والنفس بفطرتها إذا تُرِكت كانت مُقِرَّة لله بالإلهية، مُحبَّةً لله، تعبدُه لا تُشرك به شيئًا، ولكن يفسدها وينحرف بها عن ذلك ما يُزيِّنُ لها شياطين الإنس والجن بما يوحي بعضُهم إلى بعضٍ زخرف القول غرورًا، فالتوحيد مركوزٌ في الفِطَر والشرك طارئ ودخيل عليها»[2].

المطلب المائة

العبادة لا تُسمّى عبادةً إلا مع التوحيد

قال - تعالى -: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه].

❁ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ يقول تعالى ذكره: إنني أنا المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، لا إلَهَ إلا أنا فلا تعبد غيري، فإنه لا معبود تجوز أو تصلح له العبادة سواي ﴿فَٱعۡبُدۡنِي﴾ يقول: فأخلص العبادة لي دون كلّ ما عبد من دوني ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾»[3].

---

(١) تفسير السعدي (الروم: ٣٠).

(٢) كتاب التوحيد ص٧، وانظر: مجموعة رسائل في التوحيد ص٢١٧، ط دار العقيدة.

(٣) تفسير الطبري (سورة طه، الآية: ١٤).

قال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: أوحي إليك وإلى الأنبياء قبلك بالتوحيد، والتوحيد محذوف»[١].

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد أوحى إليك يا محمد ربك، وإلى الذين من قبلك من الرسل ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ يقول: لئن أشركت بالله شيئًا يا محمد، ليبطل عملك، ولا تنال به ثوابًا، ولا تدرك جزاء إلا جزاء من أشرك بالله»[٢].

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾، وهذه كقوله: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام]»[٣].

قال محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (ت: ١٢٠٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته، فاعلم أن العبادة لا تُسمَّى عبادةً إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تُسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت، كالحدث إذا دخل في الطهارة»[٤].

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جميع الأعمال متوقفة في صحتها وقبولها على التوحيد»[٥].

(١) تفسير القرطبي (سورة الزمر، الآية: ٦٥).
(٢) تفسير الطبري (سورة الزمر، الآية: ٦٥).
(٣) تفسير ابن كثير (سورة الزمر، الآية: ٦٥).
(٤) رسالة «القواعد الأربعة» من: «متون العقيدة»: ص٨٥، ط دار الآثار.
(٥) القول السديد شرح كتاب التوحيد ص٣٦.

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ:
«ومن أعظم فضائله: أن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها، وفي ترتب الثواب عليها على التوحيد، فكلما قوي التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت»(١).

المطلب الواحد بعد المائة

التوحيد إحسان للظن بالله

قال - تعالى -: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [فصلت].

عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «الظنّ ظنان، فظنّ منج، وظنّ مُرْدٍ قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة]، قال: ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ٢٠﴾ [الحاقة]، وهذا الظنّ المنجي ظنًّا يقينًا، وقال ها هنا: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾ [فصلت، الآية: ٢٣]، هذا ظنّ مُرْدٍ»(٢).

سئل الإمام الشافعي (ت: ٢٠٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كيف يكون سوء الظن بالله؟ قال: «الوسوسة، والخوف الدائم من وقوع مصيبة، وترقب زوال النعمة كلها من سوء الظن بالرحمٰن الرحيم»(٣).

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال الحسن: إنما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم؛ فأما المؤمن فأحسن بالله

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد ص٢٤.
(٢) تفسير الطبري (سورة فصلت، الآية: ٢٣).
(٣) حلية الأولياء ٩/ ١٢٣.

الظن، فأحسن العمل؛ وأما الكافر والمنافق، فأساءا الظن فأساءا العمل»[(١)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالشرك والتعطيل مبنيان على سوء الظن بالله، ولهذا قال إمام الحنفاء عَلَيْهِ السَّلَامُ لخصمائه من المشركين: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ۝٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٧﴾ [الصافات]، وإن كان المعنى: ما ظنكم به أن يعاملكم ويجازيكم به، وقد عبدتم معه غيره، وجعلتم له ندًّا؟ فأنت تجد تحت هذا التهديد: ما ظننتم بربكم من السوء حتى عبدتم معه غيره؟

فإن المشرك إما أن يظن أن الله سبحانه يحتاج إلى من يدبر أمر العالم معه من وزير أو ظهير أو عون، وهذا أعظم التنقيص لمن هو غني عن كل ما سواه بذاته، وكل ما سواه فقير إليه بذاته، وإما أن يظن أنه سبحانه إنما تتم قدرته بقدرة الشريك، وإما أن يظن بأنه لا يعلم حتى يعلمه الواسطة، أو لا يرحم حتى تجعله الواسطة يرحم، أو لا يكفي وحده، أو لا يفعل ما يريد بالعبد حتى يشفع عنده الواسطة، كما يشفع المخلوق عند المخلوق، فيحتاج أن يقبل شفاعته لحاجته إلى الشافع وانتفاعه به، وتكثره به من القلة، وتعززه به من الذلة، أو لا يجيب دعاء عباده، حتى يسألوا الواسطة أن ترفع تلك الحاجات إليه، كما هو حال ملوك الدنيا، وهذا أصل شرك الخلق، أو يظن أنه لا يسمع دعاءهم لبعده عنهم، حتى ترفع الوسائط إليه ذلك، أو يظن أن للمخلوق عليه حقًّا؛ فهو يقسم عليه بحق ذلك المخلوق عليه، ويتوسل إليه بذلك المخلوق، كما يتوسل الناس إلى الأكابر والملوك بمن يعز عليهم ولا يمكنهم مخالفته.

---

(١) تفسير الطبري (سورة فصلت، الآية: ٢٣).

وكل هذا تنقص للربوبية، وهضم لحقها، ولو لم يكن فيه إلا نقص محبة الله وخوفه ورجائه والتوكل عليه والإنابة إليه من قلب المشرك؛ بسبب قسمة ذلك بينه سبحانه وبين من أشرك به، فينقص ويضعف أو يضمحل ذلك التعظيم والمحبة والخوف والرجاء؛ بسبب صرف أكثره أو بعضه إلى من عبده من دونه.

فالشرك ملزوم لتنقص الرب سبحانه، والتنقص لازم له ضرورة، شاء المشرك أم أبى، ولهذا اقتضى حمده سبحانه وكمال ربوبيته ألا يغفره، وأن يخلد صاحبه في العذاب الأليم، ويجعله أشقى البرية، فلا تجد مشركًا قط إلا وهو متنقص لله سبحانه، وإن زعم أنه يعظمه بذلك»[١].

• وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦﴾ [الفتح، الآية: ٦].

۞ قال الإمام ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلم يجمع على أحد من الوعيد والعقوبة ما جمع على أهل الإشراك، فإنهم ظنوا به ظن السوء حتى أشركوا به، ولو أحسنوا الظن به لوحدوه حق التوحيد»[٢].

المطلب الثاني بعد المائة

التوحيد سببٌ في منع وقوع النفوس في العلو وحب الرئاسة

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال بعض العارفين: ما من نفس إلا وفيها ما في نفس فرعون غير أن فرعون قدر فأظهر. وغيره عجز

(١) إغاثة اللهفان ١/١٠٣ ـ ١٠٤.

(٢) إغاثة اللهفان ١/١٠٣.

فأضمر. وذلك: أن الإنسان إذا اعتبر وتعرف نفسه والناس وسمع أخبارهم: رأى الواحد منهم يريد لنفسه أن تطاع وتعلو بحسب قدرته. فالنفس مشحونة بحب العلو والرياسة بحسب إمكانها فتجد أحدهم يوالي من يوافقه على هواه ويعادي من يخالفه في هواه. وإنما معبوده: ما يهواه ويريده. قال ـ تعالى ـ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [الفرقان]»[1].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن كان من المطاعين ـ من العلماء والمشايخ والأمراء والملوك ـ متبعًا للرسل: أمر بما أمروا به. ودعا إلى ما دعوا إليه، وأحب من دعا إلى مثل ما دعا إليه، فإن الله يحب ذلك، فيحب ما يحبه الله تعالى، وهذا قصده في نفس الأمر: أن تكون العبادة لله تعالى وحده وأن يكون الدين كله لله.

وأما من كان يكره أن يكون له نظير يدعو إلى ذلك: فهذا يطلب أن يكون هو المطاع المعبود، فله نصيب من حال فرعون وأشباهه، فمن طلب أن يطاع دون الله: فهذا حال فرعون. ومن طلب أن يطاع مع الله: فهذا يريد من الناس أن يتخذوا من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله. والله سُبْحَانَهُ أمر: أن لا يعبد إلا إياه وأن لا يكون الدين إلا له وأن تكون الموالاة فيه والمعاداة فيه، وأن لا يتوكل إلا عليه ولا يستعان إلا به.

فالمؤمن المتبع للرسل: يأمر الناس بما أمرتهم به الرسل ليكون الدين كله لله لا له، وإذا أمر أحد غيره بمثل ذلك: أحبه وأعانه وسر بوجود مطلوبه، وإذا أحسن إلى الناس فإنما يحسن إليهم ابتغاء وجه ربه الأعلى. ويعلم أن الله قد من عليه بأن جعله محسنًا ولم يجعله مسيئًا

(١) مجموع الفتاوى ١٤/ ٣٢٧.

فيرى أن عمله لله وأنه بالله. وهذا مذكور في فاتحة الكتاب التي ذكرنا أن جميع الخلق محتاجون إليها أعظم من حاجتهم إلى أي شيء. ولهذا فرضت عليهم قراءتها في كل صلاة دون غيرها من السور ولم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها. فإن فيها ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة]. فالمؤمن يرى: أن عمله لله لأنه إياه يعبد، وأنه بالله لأنه إياه يستعين. فلا يطلب ممن أحسن إليه جزاء ولا شكورًا؛ لأنه إنما عمل له ما عمل لله كما قال الأبرار ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [الإنسان]، ولا يمن عليه بذلك ولا يؤذيه؛ فإنه قد علم أن الله هو المان عليه إذ استعمله في الإحسان، وأن المنة لله عليه وعلى ذلك الشخص؛ فعليه هو: أن يشكر الله إذ يسره لليسرى، وعلى ذلك: أن يشكر الله إذ يسر له من يقدم له ما ينفعه من رزق أو علم أو نصر أو غير ذلك. ومن الناس: من يحسن إلى غيره ليمن عليه أو يرد الإحسان له بطاعته إليه وتعظيمه أو نفع آخر. وقد يمن عليه فيقول: أنا فعلت بك كذا. فهذا لم يعبد الله ولم يستعنه، ولا عمل لله ولا عمل بالله، فهو المرائي. وقد أبطل الله صدقة المنان وصدقة المرائي. قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢٦٤﴾ [البقرة]، ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢٦٥﴾ [البقرة]»[1].

(١) مجموع الفتاوى ١٤/٣٢٨ ـ ٣٣٠.

المطلب الثالث بعد المائة

التوحيد جزاؤه الإحسان من الله تعالى

قال - تعالى -: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ۝٦٠﴾ [الرحمٰن].

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما والمفسرون: «هل جزاء من قال لا إلٰه إلا الله وعمل بما جاء به محمد ﷺ إلا الجنة»[(١)].

قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) رحمه الله: «وحكى النقاش أن النبي ﷺ فسر هذه الآية: «**هل جزاء التوحيد إلا الجنة**»»[(٢)].

المطلب الرابع بعد المائة

التوحيد مقرون بالعدل والعزة والحكمة في منهج السلف

قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) رحمه الله: «الحمد معناه الثناء الكامل، والألف واللام فيه لاستغراق الجنس من المحامد، وهو أعم من الشكر، لأن الشكر إنما يكون على فعل جميل يسدى إلى الشاكر، وشكره حمد ما، والحمد المجرد هو ثناء بصفات المحمود من غير أن يسدي شيئًا، فالحامد من الناس قسمان: الشاكر والمثني بالصفات»[(٣)].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «وعلى مذهب السلف: له

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٢/٤٦٦؛ تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة الرحمٰن، الآية: ٦٠).

(٢) تفسير ابن عطية (سورة الرحمٰن، الآية: ٦٠)، ٥/٢٣٤.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١/٦٦.

الملك وله الحمد تامين. وهو محمود على حكمته كما هو محمود على قدرته ورحمته.

وقد قال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١٨﴾ [آل عمران]، فله الوحدانية في إلهيته وله العدل وله العزة والحكمة. وهذه الأربعة إنما يثبتها السلف وأتباعهم. فمن قصر عن معرفة السنة فقد نقص الرب بعض حقه. والجهمي الجبري لا يثبت عدلًا ولا حكمة ولا توحيد إلهية. بل توحيد ربوبيته. والمعتزلي أيضًا لا يثبت في الحقيقة توحيد إلهية ولا عدلًا في الحسنات والسيئات ولا عزة ولا حكمة في الحقيقة وإن قال: إنه يثبت الحكمة بما معناها يعود إلى غيره. وتلك لا يصلح أن تكون حكمة من فعل لا لأمر يرجع إليه بل لغيره هو عند العقلاء قاطبة بها ليس بحكيم بل سفيه. وإذا كان الحمد لا يقع إلا على نعمة فقد ثبت: أنه رأس الشكر. فهو أول الشكر. والحمد ـ وإن كان على نعمته وعلى حكمته ـ فالشكر بالأعمال هو على نعمته. وهو عبادة له لإلهيته التي تتضمن حكمته. فقد صار مجموع الأمور داخلًا في الشكر. ولهذا عظم القرآن أمر الشكر. ولم يعظم أمر الحمد مجردا إذ كان نوعًا من الشكر. وشرع الحمد ـ الذي هو الشكر المقول ـ أمام كل خطاب مع التوحيد. ففي الفاتحة: الشكر والتوحيد. والخطب الشرعية لا بد فيها من الشكر والتوحيد. والباقيات الصالحات نوعان. فسبحان الله وبحمده: فيها الشكر والتنزيه والتعظيم. ولا إله إلا الله، والله أكبر: فيها التوحيد والتكبير. وقد قال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ [غافر]»[1].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤/٣٠٩ ـ ٣١١.

المطلب الخامس بعد المائة

التوحيد مقترن ذكره بأعظم المخلوقات وأرفعها

قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ٢٦﴾ [النمل].

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦﴾ [المؤمنون].

جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال لجويرية: «**لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه ومداد كلماته**»(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «فهذا يبين أن زنة العرش أثقل الأوزان»(٢).

فالعرش يمتاز مع كبر حجمه وسعته، بكونه أثقل المخلوقات، وزنته أثقل الأوزان، ويعتبر استواء الله تبارك وتعالى على العرش أعظم الخصائص التي اختص بها العرش، بل إن ما سواها من الخصائص الأخرى التي تميز بها العرش إنما جعلت له لأجل استواء الله عز وجل عليه، وذلك أن الله ـ تعالى ـ لما اختصه بهذا الأمر جعل له من الخصائص والصفات، كارتفاعه، وعظم خلقه، وكبره، وثقل وزنه، لكي يتناسب مع ما ميز وشرف به من الاستواء عليه.

ومما خص به الخالق تبارك وتعالى العرش مع استوائه عليه كونه أعلى

(١) أخرجه أبو داود (١٥٠٣)، والنسائي في الكبرى (٩٩٨٩)، وابن حبان (٨٣٢).
(٢) الرسالة العرشية ص٦١.

المخلوقات، وأرفعها، وأقربها إلى الله تعالى، فقد ثبت أن العرش أعلى من السمٰوات والأرض والجنة، وأنه كالسقف عليها، والأدلة على هذا الأمر كثيرة.

والقول بأن العرش أعلى المخلوقات هو قول السلف الذي قالوا به وذهبوا إليه، قال محمد بن عبد الله بن أبي زمنين في كتابه «أصول السنة»: «ومن قول أهل السنة أن الله عز وجل خلق العرش، واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاء»[(١)].

وكون العرش أعلى المخلوقات يدل على أنه أقربها إلى الله ـ تعالى ـ وهذه ميزة أخرى تضاف إلى الخصائص التي انفرد بها العرش، ويدل على هذا الأمر ما جاء في حديث الأوعال: «ثم فوق ظهورهم العرش، بين أعلاه وأسفله مثل ما بين السماء إلى سماء، والله ـ تعالى ـ فوق ذلك»[(٢)].

❁ وكذلك ما جاء عن ابن مسعود (ت: ٣٢هـ) رضي الله عنه: «بين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي إلى الماء خمسمائة عام، والعرش على الماء، والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه»[(٣)].

---

(١) أصول السنة ص٢٨٢.

(٢) أخرجه ابن ماجه في «سننه»، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية ١/ ٦٩، والإمام أحمد في «مسنده» ١/ ٢٥٧، وأبو داود في «سننه»، كتاب السنة، باب في الجهمية: (٥/ ٩٣، حديث ٤٧٢٣)، والدارمي في «الرد على بشر المريسي»: ص٤٤٨، والآجري في «الشريعة»: ص٢٩٢، واللالكائي في «السنة» ٣/ ٣٩٠، وقال الترمذي: «حديث حسن غريب».

(٣) أثر صحيح وافر الطرق: أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد»: ص١٠٥، والدارمي في «الرد على الجهمية»: ص٢٦، ٢٧، وأبو الشيخ في «العظمة» (ت٣٤/أ)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» ٣/ ٣٩٦، وأورده =

وعرش الرحمٰن ـ تبارك وتعالى ـ يعتبر أكبر مخلوقات الله، وأوسعها، وأعظمها على الإطلاق، فقد خص الله ﷻ العرش بهذه الميزة العظيمة، وشرفه بها مع غيرها من الميزات، لكي يتناسب مع ذلك الشرف العظيم ألا وهو استواء البارئ ﷻ عليه.

وعظم العرش وسعة خلقه قد دل عليهما القرآن والسنة، فالله ﷻ يقول في محكم التنزيل: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة]، فالله ـ سبحانه ـ وصف العرش في هذه الآية وغيرها بكونه عظيمًا في خلقه وسعته.

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: «والله سبحانه إنما يدعو عباده إلى النظر والفكر في مخلوقاته العظام لظهور أثر الدلالة فيها، وبديع عجائب الصنعة، والحكمة فيها، واتساع مجال الفكر والنظر في أرجائها وإلَّا:

فـفـي كـل شـيء لـه آيـةٌ تـدل عـلـى أنـه واحـدُ»[1].

۞ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رحمه الله، في تفسير هذه الآية: «أي: هو مالك كل شيء، وخالقه، لأنه رب العرش العظيم الذي هو سقف المخلوقات، وجميع الخلائق من السمٰوات والأرضين وما فيهما تحت العرش مقهورين بقدرة الله تعالى»[2].

ومما يشهد لعظم العرش وسعة خلقه الأحاديث والآثار التي تتحدث عن كبر حجمه وسعته، فقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال:

= ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية: ص١٠٠، وقال: رواه سنيد بن داود بإسناد صحيح.

(١) مفتاح دار السعادة ٢/١٩٨.

(٢) تفسير ابن كثير (سورة التوبة).

«إن عرشه على سمٰواته وأرضه هكذا» وأشار بأصابعه مثل القبة، فالنبي ﷺ يشبه العرش بأنه كالقبة على هذا العالم المكون من السمٰوات والأرض وما فيها، وكالسقف عليهما، وفي هذا بيان واضح على عظم العرش، وكبر مساحته، وفي حديث آخر يبين لنا مدى عظم العرش، وكبر مساحته، فليس العرش بأكبر من السمٰوات والأرض فقط، بل هو من الكبر وسعة الحجم بحيث لا تعدل السمٰوات والأرض على سعة حجمهما بجانبه شيئًا يذكر، فعن أبي ذر (ت: ٣٠ أو ٣١هـ) رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«يا أبا ذر ما السمٰوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة»**، وفي رواية: **«ما السمٰوات السبع والأرضون السبع وما بينهن وما فيهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وإن الكرسي بما فيه بالنسبة إلى العرش كتلك الحلقة في تلك الفلاة»**[(١)].

---

(١) أخرجه من طريق إسماعيل بن مسلم ابن أبي شيبة في كتاب العرش برقم (٥٨)، وأخرجه ابن بطة في «الإبانة» (ق ١٩٦/أ) بسنده من طريق ابن أبي شيبة.
قال الألباني: «هذا سند ضعيف، إسماعيل بن سلم لم أعرفه، وغالب الظن أنه إسماعيل بن مسلم، فقد ذكروه في شيوخ المختار بن عبيد، وهو المكي البصري، وهو ضعيف».
والمختار روى عنه ثلاثة، ولم يوثقه أحد، وفي «التقريب» أنه مقبول. وكذلك فيه الحسن بن عبد الرحمٰن، وقد اشترط ابن حبان في توثيقه ألا يكون في إسناد خبره ضعيف.
لكن الحديث لم يتفرد به إسماعيل بن مسلم بل تابعه يحيى بن يحيى الغساني.
أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (ق ١٥/أ).
وأبو نعيم في «الحلية» ١/١٦٦ في سياق طويل، والبيهقي في «الأسماء والصفات»: ص٥١١، من قوله: قلت: يا رسول الله أيما أنزل عليك أعظم؟ وكلاهما بإسنادهما عن إبراهيم بن هشام الغساني به.
وقال الألباني عن هذا الإسناد: «هذا سند واه جدًّا، إبراهيم هذا متروك، كما =

فالحديث كما أسلفنا دليل واضح على سعة العرش وعظم خلقه.

وأما مقدار ذلك وتلك السعة فلا يعلمها إلا الله تعالى.

۞ قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدره إلا الله تعالى»[(١)].

= قال الذهبي، وقد كذبه أبو حاتم». «سلسلة الأحاديث الصحيحة»: رقم ١٠٩.
وأيضا، تابعه القاسم بن محمد الثقفي ولكنه مجهول كما في «التقريب».
أخرجه ابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» ٢/ ١٣، طبع المنار، من طريق محمد بن أبي السري العسقلاني أخبرنا محمد بن عبد الله التميمي عن القاسم به.
وقال الألباني: العسقلاني والتميمي كلاهما ضعيف، والحديث أيضًا في «البداية» لابن كثير ١/ ١٣.
وللحديث ـ أيضًا ـ طرق أخرى ذكرها الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة»: رقم ١٠٩، وقال: وجملة القول أن الحديث بهذه الطرق صحيح.
وقد نقل الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: ١٣/ ٤١١ عن ابن حبان تصحيح الحديث، وقال: وله شاهد عن مجاهد أخرجه سعيد بن منصور في «تفسيره» بسند صحيح عنه.

(١) أخرجه الدارمي في «الرد على بشر المريسي»: ص٧١، ٧٣، ٧٤، وعبد الله بن أحمد في «السنة»: ص٧٠، ١٤٢، وابن خزيمة في «التوحيد»: ص١٠٧، ١٠٨، وأبو الشيخ في «العظمة» (ق ٣٥/ب)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٠، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٩٤/آيا صوفيا) مختصرًا، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ٣٩، حديث ١٢٤٠٤)، والدارقطني في «الصفات»: ص٣٠، تحقيق: الشيخ الغنيمان، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٢٨٢، ـ البيهقي في «الأسماء والصفات»: ص٣٥٤، والخطيب البغدادي في «تاريخه» (٩/ ٢٥١ ـ ٢٥٢) من أوجه، والهروي في «الأربعين»: ص١٢٥.
كلهم من طريق سفيان الثوري عن عمار الذهني عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفًا.
قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. =

المطلب السادس بعد المائة

كلمة التوحيد يوصى المؤمن بأن يكثر من ذكرها

❁ قال الربيع بن خيثم رَحِمَهُ اللَّهُ: «أقلوا الكلام إلا من تسع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إلٰه إلا الله، والله أكبر، وقراءة القرآن، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، ومسألة خير، وتعوذ من شر»(١).

❁ قال عبد الرحمٰن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «من أسباب دواعي الإيمان: الإكثار من ذكر الله كل وقت، ومن الدعاء الذي هو مخ العبادة؛ فإن الذكر لله يغرس شجرة الإيمان في القلب، ويغذيها وينميها»(٢).

المطلب السابع بعد المائة

التوحيد إظهار لكمال سلطان الله وغلبته وقهره وهيمنته على كل شيء

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ [مريم].

= وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٦/ ٣١٢٣: «رجاله رجال الصحيح». وذكره الذهبي في «العلو» ص٦١، وقال: «رواته ثقات».
وقال الألباني: هذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات، وتابعه يوسف بن أبي إسحاق عن عمار الذهني، أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٣٣/أ) وله عنده ٢/٣٦ شاهد من حديث أبي ذر مرفوعًا.

(١) حلية الأولياء ٢/ ١٠٩.

(٢) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ص٧٨.

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران].

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا شك أن من عرف هذه الصفات وغيرها من صفات الكمال والعظمة، فإنه سيعبد الله وحده؛ لأنه الإله المستحق للعبادة. فالذي يستحق العبادة وحده من يملك القدرة على كل شيء، والإحاطة بكل شيءٍ، وكمال السلطان والغلبة والقهر والهيمنة على كل شيءٍ، والعلم بكل شيء، ويملك الدنيا والآخرة، والنفع والضر، والعطاء والمنع بيده وحده، فمن كان هذا شأنه فإنه حقيق بأن يُذكَر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، ويُطاع فلا يُعصى، ولا يُشرك معه غيره»[(١)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فتأمل آيات التوحيد والصفات في القرآن على كثرتها وتفننها واتساعها وتنوعها كيف تجدها كلها قد أثبتت الكمال للموصوف بها وأنه المتفرد بذلك الكمال فليس له فيه شبه ولا مثال»[(٢)].

---

(١) انظر: تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي ١/ ٢٣٧، ٣/ ٧١، ٢/ ٨٨، ٣٧٢، وتفسير ابن كثير ١/ ٣٠٩، ٢/ ٥٧٢، ٣/ ٤٢، ٢/ ١٢٧، ٤٣٥، ٥٧٠، ١/ ٣٤٤، ٢/ ١٣٨، وتفسير السعدي ١/ ٣١٣، ٧/ ٦٨٦، ٢/ ٣٨١، ٣/ ٣٩٧، ٤/ ٢٠٤، ٦/ ٣٦٤، ١/ ٣٥٦، ٢/ ٣٧٢، وأضواء البيان ٢/ ١٨٧، ٣/ ٢٧١.

(٢) الصواعق المرسلة ٣/ ٩١٦.

المطلب التاسع بعد المائة

التوحيد دعوة للإقرار بنعم الله العظيمة: الظاهرة والباطنة، والدينية والدنيوية

قال - تعالى -: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل]، قال الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة، الآية: ٢٩].

وقال - تعالى -: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان، الآية: ٢٠].

وقال - تعالى -: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجاثية].

وقال - تعالى -: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل].

فقد أسبغ على عباده جميع النعم وسخر هذا الكون وما فيه من مخلوقات لهذا الإنسان.

وقد بيّن سبحانه هذه النعم، وامتنَّ بها على عباده، وأنه المستحق للعبادة وحده، فقد شمل هذا الامتنان جميع النعم: الظاهرة والباطنة، الحسّيّة والمعنوية، فجميع ما في السمٰوات والأرض قد سُخِّر لهذا الإنسان، وهو شامل لأجرام السمٰوات والأرض، وما أودع فيهما من:

الشمس والقمر، والكواكب، والثوابت، والسيارات، والجبال، والبحار، والأنهار، وأنواع الحيوانات، وأصناف الأشجار والثمار، وأجناس المعادن، وغير ذلك مما هو من مصالح بني آدم، ومصالح ما هو من ضروراتهم للانتفاع والاستمتاع والاعتبار.

وكل ذلك دالّ على أن الله وحده هو المعبود الذي لا تنبغي العبادة والذلّ والمحبة إلا له، وهذه أدلّة عقلية لا تقبل ريبًا ولا شكًّا على أن الله هو الحق، وأن ما يُدعَى من دونه هو الباطل»[(١)].

«ومن المعلوم قطعًا أنه لا يستطيع فرد من أفراد العباد أن يُحصي ما أنعم الله به عليه في خلق عضو من أعضائه، أو حاسّة من حواسّه، فكيف بما عدا ذلك من النعم في جميع ما خلقه في بدنه، وكيف بما عدا ذلك من النعم الواصلة إليه في كل وقت على تنوّعها واختلاف أجناسها؟»[(٢)].

ولا يسع العاقل بعد ذلك إلا أن يعبد الله الذي أسدى لعباده هذه النعم ولا يشرك به شيئًا؛ لأنه المستحق للعبادة وحده سبحانه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج].

۞ قال الشيخ صالح آل الشيخ: «الواجب على العبد أن يعلم أنَّ كل النعم من الله ـ جل وعلا ـ وأنَّ كمال التوحيد لا يكون إلا بإضافة كل نعمة إلى الله ـ جل وعلا ـ وأنَّ إضافة النعم إلى غير الله نقص في

---

(١) انظر: تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي ١/ ٥٩، ٣/ ٧٢، وابن كثير ٣/ ٤٥١، ٤/ ١٤٩، والشوكاني ١/ ٦٠، ٤/ ٤٢٠، والسعدي ١/ ٦٩، ٦/ ١٦١، ٧/ ٢١، وأضواء البيان للشنقيطي ٣/ ٢٢٥ ـ ٢٥٣.

(٢) انظر: تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني ٣/ ١٥٤، ٣/ ١١٠، وأضواء البيان ٣/ ٢٥٣.

كمال التوحيد»[١].

المطلب العاشر بعد المائة

التوحيد خاتمة عمل الليل والنهار

❁ فعَنْ أبي بن كعب (ت: ٣٠ هـ تقريبًا) ﵁ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُوتِرُ بِـ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾، وَ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾، وَ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾»[٢].

❁ عَنِ ابن عباس (ت:٦٨هـ) ﵄ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُوتِرُ بِثَلَاثٍ: بِـ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾، وَ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾، وَ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾»[٣].

❁ عن أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) ﵁ أن رسول الله ﷺ: «قَرَأَ فِي رَكعَتَي الفَجرِ ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾»[٤].

ومما يدل على أهمية التوحيد أن المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان يستفتح يومه بالتوحيد حيث يقرأ في ركعتي الفجر بسورتي الكافرون والإخلاص، ويختم أيضًا بالتوحيد حيث كان يقرأ في الشفع والوتر بسورة الكافرون والإخلاص.

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) ﵀ عن سورة ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾: «كان النبي ﷺ يقرنها بسورة ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ في سنة الفجر وسنة

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص٤٤٦.

(٢) رواه النسائي (١٧٣٠)، ورواه ابن ماجه (١١٧١)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

(٣) رواه أحمد (٢٧١٥)، ورواه الترمذي (٤٦٢)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ورواه أبو داود ٤/ ٢٩٩، ورواه ابن ماجه (١١٧٣) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، وانظر: صفة صلاة النبي ﷺ (٩٧).

(٤) رواه مسلم ١/ ٥٠٢ برقم (٧٢٦)، ورواه ابن عمر كما في الترمذي ٢/ ٤٧٠.

المغرب، فإن هاتين السورتين سورتا الإخلاص، وقد اشتملتا على نوعي التوحيد الذي لا نجاة للعبد ولا فلاح له إلا بهما، وهما توحيد العلم والاعتقاد المتضمن تنزيه الله عما لا يليق به من الشرك والكفر والولد والوالد، وأنه إلٰه أحد صمد لم يلد فيكون له فرع ولم يولد فيكون له أصل ولم يكن له كفوًا أحد فيكون له نظير، ومع هذا فهو الصمد الذي اجتمعت له صفات الكمال كلها، فتضمنت السورة إثبات ما يليق بجلاله من صفات الكمال، ونفي ما لا يليق به من الشريك أصلًا وفرعًا ونظيرًا، فهذا توحيد العلم والاعتقاد، والثاني: توحيد القصد والإرادة وهو: ألا يعبد إلا إياه، فلا يشرك به في عبادته سواه، بل يكون وحده هو المعبود، وسورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ مشتملة على هذا التوحيد، فانتظمت السورتان نوعي التوحيد وأخلصتا له، فكان ﷺ يفتتح بهما النهار في سنة الفجر، ويختتمه بهما في سنة المغرب، وفي السنن «**أنه كان يوتر بهما**» فيكونان خاتمة عمل الليل كما كانا خاتمة عمل النهار»[1].

المطلب الحادي عشر بعد المائة

التوحيد قسمة الله للمؤمنين

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهذا من أسرار الكلام، وبديع الخطاب الذي لا يدركه إلا فحول البلاغة وفرسانها، فإن السورة ما اقتضت

---

(١) التفسير القيم ص٥٩٤.

البراءة واقتسام ديني التوحيد والشرك بينه وبينهم، ورضي كل بقسمه، وكان المحق هو صاحب القسمة، وقد أبرز النصيبين وميز القسمين، وعلم أنهم راضون بقسمهم الدون، الذي لا أردأ منه ولا أدون، وأنه هو قد استولى على القسم الأشرف والحظ الأعظم، بمنزلة من اقتسم هو وغيره سمًّا وشفاء، فرضي مقاسمه بالسم، فإنه يقول له: لا تشاركني في قسمي، ولا أشاركك في قسمك، لك قسمك، ولي قسمي.

فتقدم ذكر قسمه هنا أحسن وأبلغ، كأنه يقول: هذا هو قسمك الذي آثرته بالتقدم وزعمت أنه أشرف القسمين، وأحقهما بالتقديم، فكان في تقديم ذكر قسمه من التهكم بهم، والنداء على سوء اختيارهم، وقبح ما رضوه لأنفسهم من الحسن والبيان، ما لا يوجد في ذكر تقديم قسم نفسه، والحاكم في هذا هو الذوق. والفطن يكتفي بأدنى إشارة، وأما غليظ الفهم فلا ينجع فيه كثرة البيان»[(١)].

المطلب الثاني عشر بعد المائة

أهل التوحيد هم خير البرية

قال - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧﴾ [البينة].

عن أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) رضي الله عنه قال: أتعجبون من منزلة الملائكة من الله؟ والذي نفسي بيده لمنزلة العبد المؤمن عند الله يوم القيامة أعظم من منزلة ملك، واقرؤوا إن شئتم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧﴾ [البينة].

(١) التفسير القيم ص٥٩٦.

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم ذكر مستقر من صدق بالنبي ﷺ، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧﴾، يعني: خير الخليقة من أهل الأرض، كل شيء خلق من التراب فإنه يسمى: البرية»[١].

۞ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذين آمنوا بالله ورسوله محمد، وعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأطاعوا الله فيما أمر ونهى. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧﴾ يقول: من فعل ذلك من الناس فهم خير البرية»[٢].

۞ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد استدل بهذه الآية طائفة من العلماء على تفضيل المؤمنين من البرية على الملائكة؛ لقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧﴾»[٣].

۞ قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: أقروا بالإيمان من الخلق كلهم الملائكة وغيرهم ﴿وَعَمِلُواْ﴾ أي: تصديقًا لإيمانهم ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: هذا النوع، ولما كان نعيم القلب أعظم؛ قدمه على نعيم البدن إبلاغًا في مدحهم فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: العالو الدرجات ﴿هُمۡ﴾ أي: خاصة ﴿خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧﴾»[٤].

۞ قال أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٨٩٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بيانٌ لمحاسن

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة البينة، الآية: ٧).
(٢) تفسير الطبري (سورة البينة، الآية: ٧).
(٣) تفسير ابن كثير (سورة البينة، الآية: ٧).
(٤) تفسير البقاعي (سورة البينة، الآية: ٧).

أحوالِ المؤمنينَ إثرَ بيانِ سوءِ حالِ الكفرةِ جريًا على السنةِ القرآنيةِ من شفعِ الترهيبِ بالترغيبِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المنعوتونَ بَما هُو في الغايةِ القاصيةِ من الشرفِ والفضيلةِ من الإيمان والطاعة ﴿هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧﴾»[1].

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧﴾ لأنهم عبدوا الله وعرفوه، وفازوا بنعيم الدنيا والآخرة»[2].

(١) تفسير أبي السعود (سورة البينة، الآية: ٧).
(٢) تفسير ابن سعدي (سورة البينة، الآية: ٧).



المبحث الثالث

محاسن التوحيد وتعلقها بالدعاء بنوعيه

المطلب الأول

كلمة التوحيد تخرق لها الحجب وتفتح لها أبواب السماء

كلمة التوحيد تخرق الحُجب؛ حتى تصل إلى الله ﷻ، وليس دونه حجاب.

عن معاذ بن جبل (ت: ١٨هـ) رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلمتان إحداهما ليس لها ناهية دون العرش، والأخرى تملأ ما بين السماء والأرض، لا إله إلا الله، والله أكبر»(١).

عن أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «ما قال عبدٌ لا إلهَ إلَّا اللهُ قطُّ مخلِصًا، إلَّا فُتِحَتْ له أبوابُ السماءِ، حتى تُفْضِيَ إلى العرشِ، ما اجتُنِبَتِ الكبائرُ»(٢).

---

(١) قال الهيثمي في المجمع ـ كتاب الأذكار، باب ما جاء في لا إله إلا الله والله أكبر ـ ١٠/ ٧١: رواه الطبراني ومعاذ بن عبد الله بن رافع: لم أعرفه، وابن لهيعة: حديثه حسن، وبقية رجاله ثقات.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٩٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٦٩)، والبزار (٩٧٦٢)، وحسنه الألباني في كلمة الإخلاص ص٦٠.

عن عبد الله بن عمرو (ت: ٦٥هـ) رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «التسبيح نصف الميزان، والحمد لله يملؤه، ولا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص إليه»[(١)].

عن أنس (ت: ٩٠هـ) رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس شيء إلا بينه وبين الله حجاب إلا قول: لا إله إلا الله، ودعاء الوالد»[(٢)].

المطلب الثاني

التوحيد سبب لإجابة الدعاء

❁ عن فضالة بن عبيد (ت: ٥٣هـ) رضي الله عنه قال: سمعَ النبيُّ ﷺ رجلًا يَدْعُو في صلاتِهِ فلمْ يُصَلِّ على النبيِّ ﷺ فقال النبيُّ ﷺ: «عَجِلَ هذا» ثُمَّ دعاهُ فقال لهُ أوْ لغيرِهِ: «إذا صلَّى أحدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللهِ والثَّناءِ عليهِ ثُمَّ لَيُصَلِّ على النبيِّ ﷺ ثُمَّ لَيَدْعُ بَعْدُ بِما شاءَ»[(٣)].

❁ قال رجلٌ لعامر بن عبد قيس (ت: في زمن معاوية) رحمه الله: ادعُ لي.

فقال عامر: «أطعِ الله، ثم ادعه؛ يستجب لك»[(٤)].

❁ قال علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله البغدادي الظفري الحنبلي (المتوفى: ٥١٣هـ) رحمه الله: «يقال: لا يستجاب الدعاء بسرعة

(١) أخرجه الترمذي، ح(٣٥١٨).

(٢) أخرجه ابن مردويه عن أنس كما في الدر المنثور ٦/٤٦. وقال عنه الألباني: «ضعيف»، انظر: ضعيف الجامع رقم (٤٢٣١).

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٨١)، وأحمد (٢٣٩٣٧) باختلاف يسير، والترمذي (٣٤٧٧) واللفظ له، والنسائي (١٢٨٤) بنحوه.

(٤) حلية الأولياء ٢/٩٣.

إلا لمخلص أو مظلوم»[١].

۞ قَالَ ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا أرادَ الله بِعَبدٍ خيرًا، أَلهَمَهُ دُعاءَهُ والاستِعَانَةُ بِه، وَجَعَلَ استِعانَتَهُ وَدُعاءَهُ سَببًا للخَيرِ الذي قَضَاهُ لَه»[٢].

۞ قال الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر بن سعدي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ۝١٤﴾ [الرعد]؛ أي: باطل لاغ، لأن الكفر محبط لجميع الأعمال صاد لإجابة الدعاء»[٣].

المطلب الثالث

التوحيد خاتمة الدعاء في الصلاة

۞ عن علي بن أبي طالب (ت: ٤٠هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «اللّهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إلٰه إلا أنت»[٤].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان النبي ﷺ يختم الصلاة كما في الحديث الصحيح أنه كان يقول في آخر صلاته: «اللّهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني؛ أنت المقدم وأنت المؤخر لا إلٰه إلا أنت»، وهنا قدم الدعاء وختمه بالتوحيد؛

(١) الفنون لابن عقيل ٢/ ٧٥٠.
(٢) اقتِضاءُ الصِّراط المُستَقِيم ٢٢٩/٢.
(٣) تفسير تيسير الكريم الرحمٰن لابن سعدي (سورة الرعد، الآية: ١٤).
(٤) أخرجه مسلم برقم (٧٧١).

لأن الدعاء مأمور به في آخر الصلاة، وختم بالتوحيد ليختم الصلاة بأفضل الأمرين وهو التوحيد»[(١)].

المطلب الرابع

التوحيد يدعوك للافتقار والتذلل بين يدي الله

قال - تعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر].

فإن من أخص خصائص العبودية: الافتقار المطلق لله تعالى، فهو: حقيقة العبودية ولبُّها.

وقال سهل التستري (ت: ٢٨٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الجن] قال: «أمره بالافتقار واللجوء إليه، ثم بإظهارهما بقوله؛ ليزيد بذلك للكافرين ضلالًا وللمؤمنين إرشادًا، وهي كلمة الإخلاص في التوحيد. إذ حقيقة التوحيد هي النظر للحق لا غير، والإقبال عليه، والاعتماد، ولا يتم ذلك إلا بالإعراض عما سواه، وبإظهار الافتقار واللجوء إليه»[(٢)].

قال محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (ت: نحو ٣٢٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من شرط التوحيد ألا تطمع للعباد فيما توحد الله تعالى به وتفرد»[(٣)].

قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإعجاب ضرب

---

(١) مجموع الفتاوى ١٥/ ٢٦٣.

(٢) تفسير التستري ص١٧٩.

(٣) الأمثال من الكتاب والسنة ص٢٠٧.

من التكبر، والتكبر يُحْبِطِ الأعمال»[١].

۞ سئل محمد بن عبد الله الفرغاني (لم أقف على تأريخ وفاته) رَحِمَهُ اللَّهُ عن الافتقار إلى الله تعالى والاستغناء به أيهما أكمل؟ فقال: «إذا صح الافتقار إلى الله تعالى صح الاستغناء به، وإذا صح الاستغناء به صح الافتقار إليه، فلا يقال أيهما أكمل لأنه لا يتم أحدهما إلا بالآخر»[٢].

۞ قال سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (ت: ٧١٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال ـ تعالى ـ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [النحل] دليل آخر على التوحيد، وتقريره أن الله عَزَّ وَجَلَّ غني له ملك السماوات والأرض، وآلهتكم عبيد فقراء، فلا يساوونه في رتبة الإلهية، ولا يستحقون معه صفة المعبودية، كما لا يستوي العبد الفقير منكم والموسر الذي ينفق من يساره سرًّا وجهرًا.

ويحتج بهذه على أن العبد لا يملك بالتمليك، لأن الفقر جعل وصفًا له لازمًا في دليل التوحيد؛ فلا يجوز زواله، كما لا يزول التوحيد»[٣].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «والعبد كلما كان أذل لله وأعظم افتقارًا إليه وخضوعًا له: كان أقرب إليه، وأعز له، وأعظم لقدره، فأسعد الخلق: أعظمهم عبودية لله. وأما المخلوق فكما قيل: احتج إلى من شئت تكن أسيره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، وأحسن

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (سورة الأنفال، الآية: ٤).
(٢) طريق الهجرتين ١/ ٩٧.
(٣) كتاب الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية ص٣٨٢.

إلى من شئت تكن أميره»[١].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أن فقر العبد إلى الله أن يعبد الله لا يشرك به شيئًا، ليس له نظير فيقاس به؛ لكن يشبه من بعض الوجوه حاجة الجسد إلى الطعام والشراب، وبينهما فروق كثيرة فإن حقيقة العبد قلبه، وروحه، وهي لا صلاح لها إلا بإلهها الله الذى لا إلٰه إلا هو، فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره، وهي كادحة إليه كدحًا فملاقيته، ولابد لها من لقائه، ولا صلاح لها إلا بلقائه.

ولو حصل للعبد لذات أو سرور بغير الله فلا يدوم ذلك، بل ينتقل من نوع إلى نوع، ومن شخص إلى شخص، ويتنعم بهذا في وقت وفي بعض الأحوال، وتارة أخرى يكون ذلك الذى يتنعم به والتذ غير منعم له ولا ملتذ له، بل قد يؤذيه اتصاله به ووجوده عنده، ويضره ذلك. وأما إلهه فلابد له منه في كل حال وكل وقت، وأينما كان فهو معه؛ ولهذا قال إمامنا [إبراهيم] الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦﴾ [الأنعام]. وكان أعظم آية في القرآن الكريم: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة، الآية: ٢٥٥] وقد بسطت الكلام في معنى [القيوم] في موضع آخر، وبينا أنه الدائم الباقي الذى لا يزول ولا يعدم، ولا يفنى بوجه من الوجوه»[٢].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا توجه العبد إلى الله بصدق الافتقار إليه، واستغاث به مخلصًا له الدين؛ أجاب دعاءه، وأزال ضرره، وفتح له أبواب الرحمة. فمثل هذا قد ذاق من حقيقة التوكل والدعاء لله ما لم يذق غيره»[٣].

(١) مجموع الفتاوى ١/ ٣٩.
(٢) قاعدة جامعة في توحيد الله ص٣٥.
(٣) قاعدة جامعة في توحيد الله ص٣٥.

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَكُلُّ عَمَلٍ لَا يُعِينُ اللهُ الْعَبْدَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ وَلَا يَنْفَعُ. فَمَا لَا يَكُونُ بِهِ لَا يَكُونُ وَمَا لَا يَكُونُ لَهُ لَا يَنْفَعُ وَلَا يَدُومُ فَلِذَلِكَ أَمَرَ الْعَبْدَ أَنْ يَقُولَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾»[١].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «كثيرًا ما كنت أسمع شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تدفع الرياء، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ تدفع الكبرياء، فإذا عوفي من مرض الرياء بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ومن مرض الكبرياء والعجب بـ (إياك نستعين)، ومن مرض الضلال والجهل بـ ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝﴾؛ عوفي من أمراضه وأسقامه»[٢].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن الدعاء عبودية لله وافتقار إليه وتذلل بين يديه فكلما كثره العبد وطوله وأعاده وأبداه ونوع جمله كان ذلك أبلغ في عبوديته وإظهار فقره وتذلله وحاجته وكان ذلك أقرب له من ربه وأعظم لثوابه.

فالله يغضب إن تركت سؤاله... وبني آدم حين يسأل يغضب»[٣].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وحق الله تعالى في الطاعة ستة أمور؛ وهي:

١ ـ الإخلاص في العمل.

٢ ـ والنصيحة لله فيه.

(١) مجموع الفتاوى ٨/ ٧٦.
(٢) مدارج السالكين ١/ ٧٨.
(٣) جلاء الأفهام ص٢٩٨ ـ ٢٩٩.

٣ ـ ومتابعة الرسول فيه.

٤ ـ وشهود مشهد الإحسان فيه.

٥ ـ وشهود منة الله عليه.

٦ ـ وشهود تقصيره فيه بعد ذلك كله»[١].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ليس العجب من مملوك يتذلل لله.. مع حاجته وفقره إليه.

إنما العجب من مالك يتحبب إلى مملوكه بصنوف إنعامه.. مع غناه عنه!»[٢].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا استغنى الناس بالدنيا فاستغن أنت بالله، وإذا فرحوا بالدنيا فافرح أنت بالله، وإذا أنسوا بأحبابهم فاجعل أنسك بالله، وإذا تعرفوا إلى ملوكهم وكبرائهم وتقربوا إليهم لينالوا بهم العزة والرفعة فتعرف أنت إلى الله وتودد إليه تنل بذلك غاية العز والرفعة»[٣].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَن عرف نَفسَه اشتغل بإصلاحها عن عُيوب الناس، ومَن عرف رَبَّه اشتغل به عن هَوى نَفسِه»[٤].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الافتقار إلى الله تعالى يتخلى بفقره عن أن يتأله غير مولاه الحق، وأن يضيع أنفاسه في غير مرضاته، وأن يفرق همومه في غير محابه، وأن يؤثر عليه في حال من الأحوال،

(١) إغاثة اللهفان ١/ ٨٢.

(٢) الفوائد لابن القيم ٣٧.

(٣) الفوائد لابن القيم ١١٨.

(٤) الفوائد لابن القيم ص٥٧.

فيوجب له هذا الخلق وهذه المعاملة صفاء العبودية، وعمارة السر بينه وبين الله، وخلوص الود، فيصبح ويمسي ولا هم له غير ربه، فقد قطع همه بربه عنه جميع الهموم، وعطلت إرادته جميع الإرادات، ونسخت محبته له من قلبه كل محبة لسواه»[١].

۞ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «يخبر تعالى بغنائه عما سواه، وبافتقار المخلوقات كلها إليه، وتذللها بين يديه، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر، الآية: ١٥]؛ أي: هم محتاجون إليه في جميع الحركات والسكنات، وهو الغني عنهم بالذات؛ ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥﴾ أي: هو المنفرد بالغنى وحده لا شريك له، وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقوله، ويقدره ويشرعه»[٢].

۞ قال عبد الرحمٰن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذًا فالناس فقراء بالذات إليه، بكل معنى، وبكل اعتبار، سواء شعروا ببعض أنواع الفقر أم لم يشعروا، ولكن الموفق منهم، الذي لا يزال يشاهد فقره في كل حال من أمور دينه ودنياه، ويتضرع له، ويسأله أن لا يكله إلى نفسه طرفة عين، وأن يعينه على جميع أموره، ويستصحب هذا المعنى في كل وقت، فهذا أحرى بالإعانة التامة من ربه وإلهه، الذي هو أرحم به من الوالدة بولدها»[٣].

۞ قال عبد الرحمٰن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «في قصة أصحاب الكهف دليلٌ على أن من فر بدينه من الفتن سلمه الله منها، وأن من حرص على العافية عافاه الله ومن أوى إلى الله،

---

(١) طريق الهجرتين ص١٨.
(٢) تفسير ابن كثير (سورة فاطر، الآية: ١٥).
(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان للسعدي ص٤٣٦.

آواه الله، وجعله هداية لغيره. ومن تحمل الذل في سبيله وابتغاء مرضاته، كان آخر أمره وعاقبته العز العظيم من حيث لا يحتسب ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ١٩٨﴾ [آل عمران]»[1].

۞ قال عبد الرحمٰن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ٢٧﴾ [الكهف]: «لن تجد من دون ربك ملجأً تلجأ إليه، ولا معاذًا تعوذ به، فإذا تعيّن أنه وحده الملجأ في كل الأمور؛ تعيّن أن يكون هو المألوه المرغوب إليه في السراء والضراء، المفتقر إليه في جميع الأحوال، المسؤول في جميع المطالب»[2].

۞ قال محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يجب على الإنسان اللجوء إلى الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأنه هو الذي بيده ملكوت السمٰوات والأرض، فلا تعتمد علىٰ ما في قلبك من رسوخ الإيمان مثلًا، وتعتقد أنه لن يتسلط عليك الشيطان ولن يتسرب إليك هوىٰ النفس الأمارة بالسوء، بل كن دائمًا لاجئًا إلىٰ الله سائلًا الثبات»[3].

المطلب الخامس

التوحيد يدعوك للانكسار بين يدي الله

۞ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان للسعدي ص٤٧٣.
(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان للسعدي ص٤٧٥.
(٣) تفسير سورة يس ص٢٦.

❁ عَـنْ سَـعْـد بـن أبـي وقـاص (ت: ٥٥هــ) رضي الله عنه، قَـالَ: قَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ»[(١)].

❁ قيل لسعيد بن جبير (ت: ٩٥هـ) رحمه الله: من أعبد الناس؟ فقال: رجل اقترف ذنبًا فكلما ذكر ذنبه احتقر عمله وانكسر لربه»[(٢)].

❁ قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «فصاحب الحوت ومن أشبهه، لماذا ناسبَ حالهم صيغة الوصف والخبر دون صيغة الطلب؟

فيقال: لأن المقام مقام اعتراف بأن ما أصابني من الشر كان بذنبي، فأصل الشر هو الذنب، والمقصود دفع الضر، والاستغفار جاء بالقصد الثاني، فلم يذكر صيغة طلب كشف الضر لاستشعاره أنه مسيء ظالم، وهو الذي أدخل الضر على نفسه، فناسب حاله أن يذكر ما يرفع سببه من الاعتراف بظلمه، ولم يذكر صيغة طلب المغفرة؛ لأنه مقصود للعبد المكروب بالقصد الثاني؛ بخلاف كشف الكرب فإنه مقصود له في حال وجوده بالقصد الأول، إذ النفس بطبعها تطلب ما هي محتاجة إليه من زوال الضرر الحاصل في الحال، قبل طلبها زوال ما تخاف وجوده من الضرر في المستقبل بالقصد الثاني، والمقصود الأول في هذا المقام هو المغفرة، وطلب كشف الضر، فهذا مقدم في قصده وإرادته، وأبلغ ما ينال به: رفع سببه، فجاء بما يحصل مقصوده...»[(٣)].

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٠٥)، والإمام أحمد في «المسند» ٣/ ٦٥، وحسنه محققو المسند، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» ٢/ ٢٨٢.

(٢) البداية والنهاية ٩/ ٩٩.

(٣) مجموع الفتاوى (١/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨).

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فما أقرب الجبر من هذا القلب المكسور! وما أدنى النصر والرحمة والرزق منه! وما أنفع هذا المشهد وأجداه عليه! وذرة من هذا ونفس منه أحب إلى الله من طاعات أمثال الجبال من المدلين المعجبين بأعمالهم وعلومهم وأحوالهم. وأحب القلوب إلى الله سبحانه: قلب قد تمكنت منه هذه الكسرة، وملكته هذه الذلة، فهو ناكس الرأس بين يدي ربه، لا يرفع رأسه إليه حياء وخجلًا من الله»[(١)].

❁ قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن المؤمن إذا استبطأ الفرج ويئس منه ولا سيما بعد كثرة الدعاء وتضرعه ولم يظهر له أثر الإجابة، رجع إلى نفسه باللائمة ويقول لها: إنما أتيت من قبلك ولو كان فيك خير لأجبت!.

وهذا اللوم أحب إلى الله من كثير من الطاعات؛ لأنه يوجب انكسار العبد لمولاه، واعترافه له بأنه ليس بأهل لإجابة دعائه فلذلك يسرع إليه حينئذ إجابة الدعاء وتفريج الكرب، فإنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله، على قدر الكسر يكون الجبر»[(٢)].

❁ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأقر لله تعالى بكمال الألوهية، ونزهه عن كل نقص، وعيب وآفة، واعترف بظلم نفسه وجنايته»[(٣)].

قال موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيه الوصف المتضمن

---

(١) مدارج السالكين، (١/٤٢٨ ـ ٤٢٩)، وانظر: الوابل الصيب ص٢٠ ـ ٢٣.
(٢) نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس ص١٧٤.
(٣) تفسير ابن سعدي (سورة الأنبياء، الآية: ٨٧).

للسؤال بالحال»[١].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السرُّ في استجابة دعوة المظلوم، والمسافر، والصائم؛ للكسْرة التي في قلب كُلِّ واحدٍ منهم»[٢].

❁ قال محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبغي للإنسان أن يستتر بستر الله عَزَّوَجَلَّ وأن يحمد الله على العافية وأن يتوب فيما بينه وبين ربه من المعاصي التي قام بها وإذا تاب إلى الله وأناب إلى الله ستره الله في الدنيا والآخرة»[٣].

المطلب السادس

التوحيد موجب لحمد الله والثناء عليه

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [القصص].

❁ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ يقول تعالى ذكره: وربك يا محمد، المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، ولا معبود تجوز عبادته غيره ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ﴾ يعني: في الدنيا ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ يقول: وله القضاء بين خلقه ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يقول: وإليه تردون من بعد مماتكم، فيقضي بينكم بالحقّ»[٤].

❁ وقال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ

---

(١) الفتاوى الكبرى ٥/ ٢٢٥.
(٢) مدارج السالكين» ١/ ٣٠٧.
(٣) شرح رياض الصالحين ٣/ ١٧.
(٤) تفسير الطبري (سورة القصص، الآية: ٧٠).

ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ تقدم معناه، وأنه المنفرد بالوحدانية، لأن جميع المحامد، إنما تجب له وأن لا حكم إلا له وإليه المصير»[١].

❁ وقال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ أي: هو المنفرد بالإلهية، فلا معبود سواه، كما لا رب يخلق ويختار سواه ﴿لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ أي: في جميع ما يفعله هو المحمود عليه، لعدله وحكمته ﴿وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾ أي: الذي لا معقب له، لقهره وغلبته وحكمته ورحمته، ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ أي: جميعكم يوم القيامة فيجازي كل عامل بعمله، من خير وشر، ولا يخفى عليه منهم خافية في سائر الأعمال»[٢].

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر].

❁ عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: من قال: ««لا إله إلا الله» فليقل على أثرها: «الحمد لله رب العالمين» فذلك قوله تعالى: ﴿فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾»[٣].

❁ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان جماعة من أهل العلم يأمرون من قال: «لا إله إلا الله» أن يتبعها بـ «الحمد لله رب العالمين»، عملًا بهذه الآية»[٤].

---

(١) تفسير القرطبي (سورة القصص، الآية: ٧٠).
(٢) تفسير ابن كثير (سورة القصص، الآية: ٧٠).
(٣) تفسير ابن كثير (سورة غافر، الآية: ٦٥)، تفسير ابن عطية (سورة غافر، الآية: ٦٥)؛ ٤/٥٦٧.
(٤) تفسير الطبري (سورة غافر، الآية: ٦٥).

❁ قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال نحو هذا سعيد بن جبير (ت: ٩٥هـ) ثم قرأ هذه الآية»(١).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ففي لا إله إلا الله إثبات محامده، فإنها كلها داخلة في إثبات إلهيته»(٢).

❁ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: هو الحي أزلًا وأبدًا، لم يزل ولا يزال، وهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا نظير له ولا عديل له، ﴿فَـٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: موحدين له مقرين بأنه لا إله إلا هو ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾»(٣).

❁ قال محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت: ١٣٥٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أن لإجابة الدعاء شروطًا منها الإخلاص لقوله تعالى: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر، الآية: ٦٥]»(٤).

المطلب السابع

التوحيد تثبيت لإلهية الحق في قلب المؤمن

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام، الآية: ١٤].

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام، الآية: ١١٤].

---

(١) تفسير ابن عطية (سورة غافر، الآية: ٦٥)، ٤/ ٥٦٧.
(٢) الفتاوى الكبرى ٥/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠، مجموع الفتاوى ١٥/ ٢٥٣.
(٣) تفسير ابن كثير (سورة غافر، الآية: ٦٥).
(٤) تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي ٩/ ٢٢٨.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر].

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ﴾ [الأنعام].

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه كان يقول: إذا قام يصلي من الليل، وقد روي أنه كان يقوله بعد التكبير: «**اللّهم لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق، وقولك الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد حق، اللّهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت؛ فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوحيد مقرون بالبقاء، وهو أن تثبت إلهية الحق في قلبك، وتنفي إلهية ما سواه، فتجمع بين النفي والإثبات، فتقول: لا إله إلا الله، فالنفي هو الفناء، والإثبات هو البقاء. وحقيقته أن تفنى بعبادته عما سواه، ومحبته عن محبة ما سواه، وبخشيته عن خشية ما سواه، وبطاعته عن طاعة ما سواه، وبموالاته عن موالاة ما سواه، وبسؤاله عن سؤال ما سواه، وبالاستعاذة به عن الاستعاذة بما سواه، وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه، وبالتفويض إليه عن التفويض إلى ما سواه، وبالإنابة إليه عن الإنابة إلى ما سواه، وبالتحاكم إليه

(١) البخاري ٢/ ٤٨ ـ ٤٩، مسلم ١/ ٥٣٢ ـ ٥٣٤.

عن التحاكم إلى ما سواه، وبالتخاصم إليه عن التخاصم إلى ما سواه»[١].

المطلب الثامن

كلمة التوحيد من الباقيات الصالحات

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «والباقيات الصالحات نوعان: فسبحان الله وبحمده فيها الشكر والتنزيه والتعظيم، ولا إله إلا الله والله أكبر فيها التوحيد والتكبير»[٢].

المطلب التاسع

كلمة التوحيد كان النبي ﷺ يدعو بها عند الكرب

۞ عن عبد الله بن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: (إنَّ نبيَّ اللهِ ﷺ كان يقولُ عند الكربِ: «لا إله إلا الله العظيمُ الحليمُ، لا إله إلا الله ربُّ العرشِ العظيمُ، لا إله إلا اللهُ ربُّ السمٰواتِ وربُّ الأرضِ وربُّ العرشِ الكريمُ»)[٣].

المطلب العاشر

التوحيد مقرون بالتكبير

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «وأما التهليل فهو قرين التكبير كما في كلمات الأذان: الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله أشهد

---

(١) منهاج السنة ٥/٣٤٧ ـ ٣٤٩.
(٢) مجموع الفتاوى ٨/٢١٢.
(٣) صحيح مسلم (٢٧٣٠).

أن محمدًا رسول الله، ثم بعد دعاء العباد إلى الصلاة: الله أكبر الله أكبر لا إلٰه إلا الله، فهو مشتمل على التكبير والتشهد أوله وآخره، وهو ذكر لله تعالى وفي وسطه دعاء الخلق إلى الصلاة والفلاح، فالصلاة هي العمل، والفلاح هو ثواب العمل لكن جعل التكبير شفعًا والتشهد وترًا، فمع كل تكبيرتين شهادة؛ وجعل أوله مضاعفًا على آخره ففي أول الأذان يكبر أربعًا ويتشهد مرتين والشهادتان جميعًا باسم الشهادة وفي آخره التكبير مرتان فقط مع التهليل الذي لم يقترن به لفظ الشهادة ولا الشهادة الأخرى. وهذا والله أعلم بمنزلة الركعتين الأوليين من الصلاة مع الركعتين الأخريين؛ فإن الأوليين فضلتا بقراءة السورة وبالجهر في القراءة فحصل الفضل في قدر القراءة ووصفها، كما أن الشطر الأول من الأذان فضل في قدر الذكر وفي وصفه، لكن الوصف هنا كون التوحيد قرن به لفظ أشهد؛ ولهذا حذف في الإقامة عند من يختار إيتارها وهي إقامة بلال ـ ما فضل به من القدر، كما يخفض من صوت الإقامة لأن هذا المزيد من جنس الأصل فأشبه حذف الركعتين الأخريين في صلاة المسافر. وأما الكلمات الأصول فلم يحذف منها شيء. وهكذا سنة النبي ﷺ في قيام الليل وصلاة الكسوف وغيرهما تطويل أول العبادة على آخرها؛ لأسباب تقتضي ذلك. وكما جمع بين التكبير والتهليل في الأذان جمع بينهما في تكبير الإشراف فكان على الصفا والمروة وإذا علا شرفًا في غزوة أو حجة أو عمرة يكبر ثلاثًا ويقول: «**لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إلٰه إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده**»(١)، يفعل ذلك ثلاثًا. وهذا في الصحاح وكذلك على الدابة كبر ثلاثا وهلل

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٤٩)، والنسائي (٤٧٩٩)، وابن ماجه (٢٦٢٨).

ثلاثًا فجمع بين التكبير والتهليل. وكذلك حديث عدي بن حاتم (ت: بين ٦٦ ـ ٦٩هـ) رضي الله عنه الذي رواه أحمد والترمذي فيه أن النبي ﷺ قال له: «**يا عدي ما يفرك؟ أيفرك أن يقال: لا إلٰه إلا الله فهل تعلم من لا إلٰه إلا الله؟ يا عدي ما يفرك أيفرك أن يقال: الله أكبر؟ فهل من شيء أكبر من الله**»(١)، فقرن النبي ﷺ بين التهليل والتكبير.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي مالك الأشعري (ت: ١٨هـ) رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو قال تملأ ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو: فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها**»(٢)، فأخبر أنه يملأ ما بين السماء والأرض وهذا أعظم من ملئه للميزان. وفي الحديث الذي في الموطأ حديث طلحة بن عبد الله بن كريز (ت: ٣٦هـ) رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**»(٣). فجمع في هذا الحديث بين «أفضل الدعاء وأفضل الثناء؛ فإن الذكر نوعان: دعاء وثناء فقال: أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة. وأفضل ما قلت هذا الكلام». ولم يقل أفضل ما قلت يوم عرفة هذا الكلام. وإنما هو أفضل ما قلت مطلقًا.

وكذلك في حديث رواه ابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ) رحمه الله «**أفضل**

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٥٣).
(٢) صحيح مسلم (٢٢٣).
(٣) أخرجه الترمذي (٥٠٠)، وأحمد (٦٩٦١)، ومالك في الموطأ (٩٤٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨٤٧٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٠٧٢).

الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله»[(١)].

وأيضا ففي الصحيح عن أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة: أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»[(٢)]، فقد صرح بأن أعلى شعب الإيمان هي هذه الكلمة. وأيضًا ففي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**يا أبي، أتدري أي آية في كتاب الله أعظم؟**»، قال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة، الآية: ٢٥٥]، فقال رسول الله ﷺ: «**ليهنك العلم أبا المنذر**»[(٣)]، فأخبر في هذا الحديث الصحيح أنها أعظم آية في القرآن، وفي ذاك أنها أعلى شعب الإيمان، وهذا غاية الفضل؛ فإن الأمر كله مجتمع في القرآن والإيمان، فإذا كانت أعظم القرآن وأعلى الإيمان ثبت لها غاية الرجحان. وأيضًا فإن التوحيد أصل الإيمان، وهو الكلام الفارق بين أهل الجنة وأهل النار وهو ثمن الجنة ولا يصح إسلام أحد إلا به، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة، وكل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء؛ فمنزلته منزلة الأصل، ومنزلة التحميد والتسبيح منزلة الفرع. وأيضًا فإنه مشروع على وجه التعظيم والجهر، وعند الأمور العظيمة مثل الأذان الذي ترفع به الأصوات، وعند الصعود على الأماكن العالية، لما في ذلك من العلو والرفعة، ويجهر بالتكبير في الصلوات وهو المشروع في الأعياد»[(٤)].

---

(١) سنن الترمذي (٣٣٨٣) وحسنه، وابن ماجه (٣٨٠٠)، وابن حبان (٨٤٦)، والحاكم (١٨٣٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٥٩٩)، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي».

(٢) أخرجه البخاري (٩) ومسلم (٣٥) (٥٨) واللفظ له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٨١٠).

(٤) مجموع الفتاوى ٢٤/ ٢٣٢ ـ ٢٣٥.

المطلب الحادي عشر

التوحيد مقرون بالتحميد

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي حديث أبي سعيد «الحمد رأس الشكر والتوحيد»، كما جمع بينهما في أم القرآن. فأولها تحميد وأوسطها: توحيد وآخرها: دعاء. وكما في قوله: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر]. وفي حديث الموطأ «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. من قالها كتب الله له ألف حسنة، وحط عنه ألف سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل قال مثلها أو زاد عليه، ومن قال في يوم مائة مرة: سبحان الله وبحمده حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر»[(١)]. وفضائل هذه الكلمات في أحاديث كثيرة: وفيها: التوحيد والتحميد. فقوله: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) توحيد. وقوله: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ تحميد. وفيها معان أخرى شريفة. وقد جاء الجمع بين التوحيد والتحميد والاستغفار في مواضع مثل حديث كفارة المجلس «سبحانك اللّهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك» فيه: التسبيح والتحميد والتوحيد والاستغفار. من قالها في مجلس إن كان مجلس لغط كانت كفارة له وإن كان مجلس ذكر: كانت كالطابع له. وفي حديث أيضًا: «إن هذا يقال

---

(١) رواه مالك في الموطأ ١/ ٤٢٢ وقال الألباني: وهذا إسناد مرسل صحيح، وقد وصله ابن عدي والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة مرفوعًا. انظر الصحيحة (١٥٠٣).

عقب الوضوء». ففي الحديث الصحيح في مسلم وغيره من حديث عقبة عن عمر بن الخطّاب (ت: ٢٣هـ) رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ «**ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء**»، وفي حديث آخر أنه يقول «**سبحانك اللّهم وبحمدك أشهد أن لا إلٰه إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك**». وقد روي عن طائفة من السلف في الكلمات التي تلقاها آدم من ربه نحو هذه الكلمات. روى ابن جرير (ت: ٣١٠هـ) رحمه الله، عن مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) رحمه الله، أنه قال: «اللّهم لا إلٰه إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين، اللّهم لا إلٰه إلا أنت، سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فارحمني، فأنت خير الراحمين، لا إلٰه إلا أنت، سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فتب علي، إنك أنت التواب الرحيم» فهذه الكلمات من جنس خاتمة الوضوء، وخاتمة الوضوء: فيها التسبيح والتحميد والتوحيد والاستغفار، فالتسبيح والتحميد والتوحيد لله؛ فإنه لا يأتي بالحسنات إلا هو، والاستغفار من ذنوب النفس التي منها تأتي السيئات»[1].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «والحمد إنما يتم بالتوحيد، وهو مناط للتوحيد، ومقدمة له ولهذا يفتتح به الكلام، ويثنى بالتشهد، وكل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم، وكل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء»[2].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «فإذا قيل: «لا إلٰه إلا الله»؛

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤/٤١٨ ـ ٤٢٠.
(٢) قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات ص٤١.

تضمنت هذه الكلمة إثبات جميع المحامد، وأنه ليس له فيها نظير؛ إذ هو إله، لا إله إلا هو، والشرك كله: إثبات نظير لله عز وجل»[١].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: «ولما كان حمده والثناء عليه وتمجيده هو مقصود الصلاة التي هي عماد الإسلام ورأس الطاعات شرع في أولها ووسطها وآخرها وجميع أركانها؛ ففي دعاء الاستفتاح يحمد ويثنى عليه ويمجد، وفي ركن القراءة يحمد ويثنى عليه ويمجد، وفي الركوع يثنى عليه بالتسبيح والتعظيم، وبعد رفع الرأس منه يحمد ويثنى عليه ويمجد كما كان النبي ﷺ يقول: «**ربنا ولك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»[٢]، وفي السجود يثنى عليه بالتسبيح المتضمن لكماله المقدس والعلو المتضمن لمباينته لخلقه وفي التشهد يثنى عليه بأطيب الثناء من التحيات ويختم ذلك بذكر حمده ومجده»[٣].

المطلب الثاني عشر

التوحيد والاستغفار بهما يكمل الدين

قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد، الآية: ١٩].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود، الآية: ٣].

(١) قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات ص٤٧.
(٢) أخرجه مسلم (٤٧٨).
(٣) الصواعق المرسلة ٤/ ١٤٧٤ ـ ١٤٧٥.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت، الآية: ٦].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران].

عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللّهم لك أسلمت، وبك آمنت وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت. اللّهم إني أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت؛ أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون»[(١)].

عن عمر بن الخطّاب (ت: ٢٣هـ) رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما منكم من أحدٍ يتوضَّأُ، فيُحسنُ الوضوءَ، ثم يقولُ: أشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه اللّهم اجعلْني من التوابين، واجعلني من المتطهِّرين، إلا فُتِحَتْ له أبوابُ الجنَّةِ الثمانيةُ، يدخلُ من أيِّها شاء»[(٢)].

عن أبي برزة الأسلمي (ت: ٦٤هـ) رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ بأخرة إذا طال المجلس فقام قال: «سبحانك اللّهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٤)، وأبو داود (١٦٩)، والترمذي (٥٥) واللفظ له، والنسائي (١٤٨)، وابن ماجه (٤٧٠)، وأحمد (١٢١).

أنت، أستغفرك وأتوب إليك»، فقال له بعضنا: إن هذا قول ما كنا نسمعه منك فيما خلا، فقال رسول الله ﷺ: «هو كفارة ما يكون في المجلس»(١).

۞ عن شداد بن أوس (ت: ٥٨هـ) رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «سيد الاستغفار: اللّهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، أعوذ بك من شر ما صنعت. إذا قال حين يمسي فمات دخل الجنة ـ أو: كان من أهل الجنة ـ وإذا قال حين يصبح فمات من يومه مثله»(٢).

۞ قال شعيب بن أبي حمزة (ت: ١٦٢هـ) رحمه الله: «جمع ﷺ في هذا الحديث من بديع المعاني وحسن الألفاظ، ما يحق له أن يسمى «سيد الاستغفار» ففيه الإقرار لله وحده بالإلهية والعبودية، والاعتراف بأنه الخالق، والإقرار بالعهد الذي أخذه عليه، والرجاء بما وعده به، والاستعاذة من شر ما جنى العبد على نفسه وإضافة النعماء إلى موجدها، وإضافة الذنب إلى نفسه، ورغبته في المغفرة، واعترافه بأنه لا يقدر أحد على ذلك إلا هو.

وقال أيضًا: ويظهر أن اللفظ المذكور إنما يكون «سيد الاستغفار»، إذا جمع صحة النية والتوجه والأدب»(٣).

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله «التوحيد هو جماع الدين الذي هو أصله وفرعه ولبه، وهو الخير كله، والاستغفار يزيل الشر كله، فأبلغ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٥٩)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٢٥٩)، وأحمد (١٩٧٦٩) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٢٣).

(٣) فيض القدير ٤/ ١٢٠.

الثناء قول لا إلٰه إلا الله، وأبلغ الدعاء أستغفر الله»(١).

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الاسْتِغْفَار والتوحيد بهما يكمل الدِّين كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد، الآية: ١٩]»(٢).

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد قرن الله في كتابه بين التوحيد والاستغفار في غير موضع كقوله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد، الآية: ١٩]، وفي قوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ [هود]، وفي قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُۗ﴾ [فصلت، الآية: ٦]»(٣).

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رتب اقتران الاستغفار بالتوحيد في غير موضع كقوله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد، الآية: ١٩]، وقوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ [هود]، وقوله: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُۗ﴾ [فصلت، الآية: ٦]»(٤).

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا اجتهد الإنسان، واستعان بالله، ولازم الاستغفار والاجتهاد، فلا بُدَّ أن يُؤتيه الله من فضله ما لم يخطر ببال»(٥).

---

(١) جامع المسائل ١/ ٢٧٤.
(٢) جامع الرسائل لابن تيمية ٢/ ٢٨٦.
(٣) مجموع الفتاوى ١٤/ ٤٢٠.
(٤) مجموع الفتاوى ٢٤/ ٢٤١.
(٥) مجموع الفتاوى ١١/ ٣٩٠.

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمن أحس بتقصير في قوله أو عمله أو حاله أو رزقه أو تقلب قلب؛ فعليه بالتوحيد والاستغفار ففيهما الشفاء إذا كانا بصدق وإخلاص»[(١)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الاستغفار يخرج العبد من الفعل المكروه إلى الفعل المحبوب، ومن العمل الناقص إلى العمل التام ويرفع العبد من المقام الأدنى إلى الأعلى منه والأكمل؛ فإن العابد لله والعارف بالله في كل يوم بل في كل ساعة بل في كل لحظة يزداد علمًا بالله، وبصيرةً في دينه وعبوديته بحيث يجد ذلك في طعامه وشرابه ونومه ويقظته وقوله وفعله، ويرى تقصيره في حضور قلبه في المقامات العالية وإعطائها حقها، فهو يحتاج إلى الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار؛ بل هو مضطر إليه دائمًا في الأقوال والأحوال في الغوائب والمشاهد، لما فيه من المصالح وجلب الخيرات ودفع المضرات وطلب الزيادة في القوة في الأعمال القلبية والبدنية اليقينية الإيمانية. وقد ثبتت: دائرة الاستغفار بين أهل التوحيد واقترانها بشهادة أن لا إلٰه إلا الله من أولهم إلى آخرهم ومن آخرهم إلى أولهم ومن الأعلى إلى الأدنى. وشمول دائرة التوحيد والاستغفار للخلق كلهم، وهم فيها درجات عند الله، ولكل عامل مقام معلوم. فشهادة أن لا إلٰه إلا الله بصدق ويقين تذهب الشرك كله دقه وجله خطأه وعمده أوله وآخره؛ سره وعلانيته وتأتي على جميع صفاته وخفاياه ودقائقه، والاستغفار يمحو ما بقي من عثراته ويمحو الذنب الذي هو من شعب الشرك؛ فإن الذنوب كلها من شعب الشرك، فالتوحيد يذهب أصل الشرك والاستغفار يمحو فروعه؛ فأبلغ الثناء قول: لا إلٰه إلا الله وأبلغ

(١) مجموع الفتاوى ١١/ ٦٩٨.

الدعاء قول: أستغفر الله. فأمره بالتوحيد والاستغفار لنفسه ولإخوانه من المؤمنين»[(١)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في التعليق على حديث سيد الاستغفار: «تضمن هذا الاستغفار الاعتراف من العبد بربوبية الله وإلهيته وتوحيده، والاعتراف بأنه خالقه العالم به، إذ أنشأه نشأة تستلزم عجزه عن أداء حقه وتقصيره فيه، والاعتراف بأنه عبده، الذي ناصيته بيده وفي قبضته، لا مهرب له منه، ولا ولي له سواه، ثم التزام الدخول تحت عهده، وهو أمره ونهيه، الذي عهده إليه على لسان رسوله، وأن ذلك بحسب استطاعتي، لا بحسب أداء حقك، فإنه غير مقدور للبشر، وإنما هو جهد المقل، وقدر الاستطاعة، ومع ذلك فأنا مصدقٌ لوعدك الذي وعدته لأهل طاعتك بالثواب، ولأهل معصيتك بالعقاب، فأنا مقيمٌ على عهدك، مصدقٌ بوعدك.

ثم أفزع إلى الاستعاذة والاعتصام بك من شر ما فرطت فيه من أمرك ونهيك، فإنك إن لم تعذني من شره، وإلا أحاطت بي الهالكة، فإن إضاعة حقك سبب الهلاك، وأنا أقر لك وألتزم بنعمتك علي، وأقر وألتزم وأبخع[(٢)] بذنبي، فمنك النعمة والإحسان والفضل، ومني الذنب والإساءة، فأسألك أن تغفر لي، بمحو ذنبي، وأن تعفيني من شره، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فلهذا كان هذا الدعاء، سيد الاستغفار، وهو متضمنٌ لمعنى العبودية»[(٣)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما يحتاج العبد إلى الاستغفار

---

(١) مجموع الفتاوى ١١/٦٩٦ ـ ٦٩٧.
(٢) (بَخَعَ له بَخعًا وبُخُوعًا وبَخَاعَةً): تذلل له وأطاع وأقر.
(٣) مدارج السالكين ١/٢٢١ ـ ٢٢٢.

منه مما لا يعلمه أضعاف أضعاف ما يعلمه؛ فما سلط عليه مؤذ إلا بذنب»[١].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالتوحيد يدخل العبد على الله عَزَّ وَجَلَّ، والاستغفار والتوبة يرفع المانع ويزيل الحجاب الذي يحجب القلب عن الوصول إليه، فإذا وصل القلب إليه، زال همه وغمه وحزنه»[٢].

۞ قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوحيد أعظم الأسباب التي يستجلب بها المغفرة، وعدمه مانع من المغفرة بالكلية وفي الحديث: «**ابن آدم إن جئتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لقيتك بقرابها مغفرة**»[٣]»[٤].

المطلب الثالث عشر

التوحيد شرط في قبول الاستغفار

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «من خصائص التوحيد، أن المكلف لا ينفعه توحيد غيره عنه، ولا ينجيه ذلك من عذاب الله عَزَّ وَجَلَّ، بل لا ينجيه إلا توحيد نفسه، ولا ينفعه مع عدم التوحيد الاستغفار عنه، بل لا ينفعه إلا استغفاره الذي تضمن توحيده وتوبته من الشرك. فصار الاستغفار مقرونًا بالتوحيد من بداية، لا تقبل النيابة فيه ولا يهدى إلى الغير إلا إذا أتى هو به، فإذا كان هو من أهل ذلك نفعه حينئذ ما يريده

---

(١) بدائع الفوائد ٢/٢٤١.
(٢) شفاء العليل ص٤٥٤.
(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) واللفظ له، وأحمد (١٣٤٩٣) مختصرًا بمعناه.
(٤) كتاب شرح حديث لبيك اللّهم لبيك لابن رجب ص١٣٤.

غيره من ذلك، بخلاف الأعمال والأدعية التي تفعل عن الغير وتهدى له وإن لم يأت بأصلها.

وإنما كان الاستغفار هو النهاية من العبد لأن الذنب لازم لجميع بني آدم، وإنما كمال المؤمنين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في التوبة من الذنب والاستغفار، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب] إلى آخر السورة. وقد أخبر تعالى أنه يبدل سيئات التائب حسنات، وأنه يفرح بتوبة العبد أشد فرح يقدر»(١).

المطلب الرابع عشر

كلمة التوحيد من أحب الكلام إلى الله

❁ عن سمرةَ بن جندب رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبُّ الكلامِ إلى اللهِ أربعٌ: سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إله إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، لا يضرُّك بأيِّهنَّ بدأتَ»(٢).

(١) جامع المسائل ١/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨.
(٢) صحيح مسلم: ٢١٣٧.



المبحث الرابع

محاسن التوحيد على الموحد من جهة ما ينعكس عليه

المطلب الأول

إن الله يدفع عن الموحدين أهل الإيمان شرور الدنيا والآخرة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨﴾ [الحج].

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يخبر تعالى أنه يدفع عن عباده الذين توكلوا عليه وأنابوا إليه شر الأشرار وكيد الفجار، ويحفظهم ويكلؤهم وينصرهم، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾ [الزمر] وقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [الطلاق]»[(١)].

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ويمنعهم عن المؤمنين. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨﴾ أي: خوان في أمانة الله كفور لنعمته، قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «خانوا الله فجعلوا معه شريكًا وكفروا نعمه»[(٢)].

---

(١) تفسير ابن كثير (سورة الحج، الآية: ٣٨).

(٢) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة الحج، الآية: ٣٨).

المطلب الثاني

تحقيق كلمة التوحيد يوجب عتق الرقاب، وعتق الرقاب يوجب العتق من النار

۞ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ (ت: ٥٠هـ) رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مِرَارٍ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ»(١).

۞ عن أنس (ت: ٩٠هـ) رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من قال حين يصبح أو يمسي: اللّهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وأن محمدًا عبدك ورسولك أعتق الله ربعه من النار، ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار، ومن قالها ثلاث مرات أعتق الله ثلاثة أرباعه، ومن قالها أربع مرار أعتقه الله من النار»(٢)(٣).

---

(١) رواه البخاري (٦٤٠٤)، ومسلم (٢٦٩٣).

(٢) رواه أبو داود (٥٠٦٩)، وضعفه الألباني في «ضعيف أبي داود». وقد روي الحديث بلفظ: «مَنْ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ مَلَائِكَتَكَ وَحَمَلَةَ عَرْشِكَ، وَأُشْهِدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، مَنْ قَالَهَا مَرَّةً أَعْتَقَ اللهُ ثُلُثَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَعْتَقَ اللهُ ثُلُثَيْهِ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا أَعْتَقَ اللهُ كُلَّهُ مِنَ النَّارِ» رواه الحاكم (١٩٢٠) وصححه بهذا اللفظ، وبدون التقييد بالصباح والمساء؛ وينظر: «السلسلة الصحيحة» (٢٦٧).

(٣) انتهى من «لطائف المعارف» ص٢٨٣.

۞ عن سلمان الفارسي (ت: ٣٣هـ) رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال: اللّهم إني أشهدك، وأشهد ملائكتك وحملة عرشك، وأشهد من في السماوات ومن في الأرض، أنك أنت الله لا إلٰه إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأشهد أن محمدًا عبدك ورسولك؛ من قالها مرة أعتق الله ثلثه من النار، ومن قالها مرتين أعتق ثلثيه من النار، ومن قالها ثلاثًا أعتقه الله كله من النار**»[1].

۞ عن أبي الدرداء (ت: مابين ٣٢ ـ ٣٨هـ) رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**من قال: لا إله إلا الله، والله أكبر، أعتق الله ربعه من النار، ولا يقولها اثنتين إلا عتق الله شطره من النار، وإن قالها أربعًا أعتقه الله من النار**»[2].

۞ قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رحمه الله: «فمن طمع في العتق من النار ومغفرة ذنوبه في يوم عرفة فليحافظ على الأسباب التى يرجى بها العتق والمغفرة، فمنها الإكثار من شهادة التوحيد بإخلاص وصدق؛ فإنها أصل دين الإسلام الذي أكلمه الله تعالى في ذلك اليوم وأساسه، فتحقيق كلمة التوحيد يوجب عتق الرقاب، وعتق الرقاب يوجب العتق من النار، كما ثبت في الصحيح: أن «**من قالها مائة مرة كان له عدل عشر رقاب**»[3]»[4].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر ١/ ٧٠٤ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٢) قال الهيثمي في المجمع ـ كتاب الأذكار، باب ما جاء في لا إله إلا الله والله أكبر ـ ١٠/ ٧٢: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيهما: أبو بكر بن أبي مريم، وهو ضعيف.

(٣) رواه البخاري (٣٢٩٣) ومسلم (٢٦٩١).

(٤) لطائف المعارف لابن رجب ص٢٨٣.

المطلب الثالث

توحيد الله مكتوب في قلب المؤمن لا يتطرق إليه محو ولا إزالة

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قلب المؤمن توحيد الله وذكر رسوله مكتوبان فيه لا يتطرق إليهما محو ولا إزالة ولما كانت كثرة ذكر الشيء موجبة لدوام محبته، ونسيانه سببًا لزوال محبته أو إضعافها وكان سبحانه هو المستحق من عباده نهاية الحب مع نهاية التعظيم، بل الشرك الذي لا يغفره الله تعالى هو أن يشرك به في الحب والتعظيم فيحب غيره ويعظم من المخلوقات غيره كما يحب الله تعالى ويعظمه قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة، الآية: ١٦٥] فأخبر سبحانه أن المشرك يحب الند كما يحب الله تعالى وأن المؤمن أشد حبًّا لله من كل شيء، وقال أهل النار في النار: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء] ومن المعلوم أنهم إنما سووهم به سبحانه في الحب والتأله والعبادة، وإلا فلم يقل أحد قط: إن الصنم أو غيره من الأنداد مساوٍ لرب العالمين في صفاته وفي أفعاله وفي خلق السماوات والأرض وفي خلق عباده أيضًا وإنما كانت التسوية في المحبة والعبادة»[(١)].

❁ قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «رقة القلوب تنشأ عن الذكر فإن ذكر الله يوجب خشوع القلب وصلاحه ورقته ويذهب الغفلة عنه»[(٢)].

❁ قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «كانت مجالس النبي ﷺ مع

---

(١) جلاء الأفهام ص٤٤٨ ـ ٤٤٩.

(٢) لطائف المعارف ١/ ١٣.

أصحابه عامتها مجالس تذكير بالله وترغيب وترهيب؛ إما بتلاوة القرآن أو بما آتاه الله من الحكمة»[(١)].

۞ قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «خلفاء الرسل هم الذين قال فيهم علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالملأ الأعلى»»[(٢)].

المطلب الرابع

التوحيد سبب لامتحان الإنسان للدخول في أحكام الإسلام الدنيوية

۞ قال - تعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾ [الممتحنة].

۞ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ)، قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ﴾... إلى قوله: ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾ كان امتحانهن أن يشهدن أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله»[(٣)].

۞ قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال ابن عباس

---

(١) لطائف المعارف ١/ ١٣.

(٢) لطائف المعارف ١/ ١٦.

(٣) تفسير الطبري (سورة الممتحنة، الآية: ١٠).

(ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: الامتحان أن تطلب بأن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإذا فعلت ذلك لم ترد، فقال فريق منهم عائشة أم المؤمنين: الامتحان هو أن تعرض عليها الشروط التي في الآية بعد هذا من ترك الزنا والسرقة والبهتان والعصيان، فإذا أقرت بذلك فهو امتحان»[(١)].

۞ قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) رحمه الله: «واختلف فيما كان يمتحنهن به على ثلاثة أقوال:

الأول: قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: كانت المحنة أن تستحلف بالله أنها ما خرجت من بغض زوجها، ولا رغبة من أرض إلى أرض، ولا التماس دنيا، ولا عشقًا لرجل منا؛ بل حبًّا لله ولرسوله؛ فإذا حلفت بالله الذي لا إله إلا هو على ذلك، أعطى النبي ﷺ زوجها مهرها وما أنفق عليها ولم يردها؛ فذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾.

الثاني: أن المحنة كانت أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؛ قاله ابن عباس (ت: ٦٨هـ) أيضًا.

الثالث: بما بينه في السورة بعد من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ قالت عائشة (ت: ٥٨هـ) رضي الله عنها: ما كان رسول الله ﷺ يمتحن إلا بالآية التي قال الله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ رواه معمر عن الزهري عن عائشة. خرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح»[(٢)].

---

(١) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/ ٢٩٧.
(٢) تفسير القرطبي (سورة الممتحنة، الآية: ١٠).

المطلب الخامس

التوحيد يدعو الموحد لقبول الحق من كائن من كان

كان معاذ بن جبل (ت: ١٨هـ)، رضي الله عنه يقول: «اقبلوا الحق من كل من جاء به، وإن كان كافرًا ـ أو قال فاجرًا ـ واحذروا زيغة الحكيم، قالوا: كيف نعلم أن الكافر يقول كلمة الحق؟

قال: إن على الحق نورًا»(١).

المطلب السادس

أهل التوحيد هم المختصون بالدفاع عن كلمة التوحيد

۞ قال علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال (ت: ٤٤٩هـ) رحمه الله: «إذا نزلت بأهل ذلك البلد مخافة. وفيه: أن وجوب ذلك لا يتعدى المسلمين، وليس على أهل الذمة بواجب؛ لأن المسلمين إنما يدافعون عن كلمة التوحيد، وليس على أهل الذمة بواجب؛ لأن المسلمين يدافعون عن أموالهم وذراريهم، ولصيانتها بذلوا لنا الجزية فعلينا حمايتهم والدفع عنهم»(٢).

المطلب السابع

التوحيد أحد الهجرتين المتوجبتين على كل قلب

قال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت: ٨١٧هـ): «ولله على كل قلب هجرتان فرضًا لازمًا:

---

(١) رواه أبو داود (٤٦١١).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٥/ ٢٢١.

هجرة إلى الله بالتوحيد والإخلاص والتوبة والحب والخوف والرجاء والعبودية.

وهجرة إلى رسوله بالتسليم له والتفويض والانقياد لحكمه، وتلقي أحكام الظاهر والباطن من مشكاته.

ومن لم يكن لقلبه هاتان الهجرتان فليحث على رأسه التراب، وليراجع الإيمان من أصله»[1].



المطلب الثامن

التوحيد أهله قائمون به

قال - تعالى -: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [المعارج].

قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ): «وقال ابن عباس (ت: ٦٨هـ): شهادتهم في هذه الآية: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له»[2].

وقال القرطبي (ت: ٦٧١هـ): «وقال ابن عباس (ت: ٦٨هـ): بشهاداتهم أن الله واحد لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله»[3].

وقال سهل التستري (ت: ٢٨٣هـ): «قائمون بحفظ ما شهدوا به من شهادة أن لا إله إلا الله، فلا يقعدون عنها في شيء من الأفعال والأقوال والأحوال ولا يفترون»[4].

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٢/٤٦٧.
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/٣٦٩.
(٣) تفسير القرطبي (سورة المعارج، الآية: ٣٣).
(٤) تفسير التستري ص١٧٨.

المطلب التاسع

كلمة التوحيد ركن في شعار الإسلام الذي هو الأذان والإقامة وفي تشهد الصلاة وفي الخطب جميعها

۞ قال علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال (ت: ٤٤٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فاختلف العلماء في معنى هروبه ـ أي الشيطان ـ عند الأذان ولا يهرب من الصلاة وفيها قراءة القرآن، فقال المهلب: إنما يهرب، والله أعلم، من اتفاق الكل على الإعلان بشهادة التوحيد وإقامة الشريعة»[(١)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولهذا كانت الشهادتان ركنًا في شعار الإسلام الذي هو الأذان والإقامة، وفي تشهد الصلاة التي هي عماد الدين، وفي الخطب جميعها، قال ﷺ في الحديث الذي رواه أبو داود[(٢)]، عن أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء**». قال الترمذي: حديث حسن غريب.

وفي المسند[(٣)]، في حديث الأسود أن الله قال له: «﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾، فلا أذكر إلا ذكرت معي، ولا يصح لأمتك الخطبة والصلاة إلا بشهادة أنك عبدي ورسولي».

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٢/ ٢٣٤.

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٤٨٤١). وأخرجه أيضًا أحمد (٢/ ٣٠٢، ٣٤٣) والترمذي (١١٠٦) وقال: هذا حديث حسن غريب. وصححه الألباني (٢٧٩٦، ٢٧٩٧).

(٣) لم أقف عليه في المسند، وأخرج الطبري في تفسيره (٢٤/ ٤٩٤، ٤٩٥) وابن حبان (٣٣٨٢) عن أبي سعيد الخدري نحوه، وإسناده ضعيف. وانظر الأحاديث والآثار الواردة في هذا الباب في: الدر المنثور (١٥/ ٤٩٧ ـ ٥٠٠).

وهي مشروعة عند انقضاء الطهارة، فمن قالها فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء[(١)].

والخطبة تعم خطب الجمع التي هي أعياد أهل الإسلام الأسبوعية، وتعم خطب الأعياد الحولية كعيد الفطر والأضحى، وخطب الحج، والخطب العارضة، مقرونة بالصلاة كخطبة الاستسقاء، أو مفردة عن الصلاة كخطب الأئمة والعلماء وذوي الحاجات في مخاطبة بعضهم بعضًا في أمور الدين والدنيا، كما قال ابن مسعود (ت: ٣٢هـ) رضي الله عنه في الحديث الذي رواه أبو داود[(٢)]، عن ابن مسعود (ت: ٣٢هـ) رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا تشهد قال: **«الحمد لله، نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيرًا ونذيرًا بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئًا»**.

وروى أحمد وأهل السنن[(٣)]، عن رسول الله ﷺ خطبة الحاجة: **«الحمد لله، نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله»** ويقرأ ثلاث آيات ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٤) عن عقبة بن عامر.

(٢) برقم (١٠٩٧). وفي إسناده عبد ربه بن أبي يزيد وأبو عياض المدني، وهما مجهولان. ولكن للحديث طرق يقوى بها. انظر «خطبة الحاجة» للألباني.

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٣٩٢، ٣٩٣) والترمذي (١١٠٥) والنسائي (٣/ ١٠٤، ١٠٥، ٦/ ٨٩) وابن ماجه (١٨٩٢) عن ابن مسعود. وقال الترمذي: حديث حسن، وصححه الحاكم (٢/ ١٨٢، ١٨٣)، وهو كما قال.

وهذه خطبة رسول الله ﷺ التي كان يخطب بها في الجمعة»[(١)].

۞ قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «فأما رأس الأمر، ويعني بالأمر الدين الذي بعث به وهو الإسلام، وقد جاء تفسيره في الرواية الأخرى بالشهادتين، فمن لم يقر بهما ظاهرًا وباطنًا، فليس من الإسلام في شيء»[(٢)].

المطلب العاشر

التوحيد إذا تم وكمل في القلب وتحقق تحققًا كاملًا بالإخلاص التام، فإنه يصير القليل من عمله كثيرًا

۞ قال عبد الرحمٰن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «ومن فضائله التي لا يلحقه فيها شيء: أن التوحيد إذا تم وكمل في القلب وتحقق تحققًا كاملًا بالإخلاص التام، فإنه يصير القليل من عمله كثيرًا، وتضاعف أعماله وأقواله بغير حصر ولا حساب، ورجحت كلمة الإخلاص في ميزان العبد بحيث لا تقابلها السماوات والأرض وعمارها من جميع خلق الله، كما في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «**قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا رب علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به. قال: قل يا موسى لا إلٰه إلا الله. قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة، ولا إلٰه إلا الله في كفة، مالت بهن لا إلٰه إلا الله**»»[(٣)].

---

(١) جامع المسائل ٨/ ١٦٤ ـ ١٦٦.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب ٢/ ١٤٥.

(٣) رواه ابن حبان (موارد الظمآن) ص٥٧٧ حديث رقم (٢٣٢٤). والحاكم (المستدرك) ١/ ٥٢٨ وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). وقال الذهبي: (صحيح وفي تصحيح إسناده نظر؛ لأنه من رواية دراج عن أبي الهيثم =

وفي حديث البطاقة التي فيها لا إله إلا الله التي وزنت تسعة وتسعين سجلا من الذنوب، كل سجل يبلغ مد البصر، وذلك لكمال إخلاص قائلها، وكم ممن يقولها لا تبلغ هذا المبلغ؛ لأنه لم يكن في قلبه من التوحيد والإخلاص الكامل مثل ولا قريب مما قام بقلب هذا العبد»[(١)].

المطلب الحادي عشر

التوحيد أول ما يتم البدء به مع الأطفال في تعليمهم

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإذا كان وقت نطقهم فليلقّنوا لا إله إلا الله محمد رسول الله وليكن أول ما يقرع مسامعهم معرفة الله سبحانه، وتوحيده، وأنه سبحانه فوق عرشه، ينظر إليهم، ويسمع كلامهم، وهو معهم أينما كانوا»[(٢)].

۞ قال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان السلف إذا نشأ لأحدهم ولد؛ شغلوه بحفظ القرآن وسماع الحديث، فيثبت الإيمان في قلبه»[(٣)].

المطلب الثاني عشر

التوحيد مورث لخشية الله تعالى

۞ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر].

= وهي رواية متكلم فيها). قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ١/ ٢٣٥: (صدوق في حديثه عن أبي الهيثم ضعف).اهـ.

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد ص٢٤ ـ ٢٥.

(٢) تحفة المولود ص٢٣١.

(٣) صيد الخاطر ص٤٩١.

۞ قال مطرف بن عبد الله الشخير (ت: ٩٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «لأن أبيت نائمًا وأصبح نادمًا؛ أحب إلي من أن أبيت قائمًا فأصبح معجبًا»[(١)].

۞ قال أحمد بن صالح الأنطاكي رَحِمَهُ اللَّهُ: «من كان بالله أعرف؛ كان له أخوف»[(٢)].

۞ قال عبد الله بن المبارك (ت: ١٨١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن البُصَرَاء لا يأمنون من أربع: ذنبٍ قد مضى؛ لا يُدرَى ما يصنع فيه الربُّ عَزَّ وَجَلَّ، وعمرٍ قد بقي؛ لا يُدرى ما فيه من الهَلَكةِ، وفضل قد أُعطي العبدُ؛ لعله مكرٌ واستدراجٌ، وضلالة قد زُيِّنت؛ يراها هدىً، وزيغِ قلب ساعة؛ فقد يُسلب المرءُ دينه ولا يشعر»[(٣)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولن يخاف الرجل غير الله إلا لمرض في قلبه، كما ذكروا أن رجلًا شكى إلى الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ خوفه من بعض الولاة، فقال: لو صححت لم تخف أحدًا؛ أي: خوفك من أجل زوال الصحة من قلبك»[(٤)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «المشرك يخاف المخلوقين، ويرجوهم، فيحصل له رعب كما قال ـ تعالى ـ: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [آل عمران، الآية: ١٥١] والخالص من الشرك يحصل له الأمن كما قال ـ تعالى ـ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ۝٨٢﴾ [الأنعام، الآية: ٨٢] وقد فسر النبي ﷺ الظلم هنا بالشرك»[(٥)].

---

(١) الزهد لعبد الله بن المبارك ص١٥١.
(٢) بغية الطالب ٢/ ٨٥٠.
(٣) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٠٦.
(٤) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٤٤٨.
(٥) الفتاوى الكبرى ٥/ ٢٣٢.

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: «من خاف من الله خاف منه كل شيء، ومن خاف من غير الله خاف من كل شيء»[١].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: «فإذا جرد العبد التوحيد فقد خرج من قلبه خوف ما سواه، وكان عدوه أهون عليه من أن يخافه مع الله، بل يفرد الله بالمخافة وقد أمنه منه، وخرج من قلبه اهتمامه به، واشتغاله به وفكره فيه، وتجرد لله محبة وخشية وإنابة وتوكلًا، واشتغالًا به عن غيره»[٢].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: «إنك أن تبيت نائمًا وتصبح نادمًا؛ خير من أن تبيت قائمًا وتصبح معجبًا، فإن المعجب لا يصعد له عمل. وإنك أن تضحك وأنت معترف خير من أن تبكي وأنت مدل. وأنين المذنبين أحب إلى الله من زجل المسبحين المدلين. ولعل الله سقاه بهذا الذنب دواء استخرج به داء قاتلًا هو فيك ولا تشعر»[٣].

المطلب الثاني عشر

التوحيد سبب لنيل رضا الله

۞ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة].

۞ قال ـ تعالى ـ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح، الآية: ١٨].

---

(١) بدائع الفوائد ٢/ ٢٧٤.
(٢) التفسير القيم ص٦٥٦.
(٣) مدارج السالكين ١/ ١٧٧.

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة، الآية: ١٠٠].

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة].

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «تضمنت هذه الآيات: جزاءهم على صدقهم وإيمانهم وأعمالهم الصالحة ومجاهدة أعدائه وعدم ولايتهم بأن رضي الله عنهم فأرضاهم فرضوا عنه وإنما حصل لهم هذا بعد الرضا به ربًّا وبمحمد نبيًّا وبالإسلام دينًا، قوله: (وهو الرضا عنه في كل ما قضى) فهنا ثلاثة أمور: الرضا بالله والرضا عن الله والرضا بقضاء الله»[(١)].

فمن حقّق التوحيد كما أراده الله تعالى، فقد أرضى الله ـ تعالى ـ بهذا الفعل، ونال رضوانه، ولم يسخط عليه، وجعل الجنة هي مثواه ومأواه، ولكن هذا المثوى والمأوى لا يمكن نواله إلا إذا حقق العبد شيئين؛ الإيمان بالله تعالى وتوحيده، ثم العمل الصالح قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف].

❁ فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله: «**إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب وأي شيء أفضل من**

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ١٨٧.

ذلك؟ قال: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»[١].

❁ وعن عائشة (ت: ٥٨هـ) رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله يقول: «مَنْ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنْ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ»[٢].

❁ وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال رسول الله: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا»[٣].

تضمن هذا الحديث الرضا بربوبيته سبحانه وألوهيته، وتضمن الرضا برسوله الكريم والسمع والطاعة له، وتضمن الرضا بدينه والتسليم مع كمال الانقياد.

❁ قال النووي (ت: ٦٧٦هـ) رحمه الله: «رضيت بالشيء؛ أي: قنعت به، واكتفيت به ولم أطلب معه غيره، فمعنى الحديث لم يطلب غير الله تعالى ولم يسع في غير طريق الإسلام ولم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد»[٤].

❁ عن سعد بن أبي وقاص (ت: ٥٥هـ) رضي الله عنه عن رسول الله أنه قال: «مَنْ قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، رضيت بالله ربًا، وبمحمد رسولًا، وبالإسلام دينًا؛ غُفِرَ له ذنبه»[٥].

---

(١) رواه البخاري ٥/٢٣٩٨، ومسلم ٤/٢١٧٦.
(٢) أخرجه الترمذي ٤/٦٠٩، وقال الألباني في (صحيح الترغيب والترهيب) ٢/ ٢٧١: صحيح لغيره.
(٣) رواه مسلم ١/ ٦٢ برقم (٣٤).
(٤) شرح النووي على مسلم ٢/ ٢.
(٥) رواه مسلم ١/ ٢٩٠.

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهذان الحديثان عليهما مدار مقامات الدين وإليهما ينتهي.

فالرضا بإلهيته يتضمن الرضا بمحبته وخده وخوفه ورجائه والإنابة إليه والتبتل إليه وانجذاب قوى الإرادة والحب كلها إليه، فعل الراضي بمحبوبه كل الرضا، وذلك يتضمن عبادته والإخلاص له.

والرضا بربوبيته: يتضمن الرضا بتدبيره لعبده، ويتضمن إفراده بالتوكل عليه، والاستعانة به، والثقة به والاعتماد عليه، وأن يكون راضيًا بكل ما يفعل به.

وأما الرضا بنبيه رسولًا: فيتضمن كمال الانقياد له والتسليم المطلق إليه بحيث يكون أولى به من نفسه فلا يتلقى الهدى إلا من مواقع كلماته، ولا يحاكم إلا إليه، ولا يحكم عليه غيره، ولا يرضى بحكم غيره في أي أمر من الأمور.

وأما الرضا بدينه: فإذا قال أو حكم أو أمر أو نهى: رضي كل الرضا ولم يبق في قلبه حرج من حكمه وسلم له تسليمًا، ولو كان مخالفا لمراد نفسه، أو هواها، أو قول مقلده وشيخه وطائفته»[(١)].

۞ كتب عمر بن الخطّاب (ت: ٢٣هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى أبي موسى (ت: ٤٤هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أما بعد، فإن الخير كله في الرضا، فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر»[(٢)].

۞ قال الفضيل بن عياض (ت: ١٨٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أحق الناس بالرضا عن الله، أهل المعرفة بالله»[(٣)].

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ١٧٢.
(٢) مدارج السالكين ٢/ ١٧٥.
(٣) حلية الأولياء ٨/ ١٠٤.

۞ قيل ليحيى بن معاذ الرازي (ت: ٢٥٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: متى يبلغ العبد إلى مقام الرضا؟

فقال: «إذا أقام نفسه على أربعة أصول فيما يعامل به ربه، فيقول: إن أعطيتني قبلت، وإن منعتني رضيت، وإن تركتني عبدت، وإن دعوتني أجبت»[(١)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وممَّا ينبغي أنْ يُعرَف أنَّ الله ليس رضاه أو محبَّته في مجرَّد عَذاب النفس وحملها على المشاقِّ؛ حتى يكون العمل كلَّما كان أشقَّ كان أفضل! كما يحسبُ كثيرٌ من الجهال أنَّ الأجر على قدر المشقَّة في كلِّ شيء! لا! ولكن الأجر على قدر منفعة العمل، ومصلحته، وفائدته، وعلى قدر طاعة أمر الله ورسوله، فأي العملين كان أحسن، وصاحبه أطوع، وأتبع ـ كان أفضل؛ فإنَّ الأعمال لا تتفاضَلُ بالكثرة، وإنما تتفاضَلُ بما يحصل في القلوب حالَ العمل»[(٢)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرِّضَا نَوْعَانِ: أَحَدُهُمَا: الرِّضَا بِفِعْلِ مَا أُمِرَ بِهِ وَتَرْكِ مَا نُهِيَ عَنْهُ، وَيَتَنَاوَلُ مَا أَبَاحَهُ اللهُ مِنْ غَيْرِ تَعَدٍّ إِلَى الْمَحْظُورِ. وَالنَّوْعُ الثَّانِي: الرِّضَا بِالْمَصَائِبِ: كَالْفَقْرِ وَالْمَرَضِ وَالذُّلِّ فَهَذَا الرِّضَا مُسْتَحَبٌّ فِي أَحَدِ قَوْلَيْ الْعُلَمَاءِ وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ وَقَدْ قِيلَ: إنَّهُ وَاجِبٌ»[(٣)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والعبد إذا اعترف وأقر بأن الله خالق أفعاله كلها فهو على وجهين:

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ١٧٢.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٥/ ٢٨١ ـ ٢٨٢.

(٣) مجموع الفتاوى ١٠/ ٦٨٢.

إن اعترف به إقرارًا بخلق الله كل شيء بقدرته ونفوذ مشيئته وإقرارًا بكلماته التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر واعترافًا بفقره وحاجته إلى الله وأنه إن لم يهده فهو ضال، وإن لم يتب عليه فهو مصر، وإن لم يغفر له فهو هالك خضع لعزته وحكمته؛ فهذا حال المؤمنين الذين يرحمهم الله ويهديهم ويوفقهم لطاعته.

وإن قال ذلك احتجاجًا على الرب ودفعًا للأمر والنهي عنه، وإقامة لعذر نفسه؛ فهذا ذنب أعظم من الأول، وهذا من أتباع الشيطان، ولا يزيده ذلك إلا شرًّا.

وقد ذكرنا أن الرب سبحانه محمود لنفسه ولإحسانه إلى خلقه؛ ولذلك هو يستحق المحبة لنفسه ولإحسانه إلى عباده، ويستحق أن يرضى العبد بقضائه؛ لأن حكمه عدل لا يفعل إلا خيرًا وعدلًا، ولأنه لا يقضي للمؤمن قضاء إلا كان خيرًا له، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له. فالمؤمن يرضى بقضائه لما يستحقه الرب لنفسه من الحمد والثناء، ولأنه محسن إلى المؤمن»[(١)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومَن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبدًا»[(٢)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «خير الخلق: الذين يصبرون على المصائب، ويستغفرون من المعايب، كما قال الله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر، الآية: ٥٥]»[(٣)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وطريق الرضا طريق مختصرة

(١) مجموع الفتاوى ١٤/٣١٦ ـ ٣١٧.
(٢) الصارم المسلول (٥٧٢).
(٣) مجموع الفتاوى ٨/١٠٧.

قريبة جدًا، موصلة إلى أجل غاية، ولكن فيها مشقة. ومع هذا فليست مشقتها بأصعب من مشقة طريق المجاهدة ولا فيها من العقبات والمفاوز ما فيها، وإنما عقبتها همة عالية، ونفس زكية، وتوطين النفس على كل ما يرد عليها من الله. ويسهل ذلك على العبد: علمه بضعفه وعجزه ورحمتُه به، وشفقتُه عليه، وبرهُ به، فإذا شهد هذا وهذا، ولم يطرح نفسه بين يديه، ويرضى به وعنه، وتنجذب دواعي حبه ورضاه كلها إليه، فنفسه نفس مطرودة عن الله، بعيدة عنه، ليست مؤهلة لقربه وموالاته، أو نفس ممتحنة مبتلاة بأصناف البلايا والمحن»(١).

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «متى خالط القلب بشاشة الإيمان واكتحلت بصيرته بحقيقة اليقين انقلبت النفس الأمارة مطمئنة راضية وتلقى أحكام الرب تعالى بصدر واسع منشرح مسلم»(٢).

۞ قال ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن صاحب الصدق مع الله، لا تضرُّه الفتنُ، وإن الله يجعل لأوليائه عند ابتلائهم مخارج، وإنما يتأخر ذلك عن بعضهم في بعض الأوقات تهذيبًا وزيادةً لهم في الثواب»(٣).

المطلب الثالث عشر

توحيد الله موجب لنيل حلاوة الإيمان

۞ قال محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (ت: ٣٢٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا استقر في قلب المؤمن توحيد رب كريم

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ١٧٣.
(٢) مدارج السالكين ٢/ ١٤٤.
(٣) فتح الباري ٦/ ٥٥٧.

ودود ظهر له وداده وكرمه وبره فقد وجد حلاوة التوحيد ونزاهته؛ فإذا جاءت شهوات النفس سبيلًا إلى القلب فخالطته وكدرته ومازجت حلاوته فدنست وكدرت فأي خسران أعظم من هذا»[(١)].

۞ قال النووي (ت: ٦٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا شك في أن من كانت هذه صفته فقد خلصت حلاوة الإيمان إلى قلبه وذاق طعمه، وقال القاضي عياض (ت: ٥٤٤هـ): معنى الحديث (ذاق حلاوة الإيمان): أي صح إيمانه واطمأنت به نفسه وخامر باطنه؛ لأن رضاه بالمذكورات دليل لثبوت معرفته ونفاذ بصيرته ومخالطة بشاشته قلبه؛ لأن من رضي أمرًا سهل عليه، فكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهل عليه طاعات الله تعالى ولذت له»[(٢)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي الصحيح عنه ﷺ «**ذاق طعم الإيمان: من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولًا**» فأخبر: أن للإيمان طعمًا، وأن القلب يذوقه كما يذوق الفم طعم الطعام والشراب.

وقد عبر النبي ﷺ عن إدراك حقيقة الإيمان، والإحسان، وحصوله للقلب ومباشرته له: بالذوق تارة، وبالطعام والشراب تارة، وبوجود الحلاوة تارة، كما قال «**ذاق طعم الإيمان**» وقال «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر ـ بعد إذ أنقذه الله منه ـ كما يكره أن يلقى في النار**».

والمقصود: أن ذوق حلاوة الإيمان والإحسان، أمر يجده القلب؛ تكون نسبته إليه كنسبة ذوق حلاوة الطعام إلى الفم، وذوق حلاوة الجماع

---

(١) نوادر الأصول في أحاديث الرسول ٣/ ٥١.
(٢) شرح النووي على مسلم ٢/ ٢.

إلى إلفة النفس؛ كما قال النبي ﷺ **«حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك»** فللإيمان طعم وحلاوة يتعلق بهما ذوق ووجد. ولا تزول الشبه والشكوك عن القلب إلا إذا وصل العبد إلى هذه الحال، فباشر الإيمان قلبه حقيقة المباشرة؛ فيذوق طعمه ويجد حلاوته»[(١)].

❁ قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «عن أنس، عن النبي ﷺ قال: **«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»**[(٢)]. وقد خرجه مسلم وعنده في رواية: **«فقد وجد طعم الإيمان»**[(٣)]، وجاء في رواية: **«وجد طعم الإيمان وحلاوته»**.

فهذه الثلاث خصال من أعلى خصال الإيمان، فمن كملها فقد وجد حلاوة الإيمان وطعم طعمه، فالإيمان له حلاوة وطعم يذاق بالقلوب كما يذاق حلاوة الطعام والشراب بالفم، فإن الإيمان هو غذاء القلوب وقوتها كما أن الطعام والشراب غذاء الأبدان وقوتها، وكما أن الجسد لا يجد حلاوة الطعام والشراب إلا عند صحته فإذا سقم لم يجد حلاوة ما ينفعه من ذلك، بل قد يستحلي ما يضره وما ليس فيه حلاوة لغلبة السقم عليه، فكذلك القلب إنما يجد حلاوة الإيمان إذا سلم من أسقامه وآفاته، فإذا سلم من مرض الأهواء المضلة والشهوات المحرمة وجد حلاوة الإيمان حينئذ، ومتى مرض وسقم لم يجد حلاوة الإيمان، بل يستحلي ما فيه هلاكه من الأهواء والمعاصي»[(٤)].

---

(١) بغية الملتمس ص٥١٣.
(٢) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).
(٣) أخرجه مسلم ٤٣/٦٨.
(٤) فتح الباري لابن رجب ١/ ٥٠.

۞ قال ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله..**»، وذكر منهم: «**رجل قلبه معلق في المساجد**»[(١)]، إشارة إلى طول الملازمة بقلبه وإن كان جسده خارجًا عنه»[(٢)].

۞ قال عبد الرؤوف بن علي المناوي (ت: ١٠٣١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «المؤمن الكامل قد وضع الله في قلبه حلاوة التوحيد بحلاوته فإذا جاءت الشهوة ضرب بتلك الحلاوة وجهها وردها بقوة هذه الحلاوة»[(٣)].

المطلب الرابع عشر

توحيد الله موجب للأنس بالله

۞ قال ابن الصفار القرطبي (ت: ٤٤٩هـ):

«فررت إليك من ظلمي لنفسي ... وأوحشني العباد فأنت أنسي
رضاك هو المنى وبك افتخاري ... وذكرك في الدجى قمري وشمسي
قصدت إليك منقطعًا غريبا ... لتؤنس وحدتي في قعر رمسي
وللعظمى من الحاجات عندي ... قصدت وأنت عالم سر نفسي»[(٤)].

۞ قال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «انظر إلى حالك الذي أنت عليه، إن كان يصلح للموت والقبر، فاستمر عليه، وإن كان لا يصلح لهذين، فتب إلى الله منها، وارجع إلى ما يصلح»[(٥)].

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (٦٦٠)، ومسلم رقم (١٠٣١).
(٢) فتح الباري ١/ ١٤٥.
(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٤/ ٥٢٥.
(٤) مدارج السالكين ٣/ ٨٧ ـ ٨٨.
(٥) بستان الواعظين ورياض السامعين ١/ ١٩٢ ـ ١٩٣.

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإذا كان القلب مشغولًا بالله، عاقلًا للحق، متفكرًا في العلم، فقد وُضِع في موضعه»(١).

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «والأنس بالله: حالة وجدانية؛ وهي من مقامات الإحسان، تقوى بثلاثة أشياء: دوام الذكر، وصدق المحبة، وإحسان العمل.

وقوة الأنس وضعفه: على حسب قوة القرب، فكلما كان القلب من ربه أقرب؛ كان أنسه به أقوى، وكلما كان منه أبعد؛ كانت الوحشة بينه وبين ربه أشد»(٢).

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قَرَّتْ عَيْنُهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعِنْدَ الْمَوْتِ وَيَوْمَ الْبَعْثِ فَيَمُوتُ الْعَبْدُ عَلَى مَا عَاشَ عَلَيْهِ، وَيُبْعَثُ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»(٣).

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «من اشتغل بالله عن نفسه كفاه الله مؤونة نفسه، ومن اشتغل بالله عن الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن اشتغل بنفسه عن الله وكله الله إلى نفسه، ومن اشتغل بالناس عن الله وكله الله إليهم»(٤).

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا زهدت القلوب في موائد الدنيا قعدت على موائد الآخرة بين أهل تلك الدعوة، وإذا رضيت بموائد الدنيا فاتتها تلك الموائد»(٥).

---

(١) مجموع الفتاوى ٩/ ٣١٢.
(٢) مدارج السالكين ٣/ ٩٥.
(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية ٢/ ٨٢.
(٤) الفوائد ص١٠٧.
(٥) الفوائد لابن القيم ص٩٨.

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَالْخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ الرُّسُلِ - صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ - وَمُتَابَعَتِهِمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي عَشْرِ ظُلُمَاتٍ:

ظُلْمَةُ الطَّبْعِ، وَظُلْمَةُ الْجَهْلِ، وَظُلْمَةُ الْهَوَى، وَظُلْمَةُ الْقَوْلِ، وَظُلْمَةُ الْعَمَلِ، وَظُلْمَةُ الْمُدْخَلِ، وَظُلْمَةُ الْمُخْرَجِ، وَظُلْمَةُ الْقَبْرِ، وَظُلْمَةُ الْقِيَامَةِ، وَظُلْمَةُ دَارِ الْقَرَارِ. فَالظُّلْمَةُ لَازِمَةٌ لَهُمْ فِي دُورِهِمُ الثَّلَاثِ»(١).

۞ قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن الأنس بالله عَزَّ وَجَلَّ، الأنس بكلامه وذكره، والأنس بالعلم النافع، الَّذِي بلغه رسوله ﷺ عنه»(٢).

المطلب الخامس عشر

التوحيد سبب للفلاح

۞ قال - تعالى -: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾ [الحجرات].

۞ وقال - تعالى -: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠٠﴾ [المائدة].

۞ عن ربيعة بن عباد (ت: ٩٠ هـ تقريبًا) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ: «**قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا**»(٣).

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والقرآن كله مملوء من تحقيق هذا التوحيد والدعوة إليه، وتعليق النجاة والفلاح، واقتضاء السعادة في

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية ٢/ ٤٢.
(٢) مجموع الرسائل ٣/ ٣٣٩.
(٣) رواه أحمد ٣/ ٤٩٢.

الآخرة به»[(١)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وما يتَّبع وجوه الحق ويؤمن بالكتاب كلّه إلا أولو الألباب، وقليل ما هم!»[(٢)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالقلب لا يُفلح، ولا يصلح، ولا يتنعم، ولا يبتهج، ولا يلتذُّ، ولا يطمئن، ولا يسكن؛ إلا بعبادة ربه، وحبه، والإنابة إليه»[(٣)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعلوم أن حاجتهم إلى معرفة ربهم وفاطرهم فوق مراتب هذه الحاجات كلها، فإنه لا سعادة لهم ولا فلاح ولا صلاح ولا نعيم إلا بأن يعرفوه ويعتقدوه، ويكون هو وحده غاية مطلوبهم، والتقرب إليه قرة عيونهم، فمتى فقدوا ذلك كانوا أسوأ حالًا من الأنعام، وكانت الأنعام أطيب عيشًا منهم في العاجل وأسلم عاقبة في الآجل.

وإذا علم أن ضرورة العبد إلى معرفة ربه فوق كل ضرورة كانت العناية ببيانها أيسر الطرق وأهداها وأبينها»[(٤)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان النبي ﷺ يقرنها بسورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ في سنة الفجر وسنة المغرب.

فإن هذين السورتين سورتا الإخلاص، وقد اشتملتا على نوعي التوحيد الذي لا نجاة للعبد ولا فلاح له إلا بهما، وهما **توحيد العلم** والاعتقاد المتضمن تنزيه الله عما لا يليق به من الشرك والكفر والولد

---

(١) منهاج السنة ٥/ ٣٤٧.

(٢) مجموع الفتاوى ٨/ ٤٠١.

(٣) إغاثة اللهفان ٢/ ٩٤٧.

(٤) انظر: «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» ١/ ٣٦٥ - ٣٦٧.

والوالد، وأنه إلٰه أحد صمد، لم يلد فيكون له فرع، ولم يولد فيكون له أصل، ولم يكن له كفوًا أحد فيكون له نظير؛ ومع هذا فهو الصمد الذي اجتمعت له صفات الكمال كلها.

فتضمنت السورة إثبات ما يليق بجلاله من صفات الكمال، ونفي ما لا يليق به من الشريك أصلًا وفرعًا ونظيرًا؛ فهذا توحيد العلم والاعتقاد.

والثاني: توحيد القصد والإرادة وهو: ألا يعبد إلا إياه، فلا يشرك به في عبادته سواه، بل يكون وحده هو المعبود.

وسورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ مشتملة على هذا التوحيد.

فانتظمت السورتان نوعي التوحيد وأخلصتا له، فكان ﷺ يفتتح بهما النهار في سنة الفجر، ويختتمه بهما في سنة المغرب.

وفي السنن «أنه كان يوتر بهما»

فيكونان خاتمة عمل الليل كما كانا خاتمة عمل النهار»(١).

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا سعادة لهم ولا فلاح ولا صلاح ولا نعيم إلا بأن يعرفوه ويعتقدوه، ويكون هو وحده غاية مطلوبهم، والتقرب إليه قرة عيونهم، فمتى فقدوا ذلك كانوا أسوأ حالًا من الأنعام، وكانت الأنعام أطيب عيشًا منهم في العاجل وأسلم عاقبة في الآجل»(٢).

❁ قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بين أن تقواه وطاعته سبب للفلاح والرحمة»(٣).

(١) التفسير القيم ص٥٩٤.
(٢) الصواعق المرسلة ١/ ٣٦٥ ـ ٣٦٧.
(٣) كتاب المداينة ص٢٦ ـ ٢٧.

المطلب السادس عشر

التوحيد سببٌ في حلول البركة

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف].

قال عبد الرحمٰن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «لمَّا ذكر ـ تعالى ـ أنَّ المكذِّبين للرسل يبتلون بالضَّرَّاء موعظة وإنذارًا، وبالسَّرَّاء استدراجًا ومكرًا، ذكر أن أهل القرى لو آمنوا بقلوبهم إيمانًا صادقًا صدقته الأعمال، واستعملوا تقوى الله ـ تعالى ـ ظاهرًا وباطنًا بترك جميع ما حرَّم الله ـ لفتح عليهم بركات السماء والأرض، فأرسل السماء عليهم مدرارًا، وأنبت لهم من الأرض ما به يعيشون وتعيش بهائمُهم، في أخصب عيش وأغزر رزق، من غير عناء ولا تعب، ولا كدٍّ ولا نَصَب، ولكنَّهم لم يؤمنوا ويتقوا: ﴿فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ بالعقوبات والبلايا ونزع البركات، وكثرة الآفات، وهي بعض جزاء أعمالهم، وإلَّا فلو آخذهم بجميع ما كسبوا، ما ترك عليها من دابة: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم]»[1].

المطلب السابع عشر

التوحيد سبب لتحقق الإيمان

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنفال].

---

(١) «تفسير السعدي» ص٢٩٨.

۞ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: «برئوا من الكفر»[(١)].

۞ عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رحمه الله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾ قال: «استحقوا الإيمان بحق، فأحقه الله لهم»[(٢)].

۞ قال مقاتل (ت: ١٥٠) رحمه الله: «حقًّا لا شك في إيمانهم»[(٣)].

۞ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: «قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾، يعني يقينًا، وفيه دليل على أنه ليس لكل أحد أن يصف نفسه بكونه مؤمنًا حقًّا، لأن الله تعالى إنما وصف بذلك قومًا مخصوصين على أوصاف مخصوصة، وكل أحد لا يتحقق وجود تلك الأوصاف فيه»[(٤)].

۞ قال أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) رحمه الله: قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝٤﴾ [الأنفال، الآية: ٢ ـ ٤].

لما تقدمت ثلاث صفات:

- قلبية وهي الوجل وزيادة الإيمان والتوكل.
- وبدنية.
- ومالية.

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة الأنفال، الآية: ٤)؛ وتفسير مكي بن أبي طالب (سورة الأنفال، الآية: ٤).
(٢) تفسير ابن أبي حاتم (سورة الأنفال، الآية: ٤).
(٣) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة الأنفال، الآية: ٤).
(٤) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة الأنفال، الآية: ٤).

ترتب عليها ثلاثة أشياء،

فقوبلت الأعمال القلبية بالدرجات،

والبدنية بالغفران، وقوبلت المالية بالرزق الكريم، وهذا النوع من المقابلة من بديع علم البديع. انتهى»[١].

۞ عن سعيد بن جبير (ت: ٩٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ قوله: ﴿دَرَجَٰتٍ﴾ «يعني: فضائل ورحمة»[٢].

۞ عن مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ قال: «أعمال رفيعة»[٣].

المطلب الثامن عشر

التوحيد يجعل النفوس سماوية علوية

۞ قال عبد الله بن محمد بن مغيث بن عبد الله الأنصاري: (ت: ٣٥٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «أوثق عملي في نفسي سلامة صدري، إني آوي إلى فراشي ولا يأوي إلى صدري غائلة لمسلم»[٤].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «النفوس ثلاثة:

نفس سماوية علوية: فمحبتها منصرفة إلى المعارف واكتساب الفضائل والكمالات الممكنة للإنسان، واجتناب الرذائل، وهي مشغوفة بما يقربها من الرفيق الأعلى وذلك قوتها وغذاؤها ودواؤها فاشتغالها بغيره هو داؤها.

---

(١) النهر من البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (سورة الأنفال، الآيات: ٢ ـ ٤).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (سورة الأنفال، الآية: ٤).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (سورة الأنفال، الآية: ٤).

(٤) الصلة لابن بشكوال ١/ ٢٣٧.

ونفس سبعية غضبية: فمحبتها منصرفة إلى القهر والبغي والعلو في الأرض والتكبر والرئاسة على الناس بالباطل فلذتها في ذلك وشغفها به.

ونفس حيوانية شهوانية: فمحبتها منصرفة إلى المأكل والمشرب والمنكح وربما جمعت الأمرين فانصرفت محبتها إلى العلو في الأرض والفساد كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص].

والحب في هذا العالم دائر بين هذه النفوس الثلاثة، فأي نفس منها صادفت ما يلائم طبعها استحسنته ومالت إليه ولم تصغ فيه لعاذل ولم تأخذها فيه لومة لائم»(١).

۞ قال الإمام ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالقلب الطاهر لكمال حياته ونوره وتخلصه من الأدران والخبائث لا يشبع من القرآن، ولا يتغذّى إلا بحقائقه، ولايتداوى إلا بأدويته»(٢).

المطلب التاسع عشر

التوحيد لا يقبل من قلب الموحد أن يكون لغير الله

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكما أن السماوات والأرض لو كان فيهما آلهة غيره سبحانه لفسدتا كما قال ـ تعالى ـ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء، الآية: ٢٢] فكذلك القلب إذا كان فيه معبود غير الله تعالى فسد فسادًا لا يرجى صلاحه إلا بأن يخرج ذلك المعبود

(١) روضة المحبين ١/٢٥٨.
(٢) إغاثة اللهفان ١/٥٥.

منه، ويكون الله تعالى وحده إلهه ومعبوده الذي يحبه ويرجوه ويخافه ويتوكل عليه وينيب إليه»[(١)].

المطلب العشرون

التوحيد زينة لصاحبه

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾.

قال الإمام أبو عبد الله الحسن بن الحسين الحليمي (ت: ٤٠٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «العبد كلما ازداد تأملًا للآيات؛ زادته هداية ودلالة، تقرَّبت بصيرته، وخلصت من الخواطر والهواجس عقيدته»[(٢)].

قال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمن أصلح سريرته فاح عبير فضله، وعبقت القلوب بنشر طيبه؛ فالله الله في إصلاح السرائر فإنه ما ينفع مع فسادها صلاح الظاهر»[(٣)].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٨﴾ [الحجرات].

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ فجعله أحب الأديان إليكم، ﴿وَزَيَّنَهُۥ﴾ حسنه، ﴿فِى قُلُوبِكُمْ﴾ حتى اخترتموه، وتطيعون رسول الله ﷺ ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ﴾ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ): يريد الكذب ﴿وَٱلْعِصْيَانَ﴾ جميع

---

(١) إغاثة اللهفان ١/ ٤٩.

(٢) المنهاج في شعب الإيمان ٢/ ٥٥١.

(٣) صيد الخاطر ص٢٨٧.

معاصي الله. ثم عاد من الخطاب إلى الخبر، وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾ المهتدون»[١].

۞ قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا خطاب للمؤمنين المخلصين الذين لا يكذبون النبي ﷺ ولا يخبرون بالباطل؛ أي: جعل الإيمان أحب الأديان إليكم، وزينه بتوفيقه في قلوبكم أي: حسنه إليكم حتى اخترتموه»[٢].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَهَذَا الْحسن وَالْجمال الَّذِي يكون عَن الْأَعْمَال الصَّالِحَة فِي الْقلب يسري إِلَى الْوَجْه، والقبح والشين الَّذِي يكون عَن الْأَعْمَال الْفَاسِدَة فِي الْقلب يسري إِلَى الْوَجْه كَمَا تقدم، ثمَّ إن ذَلِك يقوى بِقُوَّة الْأَعْمَال الصَّالِحَة والأعمال الْفَاسِدَة، فَكلما كثر الْبر وَالتَّقوى قوى الْحسن وَالْجمال، وَكلما قوي الْإِثْم والعدوان قوي الْقبْح والشين، حَتَّى ينْسَخ ذَلِك مَا كَانَ للصورة من حسن وقبح، فكم مِمَّن لم تكن صورته حَسَنَة، وَلَكِن من الْأَعْمَال الصَّالِحَة مَا عظم بِهِ جماله وبهاؤه حَتَّى ظهر ذَلِك على صورته، وَلِهَذَا ظهر ذَلِك ظهورًا بَينًا عِنْد الْإِصْرَار على القبائح فِي آخر الْعُمر عِنْد قرب الْمَوْت، فنرى وُجُوه أهل السّنة وَالطَّاعَة كلما كبروا ازْدَادَ حسنها وبهاؤها حَتَّى يكون أحدهم فِي كبره أحسن وأجمل مِنْهُ فِي صغره، ونجد وُجُوه أهل الْبِدْعَة وَالْمَعْصِيَة كلما كبروا عظم قبحها وشينها حَتَّى لَا يَسْتَطِيع النّظر إِلَيْهَا من كَانَ منبهرًا بهَا فِي حَال الصغر لجمال صورتهَا، وَهَذَا ظَاهر لكل أحَدٍ فِيمَن يعظم بدعته وفجوره مثل الرافضة وَأهل الْمَظَالِم وَالْفَوَاحِش من التّرْك وَنَحْوهم،

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة الحجرات، الآية: ٧).

(٢) تفسير القرطبي (سورة الحجرات، الآية: ٧).

فَإِن الرافضي كلما كبر قبح وَجهه وَعظم شينه حَتَّى يقوى شبهه بالخنزير وَرُبمَا مسخ خنزيرًا وقردًا كَمَا قد تَوَاتر ذَلِك عَنْهُ»[١].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: قال بعض السلف: «قوة المؤمن في قلبه، وضعفه في جسده، وقوة المنافق في جسمه، وضعفه في قلبه»[٢].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الجمال الذي للخُلُق، من العلم والإيمان والتقوى أعظم من الجمال الذي للخَلْق، وهو الصورة الظاهرة»[٣].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «خير الْقُلُوب مَا كَانَ واعيًا للخير ضابطا لَهُ، وَلَيْسَ كالقلب القاسي الَّذِي لا يقبله»[٤].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومما يدل على أن الجمال الباطن أحسن من الظاهر أن القلوب لا تنفك عن تعظيم صاحبه ومحبته والميل إليه»[٥].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الذِكر نورٌ للذاكر في الدنيا، ونورٌ له في قبره، ونورٌ له في معاده يسعى بين يديه على الصراط، فما استنارت القلوب والقبور بمثل ذكر الله، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾»[٦].

---

(١) الاستقامة ١/ ٣٦٥.
(٢) مجموع الفتاوى ٢/ ٣٩٤.
(٣) الاستقامة، لابن تيمية ١/ ٤٤١.
(٤) مفتاح دار السعادة ١/ ١٢٤.
(٥) روضة المحبين ١/ ٢٢٠.
(٦) الوابل الصيب ص٧٢.

۞ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «والله تعالى يحبب إليكم الإيمان، ويزينه في قلوبكم، بما أودع الله في قلوبكم من محبة الحق وإيثاره، وبما ينصب على الحق من الشواهد، والأدلة الدالة على صحته، وقبول القلوب والفطر له، وبما يفعله تعالى بكم، من توفيقه للإنابة إليه»(١).

۞ قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويهمنا هنا: أنه لا يتم تحقيق الإيمان وحبه في القلب حتى يخلو القلب من شوائب الكفر؛ لأن الكفر والإيمان لا يجتمعان أبدًا»(٢).

۞ قال الشيخ أبو بكر الجزائري (ت: ١٤٣٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «من أكبر النعم على المؤمن تحبيب الله تعالى الإيمان إليه وتزيينه في قلبه، وتكريه الكفر إليه والفسوق والعصيان وبذلك أصبح المؤمن أرشد الخلق بعد أصحاب رسول الله ﷺ»(٣).

۞ وفي الحديث: صلَّى عمَّارُ بنُ ياسرٍ بالقومِ صلاةً أخفَّها، فكأنَّهم أنْكروها! فقالَ: ألم أُتمَّ الرُّكوعَ والسُّجودَ؟ قالوا: بلى، قالَ أمَّا إنِّي دعوتُ فيها بدعاءٍ كانَ النَّبيُّ ﷺ يدعو بِهِ «**اللَّهمَّ بعِلمِكَ الغيبَ وقدرتِكَ على الخلقِ أحيِني ما علمتَ الحياةَ خيرًا لي وتوفَّني إذا علمتَ الوفاةَ خيرًا لي، وأسألُكَ خشيتَكَ في الغيبِ والشَّهادةِ، وَكلمةَ الإخلاصِ في الرِّضا والغضبِ، وأسألُكَ نعيمًا لَا ينفدُ، وقرَّةَ عينٍ لَا تنقطعُ، وأسألُكَ الرِّضاءَ بالقضاءِ، وبردَ العيشِ بعدَ الموتِ، ولذَّةَ النَّظرِ إلى وجْهِكَ، والشَّوقَ إلى لقائِكَ، وأعوذُ بِكَ من ضرَّاءَ مُضرَّةٍ وفتنةٍ مضلَّةٍ؛ اللَّهمَّ زيِّنَّا**

(١) تفسير ابن سعدي (سورة الحجرات، الآية: ٧).
(٢) تفسير أضواء البيان (سورة الحجرات، الآية: ٧).
(٣) أيسر التفاسير (سورة الحجرات، الآية: ٧).

بزينةِ الإيمانِ واجعَلنا هداةً مُهتدين»[١].

۞ قال عبد الله بن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما في بيان معانٍ من هذه الزينة: «إن للحسنة ضياءً في الوجه، ونورًا في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق»[٢].

۞ قال بعض الحكماء: «ينبغي للعبد أن ينظر كل يوم في المرآة، فإن رأى صورته حسنة؛ لم يشنها بقبيح فعله، وإن رآها قبيحة؛ لم يجمع بين قبح الصورة، وقبح الفعل»[٣].

۞ قال الإمام ابن رجب الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ) رحمه الله في شرح حديث النبي ﷺ: «**اللّهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهديين**»: «أما زينة الإيمان؛ فالإيمان قول وعمل ونية؛ فزينة الإيمان تشمل زينة القلب بتحقيق الإيمان له، وزينة اللسان بأقوال الإيمان، وزينة الجوارح بأعمال الإيمان»[٤].

فللإيمان زينة جميلة لصاحبه في الدنيا والآخرة، ولن يبدو صاحبه جميلًا بدونه، وهذه الزينة يهبها الله - تعالى - لمن يشاء من عباده، ويضاعفها عليهم، ويقذفها في قلوبهم.

والزينة زينتان: زينة البدن وزينة القلب «وهي أعظمها»، وإذا حصلتْ فيرد به مَن يعاملهم مِن الناس، فيعظِّم ما عظَّمه الله

---

(١) أخرجه النسائي (١٣٠٥)، وأحمد (١٨٣٥١) باختلاف يسير.

(٢) روضة المحبين لابن القيم ص٤٤١. ونسبه ابن القيم في روضة المحبين ص٤٤١ لأنس بن مالك، وابن عباس رضي الله عنهم،
وجاء مسندًا عند ابن أبي شيبة في المصنف ٧/ ١٨٧ عن الحسن البصري، وفي حلية الأولياء ٦/ ٢٨٧ عن مالك بن دينار رحمهم الله.

(٣) روضة المحبين لابن القيم ص٢٢٣.

(٤) شرح حديث عمار بن ياسر ص٤٨.

ومَن يعظمه الله، ويحقِّر ما حقره الله ومَن حقره الله.

فمن زينة الإيمان ما يجعله الله ﷻ في القلب، وهي البصيرة التي يلقيها الله ﷻ في قلب العبد حتى يبصر حقائق الوجود، ويعرف ما تئول إليه هذه الحياة ويتعظ بمن مضى، ويتذكر ما هو مقبل عليه من الآخرة.

المطلب الواحد والعشرون

التوحيد طهر لصاحبه

قال - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة].

قال سعيد بن جبير (ت: ٩٥هـ): «التوابين من الشرك والمتطهرين من الذنوب»[1].

قال مقاتل بن حيان (ت: في حدود ١٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يحب التوابين من الذنوب والمتطهرين من الشرك»[2].

وقال - تعالى -: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة].

قال طلق بن حَبيب (ت: قبل سنة ١٠٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن حقوق الله تعالى أعظم من أن يقوم بها العباد، وإن نعم الله أكثر من أن تحصى،

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة البقرة. الآية: ٢٢٢).

(٢) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة البقرة. الآية: ٢٢٢).

ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين»(١).

❁ قال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المؤمن على طهارة التوحيد من يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف، الآية: ١٧٢]، غير أنه لما خالط أوساخ الهوى تدنست ثياب معاملته، وليس لها تنظف إلا بماء العلم في بيت العزلة»(٢).

❁ قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ): «قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء، الآية: ٧٠]، فإذا كان الأصل فيه كونه مكرمًا، كان كونه مطهرًا على وفق الأصل، وكونه منسجمًا على خلاف الأصل، ثم إنا رأينا الإنسان متى أشرك صار نجسًا، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة، الآية: ٢٨]، فإذا كان الشرك يقتضي كونه نجسًا مع ذلك خلاف الأصل، فكونه موحدًا بأن يقتضي كونه طاهرًا أولى، لأنه على وفق الأصل. وإذا ثبت أن الموحد كامل في كونه طاهرًا وجب أن يكون من خواص الله تعالى، لقوله: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ [النور، الآية: ٢٦]»(٣).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإذا كان ورقه لا يمسه إلا المطهرون فمعانيه لا يهتدي بها إلا القلوب الطاهرة. وإذا كان المَلَك لا يدخل بيتًا فيه كلب، فالمعاني التي تحبها الملائكة لا تدخل قلبًا فيه أخلاق الكلاب المذمومة»(٤).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فنجد كثيرًا من المتفقهة

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ٦٥.
(٢) كتاب اللطائف ص٢٩.
(٣) عجائب القرآن ص٤٤ ـ ٤٥.
(٤) مجموع الفتاوى ٥/ ٥٥٢.

والمتعبدة، إنما همته طهارة البدن فقط، ويزيد فيها على المشروع اهتمامًا وعملًا، ويترك من طهارة القلب ما أمر به إيجابًا، أو استحبابًا، ولا يفهم من الطهارة إلا ذلك. ونجد كثيرا من المتصوفة والمتفقرة، إنما همته طهارة القلب فقط؛ حتى يزيد فيها على المشروع اهتمامًا وعملًا، ويترك من طهارة البدن ما أمر به إيجابًا، أو استحبابًا.

فالأولون يخرجون إلى الوسوسة المذمومة في كثرة صب الماء، وتنجيس ما ليس بنجس، واجتناب ما لا يشرع اجتنابه مع اشتمال قلوبهم على أنواع من الحسد والكبر والغل لإخوانهم، وفي ذلك مشابهة بينة لليهود.

والآخرون يخرجون إلى الغفلة المذمومة؛ فيبالغون في سلامة الباطن حتى يجعلون الجهل بما تجب معرفته من الشر ـ الذي يجب اتقاؤه ـ من سلامة الباطن، ولا يفرقون بين سلامة الباطن من إرادة الشر المنهي عنه، وبين سلامة القلب من معرفة الشر المعرفة المأمور بها ثم مع هذا الجهل والغفلة قد لا يجتنبون النجاسات، ويقيمون الطهارة الواجبة مضاهاة للنصارى.

وتقع العداوة بين الطائفتين بسبب ترك حظ مما ذكروا به والبغي الذي هو مجاوزة الحد إما تفريطًا وتضييعًا للحق، وإما عدوانًا وفعلًا للظلم. والبغي تارة يكون من بعضهم على بعض وتارة يكون في حقوق الله، وهما متلازمان»[1].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «دلت الآية بإشارتها وإيمائها على أنه لا يدرك معانيه ولا يفهمه إلا القلوب الطاهرة، وحرامٌ على

(١) مجموع الفتاوى ١/ ١٥ ـ ١٦.

القلب المتلوث بنجاسة البدع والمخالفات أن ينال معانيَه، وأن يفهمه كما ينبغي»[(١)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الطهر طهران: طهر بالماء من الأحداث والنجاسات، وطهر بالتوبة من الشرك والمعاصي»[(٢)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «للمعاصي أعظم تأثير في محق بركة العمر والرزق والعلم والعمل؛ فكل وقت عصيت الله فيه، أو مال عصي الله به، أو بدن، أو جاه، أو علم، أو عمل، فهو على صاحبه، ليس له، فليس عمره وماله وقوته وجاهه وعلمه وعمله إلا ما أطاع الله به»[(٣)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذِكرُ الله، والإقبالُ عليه، والإنابةُ إليه، والفزعُ إلى الصلاة، كم قد شُفِيَ به من عليلٍ، وكم قد عُوفِيَ به من مريض»[(٤)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن كانت شيمته التوبة والاستغفار؛ فقد هُدي لأعظم الشيم»[(٥)].

۞ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «من أسباب دواعي الإيمان: الإكثار من ذكر الله كل وقت، ومن الدعاء الذي هو مخ العبادة؛ فإن الذكر لله يغرس شجرة الإيمان في القلب، ويغذيها وينميها»[(٦)].

---

(١) التبيان في أيمان القرآن ٢٣.
(٢) بدائع الفوائد ١٣٥.
(٣) الجواب الكافي ١/ ٢٠٣.
(٤) مفتاح دارالسعادة ١/ ٢٥٠.
(٥) إغاثة اللهفان ٢/ ٩٥٤.
(٦) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ص٧٨.

المطلب الثاني والعشرون

أهل التوحيد أبعد الناس عن التلبس بالنجاسات

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نجاسة الزنا واللواط أغلظ من غيرهما من النجاسات، من جهة أنها تفسد القلب، وتضعف توحيده جدًّا، ولهذا كان أحظى الناس بهذه النجاسة أكثرهم شركًا، فكلما كان الشرك في العبد أغلب كانت هذه النجاسة والخبائث فيه أكثر، وكلما كان أعظم إخلاصًا كان منها أبعد، كما قال - تعالى - عن يوسف الصديق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف]»[(١)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النجاسة تارة تكون محسوسة ظاهرة، وتارة تكون معنوية باطنة فيغلب على الروح والقلب الخبث والنجاسة، حتى إن صاحب القلب الحي ليشم من تلك الروح والقلب رائحة خبيثة يتأذى بها، كما يتأذى من يشم رائحة النتن، ويظهر ذلك كثيرًا في عرقه، حتى ليوجد لرائحة عرقه نتن، فإن نتن الروح والقلب يتصل بباطن البدن أكثر من ظاهره، والعرق يفيض من الباطن»[(٢)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكلما قوي شرك العبد بلي بعشق الصور، وكلما قوي توحيده صرف ذلك عنه»[(٣)].

---

(١) إغاثة اللهفان ١/ ٦٤.
(٢) إغاثة اللهفان ١/ ٦٠.
(٣) إغاثة اللهفان ١/ ٦٤.

المطلب الثالث والعشرون

التوحيد سعادة لصاحبه

۞ قال ابن حزم (ت: ٣٨٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «كل أملٍ ظفرت به فعقباه حزنٌ؛ إما بذهابه عنك وإما بذهابك عنه، ولابد من أحد هذين السبيلين.

إلا العمل لله عَزَّ وَجَلَّ، فعقباه على كل حال سرور في عاجل وآجل؛ أما في العاجل، فقلة الهم بما يهتم به الناس، وأنك به معظم من الصديق والعدو، وأما في الآجل فالجنة»[(١)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «والقرآن كله مملوء من تحقيق هذا التوحيد والدعوة إليه، وتعليق النجاة والفلاح، واقتضاء السعادة في الآخرة به»[(٢)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «في القرآن في مواضع يبين أن الرسل أمروا بعبادة الله وحده لا شريك له ونهوا عن عبادة شيء من المخلوقات سواه، وأن أهل السعادة هم أهل التوحيد، وأن المشركين هم أهل الشقاوة، ويبين أن الذين لم يؤمنوا بالرسل مشركون؛ فعلم أن التوحيد والإيمان بالرسل متلازمان، وكذلك الإيمان باليوم الآخر فالثلاثة متلازمة»[(٣)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وليس للقلوب سرور ولذة تامة إلا في محبة الله تعالى، والتقرب إليه بما يحبه، ولا تتم محبة الله إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه، وهذا حقيقة لا إله إلا الله»[(٤)].

---

(١) الأخلاق والسير ٧٥.
(٢) منهاج السنة ٥/ ٣٤٧.
(٣) مجموع الفتاوى (١٨/ ٥٥ ـ ٥٦).
(٤) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٣٢.

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالغاية الحميدة التي بها يحصل كمال بني آدم وسعادتهم ونجاتهم عبادة الله وحده، وهي حقيقة قول القائل: لا إله إلا الله، ولهذا بعث الله جميع الرسل، وأنزل جميع الكتب، ولا تصلح النفس وتزكو وتكمل إلا بهذا، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿...وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت، الآية: ٦، ٧]؛ أي: لا يؤتون ما تزكو به نفوسهم من التوحيد، والإيمان. وكل من لم يحصل له هذا الإخلاص لم يكن من أهل النجاة والسعادة كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء، الآية: ٤٨]»[1].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلا حياة للقلوب ولا نعيم ولا سرور ولا أمان ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها ويكون أحب إليها مما سواه، والإنسان بدون الإيمان بالله لا يمكنه أن ينال معرفة ولا هداية، وبدون اهتدائه إلى ربه لا يكون إلا شقيًّا معذبًا كما هو حال الكافرين.

فالله تبارك خلق هذا الإنسان وركبه من الجسد والروح وشاء أن يكون خلق الجسد من التراب، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الحج، الآية: ٥] وجعل قوام الجسد وحياته من التراب، فهو يأكل ويشرب ويكتسي من الأرض وما فيها، وجعل في هذا الجسد الروح، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر، الآية: ٢٩] وشاء أن يكون قوام هذه الروح وحياتها في معرفة الله وعبادته، فلا شيء أطيب للعبد ولا ألذ ولا أهنأ ولا أنعم لقلبه وعيشه من محبة فاطره وباريه ودوام ذكره والسعي في مرضاته، لذلك فإن من في قلبه أدنى حياة أو محبة لربه وإرادة لوجهه وشوق إلى لقائه، فطلبه لهذا الباب وحرصه على معرفته

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٦/ ٢٩.

وازدياده من التبصر فيه، وسؤاله واستكشافه عنه هو أكبر مقاصده وأعظم مطالبه وأجل غاياته، فهذا هو الكمال الذي لا كمال للعبد بدونه، وله خلق الخلق، ولأجله نزل الوحي، وأرسلت الرسل وقامت السمٰوات والأرض، ووجدت الجنة والنار، ولأجله شرعت الشرائع، وأسست الملة، ونصبت القبلة، وهو قطب رحى الخلق والأمر الذي مدارهما عليه.

وهو بحق أفضل ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدركته العقول، وليست القلوب الصحيحة والنفوس المطمئنة إلى شيء من الأشياء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر ولا فرحها بشيء أعظم من فرحها بالظفر بمعرفة الحق فيه»[(١)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «السعادة في معاملة الخلق: أن تعاملهم لله فترجو الله فيهم، ولا ترجوهم في الله، وتخافه فيهم، ولا تخافهم في الله، وتحسن إليهم رجاء ثواب الله، لا لمكافأتهم، وتكف عن ظلمهم خوفًا من الله، لا منهم»[(٢)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يزول فقر العبد وفاقته إلا بالتوحيد، وإذا حصل مع التوحيد الاستغفار؛ حصل للعبد غناه، وسعادته، وزال عنه ما يعذبه»[(٣)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «من أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية»[(٤)].

---

(١) الفتوى الحموية ص٢٨ ـ ٢٩.
(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٥١.
(٣) مجموع الفتاوى ١/ ٥٩.
(٤) مدارج السالكين ١/ ٤٣١.

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو أكبر من كل شيء، وهو المستحق للتحميد والتنزيه، هو متصف بذلك كله في نفس الأمر. فالعباد لا يثبتون له بكلامهم شيئًا لم يكن ثابتًا له، بل المقصود بكلامهم تحقيق ذلك في أنفسهم، فإنهم يسعدون السعادة التامة، إذا صار أحدهم ليس في نفسه إلٰه إلا الله خلص من شرك المشركين»(١).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَمَّا الْحُزْنُ فَلَمْ يَأْمُرْ اللهُ بِهِ وَلَا رَسُولُهُ بَلْ قَدْ نَهَى عَنْهُ فِي مَوَاضِعَ وَإِنْ تَعَلَّقَ بِأَمْرِ الدِّينِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [آل عمران: ١٣٩]، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يس: ٧٦]، ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

وَذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَا فَائِدَةَ فِيهِ وَمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ لَا يَأْمُرُ اللهُ بِهِ، نَعَمْ وَلَا يَأْثَمُ بِهِ صَاحِبُهُ إذَا لَمْ يَقْتَرِنْ بِحُزْنِهِ مُحَرَّمٌ، وَقَدْ يَقْتَرِنُ الْحُزْنُ بِمَا يُثَابُ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ وَيُحْمَدُ عَلَيْهِ فَيَكُونُ مَحْمُودًا مِنْ تِلْكَ الْجِهَةِ لَا مِنْ جِهَةِ الْحُزْنِ، كَالْحَزِينِ عَلَى مُصِيبَةٍ فِي دِينِهِ وَعَلَى مَصَائِبِ الْمُسْلِمِينَ عُمُومًا، فَهَذَا يُثَابُ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ مَا فِي قَلْبِهِ مِنْ حُبِّ الْخَيْرِ وَبُغْضِ الشَّرِّ وَتَوَابِعِ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْحُزْنَ عَلَى ذَلِكَ إذَا أَفْضَى إلَى تَرْكِ مَأْمُورٍ مِنْ الصَّبْرِ وَالْجِهَادِ وَجَلْبِ مَنْفَعَةٍ وَدَفْعِ مَضَرَّةٍ نُهِيَ عَنْهُ وَإِلَّا كَانَ حَسْبُ صَاحِبِهِ رَفْعَ الْإِثْمِ عَنْهُ مِنْ جِهَةِ الْحُزْنِ، وَأَمَّا إذَا أَفْضَى إلَى ضَعْفِ الْقَلْبِ وَاشْتِغَالِهِ بِهِ عَنْ فِعْلِ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ كَانَ مَذْمُومًا وَمَرْدُودًا عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ الْجِهَةِ وَإِنْ كَانَ مَحْمُودًا مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى»(٢).

(١) جامع المسائل لابن تيمية ٣/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩.
(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية ٢/ ٢٧٧.

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سر عظيم من أسرار التوحيد، وهو أن القلب لا يستقر ولا يطمئن ويسكن إلا بالوصول إليه، وكل ما سواه مما يحب ويراد فمراد لغيره، وليس المراد المحبوب لذاته إلا واحدًا إليه المنتهى، ويستحيل أن يكون المنتهى إلى اثنين كما يستحيل أن يكون ابتداء المخلوقات من اثنين، فمن كان انتهاء محبته ورغبته وإرادته وطاعته إلى غيره بطل عليه ذلك، وزال عنه وفارقه أحوج ما كان إليه، ومن كان انتهاء محبته ورغبته ورهبته وطلبه هو سبحانه ظفر بنعمه ولذته وبهجته وسعادته أبد الآباد»[١].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وملاك النجاة والسعادة والفوز بتحقيق التوحيدين اللذين عليهما مدار كتب الله تعالى، وبتحقيقهما بعث الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ رسله عليهم الصلاة والسلام وإليهما رغب الرسل صلوات الله وسلامه عليهم كلهم، من أولهم إلى آخرهم.

أحدهما: التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي المتضمن إثبات صفات الكمال لله تعالى، وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل، وتنزيهه عن صفات النقص.

والتوحيد الثاني: عبادته وحده لا شريك له، وتجريد محبته والإخلاص له وخوفه ورجاؤه والتوكل عليه والرضى به ربًا وإلهًا ووليًا، وأن لا يجعل له عدلًا في شيء من الأشياء.

وقد جمع تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هذين النوعين من التوحيد في سورتي الإخلاص وهما: سورة ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ المتضمنة للتوحيد العملي الإرادي، وسورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ المتضمنة للتوحيد الخبري العلمي.

---

(١) الفوائد ص٢٠٢.

فسورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ فيها بيان ما يجب لله تعالى من صفات الكمال، وبيان ما يجب تنزيهه من النقائص والأمثال، وسورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ①﴾ فيها إيجاب عبادته وحده، والتبري من عبادة كل ما سواه.

ولا يتم أحد التوحيدين إلا بالآخر، ولهذا كان النبي ﷺ يقرأ بهاتين السورتين في سنة الفجر والوتر، اللتين هما فاتحة العمل وخاتمته، ليكون مبدأ النهار توحيدًا وخاتمته توحيدًا»(١).

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالنعمة المطلقة: هي المتصلة بسعادة الأبد، وهي نعمة الإسلام والسنة، وهي النعمة التي أمرنا الله سبحانه أن نسأله في صلواتنا؛ أن يهدينا صراط أهلها ومن خصهم بها وجعلهم أهل الرفيق الأعلى، حيث يقول تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ⑥٩﴾ [النساء]. فهؤلاء الأصناف الأربعة هم أهل هذه النعمة المطلقة، وأصحابها»(٢).

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن كان انتهاء محبته ورغبته ورهبته وطلبه هو سبحانه ظفر بنعمه ولذته وبهجته وسعادته أبد الآباد»(٣).

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا سعادة لهم ولا فلاح ولا صلاح ولا نعيم إلا بأن يعرفوه ويعتقدوه، ويكون هو وحده غاية مطلوبهم، والتقرب إليه قرة عيونهم، فمتى فقدوا ذلك كانوا أسوأ حالًا

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية ١/ ٨٤ ـ ٨٦.
(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية ١/ ٣.
(٣) الفوائد: ص٢٠٢.

من الأنعام، وكانت الأنعام أطيب عيشًا منهم في العاجل وأسلم عاقبة في الآجل»[١].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالغاية الحميدة التي يحصل بها كمال بني آدم وسعادتهم ونجاحهم هي معرفة الله ومحبته وعبادته وحده لا شريك له، وهي حقيقة قول العبد لا إله إلا الله، وبها بعث الرسل ونزلت جميع الكتب، ولا تصلح النفس ولا تزكو ولا تكمل إلا بذلك»[٢].

۞ قال حافظ بن أحمد حكمي (ت: ١٣٧٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هي سبيل السعادة في الدارين؛ أي طريقهما لا وصول إليهما إلا بهذه الكلمة»[٣].

المطلب الرابع والعشرون

أهل التوحيد أحق الناس برحمته

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأحق الناس برحمته: هم أهل التوحيد والإخلاص له، فكل من كان أكمل في تحقيق إخلاص «لا إلٰه إلا الله» علمًا وعقيدة وعملًا وبراءة وموالاة ومعاداة: كان أحق بالرحمة»[٤].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ

---

(١) الصواعق المرسلة ١/ ٣٦٥ ـ ٣٦٧.
(٢) مفتاح دار السعادة ٢/ ١٢٠.
(٣) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد لحافظ الحكمي. ص٢٢١.
(٤) مجموع الفتاوى ١٤/ ٤١٤.

﴿يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ۝١٨﴾ [التوبة]: «بين أنما يعمرها من آمن بالله، واليوم الآخر، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، ولم يخش إلا الله، وهذه صفة أهل التوحيد وإخلاص الدين لله، الذين لا يخشون إلا الله، ولا يرجون سواه، ولا يستعينون إلا به، ولا يدعون إلا إياه»(١).

المطلب الخامس والعشرون

التوحيد يجعل المؤمن ينطق بالحكمة

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر].

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول تعالى ذكره: أفمن فَسَح الله قلبه لمعرفته، والإقرار بوحدانيته، والإذعان لربوبيته، والخضوع لطاعته ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ يقول: فهو على بصيرة مما هو عليه ويقين، بتنوير الحقّ في قلبه، فهو لذلك لأمر الله متبع، وعما نهاه عنه منته فيما يرضيه، كمن أقسى الله قلبه، وأخلاه من ذكره، وضيّقه عن استماع الحق، واتّباع الهدى، والعمل بالصواب؟ وترك ذكر الذي أقسى الله قلبه»(٢).

قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۗ يَهْدِى ٱللَّهُ

---

(١) مجموع الفتاوى ١٧/ ٤٩٩.
(٢) تفسير جامع البيان عن تأويل القرآن للطبري (سورة الزمر، الآية: ٢٢).

لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٣٥﴾ [النور].

۞ قال سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (ت: ٧١٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النفس إذا استعدت لقبول العيان بالعلوم النظرية صارت كسراج فيه ذبالة مرواة بالزيت، فإذا أشرقت عليها أنوار المعرفة أوقدتها فعادت كمشكاة فيها مصباح»[1].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال ـ تعالى ـ: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور، الآية: ٣٥]، قال بعض السلف في الآية: هو المؤمن ينطق بالحكمة وإن لم يسمع فيها بأثر فإذا سمع بالأثر كان نورًا على نور. نور الإيمان الذي في قلبه يطابق نور القرآن كما أن الميزان العقلي يطابق الكتاب المنزل؛ فإن الله أنزل الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط. وقد يؤتى العبد أحدهما ولا يؤتى الآخر»[2].

۞ قال أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٨٨٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ يوجب النور والهداية والاطمئنان في النفوس الطاهرة الروحانيَّة، ويوجب القَسْوَة والبعد عن الحقّ في النفوس الخبيثة الشَّيْطَانِيَّة»[3].

المطلب السادس والعشرون

التوحيد واعظ الله في قلب كل مؤمن

۞ عن النواس عن النبي ﷺ أنه قال: «ضرب الله مثلًا صراطًا

---

(١) الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية ص٣٨٥.
(٢) مجموع الفتاوى ١٥/ ٤٧٥.
(٣) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (الزمر: ٢٢).

مستقيمًا، وعلى جنبتي الصراط سوران، وفي السورين أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة، وداع يدعو على رأس الصراط وداع يدعو من فوق الصراط؛ فالصراط المستقيم هو الإسلام، والستور حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله فإذا أراد العبد أن يفتح بابًا من تلك الأبواب ناداه المنادي ـ أو كما قال ـ يا عبد الله لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه، والداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مؤمن».

۞ قال أبو العالية (ت: ٩٣هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «يأتي على الناس زمان تخرب صدورهم من القرآن، ولا يجدون له حلاوة ولا لذاذة، إن قصروا عما أمروا به قالوا: إن الله غفور رحيم! وإن عملوا بما نهوا عنه قالوا: سيغفر لنا؛ إنا لم نشرك بالله شيئًا!! أمرهم كله طمع ليس معه صدق، يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب، أفضلهم في دينه المداهن»(١).

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «فقد بين أن في قلب كل مؤمن واعظًا، والوعظ الأمر والنهي بترغيب وترهيب؛ فهذا الأمر والنهي الذي يقع في قلب المؤمن مطابق لأمر القرآن ونهيه، ولهذا يقوى أحدهما بالآخر»(٢).

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «القلبُ في سيره إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بمنزلة الطَّائر، فالمحبَّة رأسه، والخوف والرَّجاء جناحاه، فمتى سلِم الرَّأس والجناحان، فالطائر جيِّدُ الطيران، ومتى قطع الرأس، مات الطائر، ومتى فقد الجناحان، فهو عرضة لكل صائدٍ وكاسر»(٣).

---

(١) الزهد للإمام أحمد الأثر (١٧١٤) ص٢٤٥.
(٢) مجموع الفتاوى ١٥/ ٤٧٥.
(٣) مدارج السالكين ١/ ٥١٤.

المطلب السابع والعشرون

التوحيد يدعو إلى محبة الله

۞ عن عائشة (ت: ٥٨هـ) رضي الله عنها؛ أن النبي ﷺ بعث رجلًا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته، فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، فلما رجعوا؛ ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «**سلوه: لأي شيء يصنع ذلك؟**». فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمٰن، وأنا أحب أن أقرأ بها. فقال النبي ﷺ: «**أخبروه أن الله يحبه**»[1].

۞ عن أنس بن مالك (ت: ٩٠هـ) رضي الله عنه قال: كانَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصارِ يَؤُمُّهُمْ في مَسْجِدِ قُباءٍ، وكانَ كُلَّما افْتَتَحَ سُورَةً يَقْرَأُ بها لهمْ في الصَّلَاةِ ممَّا يَقْرَأُ به افْتَتَحَ: بقُلْ هو اللهُ أحَدٌ حتَّى يَفْرُغَ مِنْها، ثُمَّ يَقْرَأُ سُورَةً أُخْرَى معها، وكانَ يَصْنَعُ ذلكَ في كُلِّ رَكْعَةٍ، فَكَلَّمَهُ أصْحابُهُ، فقالوا: إنَّكَ تَفْتَتِحُ بهذِه السُّورَةِ، ثُمَّ لا تَرَى أنَّها تُجْزِئُكَ حتَّى تَقْرَأَ بأُخْرَى، فإمَّا تَقْرَأُ بها وإمَّا أنْ تَدَعَها، وتَقْرَأَ بأُخْرَى فقالَ: ما أنا بتارِكِها، إنْ أحْبَبْتُمْ أنْ أؤُمَّكُمْ بذلك فَعَلْتُ، وإنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ، وكانُوا يَرَوْنَ أنَّه مِن أفْضَلِهِمْ، وكَرِهُوا أنْ يَؤُمَّهُمْ غَيْرُهُ، فَلَمَّا أتاهُمُ النبيُّ ﷺ أخْبَرُوهُ الخَبَرَ، فقالَ: «**يا فُلَانُ، ما يَمْنَعُكَ أنْ تَفْعَلَ ما يَأْمُرُكَ به أصْحابُكَ، وما يَحْمِلُكَ علَى لُزُومِ هذِه السُّورَةِ في كُلِّ رَكْعَةٍ**» فقالَ: إنِّي أُحِبُّها، فقالَ: «**حُبُّكَ إيَّاها أدْخَلَكَ الجَنَّةَ**»[2].

---

(١) رواه البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣).

(٢) أخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم (٧٧٤)، وأخرجه موصولًا الترمذي (٢٩٠١).

۞ قال الصحابي الجليل أبو الدرداء (ت: ما بين ٣٢ ـ ٣٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن شئتم لأُقسمنَّ لكم؛ إنَّ أحب العباد إلى الله: الذين يحبُّون الله، ويحببون الله إلى عباده»[(١)].

۞ قال الربيع بن أنس (ت: ١٣٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «علامة حب الله: كثرة ذكره، فإنك لا تحب شيئًا إلا أكثرت من ذكره»[(٢)].

۞ قال إبراهيم الحربي (ت: ٢٥٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: سمعت أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «إن أحببت أن يدوم الله لك على ما تحب فدم له على ما يحب»[(٣)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وليس للقلوب سرور ولذة تامة إلا في محبة الله تعالى، والتقرب إليه بما يحبه، ولا تتم محبة الله إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه، وهذا حقيقة لا إلٰه إلا الله»[(٤)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَمن كَانَ الله يُحِبهُ اسْتَعْملهُ فِيمَا يُحِبهُ، ومحبوبه لَا يفعل مَا يبغضه الحق ويسخطه من الكفْر والفسوق والعصيان»[(٥)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «العبادة تتضمن: كمال الحب، وكمال التعظيم، وكمال الرجاء، والخشية، والإجلال، والإكرام»[(٦)].

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة (٣٤٦٠٣).
(٢) مدارج السالكين ٢/ ١٦٣.
(٣) البداية والنهاية ١٠/ ٣٦٣.
(٤) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٣٢.
(٥) العبودية ١/ ١١٣.
(٦) مجموع الفتاوى ١٠/ ٤٨٨.

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومحبة التوحيد إنما تكون لله وحده على متابعة رسوله؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران، الآية: ٣١]، فلهذا يكون أهل الاتباع فيهم جهاد ونية في محبتهم؛ يحبون لله ويبغضون له، وهم على ملة إبراهيم والذين معه ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة، الآية: ٤]، وأولئك محبتهم فيها شرك وليسوا متابعين للرسول ولا مجاهدين في سبيل الله فليست هي المحبة الإخلاصية؛ فإنها مقرونة بالتوحيد»(١).

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالمحب الصادق: إن نطق نطق لله وبالله، وإن سكت سكت لله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فسكونه استعانة على مرضاة الله، فهو لله وبالله ومع الله»(٢).

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن كان انتهاء محبته ورغبته ورهبته وطلبه هو سبحانه ظفر بنعمه ولذته وبهجته وسعادته أبد الآباد»(٣).

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الحديد إذا لم يستعمل غشيه الصدأ حتى يفسده، كذلك القلب إذا عطل من حب الله والشوق إليه وذكره غلبه الجهل حتى يميته ويهلكه»(٤).

(١) مجموع الفتاوى ١٥/ ٦١٤.
(٢) مفتاح دار السعادة ١/ ٤٥٣.
(٣) الفوائد ص٢٠٢.
(٤) روضة المحبين ١/ ١٦٦.

المطلب الثامن والعشرون

التوحيد حامل على تعظيم الله والحياء منه

قال ـ تعالى ـ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ⑬﴾ [نوح].

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «لا تعظمون الله حق عظمته؛ أي: لا تخافون من بأسه ونقمته»[(١)].

قال الحسن البصري (ت: ١١٠هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «ما لكم لا تعرفون لله حقًّا ولا تشكرون له نعمة[(٢)].

قال قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رَحِمَهُ اللهُ: ما لكم لا ترجون لله عاقبة؛ كأن المعنى ما لكم لا ترجون لله عاقبة الإيمان.

قال وهب بن كيسان (ت: ١٢٧هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «ما لكم لا ترجون في عبادة الله وطاعته أن يثيبكم على توقيركم خيرًا»[(٣)].

قال ابن زيد (ت: ١٨٢هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «ما لكم لا تؤدون لله طاعة»[(٤)].

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ): «معنى ذلك: ما لكم لا تخافون لله عظمة»[(٥)].

قال أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني (ت: ٣٢٢هـ) رَحِمَهُ اللهُ: إن

---

(١) تفسير ابن كثير (سورة نوح، الآية: ١٣).
(٢) تفسير القرطبي (سورة نوح، الآية: ١٣).
(٣) تفسير القرطبي (سورة نوح، الآية: ١٣).
(٤) تفسير القرطبي (سورة نوح، الآية: ١٣).
(٥) تفسير الطبري (سورة نوح، الآية: ١٣).

الوقار الثبات لله عَجَلَّ؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب]؛ أي: اثبتن؛ ومعناه ما لكم لا تثبتون وحدانية الله تعالى وأنه إلهكم لا إله لكم سواه»[1].

۞ قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «والوقار: العظمة، والتوقير: التعظيم، وقيل: ما لكم لا توحدون الله؛ لأن من عظمه فقد وحده»[2].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن عظمة الله تعالى وجلاله في قلب العبد يقتضي تعظيم حرماته، وتعظيم حرماته يحول بينه وبين الذنوب والمتجرئون على معاصيه ما قدروه حق قدره»[3].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «من وقارِهِ أن يستحي منه في الخلوة أعظم مما يستحي من أكابر النّاس»[4].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: قال بعض السلف: «أكبر الكبائر الأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله»[5].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «على قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالى في القلب، وأعرف الناس به: أشدهم له تعظيمًا وإجلالًا»[6].

---

(١) تفسير القرطبي (سورة نوح، الآية: ١٣).
(٢) تفسير القرطبي (سورة نوح، الآية: ١٣).
(٣) الجواب الكافي لابن القيم ص١٣٤.
(٤) الفوائد ص١٨٨.
(٥) الفوائد ص١٧٩.
(٦) مدارج السالكين ٣/ ٤٦٣.

۞ قال محمد بن مفلح (ت: ٧٦٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ اللهَ بِحَمْدِهِ نَزَّهَ الْإِسْلَامَ عَنْ كُلِّ قَبِيحَةٍ، وَأَكْرَمَهُ عَنْ كُلِّ رَذِيلَةٍ وَرَفَعَهُ عَنْ كُلِّ دَنِيئَةٍ، وَشَرَّفَهُ بِكُلِّ فَضِيلَةٍ، وَجَعَلَ سِيمَا أَهْلِهِ الْوَقَارَ وَالسَّكِينَةَ»(١).

۞ قال محمد بن أحمد السفاريني (ت: ١١٨٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإذا رأيت إنسانًا لا يبالي بما أصابه في دينه؛ من ارتكاب الذنوب، وفوات الجمعة والجماعة، وأوقات الطاعات؛ فاعلم أنه ميت لا يحس بألم المصيبة، فإنك لا تُسمع الموتى»(٢).

۞ قال عبد الرحمٰن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣﴾ [نوح]: «أي: لا تخافون لله عظمة، وليس لله عندكم قدر»(٣).

المطلب التاسع والعشرون

التوحيد هو السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة، يدفع الله به العقوبات في الدارين، ويبسط به النعم والخيرات

۞ عن عبد الله بن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: إنَّ نبيَّ اللهِ ﷺ كان يقولُ عند الكربِ: «لا إلٰه إلا الله العظيمُ الحليمُ، لا إلٰه إلا الله ربُّ العرشِ العظيمُ، لا إلٰه إلا اللهُ ربُّ السمٰواتِ وربُّ الأرضِ وربُّ العرشِ الكريمُ»(٤).

---

(١) الآداب الشرعية ١/ ٣٥٩.

(٢) غذاء الألباب ٢/ ٣٣٤.

(٣) تفسير السعدي (سورة نوح، الآية: ١٣).

(٤) صحيح مسلم: ٢٧٣٠.

❁ عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ألا أُعلِّمُكِ كلماتٍ تقولينَهُنَّ عندَ الكَرْبِ، أو في الكَرْبِ؟ اللهُ اللهُ ربِّي، لا أُشرِكُ به شيئًا»(١).

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: «التَّوْحِيد مفزع أعدائه وأوليائه، فأما أعداؤه فينجيهم من كرب الدنيا وشدائدها ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت].

وَأما أولياؤه فينجيهم به من كربات الدنيا والآخرة وشدائدها؛ ولذلك فزع إليه يونس فنجاه الله من تلك الظلمات وفزع إليه أتباع الرسل فنجوا به مما عذب به المشركون في الدنيا وما أعد لهم في الآخرة، ولما فزع إليه فرعون عند معاينة الهلاك وإدراك الغرق له لم ينفعه لأن الإيمان عند المعاينة لا يقبل، هذه سنة الله في عباده، فما دفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد؛ ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد ودعوة ذي النون التي ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه بالتوحيد؛ فلا يلقي في الكرب العظام إلا الشرك ولا ينجي منها إلا التوحيد، فهو مفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغياثها»(٢).

❁ قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) رحمه الله: «قول الله تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء، الآية: ٨٧]، يدل على أنه ما من مؤمن يصيبه الكرب والغم فيبتهل إلى الله داعيًا بإخلاص، إلا نجاه الله من ذلك الغم، ولا سيما إذا دعا بدعاء يونس هذا»(٣).

---

(١) رواه أبو داود (١٥٢٥).
(٢) الفوائد ص٥٣.
(٣) أضواء البيان للشنقيطي ٤/ ٢٤٤.

المطلب الثلاثون

التوحيد شرط في الأمن والاهتداء التام

۞ قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه: «وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً»(١).

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمن سلم من أجناس الظلم الثلاثة؛ كان له الأمن التام والاهتداء التام.

ومن لم يسلم من ظلمه نفسه؛ كان له الأمن والاهتداء مطلقًا بمعنى أنه لا بد أن يدخل الجنة كما وعد بذلك في الآية الأخرى، وقد هداه إلى الصراط المستقيم الذي تكون عاقبته فيه إلى الجنة ويحصل له من نقص الأمن والاهتداء بحسب ما نقص من إيمانه بظلمه نفسه.

وليس مراد النبي ﷺ بقوله: «**إنما هو الشرك**» أن من لم يشرك الشرك الأكبر يكون له الأمن التام والاهتداء التام؛ فإن أحاديثه الكثيرة مع نصوص القرآن تبين أن أهل الكبائر معرضون للخوف لم يحصل لهم الأمن التام ولا الاهتداء التام الذي يكونون به مهتدين إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين من غير عذاب يحصل لهم؛ بل معهم أصل الاهتداء إلى هذا الصراط، ومعهم أصل نعمة الله عليهم، ولا بد لهم من دخول الجنة.
وقول النبي ﷺ: «**إنما هو الشرك**» إن أراد به الشرك الأكبر فمقصوده أن من لم يكن من أهله فهو آمن مما وعد به المشركون من عذاب الدنيا والآخرة وهو مهتد إلى ذلك.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٨٧).

وإن كان مراده جنس الشرك؛ فيقال: ظلم العبد نفسه كبخله ـ لحب المال ـ ببعض الواجب هو شرك أصغر، وحبه ما يبغضه الله حتى يكون يقدم هواه على محبة الله شرك أصغر ونحو ذلك. فهذا صاحبه قد فاته من الأمن والاهتداء بحسبه؛ ولهذا كان السلف يدخلون الذنوب في هذا الظلم بهذا الاعتبار»(١).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأمن من عذاب الله وحصول السعادة إنما هو بطاعته تعالى لقوله: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء، الآية: ١٤٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ [الفرقان، الآية: ٧٧]؛ أي: لو لم تدعوه كما أمر فتطيعوه فتعبدوه وتطيعوا رسله فإنه لا يعبأ بكم شيئًا. وهذه الوسيلة التي أمر الله أن تبتغى إليه فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة، الآية: ٣٥]، قال عامة المفسرين كابن عباس (ت: ٦٨هـ) ومجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) وعطاء بن أبي رباح (ت: ١١٤هـ) والفراء (ت: ٢٠٧هـ): الوسيلة القربة. قال قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ): تقربوا إلى الله بما يرضيه. قال أبو عبيدة: توسلت إليه أي تقربت. وقال عبد الرحمٰن بن زيد (ت: ١٨٢هـ): تحببوا إلى الله. والتحبب والتقرب إليه إنما هو بطاعة رسوله. فالإيمان بالرسول وطاعته هو وسيلة الخلق إلى الله ليس لهم وسيلة يتوسلون بها ألبتة إلا الإيمان برسوله وطاعته»(٢).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «والخالص من الشرك يحصل له الأمن كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٨١ ـ ٨٢).
(٢) مجموع الفتاوى ٢٧/ ٤٣٣.

لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ [الأنعام] وقد فسر النبي ﷺ الظلم هنا بالشرك»[(١)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الإيمان الكامل بالله - تعالى - غير المتلبس بأي شيء من الشرك يكون جزاؤه وأجره عظيمًا، ومصير من أخلص لله - تعالى - بالتوحيد الجنة، والمفازة من النار، والتوحيد يكفّر الذنوب، ويمحو الخطايا، وأما الكفار فالشرك محبط لحسناتهم»[(٢)].

المطلب الواحد والثلاثون

التوحيد يحقق في قلب العبد أن الله أكبر من كل شيء

۞ قال - تعالى -: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت].

۞ قال - تعالى -: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ [الأنعام، الآية: ١٩].

۞ عن عدي بن حاتم؛ أن النبي ﷺ قال له: «ما يفرك؟ أيفرك أن يقال: الله أكبر، فهل تعلم شيئًا أكبر من الله؟»[(٣)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكلما قال العبد: الله أكبر؛ تحقق قلبه بأن يكون الله في قلبه أكبر من كل شيء، فلا يبقى

(١) الفتاوى الكبرى ٥/ ٢٣٢.
(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ٢/ ٤٦٣.
(٣) أخرجه الترمذي (٢٩٥٣)، وأحمد (١٩٣٨١)، وابن حبان (٧٢٠٦). قال الترمذي: «حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث سماك بن حرب». وفي سنده عباد بن حبيش، قال الذهبي: لا يعرف، وذكره ابن حبان في «الثقات» ٥/ ١٤٢. وسماك في حفظه مقال، ولبعض ألفاظ الحديث شواهد.

لمخلوق على القلب ربّانية تساوي ربّانية الرب، فضلًا عن أن تكون مثلها»(١).

❁ قال ابن القيم: (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ [الأنعام، الآية: ١٩]، وهذا يقتضي جوابًا: لا شيء أكبر شهادة من الله، فالله أكبر شهادة من كل شيء. كما أن قوله لعدي: «هل تعلم شيئًا أكبر من الله؟» يقتضي جواب: لا شيء أكبر من الله، فالله أكبر من كل شيء»(٢).

❁ قال ابن القيم: (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالله سبحانه أكبر من كل شيء ذاتًا وقدرًا ومعنى وعزة وجلالة، فهو أكبر من كل شيء في ذاته وصفاته وأفعاله كما هو فوق كل شيء وعال على كل شيء وأعظم من كل شيء وأجل من كل شيء في ذاته وصفاته وأفعاله»(٣).

المطلب الثاني والثلاثون

التوحيد يورث المحبة والإجلال والتعظيم، والخوف والرجاء وتوابع ذلك

❁ قال عمر (ت: ٢٣هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في وصيته: «وشاور في أمورك الذين يخشون الله تعالى»(٤).

❁ قال الحافظ عبيد الله بن أبي جعفر (ت: ١٣٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما

---

(١) قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات ص٣٥، وجامع المسائل ٣/ ٢٨١.
(٢) تهذيب سنن أبي داود لابن القيم ١/ ٢٩.
(٣) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة. لابن القيم ٤/ ١٣٧٩.
(٤) قوت القلوب ١/ ٣٤٥، مجمع الأمثال للميداني ١/ ٣٧٤.

استعان عبد على دينه بمثل الخشية من الله»[١].

۞ قال أبو علي الجوزجاني (ت: في القرن الرابع للهجرة) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثلاثة أشياء من عقد التوحيد: الخوف، والرجاء، والمحبة»[٢].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوحيد للخالق بالرغبة إليه والرجاء له، والتوكل عليه، والحب له ...فالرسول ﷺ أمر بتلك الأنواع الثلاثة الفاضلة المحمودة التي تصلح أمور أصحابها في الدنيا والآخرة»[٣].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وليس للقلوب سرور ولذة تامة إلا في محبة الله تعالى، والتقرّب إليه بما يحبّه، ولا تتمّ محبّة الله إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه، وهذا حقيقة لا إلٰه إلا الله»[٤].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء، الآية: ٩٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة، الآية: ١٦] ولا يتصور أن يخلو داع لله ـ دعاء عبادة أو دعاء مسألة ـ من الرغب والرهب من الخوف والطمع»[٥].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَمن كَانَ الله يُحِبهُ اسْتَعْملهُ فِيمَا يُحِبهُ ومحبوبه لَا يفعل مَا يبغضه الحق ويسخطه من الكفْر والفسوق

---

(١) سير أعلام النبلاء ٦/ ٩.
(٢) شعب الإيمان للبيهقي ٢/ ٧٣.
(٣) مجموع الفتاوى ١/ ١٩٥.
(٤) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٣٢.
(٥) الفتاوى الكبرى ٥/ ٢٢٠.

والعصيان»[(١)].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «مرض القلب يكون بالحب والبغض الخارجين عن الاعتدال، وهي الأهواء التي قال الله فيها: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص، الآية: ٥٠]، وقال: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الروم، الآية: ٢٩]»[(٢)].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال الخليل: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الزخرف]، ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف]، والبراءة ضد الولاية، وأصل البراءة البغض، وأصل الولاية الحب؛ وهذا لأن حقيقة التوحيد ألا يحب إلا الله ويحب ما يحبه الله لله، فلا يحب إلا لله ولا يبغض إلا لله. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة، الآية: ١٦٥]»[(٣)].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحنيفية: هي الاستقامة بإخلاص الدين لله، وذلك يتضمن حبه تعالى والذل له، لا يشرك به شيئًا لا في الحب ولا في الذل؛ فإن العبادة تتضمن غاية الحب بغاية الذل، وذلك لا يستحقه إلا الله وحده، وكذلك الخشية والتقوى لله وحده والتوكل على الله وحده»[(٤)].

❁ قال ابن القيم: (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وروح هذه الكلمة وسرها: إفراد الرب ـ جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، وتبارك اسمه، وتعالى جده،

---

(١) العبودية ١/ ١١٣.
(٢) مجموع الفتاوى ١٠/ ١٤٣.
(٣) مجموع الفتاوى ١٥/ ٤٦٥.
(٤) مجموع الفتاوى ١٥/ ٤٦٦.

ولا إله غيره ـ بالمحبة والإجلال والتعظيم، والخوف والرجاء، وتوابع ذلك من التوكل والإنابة، والرغبة والرهبة، فلا يحب سواه، وكل ما يحب غيره فإنما يحب تبعًا لمحبته، وكونه وسيلة إلى زيادة محبته، ولا يخاف سواه، ولا يرجي سواه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يرغب إلا إليه، ولا يرهب إلا منه، ولا يحلف إلا باسمه، ولا ينذر إلا له، ولا يتاب إلا إليه، ولا يسجد إلا له، ولا يذبح إلا له وباسمه، ويجتمع ذلك في حرف واحد، وهو: أن لا يعبد إلا إياه بجميع أنواع العبادة، فهذا هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله؛ ولهذا حرم الله على النار من شهد أن لا إله إلا الله حقيقة الشهادة، ومحال أن يدخل النار من تحقق بحقيقة هذه الشهادة وقام بها، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ٣٣﴾ [المعارج]»(١).

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كلما ازدادت معرفة العبد بربه ازدادت هيبته له وخشيته إياه، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر، الآية: ٢٨]؛ أي: العلماء به، وقال النبي ﷺ: «**أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية**»(٢)»(٣).

❁ قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنّ تحقق القلب بمعنى لا إله إلا الله وصدقه فيها، وإخلاصه بها يقتضي أن يرسخ فيه تألّه الله وحده، إجلالًا، وهيبة، ومخافة، ومحبة، ورجاء، وتعظيمًا، وتوكلًا، ويمتلئ بذلك، وينتفي عنه تأله ما سواه من المخلوقين، ومتى كان كذلك، لم

---

(١) زاد المعاد ٢/ ٢٢.
(٢) رواه البخاري (٦١٠١)، ومسلم (٢٣٥٦). بلفظ: «إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية». من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.
(٣) روضة المحبين ص٤٠٦.

يبق فيه محبة، ولا إرادة، ولا طلب لغير ما يريده الله ويحبه ويطلبه، وينتفي بذلك من القلب جميع أهواء النفوس وإراداتها، ووساوس الشيطان، فمن أحبّ شيئًا وأطاعه، وأحبّ عليه وأبغض عليه فهو إلهه، فمن كان لا يحبّ ولا يبغض إلا لله، ولا يوالي ولا يعادي إلا له، فالله إلهه حقًّا، ومن أحبّ لهواه، وأبغض لهواه، ووالى عليه، وعادى عليه، فإلهه هواه»[(١)].

۞ قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رقة القلوب تنشأ عن الذكر فإن ذكر الله يوجب خشوع القلب وصلاحه ورقته ويذهب الغفلة عنه»[(٢)].

۞ قال محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (ت: ١٣٥٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله «أفضل الذكر لا إله إلا الله» لأنها كلمة التوحيد، والتوحيد لا يماثله شيء، وهي الفارقة بين الكفر والإيمان؛ ولأنها أجمع للقلب مع الله، وأنفى للغير، وأشد تزكية للنفس وتصفية للباطن وتنقية للخاطر من خبث النفس، وأطرد للشيطان»[(٣)].

المطلب الثالث والثلاثون

كلما قوي التوحيد في قلب العبد قوي إيمانه وطمأنينته وتوكله ويقينه

۞ قال أبو الدرداء (ت: ما بين ٣٢ ـ ٣٨هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ

(١) جامع العلوم والحكم ١/ ٥٢٤.
(٢) لطائف المعارف ١/ ١٣.
(٣) تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي ٩/ ٢٢٩.

جِلَاءً، وَإِنَّ جِلَاءَ الْقُلُوبِ ذِكْرُ اللهِ ﷻ»[(١)].

۞ وقيل لسهل التستري (ت: ٢٨٣هـ): «ما حقيقة التوكل في الأصل؟ فقال: حقيقة التوكل في الأصل الإقرار بالتوحيد»[(٢)].

۞ قال سهل التستري (ت: ٢٨٣هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ [المزمل]؛ أي: كفيلًا بما وعدك من المعونة على الأمر، والعصمة عن النهي، والتوفيق للشكر، والصبر في البلوى، والخاتمة المحمودة. ثم قال: في الدنيا الجنة والنار، فالجنة والعافية أن تولي الله أمرك، والنار البلوى، والبلوى أن يكلك إلى نفسك. قيل: فما الفرج؟ قال: لا تطمع في الفرج وأنت ترى مخلوقًا، وما من عبد أراد الله بعزم صحيح إلا زال عنه كل شيء دونه، وما من عبد زال عنه كل شيء دونه إلا حق عليه أن يقوم بأمره، وليس في الدنيا مطيع لله وهو يطيع نفسه، ولا يتباعد أحد عن الله إلا بالاشتغال بغير الله، وإنما تدخل الأشياء على الفارغ، وأما من كان مشغول القلب بالله لم تصل إليه الوسوسة وهو في المزيد أبدًا، واحفظ نفسك بالأصل. قيل له: ما هو؟ قال: التسليم لأمر الله، والتبري ممن سواه»[(٣)].

۞ قال أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ): «الواجب على العاقل لزوم التوكل على من تكفل بالأرزاق؛ إذ التوكل هو نظام الإيمان، وهو قرين التوحيد، وهو السبب المؤدي إلى نفي الفقر ووجود الراحة، وما توكل أحد على الله جل وعلا

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٥٢٠).
(٢) تفسير التستري (سورة النساء، الآية: ٨١).
(٣) تفسير التستري ص١٨٠.

من صحة قلبه - حتى كان الله جل وعلا بما تضمن من الكفالة أوثق عنده بما حوته يده، إلا لم يكله الله إلى عباده، وآتاه رزقه من حيث لم يحتسب»(١).

❁ قال سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (ت: ٧١٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن، الآية: ١٣] فيه أن التوكل قرين التوحيد ونتيجته، ومن أكبر مقاماته، والتوكل هو التفويض إلى الله عَزَّ وَجَلَّ مع ترك الاعتراض»(٢).

❁ قال الإمام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «والعبد إذا أنعم الله عليه بالتوحيد فشهد أن لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه، والإله هو المعبود الذي يستحق غاية الحب والعبودية بالإجلال والإكرام والخوف والرجاء يفنى القلب بحب الله تعالى عن حب ما سواه ودعائه والتوكل عليه وسؤاله عما سواه وبطاعته عن طاعة ما سواه حلاه الله بالأمن والسرور والحبور والرحمة للخلق؛ والجهاد في سبيل الله؛ فهو يجاهد ويرحم. له الصبر والرحمة قال الله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾ [البلد]، وكلما قوي التوحيد في قلب العبد قوي إيمانه وطمأنينته وتوكله ويقينه.

والخوف الذي يحصل في قلوب الناس هو الشرك الذي في قلوبهم قال الله تعالى: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران]. وكما قال الله جَلَّ جَلَالُهُ في قصة الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ أتحاجونني في الله وقد هداني إلى قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ

(١) روضة العقلاء ص٢٠٩.

(٢) كتاب الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية ص٦٤٣.

﴿لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام]. وفي الحديث الصحيح: «تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش».

فمن كان في قلبه رياسة لمخلوق ففيه من عبوديته بحسب ذلك. فلما خوفوا خليله بما يعبدونه ويشركون به ـ الشرك الأكبر كالعبادة ـ قال الخليل: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ٨١﴾ [الأنعام]، يقول: إن تطيعوا غير الله وتعبدوا غيره وتكلمون في دينه ما لم ينزل به سلطانًا: فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون؟ أي تشركون بالله ولا تخافونه وتخوفوني أنا بغير الله فمن ذا الذي يستحق الأمن إلى قوله: ﴿أُولَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام]؛ أي: هؤلاء الموحدون المخلصون؛ ولهذا قال الإمام أحمد لبعض الناس: لو صححت لم تخف أحدًا»[(١)].

۞ قال الإمام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالتوحيد والإشراك يكون في أقوال القلب، ويكون في أعمال القلب؛ ولهذا قال الجنيد: التوحيد قول القلب، والتوكل عمل القلب، أراد بذلك التوحيد الذي هو التصديق، فإنه لما قرنه بالتوكل جعله أصله، وإذا أفرد لفظ التوحيد فهو يتضمن قول القلب وعمله، والتوكل من تمام التوحيد»[(٢)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والتوكل معنى يلتئم من معنى التوحيد والعقل والشرع، فالموحد المتوكل لا يلتفت إلى الأسباب،

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٣٦.

(٢) الفتاوى الكبرى ٥/ ٢٤٠.

بمعنى أنه لا يطمئن إليها، ولا يثق بها، ولا يرجوها، ولا يخافها؛ فإنه ليس في الوجود سبب يستقل بحكم، بل كل سبب فهو مفتقر إلى أمور أخرى تضم إليه، وله موانع وعوائق تمنع موجبه، وما ثم سبب مستقل بالإحداث إلا مشيئة الله وحده، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وما شاء خلقه بالأسباب التي يحدثها ويصرف عنه الموانع، فلا يجوز التوكل إلا عليه»[(١)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «كلما قوي طمع العبد في فضل الله ورحمته ورجائه لقضاء حاجته ودفع ضرورته، قويت عبوديته له، وحريته مما سواه»[(٢)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، عند تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف، الآية: ٧٦]: «... وفيها تنبيه على أن المؤمنَ المتوكّلَ على الله إذا كاده الخلقُ فإنّ اللهَ سبحانه يَكيدُ له وينتصِرُ له بغير حول منه ولا قوة»[(٣)].

۞ قال الإمام ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالتوحيد يفتح للعبد باب الخير والسرور واللذة والفرج والابتهاج»[(٤)].

۞ قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «والتوكل من أعظم الأسباب التي تطلب بها الحوائج، فإن الله يكفي من توكل عليه، كما قال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق، الآية: ٣]»[(٥)].

---

(١) منهاج السنة ٥/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧.
(٢) مجموع الفتاوى ١٠/ ١٨٤.
(٣) الفتاوى الكبرى ٦/ ١٣٢.
(٤) زاد المعاد ٤/ ١٨٦.
(٥) نور الاقتباس ص١٥١، ط٤، دار البشائر، ١٤٢٤.

❁ قال محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: عند شرح قول النبي ﷺ: «من سرته حسنته، وساءته سيئته فذلك المؤمن»[(١)]: «فإذا رأيت من نفسك أن صدرك ينشرح بالطاعة، وأنه يضيق بالمعصية فهذه بشرى لك، أنك من عباد الله المؤمنين ومن أوليائه المتقين»[(٢)].

المطلب الرابع والثلاثون

التوحيد يحقق الرجاء بالله وحده

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء].

❁ عن أنس بن مالك (ت: ٩٠هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ دخلَ على شابٍّ وَهوَ في الموتِ فقالَ: «**كيفَ تجدُكَ**» قالَ: واللهِ يا رسولَ اللهِ إنِّي أرجو اللهَ وإنِّي أخافُ ذنوبي فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا يجتَمِعانِ في قلبِ عبدٍ في مثلِ هذا الموطِنِ إلَّا أعطاهُ اللهُ ما يرجو وآمنَهُ ممَّا يخافُ**»[(٣)].

---

(١) رواه الترمذي (٢١٦٥)، وأحمد ١/١٨ (١٤)، والحاكم ١/١٩٧. من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي، وقال الألباني في «إرواء الغليل» ٦/ ٢١٥.

(٢) شرح رياض الصالحين ٦/ ٧٨.

(٣) انظر: صحيح الترمذي برقم (٩٨٣) وحسنه الألباني.

وقوله: «لا يَجتمِعان»؛ أي: الرَّجاءُ والخوفُ مِن اللهِ، «في قلبِ عبدٍ في مثلِ هذا الموطنِ»؛ أي: عندَ قُربِ موتِه، «إلَّا أعطاه اللهُ ما يَرْجو وآمَنه ممَّا يَخافُ»؛ أي: أنَّ اللهَ يُعطيه ما يَرْجوه مِن عَفْوِه ودخولِ الجنَّةِ، ويُؤمِّنُه ممَّا يَخافُه؛ مِن النَّارِ.

وفي الحديث: بيانُ فَضلِ الخوفِ والرَّجاءِ مِن اللهِ تعالى، وأنَّهما سببٌ للنَّجاةِ من النارِ ودُخولِ الجنَّةِ؛ لأنَّهما يحثَّانِ الإنسانَ على حُسنِ العَملِ مع حُسنِ الاعتقادِ في اللهِ.

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالرجاء ينبغي أن يتعلق بالله، ولا يتعلق بمخلوق ولا بقوة العبد ولا عمله، فإن تعليق الرجاء بغير الله إشراك، وإن كان الله قد جعل لها أسبابًا فالسبب لا يستقل بنفسه، بل لا بد له من معاون، ولا بد أن يمنع المعارض المعوق له وهو لا يحصل ويبقى إلا بمشيئة الله تعالى.

ولهذا قيل: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع.

ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧﴾ [الشرح]، ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشرح] فأمر بأن تكون الرغبة إليه وحده، وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٣﴾ [المائدة] فالقلب لا يتوكل إلا على من يرجوه، فمن رجا قوته أو عمله أو علمه أو صديقه أو قرابته أو شيخه أو ملكه أو ماله غير ناظر إلى الله كان فيه نوع توكل على ذلك السبب، وما رجا أحد مخلوقًا أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه؛ فإنه مشرك: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ

سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ [الحج]»[١].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وروح هذه الكلمة وسرها: إفراد الرب ـ جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، وتبارك اسمه، وتعالى جده، ولا إلٰه غيره ـ بالمحبة والإجلال والتعظيم، والخوف والرجاء، وتوابع ذلك من التوكل والإنابة، والرغبة والرهبة، فلا يحب سواه، وكل ما يحب غيره فإنما يحب تبعًا لمحبته، وكونه وسيلة إلى زيادة محبته، ولا يخاف سواه، ولا يُرجى سواه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يرغب إلا إليه، ولا يرهب إلا منه، ولا يحلف إلا باسمه، ولا ينذر إلا له، ولا يتاب إلا إليه، ولا يسجد إلا له، ولا يذبح إلا له وباسمه، ويجتمع ذلك في حرف واحد، وهو: أن لا يعبد إلا إياه بجميع أنواع العبادة، فهذا هو تحقيق شهادة أن لا إلٰه إلا الله؛ ولهذا حرم الله على النار من شهد أن لا إلٰه إلا الله حقيقة الشهادة، ومحال أن يدخل النار من تحقق بحقيقة هذه الشهادة وقام بها، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [المعارج]»[٢].

المطلب الخامس والثلاثون

التوحيد يورث الهمة العالية

۞ روي عن عمر بن الخطّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣هـ) أنه قال: «لا تصغرنَّ همتكم؛ فإني لم أرَ أقعد عن المكرمات من صغر الهمم»[٣].

---

(١) الفتاوى الكبرى ٥/ ٢٣٢.
(٢) الداء والدواء ص١٩٨.
(٣) أدب الدنيا والدين للماوردي ص٣١٩.

۞ قال سفيان الثوري (ت: ١٦١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا هممت بأمر من أمور الآخرة فشمر إليها وأسرع من قبل أن يحول بينها وبينك الشيطان»(١).

۞ قال الإمام مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «عليك بمعالي الأمور وكرائمها، واتقِ رذائلها وما سفَّ منها؛ فإنَّ الله تعالى يحبُّ معالي الأمور، ويكره سفسافها»(٢).

۞ قال ممشاد الدينوري (ت: ٢٩٩) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الهِمَّة مقدمة الأشياء؛ فمن صلحت له همته وصدق فيها صلح له ما وراءها من الأعمال والأحوال»(٣).

۞ قال أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «لن تصفو القلوب من وجود الدرن فيها حتى تكون الهمم في اللَّه همًّا واحدًا، فإذا كان كذلك كفي الهم في الهموم إلا الهم الذي يؤول متعقبه إلى رضا الباري جل وعز بلزوم تقوى الله في الخلوة والملأ»(٤).

۞ قال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولله أقوام ما رضوا من الفضائل إلا بتحصيل جميعها؛ فهم يبالغون في كل علم ويجتهدون في كل عمل، يُثابرون على كل فضيلة، فإذا ضعفت أبدانهم عن بعض ذلك قامت النيات نائبة وهم لها سابقون»(٥).

۞ قال النووي (ت: ٦٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وليس بعاقل من أمكنه درجة

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٨٣.
(٢) ترتيب المدارك للقاضي عياض ٢/ ٦٥.
(٣) حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٣.
(٤) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ١/ ٣٢.
(٥) صيد الخاطر ١/ ٩٠.

وِراثة الأنبياء، ثم فَوَّتها!»[(١)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ضعف الإرادة والطلب: من ضعف حياة القلب، وكلما كان القلب أتم حياة كانت همته أعلى وإرادته ومحبته أقوى»[(٢)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الهمة العلية لا تزال حائمة حول ثلاثة أشياء، تعرف لصفة من الصفات العليا تزداد بمعرفتها محبة وإرادة؛ وملاحظة لمنة تزداد بملاحظتها شكرًا أو طاعة؛ وتذكر لذنب تزداد بتذكره توبة وخشية»[(٣)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «شغلوا قلوبهم بالدنيا! ولو شغلوها بالله والدّار الآخرة؛ لجالت في معاني كلامه وآياته المشهودة، ورجعت إلى أصحابها بغرائب الحِكم وطرف الفوائد»[(٤)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا تكون الروح الصافية إلا في بدن معتدل، ولا الهمة العالية إلا في نفس نفيسة»[(٥)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «لابد للسالك من همَّة تسيِّره وترقِّيه، وعلم يبصِّره ويهديه، فلابد لكل طالب علم بجانب علمه من همة تسيره وترقيه في مدارج الطلب، بها يستعلي طالب العلم على سفاسف الأمور، ويتحلى بإرادة من حديد؛ إذ هو مقدم على أمر عظيم حاله، خطير شأنه، ألا وهو وراثة النبي ﷺ في التعليم والدعوة

---

(١) المجموع ١/ ٣٧.
(٢) مدارج السالكين ٣/ ٢٦٣.
(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ١/ ٣٢.
(٤) الفوائد ص٩٨.
(٥) بدائع الفوائد ص٧٥٠.

والبلاغ. فلا يصلح لهذه المنزلة من سفلت همته؛ فحامت حول الدنايا، أو ضعفت إرادته؛ فانكسرت أمام الصعاب والبلايا... وصاحب الهمة العالية أمانيه حائمة حول العلم والإيمان، والعلم الذي يقربه إلى الله ويدنيه من جواره، فأماني هذا إيمان ونور وحكمة، وأماني أولئك خدع وغرور»[(١)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «الهمة إذا كانت عالية تعلقت به وحده دون غيره، وإذا كانت النية صحيحة سلك العبد الطريق الموصلة إليه؛ فالنية تفرد له الطريق والهمة تفرد له المطلوب»[(٢)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «وكمال كل إنسان إنما يتم بهذين النوعين «همة ترقيه» و«علم يبصره ويهديه»، فإن مراتب السعادة والفلاح إنما تفوت العبد من هاتين الجهتين، أو من إحداهما: إما أن لا يكون له علم بها، فلا يتحرك في طلبها، أو يكون عالمًا بها، ولا تنهض همته إليها فلا يزال في حضيض طبعه محبوسًا، وقلبه عن كماله الذي خلق له مصدودًا منكوسا»[(٣)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلقهَا بهَا، فالقلوب آنِية الله فِي أرضه فأحبها إلَيه أرقها وأصلبها وأصفاها»[(٤)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «بين العبد وبين السعادة والفلاح قوة عزيمة وصبر ساعة وشجاعة نفس وثبات قلب. والفضل

---

(١) مدارج السالكين ١/ ٤٥٧.
(٢) الفوائد ص١٤٤.
(٣) مفتاح دار السعادة ١/ ٥٩.
(٤) الفوائد ص٢٦٢.

بيد الله يؤتيه من يشاء. والله ذو الفضل العظيم»[١].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن علت همته، وخشعت نفسه، اتصف بكلِّ خلق جميل، ومن دنت همته، وطغت نفسه، اتصف بكلِّ خلق رذيل»[٢].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جميعُ المصالحِ إنما تنشأُ من الوقتِ، فإنْ أضاعَه ضاعَتْ عليه مصالِحُه كلُّها، ومتى أضاعَ الوقتَ لم يستدركْه»[٣].

❁ قال محمد بن مفلح (ت: ٧٦٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ مِنْ صِغَرِ الْهِمَّةِ، الْحَسَدَ لِلصَّدِّيقِ عَلَى النِّعْمَةِ»[٤].

❁ قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن كانت نفسه شريفة، وهِمَّته عالية لم يرض لها بالمعاصي؛ فإنها خيانةٌ، ولايرضى بالخيانة إلا من لا نفس له»[٥].

❁ قال سعيد بن المسيّب (ت: ٩٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد»[٦].

❁ قال محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلا يلحقك العجز والكسل إذا رأيت أن الأمور لم تتمَّ لك بأول مرة، بل اصبر، وكرِّر مرَّة بعد أخرى، واصبر على ما يقال فيك من استهزاء

(١) مدارج السالكين ٢/ ٨.
(٢) الفوائد ص٩٧.
(٣) الداء والدواء ص٣٥٨.
(٤) الآداب الشرعية ١/ ٣٥٩.
(٥) شرح حديث (مثل الإسلام) ـ مجموع رسائل ابن رجب ١/ ٢٠٣.
(٦) سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٢١.

وسخرية؛ لأن أعداء الدين كثيرون. ولا يثن عزمك أن ترى نفسك وحيدًا في الميدان، فأنت الجماعة وإن كنت واحدًا ما دمت على الحق، ولهذا ثِقْ بأنك منصور؛ إمَّا في الدنيا، وإمَّا في الآخرة»(١).

المطلب السادس والثلاثون

التوحيد عمارة للعالم

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشرك سبب لخراب العالم بدليل قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾ [مريم].

وإذا كان الشرك سببًا لخراب العالم، وجب أن يكون التوحيد سببًا لعمارة العالم، ضرورة كون الضدين مختلفين في الحكم، فإذا ثبت أن كلمة التوحيد سبب لعمارة العالم فأولى أن تكون سببًا لعمارة القلب الذي هو محل الوحدانية، ولعمارة اللسان الذي هو محل ذكر الوحدانية، وذلك يناسب عفو الله عن أهل التوحيد»(٢).

المطلب السابع والثلاثون

التوحيد نجاة من شتات الأمر والحيرة

قال ـ تعالى ـ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزمر].

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ص٥٣٧.

(٢) عجائب القرآن ص٤٥.

فالآية من أبلغ الأمثال التي تُبيّن أن المشرك قد تشتّت شمله، واحتار في أمره.

۞ قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما ذكر عَزَّ وَجَلَّ أنه ضرب للناس في هذا القرآن من كل مثل مجملًا جاء بعد ذلك بمثل في أهم الأمور وأعظمها خطرًا وهو التوحيد، فمثل تعالى الكافر والعابد للأوثان والشياطين لرجال عدة في أخلاقهم شكاسة ونقص وعدم مسامحة، فهم لذلك يعذبون ذلك العبد بأنهم يتضايقون في أوقاتهم ويضايقون العبد في كثرة العمل، فهو أبدًا ناصب، فكذلك عابد الأوثان الذي يعتقد أن ضره ونفعه عندها، هو معذب الفكر بها وبحراسة حاله منها، ومتى أرضى صنمًا منها بالذبح له في زعمه تفكر فيما يصنع مع الآخر، فهو أبدًا تعب في ضلال، وكذلك هو المصانع للناس الممتحن بخدمة الملوك، ومثل تعالى المؤمن بالله وحده بعبد لرجل واحد يكلفه شغله فهو يعمله على تؤدته وقد ساس مولاه، فالمولى يغفر زلته ويشكره على إعادة عمله»[١].

۞ قال سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (ت: ٧١٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال ـ تعالى ـ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزمر]، هو من أدلة التوحيد؛ وبيانه أن التوحيد أصلح للموحد، كما أن المالك الواحد للعبد أصلح له من تعدد الملاك؛ لأن كثرة الأرباب والملاك تتنازع الواحد؛ فيهلك، أو يشقى ويتعب؛ بخلاف الرب الواحد؛ والمالك الواحد، إذ لا تنازع مع الوحدة وهذه المادة شبيهة بمادة ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤/ ٥٢٩.

عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ [الأنبياء]»[١].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمقصود أن الطريق إلى الله تعالى واحد، فإنه الحق المبين، والحق واحد، مرجعه إلى واحد، وأما الباطل والضلال فلا ينحصر، بل كل ما سواه باطل، وكل طريق إلى الباطل فهو باطل، فالباطل متعدد وطرقه متعددة»[٢].

۞ قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد صح بالتجربة أن الراحة في حصبة [مطاوعة] الواحد، وأن التعب في اتباع العدد؛ لاختصاص كل واحد بقصد في التابع يتشاكس عليه لذلك حال اتباعهم فكان أعظم دعوة إلى جمع الخلق دعوتهم إلى جمع توحيد الإلهية انتظامًا بما دعوا إليه من الاجتماع في اسم الربوبية في قوله تعالى متقدمًا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة، الآية: ٢١]»[٣].

۞ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهذا مثل ضربه الله تعالى للمشرك والموحِّد، فالمشرك لمّا كان يعبد آلهة شتى شُبِّهَ بعبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون، سيئة أخلاقهم، يتنافسون في خدمته، لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين، فهو في عذاب.

والموحِّد لمّا كان يعبد الله وحده لا شريك له، فمثله كمثل عبد لرجل واحد، قد سلم له، وعلم مقاصده، وعرف الطريق إلى رضاه، فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه واختلافهم، بل هو سالم لمالكه من غير تنازع فيه، مع رأفة مالكه به، ورحمته له، وشفقته عليه، وإحسانه إليه، وتوليه لمصالحه، فهل يستوي هذان العبدان؟ والجواب: كلا،

---

(١) كتاب الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية ص٥٤١.
(٢) طريق الهجرتين ص١٦٢.
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢/ ٢٨٥.

لا يستويان أبدًا»[(١)].

المطلب الثامن والثلاثون

التوحيد سبب للثبات والاستقامة

قال - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت، الآية: ٣٠].

عن الحسن (ت: ١١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «ما أيقن عبد بالجنة والنار حق يقينهما إلا خشع ووجل، وذل واستقام، واقتصد حتى يأتيه الموت»[(٢)].

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ وحده لا شريك له، وبرئوا من الآلهة والأنداد، ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ على توحيد الله، ولم يخلطوا توحيد الله بشرك غيره به، وانتهوا إلى طاعته فيما أمر ونهى»[(٣)].

قال محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (ت: ٣٢٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن نور الله قلبه بالإيمان قويت معرفته، واستنارت بنور اليقين، فاستقام به قلبه، واطمأنت به نفسه، وسكنت ووثقت وأيقنت، وأتمنته على نفسها، فرضيت لها به وكيلًا، وتركت

(١) انظر: تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي ٤/ ٧٨، وابن كثير ٤/ ٥٢، والتفسير القيم لابن القيم ص٤٢٣، وتفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني ٤/ ٤٦٢، وتفسير السعدي ٦/ ٤٦٨، وتفسير الجزائري ٤/ ٤٣.

(٢) موسوعة ابن أبي الدنيا ١/ ٢٧.

(٣) تفسير الطبري (سورة فصلت، الآية: ٣٠).

التدبير عليه، فإن وسوس له عدو بالرزق والمعايش، لم يضطرب قلبه ولم يتحير، لأنه قد عرف ربه معرفة أنه قريب، وأنه لا يغفل ولا ينسى، وأنه رءوف رحيم، وأنه رب غفور رحيم، وأنه عدل لا يجور، وأنه عزيز لا تمتنع منه الأشياء، وأنه يجير ولا يجار عليه، فكما خلقه محتاجًا مضطرًا، فإنه سيوصله إليه من حيث يريد الرب تبارك وتعالى، لا من حيث يريد العبد، على الهيئة التي يريد الرب، لا على الهيئة التي يريد العبد، وبمقدار ما يريد الرب، لا بمقدار ما يريد العبد، وفي الوقت الذي يريد الرب، لا في الوقت الذي يريد العبد؛ فعامة أهل التوحيد قد أيقنوا بهذا، إيمانًا به، وقبولًا له، ولم يستقر ذلك الإيمان في قلوبهم، حتى إذا كان وقت الحاجة اضطربت قلوبهم وتحيرت، واشتغلت عن خالق الأشياء، ومالك الملوك، وأهل اليقين الذين قد استنار الإيمان في قلوبهم، فسكنت القلوب، واطمأنت النفوس إلى ضمان ربها، وقربه منهم، وقدرته عليهم؛ فهذا شأن الرزق والمعاش.

وفوضوا أمورهم فيما سوى المعاش إليه، واتخذوه وكيلًا، لأنهم لما عرفوا بأنه رءوف رحيم منهم بأنفسهم، وأحق وأولى بأنفسهم من العبيد بأنفسهم، لأنه خلقهم فصورهم، وركبهم وأحسن تقويمهم، وسوى تعديلهم، فلم يكن لهم بأنفسهم من العلم والتدبير ما دبر لهم، وعرفوه ملكًا قادرًا قاهرًا، يفعل ما يشاء، قد سبق علمه فيهم، بما يكون فيهم ولهم وعليهم، وجرى مع سابق العلم لهم بذلك قلمه في اللوح المحفوظ، ليكون أوكد في قلوب العباد، لأن سابق العلم غائب عن القلوب لا يُدرى كنفسه، واللوح قد خط بالقلم فيه أمر محدود، وشخص مخلوق، ويدرك بالقلوب معاينة، فما عاين القلب وأدركه أثبت عندهم مما لا تعاينه القلوب، ولا يمكن توهمه، فخلق اللوح وأثبت مقاديرهم فيه، لا لحاجة به إلى ذلك، وليكون أثبت على القلوب، لتسكن النفوس

وتستقر على ما جرى القلم به، فإذا سكنت النفوس، تفرغت القلوب لعبادته، وحفظ حدوده، وإقامة أموره، وسقطت أشغال النفوس عن القلوب فيما يراد بها، وما يكون وما يحدث، لأنها قد أيست عن أن يكون غير ما جرى به القلم، وعند الإياس تسكن النفوس، وإنما دعانا إلى أن نعبده، ونقيم حدوده، ونقيم فرائضه، ونتجنب مساخطه، ولنا قلب واحد، فأثبت في اللوح أرزاقنا وسعينا، وآثارنا وأحداثنا، ومدة آجالنا، وعامة أمورنا؛ لتطمئن النفوس، وتتخلص القلوب من وساوسها، فتبده بفراغ، وكل ذلك منه رحمة علينا، وبين ذلك في تنزيله؛ فقال - تعالى -: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد، الآية: ٢٢]؛ أي: من قبل أن نخلق تلك المصيبة، ثم بين لم فعل ذلك، فقال: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد، الآية: ٢٣]. فإن التأسي على الشيء الذي لم يقدر لك في اللوح هو استبداد وطلب ما ليس لك، والفرح بما آتاك يلهيك ويشغلك عن المعطي، حتى تأشر وتبطر بما تعطى، فتهلك، وإنما المبتغى منك في ذلك أن تلهو عن الغائب، وتفرح في الموجود الذي أتاك بالأهل الذي أتاك، ثم بفضله ورحمته عليك، وإلى هذا ندبك فقال: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس]. وقال - تعالى - في شأن الرزق: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود]. ثم قال - تعالى -: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام]؛ أي: من يأكل تلك الحبة ومن يرزقها»[1].

(١) كتاب آداب النفس للحكيم الترمذي ص١٦ ـ ٢٠.

۞ قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وذهب أبو بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وجماعة معه إلى أن المعنى ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ على قولهم: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾، فلم يختل توحيدهم ولا اضطرب إيمانهم»[(١)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكامل: هُوَ من كَانَ لله أطوع وعَلى مَا يُصِيبهُ أَصْبَر. فَكلما كَانَ أتبع لما يَأْمر الله بِهِ وَرَسُوله وَأعظم مُوَافقَة لله فِيمَا يُحِبهُ ويرضاه وصبرًا على مَا قدره وقضاه كَانَ أكمل وَأفضل. وكل من نقص عَن هذَيْن كَانَ فِيهِ من النَّقْص بِحَسب ذَلِك»[(٢)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «استقامة القلب بشيئين:

أحدهما: أن تكون محبة الله تعالى تتقدم عنده على جميع المحاب...

الأمر الثاني: تعظيم الأمر والنهي، وهو ناشئ عن تعظيم الآمر الناهي، فإن الله تعالى ذم من لا يعظمه ولا يعظم أمره ونهيه، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣﴾ [نوح]، قالوا في تفسيرها: ما لكم لا ترجون لله تعالى عظمة». ثم قال: «.. فعلامة التعظيم للأوامر: رعاية أوقاتها وحدودها، والتفتيش على أركانها وواجباتها وكمالها، والحرص على تحسينها وفعلها في أوقاتها، والمسارعة إليها عند وجوبها، والحزن والكآبة والأسف عند فوت حق من حقوقها..».

ثم ذكر عددًا من علامات تعظيم المناهي، وهي على وجه الاختصار:

---

(١) تفسير المحرر الوجيز (سورة الزمر، الآية: ١٧).

(٢) دقائق التفسير ٢/ ٢٩٩.

١ ـ الحرص على التباعد عن مظانها وأسبابها وما يدعو إليها، ومجانبة كل وسيلة تقرب إليها.

٢ ـ أن يغضب لله ﷻ إذا انتهكت محارمه، وأن يجد في قلبه حزنًا وكسرة إذا عصي الله تعالى في أرضه، ولم يطع بإقامة حدوده وأوامره، ولم يستطع هو أن يغير ذلك.

٣ ـ أن لا يسترسل مع الرخصة إلى حد يكون فيه جافيًا غير مستقيم على المنهج الوسط.

٤ ـ أن لا يحمل الأمر على علة تضعف الانقياد والتسليم لأمر الله ﷻ، بل يسلم لأمر الله تعالى وحكمه، متمثلًا ما أمر به، سواء ظهرت له حكمة الشرع في أمره ونهيه أو لم تظهر..»[١].

۞ قال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت: ٨١٧هـ) رحمه الله: «بمعنى الثبات على التوحيد والشهادة»[٢].

۞ قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رحمه الله: «الِاستِقامَةُ والثَّبات لا قُدرَةَ للعبدِ عليهِ بنَفسِه، ولِذلِك يحتاجُ أن يسألَ ربَّهُ الثّبات، كَمْ مِنْ عامِلٍ يَعملُ الخَيْر، إذا بقِيَ بيْنهُ وبيْنَ الجنَّة ذِراع، وشارَفَ مَركَبهُ ساحِلَ النَّجاة، ضرَبهُ مَوجُ الهَوَى فغَرِق»[٣].

۞ قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رحمه الله عند تفسير قوله

---

(١) الوابل الصيب ص٢٤ ـ ٣٩، باختصار.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٢/ ١٤٦.

(٣) انظر: تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي ٤/ ٧٨، وابن كثير ٤/ ٥٢، والتفسير القيم لابن القيم ص٤٢٣، وتفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني ٤/ ٤٦٢، وتفسير السعدي ٦/ ٤٦٨، وتفسير الجزائري ٤/ ٤٣.

تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت]، «﴿قَالُواْ﴾ أي: قولًا حقيقيًا مذعنين به بالجنان وناطقين باللسان تصديقًا لداعي الله في دار الدنيا، متذللين حيث ينفع الذل، جامعين بين الأس الذي هو المعرفة والاعتقاد، والبناء الذي هو العمل الصالح بالقول والفعل على السداد، فإن أصل الكمالات النفسانية يقين مصلح وعمل صالح، تعرف الحق لذاته والخير لتعمل له، ورأس المعارف اليقينية ورئيسها معرفة الله، ورأس الأعمال الصالحة الاستقامة على حد الاعتدال من غير ميل إلى طرف إفراط أو تفريط: ﴿رَبُّنَا﴾ أي: المحسن إلينا ﴿ٱللَّهُ﴾ المختص بالجلال والإكرام وحده لا شريك له.

ولما كان الثبات على التوحيد ومصححاته إلى الممات أمرًا في علو رتبته لا يرام إلا بتوفيق ذي الجلال والإكرام، أشار إليه بأداة التراخي فقال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ طلبوا وأوجدوا القوام بالإيمان بجميع الرسل وجميع الكتب ولم يشركوا به صنمًا ولا وثنًا ولا آدميًا ولا ملكًا ولا كوكبًا ولا غيره بعبادة ولا رياء، وعملوا بما يرضيه وتجنبوا كل ما يسخطه وإن طال الزمان، امتثالًا لما أمر به أول السورة في قوله: ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ [فصلت، الآية: ٦]، فمن كان له أصل الاستقامة في التوحيد أمن من النار بالخلود، ومن كان له كمال الاستقامة في الأصول والفروع أمن الوعيد.

﴿تَتَنَزَّلُ﴾ على سبيل التدريج المتصل ﴿عَلَيْهِمُ﴾ من حين نفخ الروح فيهم إلى أن يموتوا ثم إلى أن يدخلوا الجنة باطنًا فظاهرًا ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بالتأييد في جميع ما ينوبهم فتستعلي الأحوال الملكية على صفاتهم البشرية وشهواتهم الحيوانية فتضمحل عندها، وتشرق مرائيهم،

ثم شرح ما يؤيدونهم به وفسره فقال: ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾ أي: من شيء مثله يخيف، وكأنهم يثبتون ذلك في قلوبهم ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ أي: على شيء فاتكم، فإن ما حصل لكم أفضل منه، فأوقاتكم الأخراوية فيها بل هي كلها روح وراحة، فلا يفوتهم لذلك محبوب ولا يلحقهم مكروه ﴿وَأَبْشِرُوا﴾ أي: املأوا صدوركم سرورًا يظهر أثره على بشرتكم بتهلل الوجه ونعمة سائر الجسد ﴿بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ﴾ أي: كونًا عظيمًا على ألسنة الرسل ﴿تُوعَدُونَ﴾ أي: يتجدد لكم ذلك كل حين بالكتب والرسل»[(١)].

المطلب التاسع والثلاثون

التوحيد تكفل الله لأهله بالفتح والنصر في الدنيا، والعز والشرف

قال -تعالى-: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ يعني: يوحدونني ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ من الآلهة»[(٢)].

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ يقول: يخضعون لي بالطاعة ويتذللون لأمري ونهيي ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ يقول: لا يشركون في عبادتهم إياي الأوثان والأصنام

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٧/ ١٨٢ ـ ١٨٤.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة النور، الآية: ٥٥).

ولا شيئًا غيرها، بل يخلصون لي العبادة فيفردونها إليَّ دون كل ما عبد من شيء غيري»[١].

❁ قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وروي أن سبب هذه الآية أن أحد أصحاب النبي ﷺ شكا جهد مكافحة العدو وما كانوا فيه من الخوف على أنفسهم وأنهم لا يضعون أسلحتهم فنزلت هذه الآية عامة لأمة محمد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ»[٢].

❁ قال علي بن محمد الماوردي (ت: ٤٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و﴿يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدهما: لا يعبدون إلهًا غيري، حكاه النقاش.

الثاني: لا يراءون بعبادتي أحدًا.

الثالث: لا يخافون غيري، قاله ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

الرابع: لا يحبون غيري، قاله مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ»[٣].

❁ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن فضائل التوحيد: أن الله تكفل لأهله بالفتح والنصر في الدنيا، والعز والشرف وحصول الهداية والتيسير لليسرى وإصلاح الأحوال والتسديد في الأقوال والأفعال»[٤].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكذلك الدفع عن العبد هو بحسب إيمانه، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾ [الحج، الآية: ٣٨] فإذا ضعف الدفع عنه فهو من نقص إيمانه، والله سبحانه إنما ضمن

---

(١) تفسير الطبري (سورة النور، الآية: ٥٥).
(٢) تفسير المحرر الوجيز لابن عطية (سورة النور، الآية: ٥٥).
(٣) تفسير النكت والعيون للماوردي (سورة النور، الآية: ٥٥).
(٤) القول السديد شرح كتاب التوحيد ص٢٥.

نصر دينه وحزبه وأوليائه بدينه علمًا وعملًا، لم يضمن نصر الباطل، ولو اعتقد صاحبه أنه محق»[(١)].

المطلب الأربعون

التوحيد يحرر العبد من رق المخلوقين

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٢٦﴾ [الأنفال].

❁ قال قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قوله: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنفال، الآية: ٢٦]، قال: «كان هذا الحي من العرب أذلَّ الناس ذلًا وأشقاهُ عيشًا، وأجوعَه بطونًا، وأعراه جلودًا، وأبينَه ضلالًا مكعومين[(٢)]، على رأس حجر، بين الأسدين فارس والروم، ولا والله ما في بلادهم يومئذ من شيء يحسدون عليه، من عاش منهم عاش شقيًّا، ومن مات منهم رُدِّي في الناس، يوكلون ولا يأكلون، والله ما نعلم قبيلًا من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشرَّ منهم منزلًا حتى جاء الله بالإسلام، فمكن به في البلاد، ووسَّع به في الرزق، وجعلكم به ملوكًا على رقاب الناس. فبالإسلام أعطى الله ما رأيتم، فاشكروا الله على نعمه، فإن ربكم منعمٌ يحب الشكر، وأهل الشكر في مزيد من الله تبارك وتعالى»[(٣)].

---

(١) إغاثة اللهفان ٢/ ١٨١.

(٢) هو شيء يجعل على فم البعير يمنعه لئلا يعض أو يأكل.

(٣) تفسير الطبري (سورة الأنفال، الآية: ٢٦).

۞ قال محمد بن إدريس بن القاسم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«مثل الرزق الذي تطلبه مثل الظل الذي يمشي معك
أنت لا تدركه متبعًا فإذا وليت عنه اتبعك»[1].

۞ قال عبد الرحمٰن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ومن أعظم فضائله: أنه يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم، وهذا هو العز الحقيقي والشرف العالي.

ويكون مع ذلك متألهًا متعبدًا لله، لا يرجو سواه ولا يخشى إلا إياه، ولا ينيب إلا إليه، وبذلك يتم فلاحه ويتحقق نجاحه»[2].

۞ قال محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فكل إنسان يفر من عبادة الله فإنه سيبقى في رق الشيطان»[3].

۞ قال عبد الله الغنيمان: «والتوحيد الخالص هو الذي يرفع نفوس معتقديه ويخلصها من رق الأغيار ويفك إرادتهم من أسر الرؤساء الروحانيين كما يسمون، وشيوخ الطرق الباطلة والدجل، والضلال والتعلقات بالأحياء والأموات، ويخلصها كذلك من إلٰه المادة والتعلق بالطواغيت الماديين وكل مخلوق، فيطلق عزائمهم من قيود العبودية لغير الله والتعلقات بالأحياء والأموات، فيكون المؤمن مع الناس حرًّا عزيزًا كريمًا، ومع الله عبدًا خاضعًا ذليلًا خائفًا، فهذا الذي يجب على العبد أن يعتني به أشد الاعتناء، ويحذر أشد الحذر أن ينحرف عنه؛ لأن الانحراف عنه هو الهلاك المحتم والخسران الأكبر والخلود

---

(١) تكملة الصِّلة ٢/ ١٣٨.
(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد. ص٢٤.
(٣) شرح الأربعين النووية ص٢٨٥.

في جهنم»[١].

المسلم المؤمن بربه يتحرر من عبودية كل شيء سوى الله تعالى، فهو لا يرى لأحد عليه نعمة ولا فضلًا إلا للذي خلقه، فيرتبط قلبه بربه بعرى وثيقة، فلا يسجد ولا يخضع إلا للذي خلقه، ويتوكل على الله - تعالى - في كل شؤونه، فلا يطلب الرزق إلا من الله تعالى، ولا يخشى أحدًا إلا الله - تعالى.

المطلب الواحد والأربعون

كلمة التوحيد تثمر لقائلها عملًا صالحًا كل وقت

قال - تعالى -: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾ [إبراهيم].

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: «الكلمة الطيبة لا إله إلا الله، والكلمة الخبيثة الشرك»[٢].

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: «قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ هي: لا إله إلا الله»[٣].

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: «والحكمة

(١) بحث بعنوان أول واجب على المكلف عبادة الله - مجلة الجامعة الإسلامية - العدد ٦٢.
(٢) تفسير ابن أبي حاتم ٦/ ٢٩.
(٣) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٢/ ٣٦٨.

في تمثيل الإيمان بالشجرة؛ هي: أنّ الشجرة لا تكون شجرة إلا بثلاثة أشياء: عرقٌ راسخٌ، وأصلٌ قائمٌ، وفرعٌ عالٍ، كذلك الإيمان لا يتم إلا بثلاثة أشياء: تصديقٌ بالقلب، وقولٌ باللسان، وعملٌ بالأبدان»(١).

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَكُلُّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ الْعَبْدُ وَلَا يَكُونُ طَاعَةً لِلَّهِ وَعِبَادَةً وَعَمَلًا صَالِحًا فَهُوَ بَاطِلٌ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إلَّا مَا كَانَ لِلَّهِ وَإِنْ نَالَ بِذَلِكَ الْعَمَلِ رِئَاسَةً وَمَالًا فَغَايَةُ الْمُتَرَئِّسِ أَنْ يَكُونَ كَفِرْعَوْنَ وَغَايَةُ الْمُتَمَوِّلِ أَنْ يَكُونَ كقارون»(٢).

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمقصود أن كلمة التوحيد إذا شهد بها المؤمن عارفًا بمعناها وحقيقتها نفيًا وإثباتًا متصفًا بموجبها قائما قلبه ولسانه وجوارحه بشهادته، فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل من هذا الشاهد، أصلها ثابت راسخ في قلبه، وفروعها متصلة بالسماء، وهي مخرجة لثمرتها كل وقت»(٣).

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «شبه سبحانه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة؛ لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح، والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع، وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين الذين يقولون: الكلمة الطيبة: هي شهادة أن لا إله إلا الله؛ فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة، الظاهرة والباطنة، فكل عمل صالح مرض لله فهو ثمرة هذه الكلمة.

وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾: شهادة أن لا إلـه إلا الله ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾: وهو

(١) معالم التنزيل ٤/ ٣٤٧.
(٢) مجموع الفتاوى ٨/ ٧٦.
(٣) إعلام الموقعين ١/ ١٣٣.

المؤمن. أصلها ثابت قول: لا إلٰه إلا الله في قلب المؤمن وفرعها في السماء يقول: يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء.

قال الربيع بن أنس (ت: ١٣٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾: هذا مثل الإيمان؛ فإن الإيمان الشجرة الطيبة، وأصلها الثابت الذي لا يزول: الإخلاص فيه، وفرعها في السماء: خشية الله. والتشبيه على هذا القول أصح وأظهر وأحسن، فإنه سبحانه شبه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل، الباسقة الفرع في السماء علوًّا، التي لا تزال تؤتي ثمرتها كل حين.

وإذا تأملت هذا التشبيه رأيته مطابقًا لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب التي فروعها من الأعمال الصالحة صاعدة إلى السماء. ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت، بحسب ثباتها في القلب، ومحبة القلب لها، وإخلاصه فيها، ومعرفته بحقيقتها، وقيامه بحقوقها، ومراعاتها حق رعايتها. فمن رسخت هذه الكلمة في قلبه بحقيقتها التي هي حقيقتها، واتصف قلبه بها، وانصبغ بها بصبغة الله التي لا أحسن صبغة منها؛ فعرف حقيقة إلهيته التي يثبتها قلبه لله، ويشهد بها لسانه، وتصدقها جوارحه، ونفى تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما سوى الله وواطأ قلبه لسانه في هذا النفي والإثبات، وانقادت جوارحه لمن شهد له بالوحدانية طائعة سالكة سبل ربه ذللًا غير ناكبة عنها ولا باغية سواها بدلًا. كما لا يبتغي القلب سوى معبوده الحق بدلًا، فلا ريب أن هذه الكلمة من هذا القلب على هذا اللسان لا تزال تؤتي ثمرتها من العمل الصالح الصاعد إلى الله كل وقت؛ فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل الصالح إلى الرب تعالى.

وهذه الكلمة الطيبة تثمر كلما كثيرًا طيبًا، يقارنه عمل صالح، فيرفع

العمل الصالح الكلم الطيب، كما قال ـ تعالى ـ [٣٥: ١٠]: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر، الآية: ١٠]، فأخبر سبحانه، أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، وأخبر أن الكلمة الطيبة تثمر لقائلها عملًا صالحًا كل وقت.

والمقصود: أن كلمة التوحيد إذا شهد بها المؤمن عارفًا بمعناها وحقيقتها نفيًا وإثباتًا، ومتصفًا بموجبها، قائمًا قلبه ولسانه وجوارحه بشهادته.

فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل من هذا الشاهد أصلها ثابت راسخ في قلبه، وفروعها متصلة بالسماء، وهي مخرجة ثمرتها كل وقت...

والشجرة لا تبقى حية إلا بمادة تسقيها وتنميها، فإذا قطع عنها السقي أوشك أن تيبس.

فهكذا شجرة الإسلام في القلب، إن لم يتعاهدها صاحبها بسقيها كل وقت بالعلم النافع والعمل الصالح، والعود بالتذكر على التفكر، وبالتفكر على التذكر، وإلا أوشك أن تيبس.

ومن ها هنا تعلم شدة حاجة العباد إلى ما أمر الله به من العبادات على تعاقب الأوقات، ومن عظيم رحمته، وتمام نعمته وإحسانه إلى عباده: أن وظفها عليها وجعلها مادة لسقي غراس التوحيد الذي غرسه في قلوبهم»[١].

● قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «والإخلاص والتوحيد شجرة في القلب، فروعها الأعمال، وثمرها طيب الحياة في الدنيا والنعيم

(١) التفسير القيم ص٣٤٠ ـ ٣٤١.

المقيم في الآخرة. وكما أن ثمار الجنة لا مقطوعةٌ ولا ممنوعةٌ فثمرة التوحيد والإخلاص في الدنيا كذلك»[(١)].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «شجرة الإسلام في القلب، إن لم يتعاهدها صاحبها بسقيها كل وقت بالعلم النافع والعمل الصالح، والعود بالتذكر على التفكر، وبالتفكر على التذكر، وإلا أوشك أن تيبس»[(٢)].

المطلب الثاني والأربعون

التوحيد يصحح عمل القلب

❁ عن عبد الله بن عمرو (ت: ٦٥هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ الْخَلِقُ، فَاسْأَلُوا اللهَ أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ**»[(٣)].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالقلب الصحيح: هو الذى همه كله في الله، وحبه كله له، وقصده له، وبدنه له وأعماله له، ونومه له، ويقظته له، وحديثه والحديث عنه أشهى إليه من كل حديث، وأفكاره تحوم على مراضيه ومحابه، والخلوة به آثر عنده من الخلطة إلا حيث تكون الخلطة أحب إليه وأرضى له.. قرة عينه به، وطمأنينته وسكونه إليه، فهو كلما وجد من نفسه التفاتًا إلى غيره تلا عليها: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾﴾ [الفجر]»[(٤)].

---

(١) الفوائد ص١٦٤، ط. دار الكتب العلمية.
(٢) التفسير القيم ص٣٤١.
(٣) رواه الحاكم النيسابوري، في المستدرك على الصحيحين، عن عبد الله بن عمرو، الصفحة أو الرقم (٥)، صحيح.
(٤) إغاثة اللهفان ١/ ٧٣.

❁ قال علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال (ت: ٤٤٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فينبغي للمؤمن أن لا يزهد في قليلٍ من الخير يأتيه، ولا يستقل قليلًا من الشرِّ يجتنبُه فيحسبه هينًا؛ وهو عند الله عظيمٌ، فإنّ المؤمن لا يعلم الحسنةَ التي يرحمه الله بها، ولا يعلم السيئة التي يسخط الله عليه بها»(١).

المطلب الثالث والأربعون

التوحيد إذا كمل في القلب حبب الله لصاحبه الإيمان وزينه في قلبه، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧﴾ [الحجرات].

❁ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره لهذه الآية: «هؤلاء الذين حبَّب الله إليهم الإيمان، وزيَّنه في قلوبهم، وكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون السالكون طريق الحق»(٢).

❁ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن فضائل التوحيد: أنه يسهل على العبد فعل الخير وترك المنكرات ويسليه عن المصيبات، فالمخلص لله في إيمانه وتوحيده تخف عليه الطاعات لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه، ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي، لما يخشى من سخطه وعقابه، فالتوحيد إذا كمل في القلب حبب الله لصاحبه الإيمان وزينه في قلبه، وكره إليه الكفر

---

(١) شرح البخاري لابن بطال ١٠/١٩٨.
(٢) تفسير الطبري (سورة الحجرات، الآية: ٧).

والفسوق والعصيان، وجعله من الراشدين»[١].

۞ قال ابن أبي زيد القيرواني (المتوفى: ٣٨٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «تفضل الله على من أطاعه فوفقه، وحبب الإيمان إليه فيسره له، وشرح له صدره فهداه، و﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ [الكهف، الآية: ١٧]. وخذل من عصاه وكفر به فأسلمه ويسره لذلك فحجبه وأضله، ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف]»[٢].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «كلما قوي التوحيد في قلب العبد قوي إيمانه وطمأنينته وتوكله ويقينه»[٣].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «والقرآن يعطي العلم المفصل فيزيد الإيمان كما قال جندب بن عبد الله (ت: ٧٠ هـ تقريبًا) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وغيره من الصحابة: «تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانًا»[٤].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكمال العبد بحسب هاتين القوتين العلم والحب، وأفضل العلم العلم بالله، وأعلى الحب الحب له، وأكمل اللذة بحسبهما والله المستعان»[٥].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «علامة موت القلب أنه لا تؤلمه جراحات القبائح»[٦].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «القلب المعلق بالشهوات

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد ص٢٤.
(٢) كتاب الجامع ص١١٠.
(٣) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٣٥.
(٤) مجموع الفتاوى ٤/ ٣٨.
(٥) كتاب الفوائد ص٥٣.
(٦) إغاثة اللهفان ١/ ١١٣.

لا يصح له زهد ولا ورع»(١).

المطلب الرابع والأربعون

التوحيد يحيط الله صاحبه بما يؤدبه ويهذبه

❖ قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنعام].

❖ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [المؤمنون].

◎ قال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «تأمّلتُ وقوعَ الشّدائد بالمُؤمنِ، ووجه الحكمة في ذلك؛ فوجدتُ المُرادَ إقامَةَ القَلْبِ على بابِ الرّبِّ تَعَالَى»(٢).

◎ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «من الخير الذي يحصل بالمصيبة: دعاء الله والتضرع إليه؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنعام]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [المؤمنون]، ودعاء الله والتضرع إليه من أعظم النعم»(٣).

◎ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «كل من حدثته نفسُه بذنبٍ فكرهه ونفاه عن نفسه وتركه لله، ازداد صلاحًا وبِرًّا وتقوى»(٤).

◎ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يستقيم لأحد قط الأدب

---

(١) الفوائد ص١١٨.
(٢) صيد الخاطر (٤٠٢).
(٣) جامع المسائل ٩/٤٠٨.
(٤) مجموع الفتاوى ١٠/٧٦٧.

مع الله إلا بثلاثة أشياء: معرفته بأسمائه وصفاته؛ ومعرفته بدينه وشرعه، وما يحب وما يكره؛ ونفس مستعدة قابلة لينة، متهيئة لقبول الحق علمًا وعملًا وحالًا»[(١)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يؤدب الله عبده المؤمن الذي يحبه وهو كريم عنده بأدنى زلة أو هفوة، فلا يزال مستيقظًا حذرًا، وأما من سقط من عينه وهان عليه فإنه يخلي بينه وبين معاصيه، وكلما أحدث ذنبًا أحدث له نعمة، والمغرور يظن أن ذلك من كرامته عليه ولا يعلم أن ذلك عين الإهانة، وأنه يريد به العذاب الشديد، والعقوبة التي لا عاقبة معها»[(٢)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا ابتلى الله عبده بشيء من أنواع البلايا والمحن؛ فإن ردّه ذلك الابتلاء والمحن إلى ربه وطرحه ببابه فهو علامة سعادته وإرادة الخير به.

وإن لم يردّه ذلك البلاء إليه بل شرد قلبه عنه وأنساه ذكر ربه والرجوع إليه فهو علامة شقاوته وإرادة الشر به»[(٣)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنواع الأدب مع الله:

أحدها: صيانة معاملته أن يشوبها بنقيصة.

الثاني: صيانة قلبه أن يلتفت إلى غيره.

الثالث: صيانة إرادته أن تتعلق بما يمقتك عليه»[(٤)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لولا محن الدنيا ومصائبها

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٣٦٥.
(٢) زاد المعاد ٣/ ٥٠٦.
(٣) طريق الهجرتين ١/ ٢٥٩.
(٤) مدارج السالكين ٢/ ٣٧٦.

لأصاب العبد من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلًا وآجلًا»[(١)].

❁ قال الإمام ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشوق إلى الله ولقائه نسيمٌ يهب على القلب؛ يروح عنه وهج الدنيا»[(٢)].

المطلب الخامس والأربعون

التوحيد يفتح أبواب الخير

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ [الأنبياء، الآية: ٨٧] تحقيق لتوحيد الإلهية، فإن الخير لا موجب له إلا مشيئة الله، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، والمعوق له من العبد هو ذنوبه، وما كان خارجًا عن قدرة العبد فهو من الله، وإن كانت أفعال العباد بقدر الله تعالى، لكن الله جعل فعل المأمور وترك المحظور سببًا للنجاة، والسعادة، فشهادة التوحيد تفتح باب الخير، والاستغفار من الذنوب يغلق باب الشر.

ولهذا ينبغي للعبد أن لا يعلق رجاءه إلا بالله ولا يخاف من الله أن يظلمه؛ فإن الله لا يظلم الناس شيئًا ولكن الناس أنفسهم يظلمون؛ بل يخاف أن يجزيه بذنوبه، وهذا معنى ما روي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: لا يرجون عبد إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه.

وفي الحديث المرفوع إلى النبي ﷺ «**أنه دخل على مريض فقال: كيف تجدك؟ فقال أرجو الله وأخاف ذنوبي، فقال: ما اجتمعا في قلب**

---

(١) زاد المعاد ٤/ ١٧٩.

(٢) الفوائد ص٩٨.

عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف».

فالرجاء ينبغي أن يتعلق بالله، ولا يتعلق بمخلوق ولا بقوة العبد ولا عمله، فإن تعليق الرجاء بغير الله إشراك، وإن كان الله قد جعل لها أسبابًا فالسبب لا يستقل بنفسه، بل لا بد له من معاون، ولا بد أن يمنع المعارض المعوق له وهو لا يحصل ويبقى إلا بمشيئة الله تعالى»[(١)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «المسلم الصادق إذا عبد الله بما شرع فتح الله عليه أنوار الهداية في مدة قريبة»[(٢)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ عند تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾: «وهل تركت الشريعة خيرًا ومصلحة إلا جاءت به وأمرت به وندبت إليه وهل تركت شرًّا ومفسدة إلا نهت عنه»[(٣)].

۞ قال محمد بن عبد الرؤوف المناوي (ت: ١٠٣١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «أشرف العِبادات ولب الطّاعات: أن يتوجه القلب بهمومه كُلّها إلى مولاه، فإذا نزل به ضيق انتظر فرجه منه؛ لا من سواه»[(٤)].

المطلب السادس والأربعون

أهل التوحيد هم المستحقون لرحمة الله

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ

---

(١) الفتاوى الكبرى ٥/ ٢٣١ ـ ٢٣٢.
(٢) الاستقامة ١/ ١٠٠٧.
(٣) شفاء العليل ١/ ١٢٦.
(٤) فيض القدير ٢/ ٤٤.

يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ [الأعراف].

عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: «﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، يعني الشرك»(١).

وقال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: «﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ يعني: فسأجعلها ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشرك ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ التوحيد»(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: «فإن الله إنما يرحم أهل توحيده المؤمنين به وإنما كتب رحمته: للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون والذين يتبعون رسوله فهؤلاء هم أهل الرحمة، كما أنهم هم المحسنون، وكما أحسنوا جوزوا بالإحسان. وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ يعني هل جزاء من أحسن عبادة ربه إلا أن يحسن ربه إليه؟ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ): هل جزاء من قال لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد ﷺ إلا الجنة؟»(٣).

قال ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ) رحمه الله: «فأهل التوحيد يرجى لهم ولا يرجى للآخرين أبدًا»(٤).

المطلب السابع والأربعون

التوحيد صفاء للعيش وطيب للحياة

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «وليس في الكائنات ما يسكن

(١) تفسير الطبري (سورة الأعراف، الآية: ١٥٦).
(٢) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (سورة الأعراف، الآية: ١٥٦) ٢/ ١٤٦.
(٣) التفسير القيم ص٢٦٧.
(٤) تفسير ابن أبي حاتم ٧/ ٢٦٥.

العبد إليه ويطمئن به، ويتنعم بالتوجه إليه؛ إلا الله سبحانه؛ ومن عبد غير الله وإن أحبه وحصل له به مودة في الحياة الدنيا ونوع من اللذة فهو مفسدة لصاحبه أعظم من مفسدة أكل الطعام المسموم»[(١)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ينبغي للإنسان أن تكون له ساعات يناجي فيها ربه، ويخلو فيها بنفسه ويحاسبها، ويكون فعله ذلك أفضل من اجتماعه بالناس ونفعهم، ولهذا كانت خلوة الإنسان في الليل بربه أفضل من اجتماعه بالناس»[(٢)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ نقلًا عن بعض الصالحين: «من عرف الله تعالى صفا له العيش، فطابت له الحياة، وهابه كل شيء، وذهب عنه خوف المخلوقين، وأنس بالله»[(٣)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكما أن ثمار الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة، فثمرة التوحيد والإخلاص في الدنيا كذلك»[(٤)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإخلاص: استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن. والرياء: أن يكون ظاهره خيرًا من باطنه. والصدق في الإخلاص: أن يكون باطنه أعمر من ظاهره»[(٥)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الذكر: هو قوت قلوب القوم، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الطريق، ودواء أسقامهم، به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات،

---

(١) مجموع الفتاوى ١/ ٢٣.
(٢) شرح العمدة لابن تيمية ٢/ ٦٥٠.
(٣) مدارج السالكين ٣/ ٣١٧.
(٤) الفوائد ص١٦٤.
(٥) مدارج السالكين ٢/ ٩١.

وتهون عليهم به المصيبات، إذا أظلهم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم»(١).

۞ قال الإمام ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمن أنس بالله في الدنيا، واشتاق إِلَى لقائه، فقد فاز بأعظم لذّة يمكن لبشر الوصول إليها في هذه الدار»(٢).

المطلب الثامن والأربعون

صاحب التوحيد له من العزة بحسب ما معه من التوحيد

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون، الآية: ٨].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران].

قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر].

۞ قال الإمام قتادة (ت: ١١٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله». أخرجه الطبري واختاره»(٣).

۞ كان داود الطائي (ت: ١٦٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «ما أخرج الله عبدًا من ذل المعاصي إلى عز التقوى إلا أغناه بلا مال، وأعزه بلا عشيرة، وآنسه بلا أنيس»(٤).

۞ قال سفيان بن عيينة (ت: ١٩٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ليس في الأرض

(١) مدارج السالكين ٢/ ٣٩٦.
(٢) مجموع الرسائل ١/ ١٨١.
(٣) تفسير جامع البيان للطبري (تفسير سورة فاطر، الآية: ١٠).
(٤) حلية الأولياء ٣/ ٣٢٤.

صاحب بدعة إلاّ وهو يجد ذلّة تغشاه، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعراف، الآية: ١٥٢]»[١].

۞ قال يحيى بن معاذ الرازي (ت: ٢٥٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «على قَدرِ إعزازِ المَرءِ لله يُلبسُه الله من عِزه ويُقيم له العِزَّ في قُلوبِ المُؤمِنين، وعلى قَدر خَوفِك من الله يهابك الخلق»[٢].

۞ قال أبو حاتم محمد بن حبَّان البستي (ت: ٣٥٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «من استغنى بالله أغناه الله، ومن تعزز بالله لم يفقره، كما أن من اعتز بالعبيد أذله»[٣].

۞ قال أبو حاتم محمد بن حبّان البستي (ت: ٣٥٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «القناعة تكون بالقلب؛ فمن غني قلبه غنيت يداه، ومن افتقر قلبه لم ينفعه غناه، ومن قنع لم يتسخط وعاش آمنًا مطمئنًا، ومن لم يقنع لم يكن له في الفوائت نهاية لرغبته، والجَدُّ والحرمان كأنهما يصطرعان بين العباد»[٤].

۞ قال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: عند قوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢﴾ «التقوى سبب للمخرج من كل غم؛ فلا ينبغي لمخلوق أن يتوكل أو يتسبب أو يتفكر إلا في طاعة الله تعالى، وامتثال أمره، فإن ذلك سبب لفتح كل مرتج»[٥].

۞ قال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «من لم يعتز بطاعة الله لم

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٢٨٠.
(٢) صفوة الصفوة ٤/ ٩٥.
(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ١/ ١٤٧.
(٤) روضة العقلاء ص١٥٠.
(٥) صيد الخاطر ١/ ٦٣.

يزل ذليلًا، ومن لم يَستشفِ بكتاب الله لم يزل عليلًا»(١).

۞ قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وجد المؤمن بهذه الشهادة أبوة إبراهيم، وهو قوله: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج، الآية: ٧٨]، وأمومة أزواج النبي ﷺ ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب، الآية: ٦]، وأخوة المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات، الآية: ١٠]، واستغفار الأنبياء: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد، الآية: ١٩]، واستغفار الملائكة: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر، الآية: ٧]، وشفيعًا مثل محمد ﷺ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أُمتي**»(٢)»(٣).

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من كان إيمانه أقوى من غيره، كان جنده من الملائكة أقوى»(٤).

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحرية حرية القلب، والعبودية عبودية القلب»(٥).

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله سبحانه إنما ضمن نصر دينه وحزبه وأوليائه بدينه علمًا وعملًا، لم يضمن نصر الباطل، ولو اعتقد صاحبه أنه محق، وكذلك العزة والعلو إنما هما لأهل الإيمان الذى بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، وهو علم وعمل وحال، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣٩﴾ [آل عمران]، فللعبد من العلو بحسب ما معه من الإيمان، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾

---

(١) التذكرة في الوعظ ص٣٨.
(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥)، وأحمد (١٣٢٢٢).
(٣) عجائب القرآن ص٣٦ ـ ٣٧.
(٤) النبوات ص٤١٦.
(٥) مجموع الفتاوى ١٠/١٨٦.

[المنافقون، الآية: ٨]، فله من العزة بحسب ما معه من الإيمان وحقائقه، فإذا فاته حظ من العلو والعزة، ففي مقابلة ما فاته من حقائق الإيمان، علمًا وعملًا ظاهرًا وباطنًا»[١].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العزة والعلو إنما هما لأهل الإيمان الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، وهو علم وعمل وحال، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران]»[٢].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا اسْتغنى النَّاس بالدنيا فاستغن أَنْت بِالله، وَإِذا فرحوا بالدنيا فافرح أَنْت بِالله، وَإِذا أنسوا بأحبابهم فَاجْعَلْ أنسك بِالله؛ تنَلْ بذلك غَايَة الْعِزّ والرفعة»[٣].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا تسأل سوى مولاك فسؤال العبد غير سيده تشنيع عليه»[٤].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فللعبد من العلو بحسب ما معه من الإيمان، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون، الآية: ٨]»[٥].

❁ قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالأيام خزائن للناس ممتلئة بما خزنوه فيها من خير وشر، وفي يوم القيامة تفتح هذه الخزائن لأهلها؛ فالمتقون يجدون في خزائنهم العز والكرامة، والمذنبون يجدون

---

(١) إغاثة اللهفان ٢/ ١٨١.
(٢) إغاثة اللهفان ٢/ ١٨١.
(٣) الفوائد ص١١٨.
(٤) الفوائد ص٥٠.
(٥) إغاثة اللهفان ٢/ ١٨١.

في خزائنهم الحسرة والندامة»[١].

۞ قال محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «جرت عادة الله سبحانه كما يدل عليه الاستقراء برفع شأن من عودي لسبب علمه وتصريحه بالحق، وانتشار محاسنه بعد موته، وارتفاع ذكره، وانتفاع الناس بعلمه»[٢].

۞ قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ [فاطر، الآية: ١٠]: «من كان يريد العِزَّة، فإنَّها جميعها لله وحده، فليطلبها منه، وليتسبَّب لنيلها بطاعته - جلَّ وعلا - فإنَّ مَنْ أطاعه، أعطاه العِزَّة في الدُّنْيا والآخرة»[٣].

۞ قال الشيخ عبد العزيز السلمان (ت: ١٤٢٢هـ):

«إذا المرء لم يلبس ثيابًا من التقى   تقلب عريانًا وإن كان كاسيا

ولباس التقوى يستمر مع العبد لا يبلى ولا يبيد، وهو جمال القلب والروح، ولباس الثياب إنما يستر العورة الظاهرة في وقت من الأوقات ثم يبلى ويبيد»[٤].

المطلب التاسع والأربعون

التوحيد يُسَهِّل على العبد فعل الخيرات، وترك المنكرات

۞ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) لطائف المعارف ص١٩٦.
(٢) البدر الطالع ١/ ٢٣٣.
(٣) أضواء البيان ٦/ ٢٨٠.
(٤) مفتاح الأفكار ٢/ ٣٠٤.

«التوحيد إذا كَمُل في القلب حبّب الله لصاحبه الإيمان، وزيّنه في قلبه، وكرَّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، وجعله من الراشدين»[(١)].

«فالموحِّد المخلص لله في توحيده تخفُّ عليه الطاعات؛ لِمَا يرجو من ثواب ربه ورضوانه، ويهوِّن عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي؛ لِمَا يخشى من سخط الله وعقابه»[(٢)].

المطلب الخمسون

التوحيد يشرح الصدر ويخفف عن العبد المكاره، ويهوّن عليه الآلام، ويسلِّيه عن المصائب

قال - تعالى -: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢٥﴾ [الأنعام].

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ﴾ يقول: «يوسع قلبه للتوحيد والإيمان به»[(٣)].

عن ابن جريج (ت: ١٥٠هـ) رحمه الله: «قوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ﴾، بـ «لا إله إلا الله»»[(٤)].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رحمه الله: «﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ﴾ لدينه، ﴿يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ﴾، نزلت في النبي ﷺ، يعني

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد لابن سعدي ص٢٤.
(٢) الموسوعة العقدية من الدرر السنية ١/ ٢٨.
(٣) تفسير ابن كثير (سورة الأنعام، الآية: ١٢٥).
(٤) تفسير الطبري (سورة الأنعام، الآية: ١٢٥).

يوسع قلبه، ﴿وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ﴾ عن دينه، ﴿يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا﴾ بالتوحيد، يعني: أبا جهل، حتى لا يجد التوحيد من الضيق مجازًا، ثم قال: ﴿حَرَجٗا﴾ شكًّا، ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾، يعني هكذا، ﴿يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ﴾، يقول: الشر، ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢٥﴾ بالتوحيد»[1].

❁ قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ٤٦﴾ [سبأ]، «ومن وحد الله حق التوحيد يشرح الله صدره ويرفع في الآخرة قدره»[2].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ): «التوحيد، وعلى حسب كماله وقوته وزيادته يكون انشراح صدر صاحبه، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ [الزمر، الآية: ٢٢]»[3].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من وطَّن قلبه عند ربه سكن واستراح، ومن أرسله في الناس اضطرب، واشتد به القلق»[4].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأتبع الناس لرسوله ﷺ أشرحهم صدرًا، وأوضعهم وزرًا، وأرفعهم ذكرًا، وكلما قويت متابعته علما وعملًا وحالًا وجهادًا، قويت هذه الثلاثة حتى يصير صاحبها أشرح الناس صدرًا، وأرفعهم في العالمين ذكرًا. وأما وضع وزره فكيف لا يوضع عنه ومن في السماوات والأرض ودواب البر والبحر يستغفرون

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة الأنعام، الآية: ١٢٥).
(٢) تفسير مفاتيح الغيب للرازي (سورة سبأ، الآية: ٤٦).
(٣) زاد المعاد ٢/ ٢٢.
(٤) الكلام على مسألة السماع ١/ ٣٩٧.

له؟ وهذه الأمور الثلاثة متلازمة، كما أضدادها متلازمة، فالأوزار والخطايا تقبض الصدر وتضيقه، وتخمل الذكر وتضعه، وكذلك ضيق الصدر يضع الذكر ويجلب الوزر، فما وقع أحد في الذنوب والأوزار إلا من ضيق صدره وعدم انشراحه، وكلما ازداد الصدر ضيقًا كان أدعى إلى الذنوب والأوزار، لأن مرتكبها إنما يقصد بها شرح صدره، ودفع ما هو فيه من الضيق والحرج، وإلا فلو اتسع بالتوحيد والإيمان ومحبة الله ومعرفته وانشرح بذلك لاستغنى عن شرحه بالأوزار»[(١)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن انشراح الصدر، ووضع الوزر، ورفع الذكر «لا يزال المطيع لله ورسوله الذي باشر قلبه روح التوحيد وتجريده ومحبة الله ورسوله وامتثال أمره دائرًا بين تلك المنازل الثلاث»[(٢)].

۞ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾ أي: ييسره له وينشطه ويسهله لذلك، فهذه علامة على الخير، كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ [الحجرات: الآية ٧]»[(٣)].

۞ قال محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الإيجي (ت: ٩٠٥ هـ تقريبًا) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ﴾: يوسع قلبه، ﴿لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾: للتوحيد»[(٤)].

---

(١) الكلام على مسألة السماع ١/ ٣٩٧.
(٢) الكلام على مسألة السماع ١/ ٣٩٨.
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (سورة الأنعام، الآية: ١٢٥).
(٤) تفسير جامع البيان في تفسير القرآن للإيجي (سورة الأنعام، الآية: ١٢٥).

۞ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ:
«يقول تعالى ـ مبينًا لعباده علامة سعادة العبد وهدايته، وعلامة شقاوته وضلاله ـ: إن من انشرح صدره للإسلام؛ أي: اتسع وانفسح، فاستنار بنور الإيمان، وحيي بضوء اليقين، فاطمأنت بذلك نفسه، وأحب الخير، وطوعت له نفسه فعله، متلذذًا به غير مستثقل، فإن هذا علامة على أن الله قد هداه، ومَنَّ عليه بالتوفيق، وسلوك أقوم الطريق»[(١)].

فبحسب كمال التوحيد في قلب العبد يتلقَّى المكاره والآلام بقلب منشرح ونفس مطمئنة، وتسليمٍ ورضًا بأقدار الله المؤلمة، وهو من أعظم أسباب انشراح الصدر.

۞ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ:
«فبحسب تكميل العبد للتوحيد والإيمان، يتلقى المكاره والآلام بقلب منشرح ونفس مطمئنة وتسليم ورضا بأقدار الله المؤلمة»[(٢)].

۞ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن فضائله: أنه السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوبتهما»[(٣)].

۞ قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ:
«ومن فضائله: أنه يسهل على العبد فعل الخير وترك المنكرات ويسليه عن المصيبات، فالمخلص لله في إيمانه وتوحيده تخف عليه الطاعات لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه، ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي، لما يخشى من سخطه وعقابه»[(٤)].

---

(١) تفسير السعدي (سورة الأنعام، الآية: ١٢٥).
(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد. ص٢٤.
(٣) القول السديد شرح كتاب التوحيد. ص٢٣.
(٤) القول السديد شرح كتاب التوحيد. ص٢٤.

❁ قال محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإذا رأيت من نفسك أن صدرك ينشرح بالطاعة، وأنه يضيق بالمعصية، فهذه بشرى لك أنك من عباد الله المؤمنين وأوليائه المتقين، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (جعلت قرة عيني في الصلاة)»[(١)].

❁ قال - تعالى -: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر].

❁ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ يقول: أفمن وسع الله قلبه للتوحيد ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ﴾ يعني: على هدى ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ يعني: النبي ﷺ ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ﴾ يعني: الجافية ﴿قُلُوبُهُم﴾ فلم تلن، يعني أبا جهل ﴿مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ يعني: عن توحيد الله ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ يعني: أبا جهل، يقول الله تعالى للنبي ﷺ: ليس المنشرح صدره بتوحيد الله كالقاسي قلبه ليسا بسواء»[(٢)].

❁ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول تعالى ذكره: أفمن فَسَح الله قلبه لمعرفته، والإقرار بوحدانيته، والإذعان لربوبيته، والخضوع لطاعته ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ يقول: فهو على بصيرة مما هو عليه ويقين، بتنوير الحقّ في قلبه، فهو لذلك لأمر الله متبع، وعما نهاه عنه منته فيما يرضيه، كمن أقسى الله قلبه، وأخلاه من ذكره، وضيّقه عن استماع الحق، واتّباع الهدى، والعمل بالصواب؟ وترك ذكر الذي أقسى الله قلبه»[(٣)].

❁ قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ

---

(١) شرح رياض الصالحين ٦/ ٦١.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة الزمر، الآية: ٢٢).
(٣) تفسير جامع البيان عن تأويل القرآن للطبري (سورة الزمر، الآية: ٢٢).

﴿لِلْإِسْلَٰمِ﴾ أي: وسع ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي: ذلك النور في قلبه ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾ الآية: أي: أن الذي شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ليس كالقاسي قلبه الذي هو في ضلال مبين عن الهدى؛ يعني: المشرك»[١].

❁ قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ معناه: على بصيرة ويقين من توحيد ربه»[٢].

❁ قال علي بن يحيى السمرقندي (ت: ٨٨٠ هـ تقريبًا) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ يعني: وسع الله قلبه للإسلام، ويقال: لين الله قلبه لقبول التوحيد، ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ يعني: على هدى من الله تعالى»[٣].

❁ قال أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٨٨٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ يوجب النور والهداية والاطمئنان في النفوس الطاهرة الروحانيَّة، ويوجب القَسْوَة والبعد عن الحقّ في النفوس الخبيثة الشَّيْطَانِيَّة»[٤].

❁ قال يحيى بن معاذ الرازي (ت: ٢٥٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما جفت الدموع إلا لقساوة القلوب، وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب، وما كثرت الذنوب إلا من كثرة العيوب»[٥].

---

(١) تفسير ابن أبي زمنين (سورة الزمر، الآية: ٢٢).
(٢) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (سورة الزمر، الآية: ٢٢).
(٣) تفسير بحر العلوم للسمرقندي (سورة الزمر، الآية: ٢٢).
(٤) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل. (الزمر: ٢٢).
(٥) شعب الإيمان للبيهقي الأثر (٦٨٢٨).

المطلب الواحد والخمسون

أن الله يمن على أهل التوحيد بالحياة الطيبة والطمأنينة إليه والطمأنينة بذكره

قال - تعالى -: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام].

قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) رحمه الله: «والنور عبارة عن الهدى والإيمان»[(١)].

قال - تعالى -: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل].

عن علي بن أبي طالب (ت: ٤٠هـ) رضي الله عنه أنه فسرها بالقناعة. وكذا قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ)، وعكرمة (ت: ١٠٥هـ)، ووهب بن منبه (ت: ١١٤هـ)»[(٢)].

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: «إنها السعادة»[(٣)].

عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما، وجماعة أنهم فسروها: «بالرزق الحلال الطيب»[(٤)].

---

(١) تفسير القرطبي (سورة الأنعام، الآية: ١٢٢).
(٢) تفسير ابن كثير (سورة النحل، الآية: ٩٧).
(٣) تفسير القرطبي (سورة النحل، الآية: ٩٧)، تفسير ابن كثير (سورة النحل، الآية: ٩٧).
(٤) تفسير ابن كثير (سورة النحل، الآية: ٩٧).

۞ قال الضحاك بن مزاحم (ت: ١٠٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «هي الرزق الحلال والعبادة في الدنيا»[١].

۞ قال الضحاك بن مزاحم (ت: ١٠٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا: «هي العمل بالطاعة والانشراح بها»[٢].

۞ قال الحسن البصري (ت: ١١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة وفي الذكر وقراءة القرآن فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق»[٣].

۞ قال الحسن البصري (ت: ١١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، ومجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، وقتادة (ت: ١١٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يطيب لأحد حياة إلا في الجنة»[٤].

۞ قالوا للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: ما الإيمان؟ قال: الطمأنينة»[٥].

۞ قال جعفر الصادق (ت: ١٤٨هـ): «هي المعرفة بالله، وصدق المقام بين يدي الله»[٦].

۞ قال أبو بكر الوراق (ت: ٢٤٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «هي حلاوة الطاعة»[٧].

۞ قال سهل بن عبد الله التستري (ت: ٢٨٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «هي أن

---

(١) تفسير ابن كثير (سورة النحل، الآية: ٩٧).
(٢) تفسير ابن كثير (سورة النحل، الآية: ٩٧).
(٣) حلية الأولياء ٦/ ١٧١.
(٤) تفسير ابن كثير (سورة النحل، الآية: ٩٧).
(٥) تهذيب اللغة ١٥/ ٣٧٠.
(٦) تفسير القرطبي (سورة النحل، الآية: ٩٧).
(٧) تفسير القرطبي (سورة النحل، الآية: ٩٧).

ينزع عن العبد تدبيره ويرد تدبيره إلى الحق»[(١)].

۞ قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقيل هي السعادة، وقيل: الاستغناء عن الخلق والافتقار إلى الحق، وقيل: الرضا بالقضاء»[(٢)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الْعَبْد لَا يَطْمَئِنُّ إِلَى نَفْسِهِ؛ فَإِنَّ الشَّرَّ لَا يَجِيءُ إِلَّا مِنْهَا؛ وَلَا يَشْتَغِلُ بِمَلَامِ النَّاسِ وَذَمِّهِمْ، وَلَكِنْ يَرْجِعُ إِلَى الذُّنُوبِ فَيَتُوبُ مِنْهَا وَيَسْتَعِيذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ نَفْسِهِ وَسَيِّئَاتِ عَمَلِهِ، وَيَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُعِينَهُ عَلَى طَاعَتِهِ؛ فَبِذَلِكَ يَحْصُلُ لَهُ الْخَيْرُ وَيُدْفَعُ عَنْهُ الشَّرُّ»[(٣)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سر عظيم من أسرار التوحيد، وهو أن القلب لا يستقر ولا يطمئن ويسكن إلا بالوصول إليه، وكل ما سواه مما يحب ويراد فمراد لغيره، وليس المراد المحبوب لذاته إلا واحدًا إليه المنتهى، ويستحيل أن يكون المنتهى إلى اثنين كما يستحيل أن يكون ابتداء المخلوقات من اثنين، فمن كان انتهاء محبته ورغبته وإرادته وطاعته إلى غيره بطل عليه ذلك، وزال عنه وفارقه أحوج ما كان إليه، ومن كان انتهاء محبته ورغبته ورهبته وطلبه هو سبحانه ظفر بنعمه ولذته وبهجته وسعادته أبد الآباد»[(٤)].

۞ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحًا ـ وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه من ذكر أو أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله، وأن هذا العمل المأمور به

---

(١) تفسير القرطبي (سورة النحل، الآية: ٩٧).
(٢) تفسير القرطبي (سورة النحل، الآية: ٩٧).
(٣) مجموع الفتاوى ٨/ ٢١٥.
(٤) الفوائد ص٢٠٢.

مشروع من عند الله - بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة، والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت، والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل هذا كله»[١].

قال - تعالى - عن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف].

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وذلك أن من أخلصه الله لنفسه فاختاره، فهو مُخْلِصٌ لله التوحيدَ والعبادة،، ومن أخلص توحيدَ الله وعبادته فلم يشرك بالله شيئًا، فهو ممن أخلصه الله»[٢].

المطلب الثاني والخمسون

التوحيد غذاء الإنسان وقوته وصلاحه وقوامه.

قال قتادة (ت: ١١٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره من السلف: «إن الله سبحانه لم يأمر العباد بما أمرهم به لحاجته إليه، ولا نهاهم عنه بخلًا منه، بل أمرهم بما فيه صلاحهم، ونهاهم عما فيه فسادهم»[٣].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإيمان بالله وعبادته ومحبته وإجلاله هو غذاء الإنسان وقوته وصلاحه وقوامه كما عليه أهل الإيمان، وكما دل عليه القرآن، لا كما يقول من يعتقد من أهل الكلام ونحوهم: إن عبادته تكليف ومشقة وخلاف مقصود القلب لمجرد الامتحان والاختبار، أو لأجل التعويض بالأجرة كما يقوله المعتزلة وغيرهم؛ فإنه

(١) تفسير ابن كثير (سورة النحل، الآية: ٩٧).
(٢) تفسير الطبري (سورة يوسف، الآية: ٢٤).
(٣) قاعدة في المحبة لابن تيمية ص٢٥٥.

وإن كان في الأعمال الصالحة ما هو على خلاف هوى النفس، والله ـ سبحانه يأجر العبد على الأعمال المأمور بها مع المشقة، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ﴾ الآية [التوبة، الآية: ١٢٠]، وقال ﷺ لعائشة (ت: ٥٨هـ) رضي الله عنها: «أجرك على قدر نصبك» ـ فليس ذلك هو المقصود الأول بالأمر الشرعي، وإنما وقع ضمنا وتبعًا لأسباب ليس هذا موضعها، وهذا يفسر في موضعه.

ولهذا لم يجئ في الكتاب والسنة وكلام السلف إطلاق القول على الإيمان والعمل الصالح: أنه تكليف، كما يطلق ذلك كثير من المتكلمة والمتفقهة، وإنما جاء ذكر التكليف في موضع النفي، كقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة، الآية: ٢٨٦]، ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ [النساء، الآية: ٨٤]، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق، الآية: ٧]؛ أي: وإن وقع في الأمر تكليف، فلا يكلف إلا قدر الوسع، لا أنه يسمي جميع الشريعة تكليفًا، مع أن غالبها قرة العيون وسرور القلوب، ولذات الأرواح وكمال النعيم، وذلك لإرادة وجه الله والإنابة إليه، وذكره وتوجه الوجه إليه، فهو الإله الحق الذى تطمئن إليه القلوب، ولا يقوم غيره مقامه في ذلك أبدًا؛ قال الله تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم]»[(١)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «فالذي شرعه الله ورسوله توحيد وعدل وإحسان وإخلاص وصلاح للعباد في المعاش والمعاد، وما لم يشرعه الله ورسوله من العبادات المبتدعة فيه شرك وظلم وإساءة وفساد العباد في المعاش والمعاد»[(٢)].

---

(١) قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة ص٣٦ ـ ٣٧.

(٢) مجموع الفتاوى ١/ ١٩٥.

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنّ الشيطان إنما يمنعه من الدخول إلى قلب ابن آدم؛ ما فيه من ذكر الله الذي أرسل به رسله، فإذا خلا من ذلك تولّاه الشيطان، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝٣٦ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝٣٧﴾ [الزخرف]»[(١)].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما؛ وجلاؤه بالذكر فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء فإذا تُرك الذكر صدئ فإذا ذكر جلاه»[(٢)].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الذكر روح الأعمال الصالحة فإذا خلا العمل عن الذكر كان كالجسد الذي لا روح فيه»[(٣)].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا ريب أن أبدان الغافلين قبور لقلوبهم وقلوبهم فيها كالأموات في القبور وقيل:

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم وأجسامهم قبل القبور قبور»[(٤)].

❁ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا أمر مجرب أن العبادة تنشط البدن وتلينه، وأن النوم يكسل البدن فيقسيه»[(٥)].

❁ قال محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «أهلُ الطّاعةِ عندهم استقرار وعندهم طمأنينة، ولو كان الواحد منهم فقيرًا،

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠/ ٣٩٩.
(٢) الوابل الصيب ص٩٢.
(٣) مدارج السالكين ٢/ ٤٧٦.
(٤) مدارج السالكين ٢/ ٤٣٠.
(٥) البداية والنهاية ٩/ ٢٩٤.

فإنّ الله يُعطيه سَعَةَ بالٍ وقناعةً»[١].

۞ قال محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في قصة زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾ [آل عمران، الآية: ٤١]، أمره الله تعالى بأن يذكر ربّه كثيرًا؛ لأنه بذكر الله تطمئن القلوب، ويزداد الإيمان، ويستنير القلب فلهذا أمره الله أن يذكر ربه كثيرًا.. وبشره بأنه لن يمتنع من ذكر الله الذي هو أجلّ وأشرف من مخاطبة الناس وكلامهم»[٢].

قال محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ينبغي للإنسان إذا انقطع عن الناس أن يشغل وقته بذكر الله عَزَّ وَجَلَّ»[٣].

المطلب الثالث والخمسون

التوحيد هو الطريق إلى الفوز بمحبة الله عَزَّ وَجَلَّ

۞ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم].

۞ عن أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا أحب الله العبد قال لجبرائيل: قد أحببت فلانًا فأحبه، فيحبه جبرائيل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله عَزَّ وَجَلَّ قد أحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض**»، وإذا أبغض العبد. قال مالك: لا أحسبه إلا قال في البغض مثل ذلك.

---

(١) تفسير سورة المائدة ٢/ ٩٠.
(٢) تفسير سورة آل عمران ١/ ٢٤٨.
(٣) تفسير سورة آل عمران ١/ ٢٥٣.

❁ عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما، قوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ۝٩٦﴾ قال: «الودّ من المسلمين في الدنيا، والرزق الحسن، واللسان الصادق»(١).

❁ عن مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) رحمه الله، في قوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ۝٩٦﴾ قال: محبة في المسلمين في الدنيا»(٢).

❁ عن مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) رحمه الله، في قوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ۝٩٦﴾ قال: يحبهم ويحببهم إلى خلقه»(٣).

❁ عن مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) رحمه الله ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ۝٩٦﴾ قال: «يحبهم ويحببهم إلى المؤمنين»(٤).

❁ عن قتادة (ت: ١١٨هـ) رحمه الله، في قوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ۝٩٦﴾ قال: «ما أقبل عبد إلى الله إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه، وزاده من عنده»(٥).

❁ قال هرم بن حيان (ت: في أوائل القرن الثاني من الهجرة) رحمه الله: «ما أقبل عبد بقلبه إلى الله عز وجل إلا أقبل الله بقلوب أهل الإيمان إليه حتى يرزقه مودتهم»(٦).

❁ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رحمه الله: «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ۝٩٦﴾ الآية، يقول: «يجعل

(١) تفسير الطبري (سورة مريم، الآية: ٩٦).
(٢) تفسير الطبري (سورة مريم، الآية: ٩٦).
(٣) تفسير الطبري (سورة مريم، الآية: ٩٦).
(٤) تفسير الطبري (سورة مريم، الآية: ٩٦).
(٥) تفسير الطبري (سورة مريم، الآية: ٩٦).
(٦) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة مريم، الآية: ٩٦).

محبتهم في قلوب المؤمنين فيحبونهم»[١].

❁ قال الفراء (ت: ٢٠٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿وُدًّا﴾ يقول: «يجعل الله لهم وُدًّا في صدور المؤمنين»[٢].

❁ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لحبهم لله وتمام معرفتهم به، وتوقيرهم وتوحيدهم له، لا يشركون به شيئًا، بل يعبدونه وحده ويتوكلون عليه، ويلجؤون في جميع أمورهم إليه»[٣].

❁ قال عبد الرحمٰن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا من نعمه على عباده، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، أن وعدهم أنه يجعل لهم ودًّا؛ أي: محبة ووِدادًا في قلوب أوليائه، وأهل السماء والأرض، وإذا كان لهم في القلوب ود تيسر لهم كثير من أمورهم وحصل لهم من الخيرات والدعوات والإرشاد والقبول والإمامة ما حصل»[٤].

المطلب الرابع والخمسون

التوحيد سبب لنيل ولاية الله

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس].

❁ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة مريم، الآية: ٩٦).
(٢) تفسير معاني القرآن للفراء (سورة مريم، الآية: ٩٦).
(٣) تفسير ابن كثير (سورة مريم، الآية: ٩٦).
(٤) تفسير ابن سعدي (سورة مريم، الآية: ٩٦).

ذكره: الذين صدقوا الله ورسوله، وما جاء به من عند الله، وكانوا يتَّقون الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه»[١].

۞ قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾: أي: هم الذين آمنوا بالله عَزَّ وَجَلَّ ورسوله، وبما جاء من عند الله سبحانه ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾: محارمه»[٢].

۞ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: يتقون الشرك والمعاصي»[٣].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «العبد حبه لله هو محبة عبودية وافتقار، ليست كمحبة الرب لعبده، فإنها محبة استغناء وإحسان.

ولهذا قال - تعالى -: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ۝١١١﴾ [الإسراء].

فالرب لا يوالي عبده من ذل، كما يوالي المخلوق لغيره، بل يواليه إحسانًا إليه، والولي من الولاية، والولاية ضد العداوة، وأصل الولاية الحب، وأصل العداوة البغض»[٤].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ [آل عمران، الآية: ١٧٥].

«أي: يخوفكم بأوليائه ويعظمهم في صدوركم فلا تخافوهم

---

(١) تفسير الطبري (سورة يونس، الآية: ٦٣).
(٢) تفسير مكي بن أبي طالب (سورة يونس، الآية: ٦٣).
(٣) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة يونس، الآية: ٦٣).
(٤) منهاج السنة ٥/ ٣٥٢.

وأفردوني بالمخافة أكفكم إياهم»[١].

قال عمر بن الخطّاب (ت: ٢٣هـ) رضي الله عنه: «اقتربوا من أفواه المطيعين؛ واسمعوا منهم ما يقولون فإنه تتجلى لهم أمور صادقة.

فالله سبحانه وتعالى فطر عباده على الحنيفية: وهو حب المعروف وبغض المنكر فإذا لم تستحل الفطرة فالقلوب مفطورة على الحق، فإذا كانت الفطرة مقومة بحقيقة الإيمان منورة بنور القرآن وخفي عليها دلالة الأدلة السمعية الظاهرة ورأى قلبه يرجح أحد الأمرين كان هذا من أقوى الأمارات عند مثله، وذلك أن الله علم القرآن والإيمان. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا﴾ [الشورى، الآية: ٥١]. ثم قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحًا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورًا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ﴾ [الشورى، الآية: ٥٢]، وقال جندب بن عبد الله (ت: ٧٠هـ تقريبًا) رضي الله عنه، وعبد الله بن عمر (ت: ٧٣هـ): تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانًا. وفي الصحيحين عن حذيفة (ت: ٣٦هـ)، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**«إن الله أنزل الأمانة في جذر قلوب الرجال فعلموا من القرآن، وعلموا من السنة»**»[٢].

۞ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رحمه الله: «﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وصدقوا إيمانهم، باستعمال التقوى، بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي»[٣].

---

(١) بدائع الفوائد ٢/ ٢٣٧.
(٢) مجموع الفتاوى ١٥/ ٤٧٤.
(٣) تفسير ابن سعدي (سورة يونس، الآية: ٦٣).

المطلب الخامس والخمسون

إن الله تكفل لأهل التوحيد بحصول الهداية والتيسير لليسرى وإصلاح الأحوال والتسديد في الأقوال والأفعال

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور، الآية: ٥٥].

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا وعدٌ من الله ـ تعالى ـ لرسوله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بأنه سيجعل أمَّته خلفاء الأرض؛ أي: أئمَّة الناس والولاة عليهم، وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد، ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾ من الناس ﴿أَمْنًا﴾ وحكمًا فيهم، وقد فعله ـ تبارك وتعالى ـ وله الحمد والمنَّة؛ فإنه ﷺ لم يمت حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها، وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام، وهاداه هرقل ملك الروم، وصاحب مصر وإسكندرية وهو المقوقس، وملوك عمان، والنجاشي ملك الحبشة الذي تملك بعد أصحمة ـ رحمه الله وأكرمه»(١).

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومنها: أن الله يدافع عن الموحدين أهل الإيمان شرور الدنيا والآخرة، ويمن عليهم بالحياة الطيبة والطمأنينة إليه والطمأنينة بذكره»(٢).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذكر

(١) «تفسير ابن كثير» (النور: ٥٥).
(٢) القول السديد شرح. كتاب التوحيد ص٢٥.

ـ جلَّ وعلا ـ في هذه الآية الكريمة أنه وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات من هذه الأُمّة: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: ليجعلنهم خلفاء الأرض، الذين لهم السيطرة فيها، ونفوذ الكلمة، والآيات تدلُّ على أن طاعة الله بالإيمان به، والعمل الصالح سبب للقوّة والاستخلاف في الأرض ونفوذ الكلمة؛ كقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ﴾ [الأنفال، الآية: ٢٦]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد]، إلى غير ذلك من الآيات، وقوله ـ تعالى ـ في هذه الآية الكريمة: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: كبني إسرائيل، ومن الآيات الموضحة لذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [القصص، الآيتان: ٥ ـ ٦]، وقوله ـ تعالى ـ عن موسى ـ عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأعراف]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف، الآية: ١٣٧]، إلى غير ذلك من الآيات...»(١).

❁ قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالذين يرتكبون جميع المعاصي ممن يتسمون باسم المسلمين، ثم يقولون: إن الله سينصرنا مغررون؛ لأنهم ليسوا من حزب الله الموعودين بنصره كما

(١) «تفسير الشنقيطي» (النور: ٥٥).

لا يخفى»[١].

۞ قال الإمام الربيع بن أنس (ت: ١٣٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام، الآية: ١٤٩]، «لا حجة لأحد عصى الله، ولكن لله الحجة البالغة على عباده»[٢].

المطلب السادس والخمسون

التوحيد يُعطي الموحد مهابة وحلاوة بحسب إيمانه

۞ قال الحسن البصري (ت: ١١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن المؤمن رزق حلاوة ومهابة»[٣].

۞ قال وكيع بن الجراح (ت: ١٩٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما نعيش إلا في ستره ولو كشف الغطاء لكشف عن أمر عظيم»[٤].

۞ قال القشيري (ت: ٤٦٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والحق سبحانه يستر مثالِبَ العاصين ولا يفضحهم لئلا يحجبوا عن مأمول أفضالهم، ويستر مناقِبَ العارفين عليهم لئلا يُعْجَبُوا بأعمالهم وأحوالهم، وفَرْقٌ بين سَتْرٍ وَسَتْرٍ، وشَتَّان ما هما!»[٥].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما التوحيد أن يكون الله أحب إليه من كل ما سواه، فلا يحب شيئًا مثل ما يحب الله، ولا يخافه كما يخاف الله، ولا يرجوه كما يرجوه، ولا يجله ويكرمه مثل ما يجل الله

---

(١) أضواء البيان ٧/ ٢٥٢.
(٢) تفسير ابن أبي حاتم ٦/ ٤٥٦.
(٣) جلاء الأفهام ص١٨٨.
(٤) الجرح والتّعديل ١/ ٢٢٣.
(٥) لطائف الإشارات للقشيري (تفسير سورة الأنفال: الآيات ٢ ـ ٤).

ويكرمه»[١].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الجمال الذي للخُلُق، من العلم والإيمان والتقوى أعظم من الجمال الذي للخَلْق، وهو الصورة الظاهرة»[٢].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني يحب ويهاب ويجل بما ألبسه الله سبحانه من ثوب الإيمان المقتضي لذلك، ولهذا لم يكن بشر أحب إلى بشر ولا أهيب وأجل في صدره من رسول الله ﷺ في صدر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قال عمرو بن العاص قبل إسلامه: إنه لم يكن شخص أبغض إلي منه فلما أسلم لم يكن شخص أحب إليه منه ولا أجل في عينه منه، قال: ولو سئلت أن أصفه لكم لما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه إجلالًا له»[٣].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «المؤمن يُعطى مهابة وحلاوة بحسب إيمانه؛ فمن رآه هابه، ومن خالطه أحبه، وهذا أمر مشهود بالعيان فإنك ترى الرجل الصالح المحسن ذا الأخلاق الجميلة من أحلى الناس صورة وإن كان أسود أو غير جميل ولا سيما إذا رُزِق حظًّا من صلاة الليل فإنها تنور الوجه وتحسنه.

وقد كان بعض النساء تكثر صلاة الليل فقيل لها في ذلك فقالت إنها تحسن الوجه وأنا أحب أن يحسن وجهي، ومما يدل على أن الجمال الباطن أحسن من الظاهر أن القلوب لا تنفك عن تعظيم صاحبه ومحبته والميل إليه»[٤].

---

(١) جامع المسائل ٣/ ٢٧٩.

(٢) الاستقامة، لابن تيمية ١/ ٤٤١.

(٣) جلاء الأفهام ص١٨٨.

(٤) روضة المحبين ص٢٢١.

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكما أن الجمال الباطن من أعظم نعم الله تعالى على عبده فالجمال الظاهر نعمة منه أيضًا على عبده يوجب شكرًا فإن شكره بتقواه وصيانته ازداد جمالًا على جماله، وإن استعمل جماله في معاصيه سبحانه قلبه له شيئًا ظاهرًا في الدنيا قبل الآخرة فتعود تلك المحاسن وحشة وقبحًا وشينًا وينفر عنه من رآه فكل من لم يتق الله عَزَّ وَجَلَّ في حسنه وجماله انقلب قبحًا وشينًا يشينه به بين الناس، فحسن الباطن يعلو قبح الظاهر ويستره وقبح الباطن يعلو جمال الظاهر ويستره»[(١)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «زيادة الخلق التي قال الله تعالى فيها ﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُ﴾ [فاطر، الآية: ١]، قالوا هو الصوت الحسن والصورة الحسنة والقلوب كالمطبوعة على محبته كما هي مفطورة على استحسانه.

وقد ثبت في الصحيح عنه أنه قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**» قالوا: يا رسول الله، الرجل يحب أن تكون نعله حسنة وثوبه حسنًا أفذلك من الكبر؟ فقال: «**لا، إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس**»[(٢)]، فبطر الحق جحده ودفعه بعد معرفته، وغمط الناس النظر إليهم بعين الازدراء والاحتقار والاستصغار لهم، ولا بأس بهذا إذا كان لله، وعلامته أن يكون لنفسه أشد ازدراء واستصغارًا منه لهم، فأما إن احتقرهم لعظمة نفسه عنده فهو الذي لا يدخل صاحبه الجنة»[(٣)].

---

(١) روضة المحبين ص٢٢٢.
(٢) رواه مسلم (٩١).
(٣) روضة المحبين ص٢٢٢.

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النبي ﷺ ألقى الله عليه من المهابة والمحبة، ولكل مؤمن مخلص حظ من ذلك»[١].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أن الجمال ينقسم قسمين: ظاهر وباطن، فالجمال الباطن هو المحبوب لذاته، وهو جمال العلم والعقل والجود والعفة والشجاعة، وهذا الجمال الباطن هو محل نظر الله من عبده وموضع محبته، كما في الحديث الصحيح: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[٢]. ومما يدل على أن الجمال الباطن أحسن من الظاهر أن القلوب لا تنفك عن تعظيم صاحبه ومحبته والميل إليه»[٣].

---

(١) جلاء الأفهام ص٩٧.

(٢) أخرجه: مسلم ٨/ ١١ (٢٥٦٤) (٣٤) بلفظ: «**إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم**».

(٣) روضة المحبين ص٢٣١.



المبحث الخامس

محاسن كلمة التوحيد من جهة خصائصها



المطلب الأول

كلمة التوحيد وإن كان ابتداؤها نفيا فالمراد بها غاية الإثبات ونهاية التحقيق

❁ قال محمد بن أبي الفتح البعلي (ت: ٧٠٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذه الكلمة وإن كان ابتداؤها نفيًا، فالمراد بها غاية الإثبات، ونهاية التحقيق، فإن قول القائل: لا أخ لي سواك، ولا معين لي غيرك، آكد من قولهم: أنت أخي، وأنت معيني»[(١)].



المطلب الثاني

كلمة التوحيد خفيفة على الجنان واللسان

❁ قال العز بن عبد السلام (ت: ٦٣٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوحيد خفيف على الجنان واللسان، وهو أفضل ما أعطيه الإنسان، ومن به الرحمٰن، والتفوه به أفضل كل كلام، بدليل أنه يوجب الجنان ويدرأ غضب

---

(١) المطلع على أبواب المقنع، ص١٠٢ لمحمد بن أبي الفتح البعلي.

الديان»[(١)].

المطلب الثالث

كلمة التوحيد حروفها غير منقوطة

من خصائص كلمة التوحيد: أنها لا تشتمل على حرف منقوط.

۞ قال محمد بن أبي الفتح البعلي (ت: ٧٠٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن خواصها أن حروفها كلها مهملة ليس فيها حرف معجم تنبيهًا على التجرد من كل معبود سوى الله»[(٢)].

۞ قال يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي (ت: ٩٠٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن خواصها أن حروفها كُلها مهملة ليس فيها حروف معجمة تنبيهًا على التجرد من كل معبود سوى الله تعالى»[(٣)].

المطلب الرابع

كلمة التوحيد حروفها جوفية

۞ قال محمد بن أبي الفتح البعلي (ت: ٧٠٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن خواصها أن جميع حُروفها جوفية، ليس فيها شيء من الشفوية، إشارة إلى أنها تخرج من القلب»[(٤)].

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١/ ٣٤.
(٢) المطلع على أبواب المقنع، ص١٠٢ لمحمد بن أبي الفتح البعلي.
(٣) الدرر النقي في شرح ألفاظ الخرقي ٢/ ٢١٢ ليوسف بن حسن بن عبد الهادي.
(٤) المطلع على أبواب المقنع، ص١٠٢ لمحمد بن أبي الفتح البعلي.

المطلب الخامس

كلمة التوحيد كل خطبة لا تكون فيها فهي جذماء

❁ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء**»[(١)].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «وكل خطبة لا يكون فيها شهادة فهي جذماء، ولهذا كانت السنة في الخطب: أن تفتتح بالحمد، ويختم ذكر الله بالتشهد، ثم يتكلم الإنسان بحاجته»[(٢)].

المطلب السادس

كلمة التوحيد جاء بها التشهد في الصلاة

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «وبها جاء التشهد في الصلاة؛ أوله: التحيات لله، وآخره: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله»[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٤١) والترمذي (١١٠٦) وأحمد ٢/ ٣٤٣.

(٢) قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات لابن تيمية ص٢٩.

(٣) قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات لابن تيمية ص٢٩.



المبحث السادس

محاسن التوحيد من جهة ما يضاده

المطلب الأول

التوحيد سد لباب الغلو في الصالحين

قال - تعالى -: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾ [النساء، الآية: ١٧١].

قال رسول الله ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله»(١).

المطلب الثاني

التوحيد ضد الشرك وهو أعظم ما نهى الله عنه

قال - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان].

سُئِل النبي ﷺ: أيُّ الذنب أعظم عند الله؟ فقال ﷺ: «أن

---

(١) البخاري مع الفتح بلفظه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ﴾، ٦٠/٤٧٨، ١٢/١٤٤، وانظر: شرحه في الفتح، ١٢/١٤٩.

تجعل لله ندًّا، وهو خلقك»[(١)].

❁ عن ابن مسعود، قال: قال رجل: يا رسول الله، أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟ قال: «**من أحسن في الإسلام، لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر**»[(٢)].

❁ قال علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال (ت: ٤٤٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال المهلب: وأما حديث ابن مسعود فمعناه: من أحسن في الإسلام بالتمادي عليه ومحافظته، والقيام بشروطه؛ لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، وأجمعت الأمة أن الإسلام يجب ما قبله. وأما قوله: «**من أساء في الإسلام**» فمعناه: من أساء في عقد الإسلام والتوحيد، بالكفر بالله، فهذا يؤخذ بكل كفر سلف له في الجاهلية والإسلام، فعرضت هذا القول على بعض العلماء فأجازوه، وقالوا: لا معنى لحديث ابن مسعود غير هذا، ولا تكون هذه الإساءة إلا الكفر؛ لإجماع الأمة أن المؤمنين لا يؤاخذون بما عملوا في الجاهلية»[(٣)].

❁ قال علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال (ت: ٤٤٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا إثم أعظم من إثم الإشراك بالله، ولا عقوبة أعظم من عقوبته في الدنيا والآخرة؛ لأن الخلود الأبدي في النار لا يكون في ذنب غير الشرك بالله تعالى ولا يحبط الإيمان غيره؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء، الآية: ٤٨]»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري: (٤٣٨٩/كتاب تفسير القرآن/باب: قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨].

(٢) رواه البخاري: (٦٩٢١)، ومسلم (١٢٠).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٨/ ٥٧٠.

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٨/ ٥٦٩.

❁ قال منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التوحيد: «من خالف أصله كان كافرًا، وعلى المسلمين مفارقته والتبرؤ منه؛ وذلك لأن أدلة التوحيد كثيرة ظاهرة متواترة، قد طبقت العالم وعم وجودها في كل مصنوع، فلم يعذر أحد بالذهاب عنها»(١).

❁ قال سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (ت: ٧١٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [يوسف] يعني الكفار كانوا يؤمنون بالله أنه الخالق، ومع ذلك يشركون الأصنام في العبادة والإيمان وهو التصديق بالله عَزَّ وَجَلَّ لا ينافي الشرك، إنما الذي ينافي الشرك هو التوحيد وهم كانوا يؤمنون بالله عَزَّ وَجَلَّ وجودًا وخلقًا وغير ذلك، ولكن لا يوحدونه عبادة»(٢).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأعظم السيئات: جحود الخالق، والشرك به وطلب النفس أن تكون شريكة وندًّا له أو أن تكون إلهًا من دونه؛ وكلا هذين وقع فإن فرعون طلب أن يكون إلهًا معبودًا دون الله تعالى. وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص، الآية: ٣٨]، وقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤﴾ [النازعات]، وقال لموسى ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ۝٢٩﴾ [الشعراء، الآية: ٢٩]، و﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف، الآية: ٥٤]، وإبليس يطلب: أن يعبد ويطاع من دون الله، فيريد: أن يعبد ويطاع هو ولا يعبد الله ولا يطاع، وهذا الذي في فرعون وإبليس هو غاية الظلم والجهل، وفي نفوس سائر الإنس والجن: شعبة من هذا وهذا»(٣).

(١) قواطع الأدلة ٢/٣٠٨.
(٢) الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية ص٣٥٢.
(٣) مجموع الفتاوى ١٤/٣٢٣.

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأعظم الذنوب عند الله الشرك به، وهو سبحانه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، والشرك منه جليل ودقيق وخفي وجلي، كما في الحديث: «**الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل**»، فقال أبو بكر (ت: ١٣هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله، إذا كان أخفى من دبيب النمل فكيف نصنع به؟ أو كما قال: فقال: «**ألا أعلمك كلمة إذا قلتها نجوت من قليله وكثيره، قل: اللّهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم**»»[١].

المطلب الثالث

التوحيد يمنع مضاهاة الله بالألفاظ

۞ عن أبي هريرة، يحدث عن النبي ﷺ، أنه قال: «**لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضئ ربك، اسق ربك، وليقل: سيدي مولاي. ولا يقل أحدكم: عبدي، أمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي**»[٢].

۞ قال الخطابي (ت: ٣٨٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنما منع ﷺ أن يقال: أطعم ربك، اسق ربك، لأن الإنسان مربوب متعبد، بإخلاص التوحيد لله عَزَّ وَجَلَّ، وترك الإشراك معه، فكره له المضاهاة بالاسم، لئلا يدخل في معنى الشرك، والحر والعبد في هذا بمنزلة واحدة، فأما ما لا تعبد عليه من سائر الحيوان والجماد، فلا بأس بإطلاق هذا الاسم عليه عند الإضافة، كقولك: رب الدابة، ورب الدار، والثوب، ونحوها، ولم يمنع العبد أن يقول: سيدي، ومولاي، لأن مرجع السيادة إلى معنى الرئاسة على من

(١) قاعدة في المحبة ص٦٨.
(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٥٥٢)، وأخرجه مسلم برقم (٢٢٤٩).

تحت يده، والسياسة له، وحسن التدبير لأمره، ولذلك سمي الزوج سيدًا، قال الله ﷻ: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾، وقال النبي ﷺ في الحسن بن علي: «**إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين**» وكان ما جرى منه ـ رضوان الله عليه ـ في ذلك المقام حسن تدبير ونظر سياسة، وإن كان أحق بالأمر، وأولى به.

وقد قال بعض أهل اللغة: إنما سمي السيد سيدًا لأنه يملك السواد الأعظم، أو يليهم، أو كما قال من هذا النحو.

وأما المولى فكثير التصرف في الوجوه المختلفة من ولي، وناصر، وابن عم، وحليف، ومعتق، وجماع ذلك كله في معنى الاشتقاق: ولاية أمر وإصلاحه، فلم يمنع أن يوصف بها الإنسان، ويضاف إليها، ولكن لا يقال السيد على الإطلاق، ولا المولى من غير إضافة إلا في صفة الله ﷻ، وكذلك العبد يكره لمالك الرقبة أن يقول: عبدي، لأن هذا الاسم من باب المضاف ومقتضاه العبودية له، وصاحبه الذي هو مالكه عبد الله، متعبد بأمره ونهيه، فإدخال مملوكه تحت هذا الاسم يوهم الشرك، ويوجب معنى المضاهاة، فلذلك استحب له أن يقول: فتاي، وفتاتي، ونحو ذلك من القول، والمعنى في ذلك كله راجع إلى البراءة من الكبر، والتزام الذل والخشوع، وهو الذي يليق بسمة العبيد وبصفات المربوبين، لا يحسن بعبد أن يقول: فلان عبدي، وإن كان قد ملك قياده في الاستخدام له، والاستخذاء لطاعته، امتحانًا، وابتلاء من الله لخلقه، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾، وقد روى أبو عبد الله على أثر هذا الحديث حديثًا حسنًا ذكرته، ليكون من قارئ هذا الكتاب على بال»[1].

(١) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) للخطابي ٢/ ١٢٧١ ـ ١٢٧٣.

المطلب الرابع

التوحيد يحسم مواد الشرك

۞ قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد كان النبي ﷺ، يحقق هذا التوحيد لأمته ويحسم عنهم مواد الشرك إذ هذا تحقيق قولنا لا إله إلا الله، فإن الإله هو الذي تألهه القلوب لكمال المحبة والتعظيم والإجلال والإكرام والرجاء والخوف»[(١)].

۞ قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «عليك بالعناية بهذه الآية فقد سدت أبواب الشرك في الربوبية والألوهية.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ].

أما قوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ]؛ فهذا سد لباب الشرك في ربوبيته: بأن يجعل لغيره معه تدبيرًا ما فبين سبحانه أنهم:

لا يملكون ذرة استقلالًا،

ولا يشركونه في شيء من ذلك.

ولا يعينونه على ملكه.

ومن لم يكن مالكًا ولا شريكًا ولا عونًا؛ فقد انقطعت علاقته.

وقوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ].

(١) مجموع الفتاوى ١/ ١٣٦.

فهذا سد لباب الشرك في الألوهية: بأن يدعى غيره دعاء عبادة، أو دعاء مسألة.

إذ قد جعل الخير كله في أنا لا نعبد إلا إياه، ولا نسعتين إلا إياه.

وعامة آيات القرآن تثبت هذا الأصل حتى إنه سبحانه قطع أثر الشفاعة بدون إذنه.

كقوله سبحانه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة، الآية: ٢٥٥] وكقوله سبحانه: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام، الآية: ٥١].

وقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام، الآية: ٧٠].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ [الأنعام، الآية: ٧١].

وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام].

وسورة الأنعام سورة عظيمة مشتملة على أصول الإيمان.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ [السجدة، الآية: ٤]، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر، الآية: ٣]، وقوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ﴾ [الزمر].

وسورة الزمر أصل عظيم في هذا. ومن هذا قوله سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ

عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾ [الحج].

وكذلك قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [العنكبوت].

والقرآن عامته إنما هو في تقرير هذا الأصل العظيم الذي هو أصل الأصول. وهذا الذي ذكرناه كله من تحريم هذا الدعاء»[(١)].

المطلب الخامس

التوحيد قرين السنة كما أن البدعة قرينة الشرك

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البدعة قرينة الشرك في كتاب الله تعالى، قال - تعالى -: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف]، فالإثم والبغي قرينان، والشرك والبدعة قرينان»[(٢)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تفاوت درجات الشهوة في الكبر والصغر بحسب تفاوت درجات المشتهى، فشهوة الكفر والشرك كفر، وشهوة البدعة فسق، وشهوة الكبائر معصية»[(٣)].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٢٢٦ - ٢٢٧.
(٢) إغاثة اللهفان ١/ ٦٣.
(٣) مدارج السالكين ١/ ١٣٣.

المطلب السادس

التوحيد نور والشرك ظلمات

قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة].

فالتوحيد نور يوفق الله له من يشاء من عباده وقد بيّن الله ﷻ أنه أنزل على محمد ﷺ الآيات الواضحات والدلائل الباهرات، وأعظمها القرآن الكريم؛ ليخرج الناس بإرسال الرسول ﷺ وبما أنزل عليه من الكتاب والحكمة: من ظلمات الضلالة والشرك، والجهل، إلى نور الإيمان والتوحيد، والعلم والهدى.

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رحمه الله في تفسيرها: «يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ نصيرهم وظهيرهم، يتولاهم بعونه وتوفيقه ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ يعني بذلك: يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وإنما عنى بـ ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ في هذا الموضع الكفر. وإنما جعل ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ للكفر مثلًا؛ لأن الظلمات حاجبة للأبصار عن إدراك الأشياء وإثباتها، وكذلك الكفر حاجب أبصار القلوب عن إدراك حقائق الإيمان والعلم بصحته وصحة أسبابه.

فأخبر تعالى ذكره عباده أنه ولي المؤمنين، ومبصرهم حقيقة الإيمان وسبله وشرائعه وحججه، وهاديهم، فموفقهم لأدلته المزيلة عنهم الشكوك، بكشفه عنهم دواعي الكفر، وظلم سواتر أبصار القلوب.

ثم أخبر تعالى ذكره عن أهل الكفر به، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ يعني الجاحدين وحدانيته ﴿أَوۡلِيَآؤُهُمُ﴾ يعني: نصراؤهم وظهراؤهم الذين يتولونهم ﴿ٱلطَّٰغُوتُ﴾ يعني: الأنداد والأوثان الذين يعبدونهم من دون الله ﴿يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾، يعني بـ ﴿ٱلنُّورِ﴾: الإيمان، على نحو ما بينا ﴿إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾، ويعني بـ ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ظلمات الكفر وشكوكه الحائلة دون أبصار القلوب ورؤية ضياء الإيمان وحقائق أدلته وسبله»[(١)].

۞ قال محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (ت: ٣٢٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم خص المؤمنين بنور العقل، فجعل مسكنه في الدماغ، وجعل له بابًا من دماغه إلى صدره، ليشرق شعاعه بين عيني الفؤاد، ليدبر الفؤاد بذلك النور الأمور، فيميز بين الأمور ما حسن منها وما قبح، ووضع نور التوحيد في باطن هذه البضعة، وهي القلب، وفيه نور الحياة فحيي القلب بالله تبارك وتعالى، وفتح عيني الفؤاد، فأشرق نور التوحيد إلى الصدر من باب القلب، فأبصر عينا الفؤاد بنور الحياة التي فيهما نور التوحيد، فوحد الله عَزَّ وَجَلَّ، وعرفه»[(٢)].

قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النور، الآية: ٣٥].

۞ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «الله سبحانه هادي أهل السماء وأهل الأرض، فمثل هداه في قلب المؤمن كمثل الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار، فإذا مسته النار ازداد ضوءًا على ضوء، كذلك يكون قلب المؤمن يعمل فيه الهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاءه العلم ازداد

---

(١) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (تفسير سورة البقرة، الآية: ٢٥٧).
(٢) كتاب رياضة النفس ص٣٢.

هدى على هدى ونورًا على نور»[١].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «جاءت النصوص الإلهية في أنه بالإيمان يخرج الناس من الظلمات إلى النور»[٢].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن عقوبات المعاصي أنها توقع الوحشة العظيمة في القلب، فيجد المذنب نفسه مستوحشًا، قد وقعت الوحشة بينه وبين ربه، وبينه وبين الخلق، وبينه وبين نفسه. وكلما كثرت الذنوب اشتدت الوحشة»[٣].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «تعوق القلب عن سيره إلى الله وتقطع عليه طريقه ثلاثة أمور:

شرك، وبدعة، ومعصية؛ فيزول عائق الشرك بتجريد التوحيد، وعائق البدعة بتحقيق السنة، وعائق المعصية بتصحيح التوبة»[٤].

۞ قال إسماعيل حقي (ت: ١١٢٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أن التوحيد أفضل الفضائل كما أن الشرك أكبر الكبائر، وللتوحيد نور كما أن للشرك نارًا وأن نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين كما أن نار الشرك أحرق لحسنات المشركين، ولكون التوحيد أفضل العبادات وذكر الله أقرب القربات لم يقيد بالزمان والأوقات، بخلاف سائر الأعمال من الصيام والصلوات، فالخلاص من الضلالة إنما هو بالهداية إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله الحميد»[٥].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٢/ ٢٢٥.
(٢) مجموع لفتاوى ٢/ ١٦.
(٣) جامع الرسائل ١/ ٢٣٠ ـ ٢٣١.
(٤) الفوائد ص١٥٤.
(٥) كتاب روح البيان لإسماعيل حقي ٧/ ٧٢.

المطلب السابع

التوحيد يمنع التسوية بين الله وبين غيره

❊ قال ـ تعالى ـ: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء].

❁ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيرها: «أي: نجعل أمركم مطاعا كما يطاع أمر رب العالمين وعبدناكم مع رب العالمين»[١].

❊ قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام].

❁ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: ثم الذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يعدلون؛ أي: يشركون، وأصله من مساواة الشيء بالشيء، ومنه العدل؛ أي: يعدلون بالله غير الله تعالى، يقال: عدلت هذا بهذا إذا ساويته، وبه قال النضر بن شميل، الباء بمعنى عن؛ أي: عن ربهم يعدلون؛ أي: يميلون وينحرفون»[٢].

❁ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: ومع هذا كله كفر به بعض عباده، وجعلوا معه شريكًا وعدلًا واتخذوا له صاحبة وولدًا، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا»[٣].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن جعل هذا إلهًا مع القوي العزيز، فما قدر الله حق قدره، ولا عرفه حق معرفته ولا عظمه حق

(١) تفسير ابن كثير (سورة الشعراء، الآية: ٩٨).
(٢) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة الأنعام، الآية: ١).
(٣) تفسير ابن كثير (سورة الأنعام، الآية: ١).

تعظمه»[١].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ونظير هذا قوله سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام]؛ أي: يعدلون به غيره، فيجعلون له من خلقه عدلًا وشبهًا.

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يريد: عدلوا بي من خلقي الحجارة والأصنام، بعد أن أقروا بنعمتي وربوبيتي».

وقال الزجاج (ت: ٣١١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «أعلم الله سبحانه أنه خالق ما ذكر في هذه الآية، وأن خالقها لا شيء مثله، وأعلم أن الكفار يجعلون له عديلًا.

والعدل: التسوية، يقال: عدل الشيء بالشيء: إذا سواه، ومعنى يعدلون به: يشركون به غيره؛ قاله مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال الأحمر: يقال: عدل الكافر بربه عدلًا وعدولًا، إذا سوى به غيره فعبده.

وقال الكسائي (ت: ١٨٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: عدلت الشيء بالشيء أعدله عدولًا، إذا ساويته به.

ومثله قوله تعالى عن هؤلاء المشبهين إنهم يقولون في النار لآلهتهم: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩٨﴾ [الشعراء]، فاعترفوا أنهم كانوا في أعظم الضلال وأبينه، إذ جعلوا لله شبهًا وعدلًا من خلقه، سووهم به في العبادة والتعظيم»[٢].

---

(١) التفسير القيم ص٣٨٦.
(٢) إغاثة اللهفان ٢/ ٢٣٠.

قال ـ تعالى ـ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مريم].

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: «شبهًا ومثلًا، وهو من يساميه، وذلك نفي عن المخلوق أن يكون مشابهًا للخالق ومماثلًا له، بحيث يستحق العبادة والتعظيم، ولم يقل سبحانه: هل تعلمه سميًّا أو مشبهًا لغيره، فإن هذا لم يقله أحد، بل المشركون المشبهون جعلوا بعض المخلوقات مشابهًا له مساميًا ونِدًّا وعدلًا، فأنكر عليهم هذا التشبيه والتمثيل.

وكذلك قوله: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٧٣ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ﴾ [النحل]، فنهاهم أن يضربوا له مثلًا من خلقه، ولم ينههم أن يضربوه هو مثلًا لخلقه، فإن هذا لم يقله أحد، ولم يكونوا يفعلونه، فإن الله سبحانه أجل وأعظم وأكبر من كل شيء في فطر الناس كلهم، ولكن المشبهون المشركون يغلون فيمن يعظمونه، فيشبهونهم بالخالق، والله تعالى أجل في صدور جميع الخلق من أن يجعلوا غيره أصلًا، ثم يشبهونه سبحانه بغيره.

فإن الذي يشبهه بغيره: إن قصد تعظيمه لم يكن في هذا تعظيم، لأنه مثل أعظم العظماء بما هو دونه، بل بما ليس بينه نسبة في العظمة والجلالة، وعاقل لا يفعل ذلك.

وإن قصد التنقص شبهه بالناقصين المذمومين، لا بالكاملين الممدوحين.

ومن هنا يعلم أن إثبات صفات الكمال له لا يتضمن التشبيه والتمثيل، لا بالكاملين ولا بالناقصين، وأن نفي تلك الصفات يستلزم

تشبيهه بأنقص الناقصين»[١].

۞ قال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ: «تسوية المشركين معبوديهم برب العالمين لم تكن في الخلق والإيجاد، بل سووهم برب العالمين في التوجه والعبادة.

فحق الله أن لا يتوجه بطلب الغفران ورفع الدرجات والعطاء والرحمة إلا منه، وهم توجهوا بطلب الغفران والعفو وطلب الخير من أصنامهم الممثلة على صور الصالحين، وكان شعارهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر، الآية: ٣]، وكذا قولهم: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس، الآية: ١٨].

فتبين باليقين القاطع أن تسويتهم معبوداتهم برب العالمين، إنما هي في المحبة والتعظيم والتوجه والقصد، وطلب الشفاعة والواسطة.

فالقرآن حق كله، وأحسن وأعلى وأغلى ما فسر به القرآن القرآن»[٢].

المطلب الثامن

حسن التوحيد وقبح الشرك معلومان بالعقل

۞ قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوحيد والشرك ضدان، وكلما كان أحد الضدين أشرف وأكمل كان الضد الثاني أخس وأرذل، ولما كان التوحيد أشرف الأسماء كان الشرك أخس الأشياء، والآتي بأحد الضدين يكون تاركًا للضد الثاني، فالآتي بالتوحيد الذي هو

---

(١) إغاثة اللهفان ١/ ٩٨٣ ـ ٩٨٥.
(٢) هذه مفاهيمنا ص١٢٦.

أفضل الأشياء يكون تاركًا للشرك الذي هو أخس الأشياء وأرذلها، فلهذا المعنى وصف المصدقين بكونهم متقين»[١].

۞ قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن شرف الشيء قد يظهر بواسطة خساسة ضده، فكلما كان ضده شيئًا أخس، كان هو أشرف، ولا شك أن ضد علم الأصول هو الكفر والبدعة، وهما من أخس الأشياء، فوجب أن يكون علم الأصول من أشرف العلوم»[٢].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذنوب المشركين في نوعين: أمر بما لم يأمر الله به كالشرك، ونهي عما لم ينه الله عنه كتحريم الطيبات، فالأول شرع من الدين لما لم يأذن الله به، والثاني تحريم لما لم يحرمه الله»[٣].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أنه إن لم يكن حسن التوحيد وقبح الشرك معلومًا بالعقل، مستقرًّا في الفطر، فلا وثوق بشيء من قضايا العقل، فإن هذه القضية من أجل القضايا البديهيات، وأوضح ما ركب الله في العقول والفطر، ولهذا يقول سبحانه عقيب تقرير ذلك؛ أفلا تعقلون أفلا تذكرون وينفي العقل عن أهل الشرك، ويخبر عنهم بأنهم يعترفون في النار: أنهم لم يكونوا يسمعون ولا يعقلون، وأنهم خرجوا عن موجب السمع والعقل، وأخبر عنهم أنهم ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة] وأخبر عنهم أن سمعهم وأبصارهم وأفئدتهم لم تغن عنهم شيئًا، وهذا إنما يكون في حق من خرج عن موجب العقل الصريح والفطرة الصحيحة، ولو لم يكن في صريح العقل ما يدل على ذلك لم

---

(١) تفسير مفاتيح الغيب للرازي (سورة الزمر، الآية: ٣٣).
(٢) عجائب القرآن للرازي ص١٦.
(٣) جامع المسائل ٨/ ٤٥.

يكن في قوله تعالى: ﴿ٱنظُرُواْ﴾، و﴿اعتبروا﴾، و﴿سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ﴾ فائدة، فإنهم يقولون: عقولنا لا تدل على ذلك، وإنما هو مجرد إخبارك، فما هذا النظر والتفكر والاعتبار والسير في الأرض؟ وما هذه الأمثال المضروبة، والأقيسة العقلية والشواهد العيانية؟ أفليس في ذلك أظهر دليل على حسن التوحيد والشكر؟

وقبح الشرك والكفر مستقر في العقول والفطر، معلوم لمن كان له قلب حي، وعقل سليم، وفطرة صحيحة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الزمر]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج]»(١).

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولما كان المشرك خبيث العنصر خبيث الذات؛ لم تطهر النار خبثه، بل لو خرج منها لعاد خبيثًا كما كان، كالكلب إذا دخل البحر، ثم خرج منه، فلذلك حرم الله تعالى على المشرك الجنة»(٢).

۞ قال ابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واتبعْ ما أمرك الشارع به في اعتقادك وعملك، فهو أحرص على سعادتك، وأعلم بما ينفعك، لأنه

---

(١) مدارج السالكين ٣/ ٤٥٥. وقال ابن القيم في مدارج السالكين ٣/ ٤٥٤ ما نصه: «وقد ذكرنا هذه المسألة مستوفاة من كتاب مفتاح دار السعادة وذكرنا هناك نحوًا من ستين وجهًا، تبطل قول من نفى القبح العقلي».

(٢) زاد المعاد ١/ ٦٨.

من طور فوق إدراكك، ومن نطاق أوسع من نطاق عقلك، وليس ذلك بقادح في العقل ومداركه، بل العقل ميزان صحيح، وأحكامه يقينية لا كذب فيها، غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد، والآخرة، وحقيقة النبوة، وحقائق الصفات الإلهية، وكل ما وراء طوره، فإن ذلك طمع في محال، ومثال ذلك رجلٌ رأى الميزان الذي يوزن به الذهب فطمع أن يزن به الجبال، وهذا لا على أن الميزان في أحكامه غير صادق، لكن للعقل حد يقف عنده ولا يتعدى طوره حتى يكون له أن يحيط بالله وبصفاته، فإنه ذرة من ذرات الوجود»[(١)].

المطلب التاسع

بكمال التوحيد تكمل البراءة من الشرك والكبر

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وبكمال عبوديته لله تكمل تبرئته من الْكبر والشرك»[(٢)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإسلام له ضدان: الإشراك والاستكبار، لأنه الاستسلام لله وحده كما يترجم فيه شهادة أن لا إلٰه إلا الله وشهادة أن محمدًا عبده ورسوله، فمن استسلم لله ولغير الله فقد أشرك بالله وجعل له عدلًا وندًّا وشريكًا، ومن لم يستسلم بحال فقد استكبر كحال فرعون وغيره»[(٣)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولهذا قرن هذا في شعار

(١) مقدمة ابن خلدون ص٦٨٨.
(٢) العبودية ١/ ١٠٢.
(٣) جامع المسائل ١/ ٢٢٣.

الإسلام الذي هو الأذان بين التكبير والتهليل، فإن التكبير ـ وهو قول «الله أكبر» ـ يمنع كبر غير الله، وقول لا إلٰه إلا الله يوجب التوحيد، وهاتان الكلمتان قرينتان»[(١)].

۞ قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «حضور القلب في التوحيد عند الأذان والإقامة، فإن من غفل قلبه عند الأذان والإقامة عن التوحيد نقص من صلاته روحها فلم يكن لها عمود قيام، من حضر قلبه عند الأذان والإقامة حضر قلبه في صلاته، ومن غفل قلبه عندهما غفل قلبه في صلاته»[(٢)].

المطلب العاشر

كلمة التوحيد تجدد الإيمان في القلب

۞ عن أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «**جددوا إيمانكم**». قيل: يا رسول الله، وكيف نجدد إيماننا؟ قال: «**أكثروا من قول لا إله إلا الله**»[(٣)].

---

(١) جامع المسائل ١/ ٢٢٤.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣/ ٣٦٣.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ـ تتمة مسند أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ ٣/ ٣٤٥ رقم (٨٦٩٥)، قال الهيثمي في المجمع ـ كتاب الأذكار، باب ما جاء في فضل لا إله إلا الله ـ ١٠/ ٦٤: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات.
ورواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة رقم (٧٩٩)، وعبد بن حميد في المنتخب رقم (١٤٢٤) وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٢/ ٣٥٧، والحاكم في المستدرك ٤/ ٢٨٥ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي فيه صدقة بن موسى السلمي الدقيقي ضعفوه وضعفه الألباني في ضعيف الجامع رقم (٢٦٢٦).

❁ عن عبد الله بن عمرو (ت: ٦٥هـ) رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ الْخَلِقُ، فَاسْأَلُوا اللهَ أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ»(١).

❁ عن عمر بن الخطاب (ت: ٢٣هـ) رضي الله عنه أنه كان يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه فيقول: «قم بنا نزداد إيمانًا»(٢).

❁ قال أبو الدرداء (ت: ما بين ٣٢ ـ ٣٨هـ) رضي الله عنه: «إن من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد هو أم ينتقص، وإن من فقه الرجل أن يعلم نزغات الشيطان أنى تأتيه»(٣).

❁ عن عمير بن حبيب الخطمي (لم أقف على تاريخ وفاته) رضي الله عنه قال: «الإيمان يزيد وينقص، قيل له: وما زيادته وما نقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته، وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا فذلك نقصانه»(٤).

❁ عن عطاء بن أبي رباح (ت: ١١٤هـ) رحمه الله قال: «ليس إيمان من أطاع الله كإيمان من عصى الله»(٥).

---

(١) رواه الحاكم النيسابوري، في المستدرك على الصحيحين، عن عبد الله بن عمرو، الصفحة أو الرقم (٥)، وصححه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٥٢: «رواه الطبراني في الكبير، وإسناده حسن»، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/ ١١٣، برقم (١٥٨٥).

(٢) الإيمان لابن أبي شيبة ص٣٥. وروى نحوه عن معاذ بن جبل وعبد الله بن رواحة.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي: ١٧١٠.

(٤) الشريعة للآجري ١/ ٢٦١، وأخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان (١٤)، والمصنف ٦/ ١٦٠ (٣٠٣٢٧).

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٣/ ٩٥٦.

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «متى خالط القلب بشاشة الإيمان واكتحلت بصيرته بحقيقة اليقين انقلبت النفس الأمارة مطمئنة راضية وتلقى أحكام الرب تعالى بصدر واسع منشرح مسلم»[(١)].

المطلب الحادي عشر

التوحيد حرز من الوقوع في ضلال الشرك

• قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف].

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟﴾ يقول: فلا أحد أضل ممن يعبد ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الآلهة ﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ﴾ أبدًا إذا دعاه يقول: لا تجيبهم الآلهة؛ يعني: الأصنام بشيء أبدًا ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

ثم قال: ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥﴾ آية؛ يعني: الآلهة غافلون عن من يعبدها، فأخبر الله عنها في الدنيا»[(٢)].

۞ قال محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى ذكره: وأيّ عبد أضلّ من عبد يدعو من دون الله آلهة لا تستجيب له إلى يوم القيامة: يقول: لا تُجيب دعاءه أبدًا، لأنها حجر أو خشب أو نحو ذلك»[(٣)].

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ١٤٤.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (الأحقاف، الآية: ٥).
(٣) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري (الأحقاف، الآية: ٥).

۞ قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ أي: لا أحد أضل وأجهل ﴿مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وهي الأوثان، ﴿وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝٥﴾ يعني: لا يسمعون ولا يفهمون»[١].

۞ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝٥﴾ أي: لا أضل ممن يدعو أصنامًا، ويطلب منها ما لا تستطيعه إلى يوم القيامة، وهي غافلة عما يقول، لا تسمع ولا تبصر ولا تبطش؛ لأنها جماد حجارة صُمّ»[٢].

۞ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: فهل هناك أضل من هؤلاء الذين يعبدون من لا يستجيب لهم مدة مقامهم في الدنيا، لا ينتفعون بهم مثقال ذرة، وهم لا يسمعون منهم دعاءً، ولا يجيبون لهم نداءً، وهذا حالهم في الدنيا، ويوم القيامة يكفرون بشركهم، ويكونون لهم أعداء يلعن بعضهم بعضًا، ويتبرأ بعضهم من بعض»[٣].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝٤٠ قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ۝٤١ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝٤٢﴾ [الحجر].

---

(١) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (الأحقاف، الآية: ٥).
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (الأحقاف، الآية: ٥).
(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان، للسعدي (الأحقاف، الآية: ٥).

وقال في سورة النحل: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل].

فتضمن ذلك أمرين:

أحدهما: نفي سلطانه وإبطاله على أهل التوحيد والإخلاص.

والثاني: إثبات سلطانه على أهل الشرك وعلى من تولاه.

ولما علم عدو الله أن الله لا يسلطه على أهل التوحيد والإخلاص قال: ﴿...فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص].

فعلم عدو الله أن من اعتصم بالله، وأخلص له، وتوكل عليه لا يقدر على إغوائه وإضلاله، وإنما يكون له السلطان على من تولاه وأشرك مع الله، فهؤلاء رعيته، وهو وليهم وسلطانهم ومتبوعهم»[١].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان بطلان الشرك وقبحه معلومًا بالفطرة السليمة والعقول الصحيحة، والعلم بقبحه أظهر من العلم بقبح سائر القبائح»[٢].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فعلم عدو الله أن من اعتصم بالله، عَزَّ وَجَلَّ، وأخلص له وتوكل عليه لا يقدر على إغوائه وإضلاله، وإنما يكون له السلطان على من تولاه وأشرك مع الله، فهؤلاء رعيته وهو وليهم وسلطانهم ومتبوعهم»[٣].

(١) إغاثة اللهفان ١/ ١٧٠.
(٢) إغاثة اللهفان ٢/ ٢٧١.
(٣) إغاثة اللهفان ١/ ٩٩.

المطلب الثاني عشر

المعرض عن التوحيد مشرك، شاء أم أبى

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨) رحمه الله: «كل من كان عن التوحيد والسنة أبعد، كان إلى الشرك والابتداع والافتراء أقرب، كالرافضة الذين هم أكذب طوائف أهل الأهواء، وأعظمهم شركًا، فلا يوجد في أهل الأهواء أكذب منهم، ولا أبعد عن التوحيد منهم»(١).

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: «فالمعرض عن التوحيد مشرك، شاء أم أبى، والمعرض عن السنة مبتدع ضال، شاء أم أبى، والمعرض عن محبة الله وذكره عبد الصور، شاء أم أبى، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»(٢).

❁ قال محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٥هـ) رحمه الله: «لا خلاف بين المسلمين أن المشرك إذا مات على شركِه، لم يكن من أهل المغفرة التي تفضَّلَ اللهُ بها على غير أهلِ الشرك حسبما تقتضيه مشيئتُه، وأما غير أهل الشرك من عصاة المسلمين، فداخلون تحت المشيئة؛ يغفر لمن يشاء، ويعذِّب من يشاء»(٣).

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٨١ ـ ٢٨٢).
(٢) إغاثة اللهفان ١/ ٢١٤.
(٣) تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني ١/ ٧١٧.

المطلب الثالث عشر

كلمة التوحيد حرز من الشيطان

قال - تعالى -: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾ [ص].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم استثنى إبليس، فقال: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ أي: بالتوحيد، فإني لا أستطيع أن أغويهم»[(١)].

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾ يقول: إلا من أخلصته منهم لعبادتك، وعصمته من إضلالي، فلم تجعل لي عليه سبيلًا، فإني لا أقدر على إضلاله وإغوائه»[(٢)].

قال أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال بعضهم: المخلصين للتوحيد؛ فإن كان ذلك فيكون قوله: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ لأهلكنهم. وقال بعضهم: ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾ من كل ذنب وكل معصية. لكن الوجهين الأولين أشبه وأقرب، والله أعلم»[(٣)].

قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِلَّا عِبَادَكَ﴾ فأضافهم إليه سبحانه تنبيهًا على أن غيرهم قد انسلخوا من التشرف بعبوديته بالنسبة إلى من أطاعوه. ولما كان يمكن أن يكون المستثنى من

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة ص، الآية: ٨٣).

(٢) تفسير جامع البيان في تأويل آي القران للطبري (سورة ص، الآية: ٨٣).

(٣) تفسير تأويلات أهل السنة للماتريدي (سورة ص، الآية: ٨٣).

غير البشر، قيد بقوله: ﴿مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾ أي: الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته فأخلصوا قصدهم لها، وعرف من الاستثناء أنهم قليل وأن الغواة هم الأصل»[(١)].

۞قال أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٨٩٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾ وهم الذين أخلصَهم الله تعالى لطاعتِه وعصمَهم من الغوايةِ. وقرئ المخلِصين على صيغةِ الفاعلِ أي الذينَ أخلصُوا قلوبَهم وأعمالَهم لله تعالى»[(٢)].

۞ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾ علم أن الله سيحفظهم من كيده. ويحتمل أن الباء للاستعانة، وأنه لما علم أنه عاجز من كل وجه، وأنه لا يضل أحدًا إلا بمشيئة الله تعالى، فاستعان بعزة الله على إغواء ذرية آدم، هذا وهو عدو الله حقًّا»[(٣)].

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝٤٢﴾ [الحجر].

۞ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝٤٢﴾ يقول تعالى ذكره: إن عبادي ليس لك عليهم حجة، إلا من اتبعك على ما دعوته إليه

---

(١) تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (سورة ص، الآية: ٨٣).
(٢) تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (سورة ص، الآية: ٨٣).
(٣) تفسير تيسر الكريم المنان في تفسير القرآن لابن سعدي (سورة ص، الآية: ٨٣).

من الضلالة ممن غوى وهلك»[(١)].

۞ قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ أي: لا تستطيع أن تضل من هدى الله ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾»[(٢)].

۞ قال الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِنَّ عِبَادِى﴾ يعني: الذين هداهم واجتباهم ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ قوة وحجة في إغوائهم ودعائهم إلى الشرك والضلال»[(٣)].

۞ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ أي: الذين قدرت لهم الهداية، فلا سبيل لك عليهم، ولا وصول لك إليهم»[(٤)].

۞ قال محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ المراد بالعباد هنا: هم المخلصون، والمراد أنه لا تسلط له عليهم بإيقاعهم في ذنب يهلكون به، ولا يتوبون منه، فلا ينافي هذا ما وقع من آدم وحواء ونحوهما، فإنه ذنب مغفور لوقوع التوبة عنه ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ استثنى سبحانه من عباده هؤلاء؛ وهم المتبعون لإبليس من الغاوين عن طريق الحقّ الواقعين في الضلال، وهو موافق لما قاله إبليس اللعين من قوله: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا

---

(١) تفسير جامع البيان في تأويل آي القران للطبري (سورة الحجر، الآية: ٤٢).

(٢) تفسير ابن أبي زمنين (سورة الحجر، الآية: ٤٢).

(٣) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (سورة الحجر، الآية: ٤٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (سورة الحجر، الآية: ٤٢).

عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ [ص]، ويمكن أن يقال: إن بين الكلامين فرقًا فكلام الله سبحانه فيه نفي سلطان إبليس على جميع عباده إلّا من اتبعه من الغاوين، فيدخل في ذلك المخلصون وغيرهم ممن لم يتبع إبليس من الغاوين؛ وكلام إبليس اللعين يتضمن إغواء الجميع إلّا المخلصين، فدخل فيهم من لم يكن مخلصًا ولا تابعًا لإبليس غاويًا. والحاصل أن بين المخلصين والغاوين التابعين لإبليس طائفة لم تكن مخلصة ولا غاوية تابعة لإبليس. وقد قيل: إن الغاوين المتبعين لإبليس هم المشركون؛ ويدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل]»(١).

قال - تعالى -: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء].

عن مجاهد (ت: ١٠٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ قال: «عبادي الذين قضيت لهم بالجنة، ليس لك عليهم أن يذنبوا ذنبًا، إلا أغفر لهم»(٢).

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِنَّ عِبَادِى﴾ المخلصين، ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ ملك في الكفر والشرك أن تضلهم عن الهدى، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ آية، يعنى حرزًا ومانعًا، فلا أحد أمنع من الله عَزَّ وَجَلَّ، فلا يخلص إليهم إبليس»(٣).

---

(١) تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني (سورة الحجر، الآية: ٤٢).

(٢) تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (سورة الإسراء، الآية: ٦٥).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة الإسراء، الآية: ٦٥).

۞ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ يقول تعالى ذكره لإبليس: إن عبادي الذين أطاعوني فاتبعوا أمري وعصوك يا إبليس؛ ليس لك عليهم حجة.

وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: وكفاك يا محمد ربك حفيظًا، وقيمًا بأمرك؛ فانقَدْ لأمره، وبلغ رسالاته هؤلاء المشركين، ولا تخف أحدًا، فإنه قد توكل بحفظك ونصرتك»[(١)].

۞ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ أي: حافظًا من يوكل الأمر إليه»[(٢)].

۞ قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ قال ابن عباس: هم المؤمنون ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ أي: عاصمًا من القبول من إبليس، وحافظًا من كيده وسوء مكره»[(٣)].

۞ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾: إخبار بتأييده تعالى عباده المؤمنين، وحفظه إياهم، وحراسته لهم من الشيطان الرجيم؛ ولهذا قال: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ أي: حافظًا ومؤيدًا وناصرًا»[(٤)].

۞ عن أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير

---

(١) تفسير جامع البيان في تأويل آي القران للطبري (سورة الإسراء، الآية: ٦٥).
(٢) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم (سورة الإسراء، الآية: ٦٥).
(٣) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (سورة الإسراء، الآية: ٦٥).
(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (سورة الإسراء، الآية: ٦٥).

في يوم مئة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مئة حسنة، ومحيت عنه مئة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء إلا رجل عمل أكثر منه»[(١)].

۞ عن أبي عياش الزرقي (ت: قيل بعد الأربعين من الهجرة) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يصبح: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، كان له عدل رقبة من ولد إسماعيل، وحط عنه عشر خطيئات، ورفع له عشر درجات، وكان في حرز من الشيطان حتى يمسي، وإذا أمسى فمثل ذلك حتى يصبح»[(٢)].

۞ قال النووي (ت: ٦٧٦هـ) رحمه الله: «وَظَاهِرُ إِطْلَاقِ الْحَدِيثِ أَنَّهُ يُحَصِّلُ هَذَا الْأَجْرَ الْمَذْكُورَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَنْ قَالَ هَذَا التَّهْلِيلَ مِائَةَ مَرَّةٍ فِي يَوْمِهِ سَوَاءٌ قَالَهُ مُتَوَالِيَةً، أَوْ مُتَفَرِّقَةً فِي مَجَالِسَ، أَوْ بَعْضَهَا أَوَّلَ النَّهَارِ وَبَعْضَهَا آخِرَهُ.

لَكِنَّ الْأَفْضَلَ: أَنْ يَأْتِيَ بِهَا مُتَوَالِيَةً، فِي أَوَّلِ النَّهَارِ؛ لِيَكُونَ حِرْزًا لَهُ فِي جَمِيعِ نَهَارِهِ»[(٣)].

المطلب الرابع عشر

كلمة التوحيد كفارة لمن حلف بغير الله

۞ عن أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين فقال في حلفه: واللات، فليقل: لا إله إلا الله، ومن

---

(١) رواه البخاري (٣٢٩٣) ومسلم (٢٦٩١).

(٢) أخرجه أبو داود، وصححه الألباني، انظر: صحيح أبي داود برقم (٥٠٧٧)، وأخرجه ابن ماجه، وصححه الألباني، انظر: صحيح ابن ماجه برقم ٣١٣٢.

(٣) شرح النووي على مسلم» ١٧/١٧.

قال لصاحبه: تعال أقامرك فليتصدق، يعني بشيء»[١]

۞ عن سعد بن أبي وقاص (ت: ٥٥هـ) رضي الله عنه أنه حلف باللات والعزى، فقال له النبي ﷺ: «قل: لا إله إلا الله وحده ثلاثًا، واتفل عن شمالك ثلاثًا، وتعوذ بالله من الشيطان، ولا تعد»[٢].

۞ قال الخطابي (ت: ٣٨٨هـ) رحمه الله: «اليمين إنما تكون بالمعبود الذي يعظم، فإذا حلف بهما؛ فقد ضاهى الكفار في ذلك، فأمره أن يتداركه بكلمة التوحيد المبرئة من الشرك»[٣].

۞ قال علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال (ت: ٤٤٩هـ) رحمه الله: «وليس في قوله ﷺ: «من حلف باللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله» إطلاق منه لهم على الحلف بذلك وكفارته بقول: لا إله إلا الله، فإنه علمهم عليه السلام أنه من نسي أو جهل فحلف بذلك أن كفارته أن يشهد بشهادة التوحيد؛ لأنه قد تقدم إليهم عليه السلام بالنهي عن أن يحلف أحد بغير الله، فعذر الناسي والجاهل، ولذلك سوى البخاري في ترجمته الجاهل مع المتأول في سقوط الحرج عنه؛ لأن حديث أبي هريرة في الجاهل والناسي، والله أعلم»[٤].

۞ قال علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال (ت: ٤٤٩هـ) رحمه الله: «وكذلك ندب من حلف باللات والعزى أن يشهد شهادة التوحيد والإخلاص؛ لينسخ بذلك ما جرى على لسانه من كلمة الإشراك والتعظيم

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٨٦٠). وأخرجه مسلم (١٦٤٧).
(٢) أخرجه أحمد برقم (١٦٢٢)، وهذا لفظه، وقال الأرنؤوط: سنده صحيح. وأخرجه ابن ماجه برقم (٢٠٩٧).
(٣) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) للخطابي ٣/١٩١٨.
(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٩/٢٩٢.

لها، وإن كان غير معتقد لذلك. والدليل أن ذلك على الندب أن الله لا يؤاخذ العباد من الأيمان إلا بما انطوت الضمائر على اعتقاده وكانت به شريعة لها، وكل محلوف به باطل فلا كفارة فيه، وإنما الكفارات في الأيمان المشروعة»[١].

المطلب الخامس عشر

التوحيد يذهب أصل الشرك

❁ عن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا إله إلا الله لا يسبقها عمل ولا تترك ذنبًا»[٢].

❁ عن أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله أنجته يومًا من الدهر أصابه قبلها ما أصابه»[٣].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «فَالتَّوْحِيدُ يُذْهِبُ أَصْلَ الشِّرْكِ، وَالِاسْتِغْفَارُ يَمْحُو فُرُوعَهُ»[٤].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «وَالِاسْتِغْفَار مِنْ أَكْبَرِ الْحَسَنَاتِ وَبَابُهُ وَاسِعٌ؛ فَمَنْ أَحَسَّ بِتَقْصِيرٍ فِي قَوْلِهِ أَوْ عَمَلِهِ أَوْ حَالِهِ أَوْ رِزْقِهِ أَوْ تَقَلُّبِ قَلْبٍ: فَعَلَيْهِ بِالتَّوْحِيدِ وَالِاسْتِغْفَارِ»[٥].

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٩/ ٧٣ ـ ٧٤.
(٢) رواه ابن ماجه: كتاب الأدب، باب فضل لا إله إلا الله، رقم (٣٧٩٧)، ٢/ ١٢٤٨.
(٣) أخرجه البيهقي كما في الدر المنثور ٦/ ٤٧.
(٤) مجموع الفتاوى ١١/ ٦٩٧.
(٥) مجموع الفتاوى ١١/ ٦٩٨.

المطلب السادس عشر

كلمة التوحيد توجب البراءة من الشرك وأهله

قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة، الآية: ٤].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن أهل الملل متفقون على أن الرسل جميعهم نهوا عن عبادة الأصنام، وكفروا من يفعل ذلك، وأن المؤمن لا يكون مؤمنًا حتى يتبرأ من عبادة الأصنام وكل معبود سوى الله، كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة، الآية: ٤].

وقال الخليل: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء].

وقال الخليل لأبيه وقومه: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف].

وقال الخليل وهو إمام الحنفاء، الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب، واتفق أهل الملل على تعظيمه لقوله: ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام]»[1].

(١) مجموع الفتاوى ٢/ ١٢٨.

المطلب السابع عشر

كلمة التوحيد فيها تبرئة من الشرك الأصغر وتكفره

۞ وجاء في الحديث: «الشركُ أخفَى في أمتي من دبيبِ النملِ على الصَّفا»، فقال أبو بكرٍ: فكيف النجاةُ من ذلك؟ فقال: «يا أبا بكرٍ ألا أُعلِمُكَ شيئًا إذا قلتَه برِئتَ من قليلِهِ وكثيرِهِ، قلِ: اللَّهمَّ إني أعوذُ بك أن أُشرِكَ وأنا أعلمُ، وأستغفرُك مما لا أعلم»[(١)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «ظلم العبد نفسه كبخله ـ لحب المال ـ ببعض الواجب هو شرك أصغر، وحبه ما يبغضه الله حتى يكون يقدم هواه على محبة الله شرك أصغر ونحو ذلك، فهذا صاحبه قد فاته من الأمن والاهتداء بحسبه؛ ولهذا كان السلف يدخلون الذنوب في هذا الظلم بهذا الاعتبار»[(٢)].

المطلب الثامن عشر

إذا ظهر التوحيد في مكان هربت الشياطين فبالتوحيد يحفظ الله المرء من الشيطان

۞ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ١٠٠﴾ [النحل].

---

(١) أخرجه أبو يعلى (٦٠)، وابن حبان في «المجروحين» ٣/ ١٣٠، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٨٦) وقال الذهبي ميزان الاعتدال ٤/ ٤٠٣: «فيه يحيى بن كثير صاحب البصري ذكر من جرحه».

(٢) مجموع الفتاوى ٧/ ٨٢.

۞ عن أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) رضي الله عنه له في قصته مع الشيطان ما نصه: قال - أي الشيطان: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: «**ما فعل أسيرك البارحة؟**» قلت: يا رسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: «**ما هي؟**» قال: قال لي إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص شيء على الخير، فقال النبي ﷺ: «**أما إنه صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب من ثلاث ليال يا أبا هريرة؟**» قلت: لا، قال: «**ذاك شيطان**»(١).

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «والكهانةُ كانت ظاهرةً كثيرةً بأرضِ العَرب، فلما ظهر التوحيد هربت الشياطين، وبطلت، أو قلّت، ثمّ إنها تظهر في المواضع التي يخفى فيها أثر التوحيد»(٢).

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «فإن التوحيد يطرد الشيطان»(٣).

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «فإن الشيطان إنما يمنعه من الدخول إلى قلب ابن آدم ما فيه من ذكر الله الذي أرسل به رسله، فإذا خلا من ذلك تولاه الشيطان. قال - تعالى -: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ٣٦﴾ [الزخرف]»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٢٣١١).
(٢) النبوات ٢/١٠١٩.
(٣) مجموع الفتاوى ١١/ ٢٩٣.
(٤) مجموع الفتاوى ١٠/ ٣٩٩.

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأنت ترى الأمكنة والأزمنة التي خفيت فيها آثار النبوة كيف حال أهلها وما دخل عليهم من الجهل والظلم والكفر بالخالق والشرك بالمخلوق واستحسان القبائح وفساد العقائد والأعمال، فإن الشرائع بتنزيل الحكيم العليم أنزلها وشرعها الذي يعلم ما في ضمنها من مصالح العباد في المعاش والمعاد وأسباب سعادتهم الدنيوية والأخروية، فجعلها غذاء ودواء وشفاء وعصمة وحصنًا وملجأ وجنة ووقاية»[(١)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «شرع ذكر اسم الله تعالى عند الأكل والشرب واللبس والركوب والجماع، لما في مقارنة اسم الله من البركة، وذكر اسمه يطرد الشيطان، فتحصل البركة، ولا معارض لها.

وكل شيء لا يكون لله، فبركته منزوعة، فإن الرب هو الذي تبارك وحده، والبركة كلها منه، وكل ما نسب إليه مبارك»[(٢)].

المطلب التاسع عشر

التوحيد يدفع وساوس الشيطان

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (ت: ٥٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ. قَالَ: «وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «ذَاكَ صَرِيحُ الإِيمَانِ»[(٣)].

۞ وفي حديث عبد الله بن مسعود (ت: ٣٢هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ

---

(١) شفاء العليل ١/ ٢٢٥.

(٢) الجواب الكافي ١/ ٢٠٢.

(٣) أخرجه مسلم حديث (١٣٢) وانفرد به.

النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْوَسْوَسَةِ. قَالَ: «تِلْكَ مَحْضُ الإِيمَانِ»[(١)]

۞ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (ت: ٥٨هـ) رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ: هذَا، خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ باللهِ»[(٢)].

۞ وفي رواية: «آمَنْتُ باللهِ وَرُسُلِه» رواه مسلم.

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (ت: ٥٨هـ) رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذلِكَ فَلْيَسْتَعِذْ بالله وَلْيَنْتَهِ»[(٣)].

۞ عَنْ أنس بن مالك (ت: ٩٠هـ) رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قال: «قَالَ اللهُ عز وجل: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يَزَالُونَ يَقُولُونَ: مَا كَذَا؟ مَا كَذَا؟ حَتَّى يَقُولُوا: هذَا اللهُ خَلَقَ الْخَلْقَ. فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟»[(٤)].

۞ وأما رواية البخاري، فمن قول النبي ﷺ بلفظ: «لن يبرَحَ الناسُ يتساءَلون حتى يقولوا: . . .»[(٥)].

۞ واختلف أهل العلم في معنى قول النبي ﷺ: «ذاك صريح الإيمان» وقوله: «تلك محض الإيمان» والصريح والمحض من الإيمان هو الخالص، اختلفوا على قولين:

---

(١) أخرجه مسلم، حديث (١٣٣) وانفرد به.
(٢) أخرجه مسلم حديث (١٣٤) وانفرد به.
(٣) أخرجه مسلم، حديث (١٣٤)، وأخرجه البخاري في «كتاب بدء الخلق»، «باب صفة إبليس وجنوده» حديث (٧٢٩٦).
(٤) أخرجه البخاري (٧٢٩٦)، ومسلم (١٣٦).
(٥) أخرجه البخاري (٧٢٩٦) وفي «الأدب المفرد» (١٢٨٦) واللفظ له، ومسلم (١٣٦).

القول الأول: أن مجرد وجود الوسوسة دليل على صريح الإيمان.

واستدلوا: بحديث ابن مسعود (ت: ٣٢هـ) ﵁ في الباب حيث سئل النبي ﷺ عن مجرد الوسوسة دون المنازعة، فقال «**تلك محض الإيمان**»، وقالوا أيضًا: لأن القلوب غير المؤمنة لا توسوس أصلًا لتمكن الشيطان منها، بخلاف القلوب المؤمنة، واختار هذا القول القاضي عياض (ت: ٥٤٤هـ) ﵀ وهو اختيار محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١هـ) ﵀[(١)].

والقول الثاني: أن مدافعة المسلم لها ونفرته من هذه الوساوس هي دليل على صريح الإيمان.

واستدلوا: بحديث أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) ﵁ في الباب، حيث إن الصحابة شكوا للنبي ﷺ ما يجدونه في أنفسهم ونفرتهم منه وتعاظمهم لما يجدونه، والنبي ﷺ سألهم عنه فقال «**وقد وجدتموه؟**»، ثم قال لهم: «**ذاك صريح الإيمان**»، وقالوا المنازعة وكراهة ذلك هي دليل الإيمان وأثره، الذي يردّ وساوس الشيطان، وأما حديث ابن مسعود (ت: ٣٢هـ) ﵁ فهو محمول على حديث أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) ـ رضي الله تعالى عنه ـ، واختار هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) ﵀، وهو الأظهر، والله أعلم.

۞ قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) ﵀: ««**تلك محض الإيمان**»، وفي حديث أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) ـ رضي الله تعالى عنه ـ «**ذلك صريح الإيمان**»، والصريح الخالص، وهذا ليس على ظاهره، إذ لا يصح أن تكون الوسوسة نفسها هي الإيمان، لأن الإيمان اليقين، وإنما الإشارة

---

(١) انظر: شرح النووي لمسلم ٢/ ٣٣٣.

إلى ما وجدوه من الخوف من الله تعالى أن يعاقبوا على ما وقع في أنفسهم، فكأنه قال: جزعكم من هذا هو محض الإيمان وخالصه، لصحة إيمانكم، وعلمكم بفسادها، فسمى الوسوسة إيمانًا لما كان دفعها والإعراض عنها والرد لها وعدم قبولها»[١].

۞ قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) رحمه الله: «**«قل آمنت بالله»** أمر بتذكر الإيمان الشرعي، واشتغال القلب به لتمحى تلك الشبهات، وتضمحل تلك الترهات، وهذه كلها أدوية للقلوب السليمة الصحيحة المستقيمة التي تَعرِضُ الترهات ولا تمكث فيها»[٢].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «أَيْ حُصُول هَذَا الْوَسْوَاسِ مَعَ هَذِهِ الْكَرَاهَةِ الْعَظِيمَةِ لَهُ وَدَفْعِهِ عَنْ الْقَلْبِ هُوَ مِنْ صَرِيحِ الْإِيمَانِ»[٣].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «وقالوا في الوسواس الخناس: هو الذي إذا ذكر الله خنس وإذا غفل عن ذكر الله وسوس»[٤].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «فَالشَّيْطَانُ لَمَّا قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمْ وَسْوَسَةً مَذْمُومَةً تَحَرَّكَ الْإِيمَانُ الَّذِي فِي قُلُوبِهِمْ بِالْكَرَاهَةِ لِذَلِكَ وَالِاسْتِعْظَامِ لَهُ فَكَانَ ذَلِكَ صَرِيحَ الْإِيمَانِ. . . . فَهُنَا لَمَّا اقْتَرَنَ بِالْوَسْوَاسِ هَذَا الْبُغْضُ وَهَذِهِ الْكَرَاهَةُ كَانَ هُوَ صَرِيحَ الْإِيمَانِ وَهُوَ خَالِصُهُ وَمَحْضُهُ؛ لِأَنَّ الْمُنَافِقَ وَالْكَافِرَ لَا يَجِدُ هَذَا الْبُغْضَ وَهَذِهِ الْكَرَاهَةَ مَعَ الْوَسْوَسَةِ بِذَلِكَ»[٥].

---

(١) تفسير القرطبي (سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠).
(٢) المفهم ١/ ٣٤٥.
(٣) مجموع الفتاوى ٧/ ٢٨٢.
(٤) مجموع الفتاوى ٢/ ١٦.
(٥) مجموع الفتاوى ١٠/ ٥٦٣ ـ ٥٦٥.

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «ذِكر الله أصل لدفع الوسواس الذي هو مبدأ كل كفر وجهل وفسق وظلم، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ وقال: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾، ونحو ذلك من النصوص»[١].

المطلب العشرون

التوحيد مرتبط بالإشارة بأصبع السبابة لليد اليمنى دون الأخرى

۞ عن أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إن النبي ﷺ رأى رجلًا يدعو هكذا بإصبعيه يشير، فقال: «أحد أحد»»[٢].

۞ عن سعد بن أبي وقاص (ت: ٥٥هـ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: «مر علي النبي ﷺ وأنا أدعو بأصبعي فقال: «أحد أحد» وأشار بالسبابة»[٣].

۞ عن عمران بن أبي أنس، عن مقسم أبي القاسم قال: حدثني رجل من أهل المدينة قال: «صليت إلى جنب خفاف بن إيماء بن رحضة، فرآني أشير بأصبعي في الصلاة، فقال: ابن أخي، لم تفعل هذا؟ قلت: إني رأيت خيار الناس وفقهاءهم يفعلونه»، قال: قد أصبت، رأيت رسول الله ﷺ كان «يشير بأصبعه، إذا جلس يتشهد في صلاته» وكان المشركون يقولون: «إنما يسحرنا، وإنما يريد النبي ﷺ التوحيد»[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/ ١٧.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٥٧)، والنسائي (١٢٧٢)، وأحمد (١٠٧٣٩) واللفظ له.

(٣) أخرجه أبو داود وصححه الألباني، انظر: صحيح أبي داود برقم (١٤٩٩).

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٢/ ١٩٠ برقم (٢٧٩٢).

۞ عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «هكذا الإخلاص» يشير بأصبعه التي تلي الإبهام، وهذا الدعاء «فرفع يديه حذو منكبيه» وهذا الابتهال «فرفع يديه مدًّا»(١).

۞ سئل ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنه، عن الرجل يدعو يشير بأصبعه، فقال ابن عباس: «هو الإخلاص»(٢).

۞ قال مجاهد (ت: ١٠٤هـ) رحمه الله: «مقمعة الشيطان»(٣).

۞ قال القاضي عياض (ت: ٥٤٤هـ) رحمه الله في معرض حديثه عن رفع الأصبع السبابة ـ: «وقيل: بل المراد بها الإشارة للتوحيد»(٤).

۞ قال النووي (ت: ٦٧٦هـ) رحمه الله: «والسنة أن لا يجاوز بصره إشارته وفيه حديث صحيح في سنن أبي داود ويشير بها موجهة إلى القبلة وينوي بالإشارة التوحيد والإخلاص»(٥).

۞ قال سراج الدين أبو حفص عمر بن علي الأنصاري المعروف بـ: ابن الملقن (ت: ٨٠٤هـ) رحمه الله: «ويرسل المسبحة؛ أي: في كل التشهد، للاتباع، ويرفعها عند قوله: إلا الله، للاتباع أيضًا، ويكون قصده بها التوحيد والإثبات، والحكمة في ذلك هو إشارة إلى أن المعبود سبحانه وتعالى واحد؛ ليجمع في توحيده بين القول والفعل والاعتقاد، وأما الرفع عند الهمزة فلأنه حال إثبات الوحدانية لله تعالى، والحكمة في اختصاص السبابة بذلك، أن لها اتصالًا بنياط القلب فكأنها سبب

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٢/ ١٩١ برقم (٢٧٩٦).
(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٢/ ١٩١ برقم (٢٧٩٤).
(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٢/ ١٩١ برقم (٢٧٩٥).
(٤) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكاني ٢/ ٣٢٧.
(٥) شرح النووي على مسلم ٥/ ٨١ ـ ٨٢.

لحضوره»(١).

❁ قال شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين ابن رسلان الشافعي (ت: ٨٤٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وتسمى المسبحة؛ لأنها يشار بها إلى التوحيد والتنزيه لله تعالى، وهي التي تلي الإبهام، والحكمة في الإشارة بها إلى أن المعبود سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واحد؛ ليجمع في توحيده بين القول والفعل والاعتقاد»(٢).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويراد بـ«التسبيح»: جنس ذكر الله تعالى؛ يقال: «فلان يسبح» إذا كان يذكر الله، ويدخل في ذلك التهليل والتحميد، ومنه سميت السباحة للأصبع التي يشير بها وإن كان يشير بها في التوحيد»(٣).

المطلب الواحد والعشرون

التوحيد يمنع من تسلط الشيطان ومن ولاية الشيطان

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل].

❁ وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف].

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف].

---

(١) عجالة المحتاج إلى توجيه المنهاج لابن الملقن ١/ ٢١٤.
(٢) شرح سنن أبي داود لابن رسلان ٤/ ٣٠٥.
(٣) قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات ص٥٤.

❁ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ﴾ يعني: ملك ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في علم الله في الشرك، فيضلهم عن الهدى»[(١)].

❁ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩﴾ فإنه يعني بذلك: أن الشيطان ليست له حجة على الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا بما أمر الله به، وانتهوا عما نهاهم الله عنه. ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩﴾، يقول: وعلى ربهم يتوكلون فيما نابهم من مهمات أمورهم. ﴿إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ﴾ يقول: إنما حجته على الذين يعبدونه، ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ۝١٠٠﴾ يقول: والذين هم بالله مشركون»[(٢)].

❁ قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: ليس له حجة على المؤمنين المتوكلين على الله عَزَّ وَجَلَّ في مهم أمورهم المتعوذين به من الشيطان»[(٣)].

❁ قال علي بن محمد الماوردي (ت: ٤٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيه أربعة تأويلات:

أحدها: ليس له قدرة على أن يحملهم على ذنب لا يغفر، قاله سفيان.

الثاني: ليس له حجة على ما يدعوهم إليه من المعاصي، قاله مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة النحل، الآية: ٩٩).
(٢) تفسير الطبري (سورة النحل، الآية: ٩٩).
(٣) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب المكي (سورة النحل، الآية: ٩٩).

الثالث: ليس له عليهم سلطان لاستعاذتهم بالله منه؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٦﴾ [فصلت].

الرابع: أنه ليس له عليهم سلطان بحال؛ لأن الله تعالى صرف سلطانه عنهم حين قال عدو الله إبليس: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾ [ص، الآية: ٨٠]، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝٤٢﴾ [الحجر، الآية: ٤٢]»[(١)].

❁ وقال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ): «قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ﴾ حجة وولاية، ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩﴾ قال سفيان: ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب ولا يغفر»[(٢)].

❁ قال أبو الفرج ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إبليس إنما يتمكن من الإنسان على قدر قلة العلم؛ فكلما قل علم الإنسان كثر تمكن إبليس منه وكلما كثر العلم قل تمكنه منه»[(٣)].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إخلاص الدين لله: يمنع من تسلط الشيطان ومن ولاية الشيطان التي توجب العذاب؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٢٤﴾ [يوسف]. فإذا أخلص العبد لربه الدين: كان هذا مانعًا له من فعل ضد ذلك ومن إيقاع الشيطان له في ضد ذلك، وإذا لم يخلص لربه الدين ولم يفعل ما خلق له وفطر عليه: عوقب على ذلك؛ وكان من عقابه:

---

(١) تفسير النكت والعيون للماوردي (سورة النحل، الآية: ٩٩).

(٢) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة النحل، الآية: ٩٩).

(٣) تلبيس إبليس ١/ ٣٣٤.

تسلط الشيطان عليه حتى يزين له فعل السيئات»[(١)].

المطلب الثاني والعشرون

التوحيد سبب لزوال فقر العبد وفاقته

۞ قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يزول فقر العبد وفاقته إلا بالتوحيد، وإذا حصل مع التوحيد الاستغفار؛ حصل للعبد غِناه، وسعادته، وزال عنه ما يعذبه»[(٢)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فشهادة التوحيد تفتح باب الخير، والاستغفار من الذنوب يغلق باب الشر»[(٣)].

۞ قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويحكى أنّ رجلًا أتى عمر بن الخطّاب (ت: ٢٣هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: ولّني مما ولّاك الله، قال: أتقرأ القرآن؟ قال: لا. فقال: إنّا لا نولّي من لا يقرأ القرآن، فانصرف الرجل واجتهد في تعلّم القرآن رجاء أن يعود إلى عمر فيولّيه عملًا، فلمّا تعلم القرآن تخلّف عن عمر، فرآه ذات يوم فقال: يا هذا هجرتنا، فقال: يا أمير المؤمنين لست ممّن يهجر، ولكنّي تعلّمت القرآن فأغناني الله تعالى عن عمر وعن باب عمر. فقال: أيُّ آية أغنتك، فقال: قول الله تعالى: ﴿...وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق، الآيات: ٢ - ٣]»[(٤)].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤/ ٣٣٢ - ٣٣٣.

(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٥٦.

(٣) الفتاوى برى ٥/ ٢٣١ - ٢٣٢.

(٤) تفسير الثعلبي - الكشف والبيان في تفسير القرآن - (سورة الطلاق، الآيات: ٢ - ٣).

۞ وقال سهل بن عبد الله التستري (ت: ٢٨٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في اتّباع السُّنّة ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢﴾ من عقوبة أهل البدع، ويرزقه الجنّة من حيث لا يحتسب»(١).

المطلب الثالث والعشرون

التوحيد يسد باب البدع

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى]، فذمَّ الله من شرع في الدين ما لم يأذن به الله وأمر سبحانه باتباع صراطه قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام، الآية: ١٥٣].

فالواجب على الموحد لزوم شرع الله الذي جاء به القرآن الكريم والسنة المطهرة، وعدم الخروج عن ذلك؛ لا بقولٍ، ولا بفعلٍ.

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل من كان إلى الرسول ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان أقرب، كان أقرب إلى كمال التوحيد والإيمان والعقل والعرفان، وكل من كان عنهم أبعد كان عن ذلك أبعد»(٢).

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إخلاص الدين لله: يمنع من تسلط الشيطان ومن ولاية الشيطان التي توجب العذاب؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا

(١) تفسير الثعلبي ـ الكشف والبيان في تفسير القرآن ـ (سورة الطلاق، الآيات: ٣).
(٢) منهاج السنة ٢/ ٢٩٣.

ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ [يوسف]»[١].

المطلب الرابع والعشرون

أن صحة التوحيد مع وجود الذنوب خير من فساد التوحيد مع عدم الذنوب

❁ عن أنس بن مالك (ت: ٩٠هـ) رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «قالَ اللهُ تبارَكَ وتعالى: يا بنَ آدمَ، إنَّكَ ما دعوتَني ورجوتَني غفَرتُ لَكَ على ما كانَ فيكَ ولا أُبالي، يا بنَ آدمَ، لو بلغتْ ذنوبُكَ عَنانَ السَّماءِ ثمَّ استغفرتَني غفرتُ لَكَ ولا أبالي، يا بنَ آدمَ، إنَّكَ لو أتيتَني بقُرابِ الأرضِ خطايا ثمَّ لقيتَني لا تُشرِكُ بي شيئًا لأتيتُكَ بقرابِها مغفرةً»[٢].

❁ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن ماتَ يُشرِكُ باللهِ شيئًا، دخَلَ النارَ»[٣].

❁ عن جابر بن عبد الله (ت: ٧٨هـ) رضي الله عنه قال: أتى النَّبيَّ ﷺ رجلٌ فقالَ: يا رسولَ اللهِ، ما المُوجِبَتانِ؟ فقالَ: «من ماتَ لا يُشرِكُ باللهِ شيئًا دخلَ الجنَّةَ، ومن ماتَ يشركُ باللهِ شيئًا دخلَ النَّارَ»[٤].

❁ عن أنس بن مالك (ت: ٩٠هـ) رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرجُ من النارِ من قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ، وكان في قلبِه مثقالُ شعيرةٍ من خيرٍ، ويخرجُ من النارِ من قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ، وكان في قلبِه مثقالُ برَّةٍ

(١) مجموع الفتاوى ١٤/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣.
(٢) الترمذي (٣٥٤٠).
(٣) البخاري (١٢٣٨)، ومسلم (٩٢).
(٤) مسلم (٩٣).

من خيرٍ، ويخرجُ من النارِ من قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ، وكان في قلبِه مثقالُ ذرَّةٍ من خيرٍ»[١].

۞ عن أنس بن مالك (ت: ٩٠هـ) رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ لا يَظلِمُ مؤمنًا حسنةً، يُعطى بِها في الدُّنيا ويُجزى بِها في الآخرةِ، وأمَّا الكافرُ، فيُطعَمُ بحسناتِ ما عمِلَ بِها للهِ في الدُّنيا، حتَّى إذا أفضى إلى الآخرةِ، لم يَكُنْ لهُ حسنةٌ يُجزَى بِها»[٢].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «فَهَذِهِ الذُّنُوب مَعَ صِحَة التَّوْحِيد خير من فَسَاد التَّوْحِيد مَعَ عدم هَذِه الذُّنُوب»[٣].

المطلب الخامس والعشرون

أن التوحيد إذا تم وكمل في القلب وتحقق تحققًا كاملًا بالإخلاص التام فإنه يصير القليل من عمل العبد كثيرًا ويضاعف أعماله وأقواله بغير حصر ولا حساب

۞ عن أبي سعيد الخدري (ت: ٧٤هـ) رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «قال موسى: يا رب علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به. قال: قل يا موسى: لا إلٰه إلا الله. قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى، لو أن السمٰوات السبع وعامرهم غيري والأرضين السبع في كفة ولا إلٰه إلا الله في كفة مالت بهن لا إلٰه إلا الله»[٤].

---

(١) ابن ماجه (٣٤٩٩).
(٢) مسلم (٢٨٠٨).
(٣) الاستقامة ١/٤٦٦.
(٤) رواه ابن حبان والحاكم.

۞ عن الحسن البصري (ت: ١١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: «إن المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر عن غير محاسبة»[(١)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنما دين الحق: تحقيق العبودية لله بكل وجه، وهو تحقيق محبة الله بكل درجة، وبقدر تكميل العبودية؛ تكمل محبة العبد لربه ومحبة الرب لعبده، وبقدر نقص هذا؛ يكون نقص هذا»[(٢)].

المطلب السادس والعشرون

التوحيد يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم

۞ **قال ـ تعالى ـ:** ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون، الآية: ٤].

۞ قال بعض السَّلف: «النَّاس يطلبون العِزَّ بأبواب الملوك، ولا يجدونه إلَّا في طاعة الله»[(٣)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من كان إيمانه أقوى من غيره، كان جنده من الملائكة أقوى»[(٤)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَلَنْ يَسْتَغْنِيَ الْقلب عَن جَمِيع

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» رقم (٣٠٧)، ومن طريقه ابن أبي شيبة «المصنف» رقم (٣٦٣٥٧).

(٢) العبودية ص٤١.

(٣) إغاثة اللهفان لابن القيم ١/٤٨.

(٤) النبوات ص٤١٦.

الْمَخْلُوقَات إِلَّا بِأَن يكون الله هُوَ مَوْلَاهُ الَّذِي لَا يعبد إِلَّا إِيَّاه وَلَا يَسْتَعِين إِلَّا بِهِ وَلَا يتوكل إِلَّا عَلَيْهِ، وَلَا يفرح إِلَّا بِمَا يُحِبهُ ويرضاه وَلَا يكره إِلَّا مَا يبغضه الرب ويكرهه، وَلَا يوالي إِلَّا من وَالَاهُ الله، وَلَا يعادي إِلَّا من عَادَاهُ الله، وَلَا يحب إِلَّا لله وَلَا يبغض شَيْئا إِلَّا لله، فَكلما قوي إخلاص دينه لله كملت عبوديته لله واستغناؤه عَن الْمَخْلُوقَات، وبكمال عبوديته لله تكمل تبرئته من الْكبر والشرك»[1].

◎ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ «ومن الشرك أن يدعو العبد غير الله، كمن يستغيث في المخاوف والأمراض والفاقات بالأموات والغائبين... فإن هذا من الشرك الذي حرمه الله ورسوله باتفاق المسلمين»[2].

◎ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا ناجى العبد ربه في السحر واستغاث به، وقال: يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث، أعطاه الله من التمكين ما لا يعلمه إلا الله»[3].

◎ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومثل المتعلق بغير الله كمثل المستظل من الحر والبرد ببيت العنكبوت أوهن البيوت»[4].

◎ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالتوحيد يحرِّر العبد من رِقّ المخلوقين والتعلُّقِ بهم، وخوفهم ورجائهم، والعمل لأجلهم، وهذا هو العزُّ الحقيقي، والشرف العالي،

---

(١) العبودية ١/١٠٢.
(٢) مجموع الفتاوى ١١/٦٦٤.
(٣) مجموع الفتاوى ٢٨/٢٤٢.
(٤) مدارج السالكين ١/٤٥٨.

ويكون مع ذلك متعبِّدًا لله لا يرجو سواه، ولا يخشى إلا إيَّاه، وبذلك يتمُّ فلاحه، ويتحقّق نجاحه»(١).

المطلب السابع والعشرون

فقدان التوحيد وعدم تحصيل حقائق الإيمان يهوي بصاحبه في مقامات الظلم والحيرة والشرور ويبعده عن ولاية الله ونصره وتأييده

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج].

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ أي: مخلصين له الدين، منحرفين عن الباطل قصدًا إلى الحق؛ ولهذا قال: ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ ثم ضرب للمشرك مثلًا في ضلاله وهلاكه وبعده عن الهدى فقال: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: سقط منها، ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ أي: تقطعه الطيور في الهواء، ﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ أي: بعيد مهلك لمن هوى فيه؛ ولهذا جاء في حديث البراء بن عازب (ت: ٧٢هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إن الكافر إذا توفته ملائكة الموت، وصعدوا بروحه إلى السماء، فلا تفتح له أبواب السماء، بل تطرح روحه طرحًا من هناك» ثم قرأ هذه الآية.

وقد ضرب الله تعالى للمشرك مثلًا آخر في سورة «الأنعام»، وهو قوله: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد ص٢٤.

هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنعام]»(١).

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وشبه تارك الإيمان والتوحيد بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين؛ من حيث التضييق الشديد والآلام المتراكمة، والطير التي تتخطف أعضاءه وتمزقه كل ممزق بالشياطين التي يرسلها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليه تؤزه أزًّا وتزعجه وتدفعه إلى مظان هلاكه؛ فكل شيطان له مزعة من دينه وقلبه، كما أن لكل طير مزعة من لحمه وأعضائه والريح التي تهوي به في مكان سحيق: هو هواه الذي يحمله على إلقاء نفسه في أسفل مكان وأبعده من السماء»(٢).

المطلب الثامن والعشرون

مخالف التوحيد جبار عنيد

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ [إبراهيم].

۞ قال قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «العنيد الذي أبى أن يقول: لا إله إلا الله. قلت: والجبار والعنيد في الآية بمعنى واحد»(٣).

۞ قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعبر قتادة

---

(١) تفسير ابن كثير (سورة الحج: ٣٠ ـ ٣١).
(٢) التفسير القيم ص٣٨٤ ـ ٣٨٥.
(٣) تفسير القرطبي (سورة إبراهيم، الآية: ١٥).

(ت: ١١٨هـ)، وغيره عن «الجبار» بأنه الذي يأبى أن يقول: لا إلٰه إلا الله. و«العنيد» الذي يعاند ولا ينقاد»[(١)].

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝١٥﴾ أي: متجبر في نفسه معاند للحق؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝٢٤ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ۝٢٥ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ۝٢٦﴾ [ق]»[(٢)].

---

(١) تفسير ابن عطية المحرر الوجيز (سورة إبراهيم، الآية: ١٥)؛ ٣/ ٣٣٠.
(٢) تفسير ابن كثير (سورة إبراهيم، الآية: ١٥).




الفصل الثاني

محاسن التوحيد وبقية أركان الإيمان

وفيه خمس مباحث:

* المبحث الأول: محاسن التوحيد والإيمان بالملائكة.
* المبحث الثاني: محاسن التوحيد والإيمان بالكتب.
* المبحث الثالث: محاسن التوحيد والإيمان بالرسل.
* المبحث الرابع: محاسن التوحيد والإيمان باليوم الآخر.
* المبحث الخامس: محاسن التوحيد والإيمان بالقدر.







محاسن التوحيد والإيمان بالملائكة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول

التوحيد أعظم مشهود عليه

قال ـ تعالى ـ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨﴾ [آل عمران].

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أن الآية تدل على أن أكبر الشهادات وأعظمها شهادة الله تعالى»(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «أنه استشهد بهم على أجل مشهود به وأعظمه وأكبره وهو شهادة أن لا إلٰه إلا الله، والعظيم القدر إنما يستشهد على الأمر العظيم أكابر الخلق وساداتهم»(٢).

قال عبد الرحمٰن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي هذه الآية دليل على شرف العلم من وجوه كثيرة؛ منها: أن الله خصهم بالشهادة على أعظم مشهود عليه دون الناس»(٣).

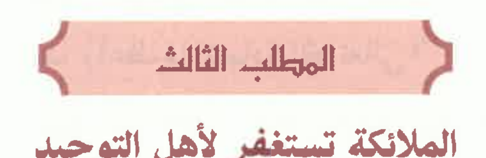
(١) تفسير مفاتيح الغيب للرازي (سورة آل عمران، الآية: ١٩).
(٢) مفتاح دار السعادة ١/٤٩.
(٣) تفسير ابن سعدي (سورة آل عمران، الآية: ١٨).

۞ قال عبد الرحمٰن بن قاسم (ت: ١٣٩٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «شهادة أن لا إلٰه إلا الله أعظم شهادة في الوجود على أعظم مشهود به، فلا ينصرف الإطلاق إلَّا إليها»(١).

المطلب الثاني

التوحيد يلزم الملائكة كما يلزمهم الصلاة

۞ قال الخطابي (ت: ٣٨٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال بعض من احتج لهذه الطائفة أن الصلاة لا تشبه سائر العبادات ولا يقاس إليها؛ لأنها لم تزل مفتاح شرائع الأديان وهي دين الملائكة والخلق أجمعين، ولم يكن لله تعالى دين قط بغير صلاة، وليس كذلك الزكاة والصيام والحج فليس على الملائكة منها شيء، والصلاة تلزمهم كما يلزمهم التوحيد، وهي علم الإسلام الفاصل بين المسلم والكافر في كلام أكثر من هذا قد ذكره»(٢).



الملائكة تستغفر لأهل التوحيد

۞ قال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ [غافر: ٧].

۞ قال مطرف بن عبد الله الشخير (ت: ٩٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «أنصح عباد الله للمؤمنين هم الملائكة، وأغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين»(٣).

---

(١) حاشية ثلاثة الأصول (٤٨).

(٢) معالم السنن للخطابي ١/ ١٥٠.

(٣) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة غافر، الآية: ٧).

۞ قال أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وينبغي أن يقال: «أنصح العباد للعباد الأنبياء والملائكة»[(١)].

۞ قال قتادة (ت: ١١٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ لأهل لا إله إلا الله»[(٢)].

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ): رَحِمَهُ ٱللَّهُ «﴿فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾ من الشرك ﴿وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ يعني: دينك ﴿وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾»[(٣)].

۞ قال خلف بن هشام البزار القارئ (ت: ٢٢٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كنت أقرأ على سليم بن عيسى (ت: ١٨٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فلما بلغت: ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بكى»، ثم قال: «يا خلف ما أكرم المؤمن على الله، نائمًا على فراشه والملائكة يستغفرون له»[(٤)].

۞ قال يحيى بن معاذ الرازي (ت: ٢٥٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأصحابه في هذه الآية: افهموها فما في العالم جنة أرجى منها، إن ملكًا واحدًا لو سأل الله أن يغفر لجميع المؤمنين لغفر لهم، كيف وجميع الملائكة وحملة العرش يستغفرون للمؤمنين»[(٥)].

۞ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويسألون ربهم أن يغفر للذين أقرّوا بمثل إقرارهم من توحيد الله، والبراءة من كلّ معبود سواه ذنوبهم، فيعفوها عنهم»[(٦)].

---

(١) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (سورة غافر، الآية: ٧).
(٢) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (سورة غافر، الآية: ٧).
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة غافر، الآية: ٧).
(٤) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (سورة غافر، الآية: ٧).
(٥) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (سورة غافر، الآية: ٧).
(٦) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (سورة غافر، الآية: ٧).

❁ قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾ من الشرك ﴿وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ يعني: الإسلام»[١].

❁ قال الوزير ابن هبيرة (ت: ٥٦٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «علمت الملائكة أن الله عَزَّوَجَلَّ يحب عباده المؤمنين، فتقربوا إليه بالشفاعة فيهم. وأحسن القرب أن يسأل المحب إكرام حبيبه، فإنك لو سألت شخصًا أن يزيد في إكرام ولده لارتفعت عنده، حيث تحثه على إكرام محبوبه»[٢].

❁ قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾ أي: من الشرك والمعاصي ﴿وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ أي: دين الإسلام»[٣].

❁ قال عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت: ٧١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ كأنه قيل: ويؤمنون به ويستغفرون لمن في مثل حالهم، وفيه دليل على أن الاشتراك في الإيمان يجب أن يكون أدعى شيء إلى النصيحة والشفقة، وإن تباعدت الأجناس والأماكن»[٤].

❁ قال الحسن بن محمد النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال علماء السنة: إن مراد الملائكة ﴿فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾ عن الكفر ﴿وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ الإيمان، وهذا لا ينافي كون المستغفر لهم مذنبين، ومما يؤيد ما قلنا أن الاستغفار طلب المغفرة، والمغفرة لا تذكر إلا في إسقاط العذاب، أما طلب النفع الزائد فإنه لا يسمى استغفارًا»[٥].

❁ قال عبد الرحمن الثعالبي المالكي (ت: ٨٧٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله

---

(١) تفسير ابن أبي زمنين (سورة غافر، الآية: ٧).
(٢) ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب ٢/ ١٥٠.
(٣) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (سورة غافر، الآية: ٧).
(٤) تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (سورة غافر، الآية: ٧).
(٥) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري (سورة غافر، الآية: ٧).

تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ الآية، أَخْبَرَ اللهُ سبحانَهُ بِخَبَرٍ يتضمَّنُ تَشْرِيفَ المؤمنِينَ، ويُعظِّمُ الرَّجاءَ لهم، وهو أنَّ الملائِكَةَ الحَامِلِينَ لِلْعَرْشِ والذين حَوْلَ العَرْشِ؛ وهؤلاءِ أفضلُ الملائِكَةِ يستغْفِرُونَ للمؤمنين، ويسألون اللهَ لَهُمُ الرَّحْمَةَ والجَنَّةَ؛ وهذا معنى قوله تعالى في غير هذه الآية، ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ۝١٦﴾ [الفرقان: ١٦]؛ أي: سأَلَتْهُ الملائكةُ»[(١)].

۞ قال أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٨٨٠هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «لما بين أن الكفار يبالغون في إظهار العداوة مع المؤمنين بين أن أشرف طبقات المخلوقات هم الملائكة الذين هم حملة العرش والحافّون حول العرش يبالغون في إظهار المحبة والنصرة للمؤمنين، فكأنه تعالى يقول: إن كان هؤلاء الأراذل يبالغون في العداوة فلا تلفت إليهم ولا تُقِمْ لهم وزنًا؛ فإن حملة العرش معك، والحافّون من حول العرش ينصرونك وهم الكُرُبِيُّونَ»[(٢)].

المطلب الرابع

الملائكة تحرس قائلها وتحفظه

۞ عن عمارة بن شبيب السبائي (ت: ٥٠هـ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات على أثر المغرب بعث الله مسلحة يحفظونه من الشيطان حتى يصبح، وكتب الله له**

(١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي (سورة غافر، الآية: ٧).
(٢) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (سورة غافر، الآية: ٧).

بها عشر حسنات موجبات، ومحى عنه عشر سيئات موبقات، وكانت له بعدل عشر رقاب مؤمنات»[(١)].

❁ **قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من كان إيمانه أقوى من غيره، كان جنده من الملائكة أقوى»[(٢)].**

---

(١) رواه الترمذي ـ كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب (٩٨) ـ ٥/ ٥٤٤.
(٢) النبوات ص٤١٦.



محاسن التوحيد والإيمان بالكتب

وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول

التوحيد من أجله أنزل الله الكتب

قال ـ تعالى ـ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢﴾ [هود].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعبادة الله وحده هي أصل الدين؛ وهو التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب»[(١)].

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: نزل هذا القرآن المحكم المفصَّل لعبادة الله وحده لا شريك له؛ كقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء]، وقال: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل، الآية: ٣٦]»[(٢)].

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ٣٩٧.

(٢) «تفسير ابن كثير» (هود: ١ ـ ٢).

❁ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول ـ تعالى ـ: هذا ﴿كِتَٰبٌ﴾ عظيم، ونُزُل كريم، ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ أي: أُتْقِنت وأُحْسِنَت، صادقة أخبارها، عادلة أوامرها ونواهيها، فصيحة ألفاظه بهية معانيه، ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ أي: ميزت، بينت بيانًا في أعلى أنواع البيان، ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ﴾ يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها، لا يأمر ولا ينهى إلا بما تقتضيه حكمته، ﴿خَبِيرٍ ۝١﴾ مطَّلع على الظواهر والبواطن، فإذا كان إحكامه وتفصيله من عند الله الحكيم الخبير فلا تسأل بعد هذا عن عظمته وجلالته واشتماله على كمال الحكمة وسعة الرحمة، وإنما أنزل الله كتابه لأجل ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ أي: لأجل إخلاص الدين كله لله، وألّا يشرك به أحد من خلقه، ﴿إِنَّنِى لَكُم﴾ أيُّها الناس ﴿مِّنْهُ﴾ أي: من الله ربكم ﴿نَذِيرٌ﴾ لِمَن تجرَّأ على المعاصي بعقاب الدنيا والآخرة ﴿وَبَشِيرٌ﴾ للمطيعين لله بثواب الدنيا والآخرة»[(١)].

❁ قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهذه الآية الكريمة فيها الدلالة الواضحة على أن الحكمة العظمى التي أُنزل القرآن من أجلها هي: أن يُعبد الله ـ جلَّ وعلا ـ وحده، ولا يُشرك به في عبادته شيء؛ لأن قوله ـ جل وعلا ـ: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢﴾ [هود] ـ صريح في أن آيات هذا الكتاب فصِّلت من عند الحكيم الخبير؛ لأجل أن يُعبد الله وحده»[(٢)].

---

(١) «تفسير السعدي» (هود: ١ ـ ٢).
(٢) «تفسير أضواء البيان» للشنقيطي (هود: ١ ـ ٢).

المطلب الثاني

سور التوحيد أفضل من غيرها

۞ قال أبو عبد الله الحسن بن الحسين الحليمي (ت: ٤٠٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الآيات التي تشتمل على تعديد أسماء الله تعالى وبيان صفاته، والدلالة على عظمته وقدسه أفضل أو خير؛ بمعنى أن يتعين أنها أسنى وأجل قدرًا»[(١)].

۞ قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الآيات المشتملة على دلائل علم الأصول أشرف من الآيات المشتملة على دلائل علم الفروع؛ بدليل أنه قد جاء في فضيلة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص، الآية: ١]، و﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة، الآية: ٢٨٥]، وآية الكرسي، و﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران، الآية: ١٨]، ما لم يجئ في فضيلة قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة، الآية: ٢٢٢]، ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾ [البقرة، الآية: ٢٧٥]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾ [البقرة، الآية: ٢٨٢] الآية؛ ولذلك فإن الزهاد والعباد يواظبون في شرائف الأوقات على قراءة هذه الآيات المشتملة على الإلهيات، دون الآيات المشتملة على الأحكام.

والآيات الواردة في الأحكام الشرعية أقل من ستمائة آية، وأما اللواتي في بيان التوحيد والرد على عبدة الأوثان وأصناف المشركين، وفي إثبات النبوات والمعاد، ومسألة القضاء والقدر فكثيرة»[(٢)].

۞ قال أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المالكي (ت: ٥٤٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القرآن توحيد وأحكام ووعظ، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص] فيها

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ٢/ ٢٤٤.

(٢) عجائب القرآن ص١٧ ـ ١٨.

التوحيد كله؛ وبهذه المعاني وقع البيان في قوله ﷺ لأبي بن كعب: «**أي آية في القرآن أعظم؟**» قال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾. قال: «**ليهنك العلم يا أبا المنذر**»(١). وإنما كانت أعظم؛ لأنها توحيد كلها، كما صار قوله ﷺ: «**أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله**» الحديث(٢) أفضل الذكر؛ لأنها كلمة حوت علوم جميع التوحيد، والفاتحة تضمنت التوحيد كله والعبادة والوعظ والتذكير، ولا يستبعد ذلك في قدرة الله، فإن الله جمع التوحيد كله في آية الكرسي، ثم جمع في أقل حروفًا منها التوحيد؛ وهو: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، ثم جمعه لرسوله في كلمات يوم عرفة المتقدمة، ثم جمع ذلك في آية واحدة؛ وهي قوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأحقاف]، وقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون، الآية: ١١٥]»(٣).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهذا كانت سورة «الأنعام» أفضل من غيرها وكذلك سورة «يس» ونحوها من السور التي فيها أصول الدين التي اتفق عليها الرسل كلهم صلوات الله عليهم؛ ولهذا كانت ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص] مع قلة حروفها تعدل ثلث القرآن؛ لأن فيها التوحيد؛ فعلم أن آيات التوحيد أفضل من غيرها»(٤).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كلمة التوحيد أفضل الكلام،

---

(١) أخرجه مسلم (٨١٠).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٥٧٢) رواية يحيى، وأحمد ٢/ ٢١٠، والترمذي (٣٥٨٥) من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده. قال الترمذي: «هذا حديث غريب من هذا الوجه». وصححه من المعاصرين الألباني في سلسلته الصحيحة (١٥٠).

(٣) كتاب المسالك في شرح موطأ مالك لابن العربي المالكي ٢/ ٣٧٠.

(٤) مجموع الفتاوى ١٧/ ١٩٠.

وأعظمه، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة، الآية: ٢٥٥]. وقال ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»[(١)](٢).

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النبي ﷺ سأل أبيًا: «**أي آية في كتاب الله أعظم؟**» فأجابه أبيّ بأنها آية الكرسي، فضرب بيده في صدره وقال «**ليهنك العلم**»، ولم يستشكل أبيّ ولا غيره السؤال عن كون بعض القرآن أعظم من بعض، بل شهد النبي بالعلم لمن عرف فضل بعضه على بعض، وعرف أفضل الآيات»[(٣)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الآيات المتضمنة لذكر أسماء الله وصفاته أعظم قدرًا من آيات المعاد، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي المتضمنة لذلك؛ كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم، وقد ثبت عنه ﷺ من غير وجه أن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ تعدل ثلث القرآن»[(٤)].

المطلب الثالث

كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه؛ فإن القرآن: إمَّا خبر عن الله

---

(١) رواه أحمد (٢١٥٢٩) وأبو داود (٣١١٦) وحسنه الألباني في «إرواء الغليل» (٦٨٧).

(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ٤٠٠.

(٣) مجموع الفتاوى ٥/ ١٩٩.

(٤) درء تعارض العقل والنقل ٣/ ٦١.

وأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العلمي الخبري، وإمَّا دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإمَّا أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإمَّا خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده، وإمَّا خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم»[(١)].

۞ قال ضياء الدين نصر الله بن محمد ابن الأثير الجزري (ت: ٦٣٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «المراد بالقرآن هو دعوة العباد إلى الله تعالى؛ ولذلك انحصرت سوره وآياته في ستة أقسام:

ثلاثة منها هي الأصول، وثلاثة هي الفروع.

أما الأصول:

فالأول منها: تعريف المدعوّ إليه؛ وهو الله تعالى، ويشتمل هذا الأصل على ذكر ذاته وصفاته وأفعاله.

والأصل الثاني: تعريف الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك إلى الله تعالى ويشتمل هذا الأصل على التبتّل بعبادة الله بأفعال القلب وأفعال الجوارح.

والأصل الثالث: تعريف الحال بعد الوصول إلى الله تعالى؛ أعني بعد الموت، ويشتمل هذا الأصل على تفصيل أحوال الدار الآخرة من الجنة والنار والصراط والميزان والحساب، وأشباه ذلك؛ فهذه الأصول الثلاثة.

---

(١) مدارج السالكين ٣/ ٤٥٠.

وأما الفروع:

فالأول منها: تعريف أحوال المجيبين للدعوة، ولطائف صنع الله بهم من النّصرة والإدالة، وتعريف أحوال المخالفين للدعوة والمحادّين لها، وكيفية صنع الله في التّدمير عليهم والتنكيل بهم.

والفرع الثاني: ذكر مجادلة الخصوم ومحاجّتهم، وحملهم بالمجادلة والمحاجّة على طريق الحق، وهؤلاء هم اليهود والنصارى ومن يجري مجراهم من أرباب الشرائع، والفلاسفة والملحدة من غير أرباب الشرائع.

والفرع الثالث: تعريف عمارة منازل الطريق، وكيفية أخذ الزاد والأهبة للاستعداد، وذاك قياس الشريعة، وتبيين الحكمة في أوامرها التي تتعلق بأفعال أهل التكليف.

فهذه الأقسام الستة المشار إليها هي التي تدور معاني القرآن عليها ولا تتعداها»[١].

المطلب الرابع

التوحيد يعدل ثلث القرآن

❁ قال الخطابي (ت: ٣٨٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: «**إنها لتعدل ثلث القرآن**»، أي: في الفضيلة والأجر، وليس يجوز تفضيل شيء من القرآن على شيء منه لذاته، فإن المفضول منقوص، وإنما فضلت هذه السورة في فضل ثوابها، إذ هي سورة الإخلاص ليس فيها شيء من العمل، إنما هي التوحيد والتفريد لا غير»[٢].

---

(١) المثل السائر ٢/ ٦٨.

(٢) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) للخطابي ٤/ ٢٨٣.

۞ قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال ﷺ: «**إن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن**»؛ قال: بما فيها من التوحيد»[١].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله ﷺ للناس: «**احتشدوا حتى أقرأ عليكم ثلث القرآن**» فحشدوا حتى قرأ عليهم: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص، الآية: ١]، قال: «**والذي نفسي بيده إنها تعدل ثلث القرآن**».

وأما توجيه ذلك: فقد قالت طائفة من أهل العلم: إن القرآن باعتبار معانيه ثلاثة أثلاث: ثلث توحيد وثلث قصص وثلث أمر ونهي. و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ هي صفة الرحمن ونسبه وهي متضمنة ثلث القرآن، وذلك لأن القرآن كلام الله تعالى والكلام إما إنشاء وإما إخبار، فالإنشاء هو الأمر والنهي وما يتبع ذلك كالإباحة ونحوها وهو الإحكام.

والإخبار: إما إخبار عن الخالق، وإما إخبار عن المخلوق.

فالإخبار عن الخالق: هو التوحيد وما يتضمنه من أسماء الله وصفاته.

والإخبار عن المخلوق: هو القصص وهو الخبر عما كان وعما يكون، ويدخل فيه الخبر عن الأنبياء وأممهم ومن كذبهم والإخبار عن الجنة والنار والثواب والعقاب.

قالوا: فبهذا الاعتبار تكون ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ تعدل ثلث القرآن لما فيها من التوحيد الذي هو ثلث معاني القرآن»[٢].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ

---

(١) تفسير ابن عطية ٥/ ٥٣٧.

(٢) مجموع الفتاوى ١٧/ ٢٠٧.

أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص]. ولهذا كانت هذه السورة تعدل ثلث القرآن؛ لأنها صفة الرحمٰن.

والقرآن ثلثه توحيد، وثلثه قصص، وثلثه أمر ونهي؛ لأنه كلام الله، والكلام إما إنشاء وإما إخبار، والإخبار إما عن الخالق وإما عن المخلوق، فصار ثلاثة أجزاء: جزء أمر ونهي وإباحة وهو الإنشاء، وجزء إخبار عن المخلوقين، وجزء إخبار عن الخالق، فـ «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾» صفة الرحمٰن [محضًا].

وقد بسطنا الكلام على تحقيق قول النبي ﷺ: «**إنها تعدل ثلث القرآن**» في مجلد، وفي تفسيرها في مجلد آخر»[1].

۞ قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في إشارته إلى الحيّز الكبير الذي تشغله النصوص المتضمنة للعلم بالله تعالى وعبادته من القرآن؛ عن التوحيد العلمي الخبري: «لا تكاد تخلو ورقة من المصحف منه»[2].

المطلب الخامس

آيات التوحيد أكثر ورودًا في القرآن من آيات الأحكام

من التقسيم الذي قال به بعضُ أهل العلم أن القرآن ينقسم إلى ثلاثة أقسام: توحيد، وأخبار، وأحكام، وهذه الأقسام عند التحقيق كلها تعود إلى التوحيد.

---

(١) منهاج السنة النبوية ٣/ ٢٩٠ ـ ٢٩١.
(٢) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير ٢/ ٢٥٣.

۞ قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «والقرآن فيه من ذِكْر أسماء الله وصفاته وأفعاله أكثر مما فيه من ذِكر الأكل والشُّرب والنكاح في الجنة، والآياتُ المتضمنة لذكر أسماء الله وصفاته أعظمُ قدرًا من آيات المعاد؛ فأعظمُ آيةٍ في القرآن آيةُ الكرسي المتضمنة لذلك...، وأعظم سورةٍ سورةُ أمِّ القرآن..»[(١)].

بل إن أغلب آيات الأحكام تختم بذكر أسماء الله وصفاته، والمتدبِّرُ لكلام الله ـ جل ذكره ـ يجد أن الآياتِ المختومةَ ببعض أسماء الله ـ تعالى ـ لا تنتهي إلا بما يناسِبُها من الأسماء، ولنكتفِ بمثال واحد؛ قال ـ تعالى ـ في سورة المائدة: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة]، قال الأصمعي ـ رحمه الله تعالى ـ: «قرأتُ هذه الآيةَ وإلى جنبي أعرابي، فقلت: والله غفور رحيم ـ أي بدلًا من «وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» ـ سهوًا، فقال الأعرابيُّ: كلامُ من هذا؟ قلت: كلامُ الله، قال: أعِدْ، فأعَدْتُ والله غفور رحيم، فقال: ليس هذا كلامَ الله، فتنبَّهتُ، فقلت: «وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» فقال: أَصَبْتَ، هذا كلامُ الله، فقلت: أتقرأُ القرآن؟ قال: لا، فقلت: فمن أين علِمْتَ أني أخطأت؟ فقال: يا هذا، عزَّ فحكَم فقطَع، ولو غفَر ورحِم ما قطَع»[(٢)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «والقرآن كله مملوء من تحقيق هذا التوحيد والدعوة إليه، وتعليق النجاة والفلاح، واقتضاء السعادة في الآخرة به. ومعلوم أن الناس متفاضلون في تحقيقه، وحقيقته إخلاص

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٣/ ٦١،

(٢) ذكَر هذه القصة ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره المسمى زاد المسير (تفسير سورة المائدة، الآية: ٣٨ ـ ٣٩).

الدين كله لله»[١].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «جماع الدين هو عبادة الله وحده، وأعظم الذنوب الشرك، والقرآن مملوء من تعظيم التوحيد بالدعاء إليه والترغيب فيه، وبيان سعادة أهله، وتعظيم الشرك بالنهي عنه والتحذير منه وبيان شقاوة أهله»[٢].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فتأمل آيات التوحيد والصفات في القرآن على كثرتها وتفننها واتساعها وتنوعها كيف تجدها كلها قد أثبتت الكمال للموصوف بها وأنه المتفرد بذلك الكمال فليس له فيه شبه ولا مثال»[٣].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الله سبحانه نصب الأدلة على التوحيد، وأقام البراهين وأظهر الآيات، وأمرنا أن نشهد الأدلة والآيات، وننظر فيها ونستدل بها، ولا يجتمع هذا الإثبات وذلك النفي البتة، والمخلوقات كلها آيات للتوحيد، وكذلك الآيات المتلوة أدلة على التوحيد»[٤].

المطلب السادس

آيات التوحيد دلالتها على معانيها

أظهر من دلالة كثير من آيات الأحكام على معانيها

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الصحابة لم يتنازعوا في

(١) منهاج السنة ٥/ ٣٤٧.
(٢) الرد على الإخنائي ص١٧٢.
(٣) كتاب الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ٣/ ٩١٦.
(٤) مدارج السالكين ٣/ ٤٦٥.

تأويل آيات الصفات وأخبارها في موضع واحد، بل اتفقت كلمتهم وكلمة التابعين بعدهم على إقرارها وإمرارها، مع فهم معانيها وإثبات حقائقها؛ وهذا يدل على أنها أعظم النوعين بيانًا، وأن العناية ببيانها أهم؛ لأنها من تمام تحقيق الشهادتين، وإثباتها من لوازم التوحيد، فبينها الله ورسوله بيانًا شافيًا لا يقع فيه لبس ولا إشكال يوقع الراسخين في العلم في منازعة ولا اشتباه.

ومن شرح الله لها صدره ونور لها قلبه يعلم أن دلالتها على معانيها أظهر من دلالة كثير من آيات الأحكام على معانيها؛ ولهذا آيات الأحكام لا يكاد يفهم معانيها إلا الخاصة من الناس، وأما آيات الأسماء والصفات فيشترك في فهمها الخاص والعام؛ أعني: فهم أصل المعنى لا فهم الكنه والكيفية. ولهذا أشكل على بعض الصحابة قوله: ﴿يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ حتى بين لهم بقوله: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٦] ولم يشكل عليه ولا على غيره قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥] وأمثالها من آيات الصفات، وأشكل على عمر بن الخطاب آية الكلالة، ولم يشكل عليه أول الحديد وآخر الحشر وأول سورة طه، ونحوها من آيات الصفات»[(١)].

المطلب السابع

آيات التوحيد يستحيل دخول النسخ عليها

۞ قال أبو بكر بن أبي طالب القيسي (ت: ٤٣٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلا يجوز أن يدخل أخبار الله تعالى النسخ أو التبديل، بل هي محكمة ثابتة؛

---

(١) كتاب الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ١/ ٤٩.

لأنه تعالى إذا أخبر عن شيء فإنما يخبر بعلمه، وعلمه أزلي لا أول له، وهو مطابق للأمر في نفسه، علم ما كان، وما يكون، وما سيكون، فلو أخبر عن شيء أنه كان أو سيكون، ثم أخبر بنقيض ذلك أو برفعه، لكان ذلك خلفًا وكذبًا، مستلزمًا سبق الجهل، وحدوث العلم وتجدده، وهذا مما يعلم ضرورة أن الله تعالى منزه عنه، بل هو من صفات المخلوقين المربوبين، لا من صفات الخالق سبحانه»[(١)].

۞ قال أبو جعفر النحاس (ت: ٣٣٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض الرد على من يجوز النسخ في الأخبار ـ: «وهذا القول عظيم جدًّا، يؤول إلى الكفر؛ لأن قائلًا لو قال: قام فلان، ثم قال: لم يقم، ثم قال: نسخته لكان كاذبًا»[(٢)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كتاب الله نوعان: خبر وأمر، أما الخبر فلا يجوز أن يتناقض، ولكن قد يفسر أحد الخبرين الآخر، ويبين معناه، وأما الأمر فيدخله النسخ، ولا ينسخ ما أنزل الله إلا بما أنزله الله، فمن أراد أن ينسخ شرع الله الذي أنزله برأيه وهواه كان ملحدًا، وكذلك من دفع خبر الله برأيه ونظره كان ملحدًا»[(٣)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عند الكلام عن سورة الكافرون: «فلا نسخ في السورة ولا تخصيص، بل هي محكمة، وعمومها نص محفوظ، وهي من السور التي يستحيل دخول النسخ في مضمونها، فإن أحكام التوحيد الذي اتفقت عليه دعوة الرسل يستحيل

---

(١) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لأبي بكر بن أبي طالب القيسي (٥٧).
(٢) الناسخ والمنسوخ في القرآن لأبي جعفر النحاس ص٣.
(٣) درء تعارض العقل والنقل ٥/٢٠٨.

دخول النسخ فيه، وهذه السورة أخلصت التوحيد، ولهذا تسمى سورة الإخلاص»[١].

المطلب الثامن

آيات التوحيد الأكثر ورودًا في السور المكية

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن السور المكية تضمنت الأصول التي اتفقت عليها رسل الله؛ إذ كان الخطاب فيها يتضمن الدعوة لمن لا يقر بأصل الرسالة، وأما السور المدنية ففيها الخطاب لمن يقر بأصل الرسالة كأهل الكتاب الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض وكالمؤمنين الذين آمنوا بكتب الله ورسله؛ ولهذا قرر فيها الشرائع التي أكمل الله بها الدين: كالقبلة والحج والصيام والاعتكاف والجهاد وأحكام المناكح ونحوها، وأحكام الأموال بالعدل كالبيع والإحسان كالصدقة والظلم كالربا وغير ذلك مما هو من تمام الدين؛ ولهذا كان الخطاب في السور المكية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ لعموم الدعوة إلى الأصول؛ إذ لا يدعى إلى الفرع من لا يقر بالأصل»[٢].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الاعتناء في السور المكية إنما هو بأصول الدين من تقرير التوحيد والمعاد والنبوة، وأما تقرير الأحكام والشرائع فمظنة السور المدنية»[٣].

---

(١) التفسير القيم ص٥٩٧.
(٢) مجموع الفتاوى ١٥/ ١٦٠.
(٣) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ١/ ١٤٠.

المطلب التاسع

التوحيد هو أول أمر في القرآن

قال - تعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة].

هذه الآية تضمّنت أوّل أمر وأوّل نهي في القرآن الكريم، فكان أوّل أمر هو الأمر بتوحيد الله، وأوّل نهي هو النّهي عن الإشراك بالله ﷻ.

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: «كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد»[1].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رحمه الله: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ يعني: المنافقين واليهود، وحّدوا ربكم ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ ولم تكونوا شيئًا، ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ من الأمم الخالية ﴿لَعَلَّكُمۡ﴾ يعني: لكي ﴿تَتَّقُونَ ٢١﴾ الشرك وتوحدوا الله ﷻ إذا تفكرتم في خلقكم وخلق الذين من قبلكم»[2].

قال سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت: ١٢٣٣هـ) رحمه الله: «هذا أول أمر في القرآن، وهو الأمر بعبادته وحده لا شريك له، والنهي عن الشرك، كما في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة]. وتأمل كيف أمر تعالى بعبادته؛ أي: فعلها خالصة له، ولم يخص بذلك نوعًا من

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة البقرة، الآية: ٢٢).
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة البقرة، الآية: ٢٢).

أنواع العبادة، لا دعاء ولا صلاة ولا غيرهما، ليعم جميع أنواع العبادة، ونهى عن الشرك به، ولم يخص أيضًا نوعًا من أنواع العبادة بجواز الشرك فيه»[1].



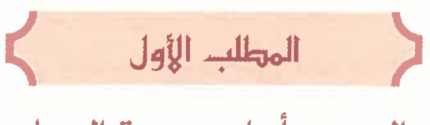
(١) تيسير العزيز الحميد ص٤٣.



المبحث الثالث

محاسن التوحيد والإيمان بالرسل

وفيه أحد عشر مطلباً:



المطلب الأول

التوحيد أساس دعوة الرسل

❁ قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء].

فكل الرسل عليهم الصلاة والسلام قبل النبي ﷺ: زبدة رسالتهم وأصلها: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وبيان أنه الإله الحق المعبود، وأن عبادة ما سواه باطلة[1]؛ ولهذا قال الله ﷻ: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف].

❁ قال ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾ [النحل: الآية: ٣٦].

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ١٨/ ٤٢٧، تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان للسعدي ص٤٧٠.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ﴾ [الشورى، الآية: ١٥].

قال منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ﴾ أي: فإلى هذا فادع، وهو التوحيد»[١].

قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء]: «أي: قلنا للجميع: لا إله إلا الله؛ فأدلَّة العقل شاهدةٌ أنه لا شريك له، والنقل عن جميع الأنبياء موجود، والدليل إمَّا معقولٌ وإما منقولٌ، وقال قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ): لم يُرسَل نبيٌّ إلا بالتوحيد، والشرائع مختلفة في التوراة والإنجيل والقرآن، وكلُّ ذلك على الإخلاص والتوحيد»[٢].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأصل دعوة جميع المرسلين قولهم ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ﴾ وعلى ذلك قاتل من قاتل منهم المشركين كما قال خاتم الرسل: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**»[٣]، قال الله تعالى ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ﴾ [الشورى، الآية: ١٣]»[٤].

---

(١) تفسير السمعاني ٥/٦٨.
(٢) تفسير القرطبي (الأنبياء: ٢٥).
(٣) رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).
(٤) قاعدة في المحبة ص١١ ـ ١٢.

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوحيد الذي جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، وبه بعث الله الأولين والآخرين من الرسل.

۞ قال - تعالى -: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ۝٤٥﴾ [الزخرف].

۞ قال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل، الآية: ٣٦].

۞ وقال - تعالى -: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء].

وقد أخبر الله - تعالى - عن كل من الرسل، مثل نوح وهود، وصالح وشعيب، وغيرهم، أنهم قالوا لقومهم: اعبدوا الله ما لكم من إلٰه غيره؛ وهذا أول دعوة الرسل وآخرها»(١).

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى: قال - تعالى -: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف، الآية: ٥٩] وقال هود لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف، الآية: ٦٥] وقال صالح لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف، الآية: ٧٣] وقال شعيب لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف، الآية: ٨٥]، وقال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل، الآية: ٣٦]»(٢).

---

(١) منهاج السنة ٥/ ٣٤٦.
(٢) مدارج السالكين ٣/ ٤١١.

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «دعوة الرسل تدور على ثلاثة أمور: تعريف الرب المدعو إليه بأسمائه وصفاته وأفعاله.

الأصل الثاني: معرفة الطريق الموصلة إليه وهي ذكره وشكره وعبادته التي تجمع كمال حبه وكمال الذل له.

الأصل الثالث: تعريفهم ما لهم بعد الوصول إليه في دار كرامته من النعيم الذي أفضله وأجله رضاه عنهم وتجليه لهم ورؤيتهم وجهه الأعلى وسلامه عليهم وتكليمه إياهم ومحاضرتهم في مجالسهم»[(١)].

۞ قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أصل الدعوة في كل ملة التوحيد، وكان الشاك فيه شاكًا في الله، وكان أمر الله من الظهور بحيث لا يشك فيه عاقل حكم عقله مجردًا عن الهوى»[(٢)].

۞ قال محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لم يبعث الله سبحانه رسله، ولا أنزل عليهم كتبه إلا لإخلاص توحيده، وإفراده بالعبادة»[(٣)].

۞ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يخبر الله عَزَّوَجَلَّ أن حجته قامت على جميع الأمم، وأنه ما من أمّة متقدّمة، أو متأخرة إلا وبعث الله فيها رسولًا، وكلهم متفقون على دعوة واحدة، ودين واحد، وهو: عبادة الله وحده لا شريك له، فانقسمت الأمم بحسب استجابتها لدعوة الرسل قسمين: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [النحل، الآية: ٣٦] فاتبعوا المرسلين، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل، الآية: ٣٦]، فاتبع سبيل الغي»[(٤)].

---

(١) الصواعق المرسلة ٤/١٤٨٩.
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٠/٣٩١.
(٣) الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني ١/ ١٧٣.
(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص٣٩٣.

❁ قال حافظ بن أحمد حكمي (ت: ١٣٧٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «اتفقت دعوتهم من أولهم إلى آخرهم على أصل العبادة وأساسها، وهو التوحيد بأن يفرد الله تعالى بجميع أنواع العبادة اعتقادًا وقولًا وعملًا. ويكفر بكل ما يعبد من دونه، وأما الفروض المتعبد بها فقد يفرض على هؤلاء من الصلاة والصوم ونحوها ما لا يفرض على الآخرين، ويحرم على هؤلاء ما يحل للآخرين، امتحانًا من الله تعالى ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧].

الدليل على ذلك من الكتاب على نوعين مجمل ومفصل.

أما المجمل فمثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل، الآية: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء]، وقوله تعالى: ﴿وَسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف] الآيات.

وأما المفصل فمثل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف، الآية: ٥٩]، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ﴾ [الأعراف، الآية: ٧٣]، ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف، الآية: ٦٥]، ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف، الآية: ٨٥]، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف، الآيات: ٢٦ ـ ٢٧] وقال موسى: ﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [طه]، ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة، الآية: ٧٢]، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ

ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ [ص]، وغيرها من الآيات»[١].

۞ قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فعلينا أن نعلم أن هذا الذي أمر به سيدنا ﷺ من تحقيق العبودية لله، وإخلاص حقوق الله لله، وتحقيق معنى (لا إلٰه إلا الله) علينا أن نتبع فيه نبينا ﷺ»[٢].

المطلب الثاني

التوحيد مفتاح دعوة الرسل

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالتوحيد: مفتاح دعوة الرسل، ولهذا قال النبي ﷺ لرسوله معاذ بن جبل (ت: ١٨هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وقد بعثه إلى اليمن ـ «**إنك تأتي قومًا أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه: عبادة الله وحده، فإذا شهدوا أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة**»[٣]. وذكر الحديث وقال ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله**»[٤]، ولهذا كان الصحيح: أن أول واجب يجب على المكلف: شهادة أن لا إلٰه إلا الله، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك ـ كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم»[٥].

---

(١) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة ص٤٩ ـ ٥٠.

(٢) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير ٢/ ٦٢٩.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ٤/ ٣٧٨، ح٧٣٧٢.

(٤) رواه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢).

(٥) مدارج السالكين ٣/ ٤١١ ـ ٤١٢.

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد اقتضت رحمة العزيز الحكيم أن بعث الرسل به معرفين وإليه داعين، وجعل معرفته سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله هي مفتاح دعوتهم وزبدة رسالتهم، فأساس دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، والأصل الأول فيها: معرفة الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله، ثم يتبع هذا الأصل أصلان عظيمان هما:

١ - تعريف الناس الطريق الموصلة إلى الله، وهي: «شريعته المتضمنة لأمره ونهيه».

٢ - تعريفهم مآلهم في الآخرة.

وهذان الأصلان تابعان للأصل الأول مبنيان عليه، فأعرف الناس بالله أتبعهم للطريق الموصلة إليه، وأعرفهم بحال الناس عند القدوم عليه»[١].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جعل لكل خير وشر مفتاحًا وبابًا يُدخل منه إليه.

كما جعل الشرك والكِبر والإعراض عما بعث الله به رسوله والغفلة عن ذكره والقيام بحقه مفتاحًا للنار»[٢].

۞ قال الإمام ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومفتاح كل شرٍّ؛ حُبُّ الدنيا وطول الأمل. وهذا بابٌ عظيمٌ، من أنفع أبواب العلم، وهو: معرفة مفاتيح الخير والشر، لا يُوفق لمعرفته ومراعاته إلا من عَظُم حظُّه وتوفيقه»[٣].

---

(١) الصواعق المرسلة ١/٥ - ٦.
(٢) حادي الأرواح ص٤٩.
(٣) حادي الأرواح ص٤٨.

المطلب الثالث

التوحيد خلاصة الدعوة النبوية، وزبدة الرسالة الإلهية

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «معرفة رب العالمين غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية، وزبدة الرسالة الإلهية»[(١)].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإخلاص الدين لله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه وهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل، وأنزل به جميع الكتب واتفق عليه أهل الإيمان، وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه»[(٢)].

❁ قال محمد بن عبد الله الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوحيد هو المقصود الأصلي من بعثة الرسل»[(٣)].

المطلب الرابع

التوحيد أصل دين الأنبياء وإن اختلفت شرائعهم

❁ عن أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أَولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات؛ أمهاتهم شتى ودينهم واحد**»[(٤)].

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/ ١٣.
(٢) مجموع الفتاوى ١٢/ ٤٨ ـ ٤٩.
(٣) كتاب معنى لا إله إلا الله للزركشي ص٨٧.
(٤) أخرجه البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥).

۞ قال منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ﴾ [البقرة، الآية: ٤١]، بما أنزلت في القرآن مصدقًا لما معكم من التوراة؛ يعني: أن القرآن مصدق لما في التوراة من التوحيد ونعت محمد»[(١)].

۞ قال منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ۝٩٢﴾ [الأنبياء، الآية: ٩٢]؛ أي: وحدوني، وحقيقة معنى الآية: أن الملة التي دعوتكم إليها هي ملة الأنبياء قبلكم، إذ دين الكل واحد، وهذا في التوحيد، فأما الشرائع يجوز اختلافها، ويقال: معنى الآية: أنكم خلق واحد وكونوا على دين واحد»[(٢)].

۞ قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واختلف المتأولون في معنى قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾، فقال علي بن أبي طالب (ت: ٤٠هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وقتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨هـ)، وجمهور المتكلمين: المعنى (لكل أمة منكم جعلنا شرعة ومنهاجًا) أي: لليهود شرعة ومنهاج وللنصارى كذلك وللمسلمين كذلك.

وهذا عندهم في الأحكام، وأما في المعتقد فالدين واحد لجميع العالم: توحيد وإيمان بالبعث وتصديق للرسل، وقد ذكر الله تعالى في كتابه عددًا من الأنبياء شرائعهم مختلفة، ثم قال لنبيه ﷺ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ

(١) تفسير السمعاني ١/ ٧١.
(٢) تفسير السمعاني ٣/ ٤٠٧.

هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام، الآية: ٩٠] فهذا عند العلماء في المعتقدات فقط، وأما أحكام الشرائع فهذه الآية هي القاضية فيها ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ﴾»[1].

❁ قال النووي (ت: ٦٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال جمهور العلماء معنى الحديث: أصل إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة فإنهم متفقون في أصول التوحيد، وأما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف، فقوله: «**ودينهم واحد**» أي أصول التوحيد، أو أصل طاعة الله تعالى وإن اختلفت صفتها، أو أصول التوحيد والطاعة جميعًا»[2].

فأفاد الحديث أن الأنبياءَ كلَّهم على دين واحد هو دين الإسلام فكلُّهم دعَوا إلى عبادة الله وحده وعدم الإشراك به شيئًا والتصديقِ بأنبيائه، ولكنَّ شرائعَهم مختلفةٌ أي الأحكام.

فالمرسلون قاطبة يَنتسِبون إلى أصلٍ واحد، هو الدين القيِّم، الذي ارتضاه الله لنفسه، وشرَعه لعبده، ثم وصَّى به رُسله، وكتب ألا يَقبَل غيره، وألا يجزي إلا به، وتعاقب الأنبياء على هذا الدين الحق، الذي أصوله: توحيد الله وتنزيهه.

❁ قال سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (ت: ٧١٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عند قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء] «المراد كما أوحينا إليهم في التوحيد ونحوه من قواعد الأصول»[3].

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢/ ٢٠٠ ـ ٢٠١.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥/ ١٢٠.
(٣) الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية ص١٩١.

۞ قال سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (ت: ٧١٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اختصاص كل أمة بشرعة إنما هو في فروع التكاليف، أما التوحيد ونحوه من أصول الديانات فالشرائع فيه واحدة»[(١)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأصل الدين وقاعدته يتضمن أن يكون الله هو المعبود الذي تحبه القلوب وتخشاه ولا يكون لها إلٰه سواه، والإله ما تألهه القلوب بالمحبة والتعظيم والرجاء والخوف والإجلال والإعظام ونحو ذلك.

والله سبحانه أرسل الرسل بأنه لا إلٰه إلا هو فتخلو القلوب عن محبة ما سواه بمحبته، وعن رجاء ما سواه برجائه، وعن سؤال ما سواه بسؤاله، وعن العمل لما سواه بالعمل له، وعن الاستعانة بما سواه بالاستعانة به»[(٢)].

۞ قال محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (ت: ١٢٠٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه الذي لا يقبل الله عملًا إلا به، ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه»[(٣)].

۞ قال محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي (ت: ١٣٥٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والذي ظهر لي: أن بعثة الأنبياء كلهم عامة في حق التوحيد كما صرح به ابن دقيق العيد (ت: ٦٢٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بمعنى أنه يجوز لهم أن يدعو إليه من شاؤوا سواء كانوا مبعوثين إليهم أم لا، ويجب على

(١) الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية ص٢١٩.
(٢) مجموع الفتاوى ١١/٥٢٣ ـ ٥٢٤.
(٣) مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب «الجزء الأول») ص٢٩٣.

القوم إجابة دعوتهم ولا يسع لهم الإنكار بحال، فإن أنكروا استحقوا النار»(١).

المطلب الخامس

التوحيد هو نذارة الأنبياء والرسل للناس

❊ قال - تعالى -: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٦٥﴾ [ص].

❊ قال - تعالى -: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾ [النحل].

❁ قال الربيع بن أنس (ت: ١٣٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حق على من اتبع رسول الله ﷺ أن يدعو كالذي دعا رسول الله ﷺ، وأن ينذر كالذي أنذر»(٢).

❁ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ يعني: رسول ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ﴾ لا شريك له ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾ لخلقه»(٣).

❁ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٦٥﴾ يقول: وما من معبود تصلح له العبادة، وتنبغي له الربوبية؛ إلا الله الذي يدين له كلّ شيء، ويعبدهُ كلّ خلق، الواحد الذي لا ينبغي أن يكون له في ملكه شريك، ولا ينبغي أن تكون له

---

(١) كتاب فيض الباري على صحيح البخاري ١/ ٢٨٠.
(٢) تفسير ابن كثير (سورة الأنعام، الآية: ١٩).
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة ص، الآية: ٦٥).

صاحبة، القهار لكلّ ما دونه بقدرته»[١].

۞ قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞ﴾ أي: نذير لكم بين يدي عذاب شديد. ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٦٥﴾ أي: وما من معبود تجب له العبادة إلا الله الواحد؛ أي: المنفرد بالعبادة القهار لكل ما دونه بقدرته»[٢].

۞ قال منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أن الشرائع مختلفة، ولكل قوم شريعة... وأما الدين في الكل واحد، وهو التوحيد»[٣].

۞ قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞ﴾ أي: مخوف عقاب الله لمن عصاه وقد تقدم. ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ﴾ أي: معبود ﴿إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٦٥﴾ الذي لا شريك له»[٤].

۞ قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿قُلْ﴾ أي: لمن يقول لك ذلك: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞ﴾ أي: مخوف لمن عصى، ولم أدّع أني إله، ليطلب مني ذلك فإنه لا يقدر على مثله إلا الإله، فهو قصر قلب للموصوف على الصفة، وأفرد قاصرًا للصفة في قوله: ﴿وَمَا﴾ وأعرق في النفي بقوله: ﴿مِنْ إِلَٰهٍ﴾ أي: معبود بحق لكونه محيطًا بصفات الكمال. ولما كان السياق للتوحيد الذي هو أصل الدين، لفت القول عن مظهر العظمة إلى أعظم منه وأبين فقال: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وللإحاطة عبر بالاسم العلم

---

(١) تفسير الطبري (سورة ص، الآية: ٦٥).
(٢) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (سورة ص، الآية: ٦٥).
(٣) تفسير السمعاني ٢/٤٣.
(٤) تفسير الجامع لأحكام القرآن (سورة ص، الآية: ٦٥).

الجامع لجميع الأسماء الحسنى، ولو شاركه شيء لم يكن محيطًا، وللتفرد قال مبرهنًا على ذلك: ﴿ٱلْوَٰحِدُ﴾ أي: بكل اعتبار فلا يمكن أن يكون له جزء أو يكون له شبيه محتاجًا مكافئًا ﴿ٱلْقَهَّارُ ۝٦٥﴾ أي: الذي يقهر غيره على ما يريد، وهذا برهان على أنه الإله وحده وأن آلهتهم بعيدة عن استحقاق الإلهية لتعددها وتكافئها بالمشابهة واحتياجها»[(١)].

۞ قال أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٨٩٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال ـ تعالى ـ: ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ [ق، الآية: ١٤]؛ أي: فيما أرسلوا به من الشرائع التي من جملتها البعث الذي أجمعوا عليه قاطبة أي كل قوم من الأقوام المذكورين كذبوا رسولهم أو كذب جميعهم جميع الرسل بالمعنى المذكور، وإفراد الضمير باعتبار لفظ الكل أو كل واحد منهم كذب جمع الرسل لاتفاقهم على الدعوة إلى التوحيد والإنذار بالبعث والحشر، فتكذيب واحد منهم تكذيب للكل، وهذا على تقدير رسالة تبع ظاهر، وأما على تقدير عدمها وهو الأظهر فمعنى تكذيب قومه الرسل تكذيبهم بمن قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد والبعث»[(٢)].

۞ قال محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم أمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يقول قولًا جامعًا بين التخويف، والإرشاد إلى التوحيد، فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ أي: مخوّف لكم من عقاب الله وعذابه ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ﴾ يستحق العبادة ﴿إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ﴾ الذي لا شريك له ﴿ٱلْقَهَّارُ ۝٦٥﴾ لكل شيء سواه»[(٣)].

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (سورة ص، الآية: ٦٥).

(٢) تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (تفسير سورة ق، الآية: ١٤)، ٨/١٢٨.

(٣) تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني (سورة ص، الآية: ٦٥).

المطلب السادس

التوحيد هو القول اللين

❁ قال - تعالى -: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ [طه].

۞ عن عكرمة (ت: ١٠٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾ قال: لا إله إلا الله»[١].

۞ قال أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال بعضهم: ﴿قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾ قول: لا إله إلا الله»[٢].

۞ قال أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقيل: القول اللين لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولينها خفتها على اللسان»[٣].

۞ قال الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وروي عن عكرمة أن القول اللين لا إله إلا الله ولينه خفته على اللسان»[٤].

المطلب السابع

التوحيد هو وصيته سبحانه لأنبيائه ورسله

❁ قال - تعالى -: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (سورة طه، الآية: ٤٤).
(٢) تفسير تأويلات أهل السنة للماتريدي (سورة طه، الآية: ٤٤).
(٣) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (سورة طه، الآية: ٤٤).
(٤) تفسير روح المعاني للألوسي (سورة طه، الآية: ٤٤).

تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى].

۞ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ودين الإسلام الذي تمسك به الأنبياء جميعهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ودعوا إليه هو توحيد الله والإيمان به وطاعة رسله وقبول شرائعه»[(١)].

والدين الذي أمر الله سبحانه الأنبياء بالاجتماع عليه والتمسك به هو دين واحد وهو دين الإسلام.

۞ قال منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ﴾ أي: اثبتوا على التوحيد»[(٢)].

قال - تعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [المؤمنون].

۞ قال عبد الله بن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [المؤمنون]، يقول: دينكم دين واحد»[(٣)].

۞ قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعنى الأمة هنا: الدين[(٤)] أي دينكم يا معشر الأنبياء دين واحد وملة واحدة وهو الدعوة إلى عبادة الله لا شريك له»[(٥)].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١٧/ ٦٧.
(٢) انظر: «تفسير السمعاني» ٥/ ٦٧.
(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٩.
(٤) انظر: «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» ضمن مجموعة التوحيد ٢/ ٥٩٤، وانظر: الفتاوى ٣/ ٦٤.
(٥) تفسير القرطبي ١٢/ ٨٦.

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الدين هو دين الإسلام، الذي لا يقبل الله دينًا غيره، لا من الأولين ولا من الآخرين، فإن جميع الأنبياء على دين الإسلام، قال ـ تعالى ـ عن نوح: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [يونس]، وقال عن إبراهيم: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة]، وقال عن موسى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس]، وقال في خبر المسيح: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المائدة]، وقال فيمن تقدم من الأنبياء: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [المائدة]، وقال عن بلقيس أنها قالت: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل].

فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده، فمن استسلم له ولغيره كان مشركًا، ومن لم يستسلم له كان مستكبرًا عن عبادته، والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر، والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته وحده.

وهذا دين الإسلام الذي لا يقبل الله غيره، وذلك إنما يكون بأن يطاع في كل وقت بفعل ما أمر به في ذلك الوقت، فإذا أمر في أول الأمر باستقبال الصخرة، ثم أمر ثانيًا باستقبال الكعبة، كان كل من

الفعلين حين أمر به داخلًا في دين الإسلام، فالدين هو الطاعة والعبادة له في الفعلين، وإنما تنوع بعض صور الفعل وهو وجهة المصلي، فكذلك الرسل دينهم واحد، وإن تنوعت الشرعة والمنهاج والوجهة والمنسك؛ فإن ذلك لا يمنع أن يكون الدين واحدًا، كما لم يمنع ذلك في شرعة الرسول الواحد»(١).

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال ـ تعالى ـ: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت، الآية: ٦ ـ ٧]؛ أي: لا يؤتون ما تزكى به أنفسهم من التوحيد والإيمان، ولهذا فسرها غير واحد من السلف بأن قالوا لا يؤتون الزكاة لا يقولون: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن يكون الله أحب إلى العبد من كل ما سواه هو أعظم وصية جاءت بها الرسل ودعوا إليها الأمم»(٢).

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوحيد ـ كل التوحيد ـ أن يشهد كل شيء دليلًا عليه، مرشدًا إليه، ومعلوم أن الرسل أدلة للتوحيد»(٣).

۞ قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [الشورى، الآية: ١٥]، اللام في قوله: ﴿فَلِذَٰلِكَ﴾ قالت فرقة: هي بمنزلة إلى، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ [الزلزلة]؛ أي: إليها، كأنه قال: فإلى ما وصى به الأنبياء من التوحيد فادع»(٤).

---

(١) الرسالة التدمرية ١/١٦٨ ـ ١٧٠.
(٢) مفتاح دار السعادة ٢/ ١٢٠.
(٣) مدارج السالكين ٣/ ٤٦٥.
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/ ٣٠.

المطلب الثامن

التوحيد وصية الأنبياء لذريتهم

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة].

عن عبد الله بن عمرو (ت: ٦٥هـ) رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ نبيَّ اللهِ نوحًا صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وسلَّم لَمَّا حضَرَتْه الوفاةُ قال لابنِه: إنِّي قاصٌّ عليكَ الوصيَّةَ: آمُرُكَ باثنتينِ وأنهاكَ عن اثنتينِ؛ آمُرُكَ بلا إلهَ إلَّا اللهُ؛ فإنَّ السَّمواتِ السَّبعَ والأرَضينَ السَّبعَ، لو وُضِعَتْ في كِفَّةٍ ووُضِعَتْ لا إلهَ إلَّا اللهُ في كِفَّةٍ، رجَحَتْ بهنَّ لا إلهَ إلَّا اللهُ، ولو أنَّ السَّمواتِ السَّبعَ والأرَضينَ السَّبعَ كُنَّ حَلقةً مُبْهَمةً، قَصَمَتْهُنَّ لا إلهَ إلَّا اللهُ وسُبحانَ اللهِ وبحمدِه؛ فإنَّها صلاةُ كلِّ شيءٍ، وبها يُرزَقُ الخَلْقُ، وأنهاكَ عنِ الشِّركِ والكِبْرِ»(١).

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: «قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾ [البقرة، الآية: ١٣٢]، يعني: كلمة التوحيد ﴿وَيَعْقُوبُ﴾ أي: وأوصى بها أيضًا يعقوب بنيه بعد إبراهيم قال: ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ أي: اختار لكم الإسلام»(٢).

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٤٨).

(٢) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١/ ١٨٠.

المطلب التاسع

من تمام التوحيد شهادة أن محمدًا رسول الله

۞ عن مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح]؛ قال: إذا ذكرت ذكرت معي؛ أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله»[1].

۞ عن محمد بن كعب (ت: ١٠٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال: إذا ذكر الله عَزَّوَجَلَّ ذكر معه؛ أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله ﷺ»[2].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «محمد رسول الله من تمام قول لا إله إلا الله؛ فالكلمتان تخرجان من أصل القلب، من مشكاة واحدة، لا تتم إحداهما إلا بالأخرى»[3].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إثبات حمده التام، فإنه يقتضي كمال حكمته، وأن لا يخلق خلقه عبثًا، ولا يتركهم سدى، لا يؤمرون ولا ينهون، ولذلك نزه الله نفسه عن هذا في غير موضع من كتابه، وأخبر أن من أنكر الرسالة والنبوة وأن يكون ما أنزل على بشر من شيء فإنه ما عرفه حق معرفته، ولا عظمه حق تعظيمه، ولا قدره حق قدره، بل نسبه إلى ما لا يليق به، ويأباه حمده ومجده.

فمن أعطى الحمد حقه علمًا ومعرفة وبصيرة استنبط منه «أشهد أن محمدًا رسول الله» كما يستنبط منه أشهد أن لا إله إلا الله، وعلم قطعًا أن تعطيل النبوات في منافاته للحمد، كتعطيل صفات الكمال، وكإثبات

(١) سنن سعيد بن منصور ـ تكملة التفسير ٨/ ٣٧٧.
(٢) سنن سعيد بن منصور ـ تكملة التفسير ٨/ ٣٧٨.
(٣) مدارج السالكين ٣/ ٤٧.

الشركاء والأنداد»[(١)].

المطلب العاشر

النبوة مرتبطة بالتوحيد أعظم من ارتباطها بغيرها

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأيضًا فالإلهيات التي تعلم منها قدرة الرب وإرادته وحكمته وأفعاله: منها يعلم النبي من المتنبئ، ومنها يعلم صدق النبي، فهي أدل على صدق النبي من مجرد القصص وما في القصص من الدلالة على صدقه إنما يدل مع الإلهيات، وإلا فلو تجرد لم يدل على شيء، فالنبوة مرتبطة بالإلهيات أعظم من ارتباطها بغيرها، والأنبياء إنما بعثوا بالدعوة إلى الله وحده، وقد يذكرون المعاد مجملًا ومفصلًا، والقصص قد يذكر بعضهم بعضها مجملًا. وأما الإلهيات فهي الأصل، ولا بد من تفصيل الأمر بعبادة الله وحده دون ما سواه، فلا بد لكل نبي من الأصول الثلاثة: الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح»[(٢)].

المطلب الحادي عشر

التوحيد حماه النبي ﷺ عما يشوبه من الأقوال والأعمال التي يضمحل معها التوحيد أو ينقص

حمايته ﷺ حمى التوحيد عما يشوبه من الأقوال والأعمال التي

---

(١) مدارج السالكين ١/ ٩٠.

(٢) مجموع الفتاوى ١٧/ ١٢٥ - ١٢٦.

يضمحل معها التوحيد أو ينقص.

۞ فعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه، قال: «انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي ﷺ فقلنا: أنت سيدنا[١]، فقال: «**السيد الله تبارك وتعالى**». قلنا: وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طولًا، فقال: «**قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان**»»[٢].

۞ عن أنس (ت: ٩٠هـ) رضي الله عنه: «أن ناسًا قالوا: يا رسول الله! يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا. فقال: «**يا أيها الناس! قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل**»»[٣].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: «وقد حمى النبي ﷺ جانب التوحيد أعظم حماية، حتى نهى عن صلاة التطوع لله سبحانه عند طلوع الشمس وعند غروبها؛ لئلا يكون ذريعة إلى التشبه بعباد الشمس الذين يسجدون لها في هاتين الحالتين، وسد الذريعة بأن منع الصلاة بعد العصر والصبح لاتصال هذين الوقتين بالوقتين اللذين يسجد المشركون

---

(١) وأما إطلاق السيد فقد ذكر ابن القيم - رحمه الله تعالى - في بدائع الفوائد ص١٦٢ ما نصه: «اختلف العلماء في جواز إطلاق السيد على البشر فمنعه قوم، ونقل عن مالك، واحتجوا بقول النبي ﷺ لما قيل له: أنت سيدنا، فقال: «السيد الله». وجوزه قوم، واحتجوا بقول النبي ﷺ للأنصار: «**قوموا إلى سيدكم**»؛ وهذا أصح من الحديث الأول».

(٢) رواه أبو داود بسند جيد برقم (٤٨٠٦) في الأدب: باب في كراهية التمادح، وأحمد في «المسند» ٤/ ٢٥، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٢٤٥ - ٢٤٧)، وابن السني رقم (٣٨٧)، وإسناده صحيح.

(٣) رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة رقم (٢٤٨ و٢٤٩)، وأحمد في المسند ٣/ ١٥٣ و٢٤١ وهو حديث صحيح.

فيهما للشمس»(١).

۞ قال عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ (ت: ١٢٨٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله في حديث أنس (ت: ٩٠هـ): «أن ناسًا قالوا: يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا» الحديث، كره ذلك لئلا يكون وسيلة إلى الغلو فيه والإطراء كما تقدم في قوله: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله**»(٢)، وهذا من كمال نصحه للأمة وشفقته عليهم، حذرهم مما يكون ذريعة إلى الغلو فيه.

فقوله: «لا تطروني» الإطراء هو الغلو، «**كما أطرت النصارى ابن مريم**»، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾ [النساء، الآية: ١٧١]، قوله: «**إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله**»، أمرهم ﷺ أن لا يتجاوزوا هذا القول، وقد أمر الله عباده بالصلاة والسلام عليه؛ لأن أشرف مقامات الأنبياء العبودية الخاصة والرسالة.

وقوله: «**أنا محمد عبد الله ورسوله**»، فأعلى مراتب العبد هاتان الصفتان العبودية الخاصة والرسالة، وللنبي ﷺ أكملها، وقد أخبر تعالى أنه وملائكته يصلون عليه، وأمر أمته أن يصلوا عليه، وأثنى عليه بأحسن ثناء وأبلغه، وشرح له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، فلا يذكر في الأذان والتشهد والخطب؛ إلا ذكر معه صلوات الله وسلامه عليه»(٣).

---

(١) الداء والدواء ص١٣٥.
(٢) رواه البخاري: أحاديث الأنبياء (٣٤٤٥)، وأحمد (١/ ٢٣، ١/ ٢٤، ١/ ٤٧).
(٣) قرة عيون الموحدين ص٢٥٩.



المبحث الرابع

محاسن التوحيد والإيمان باليوم الآخر

وفيه أربع وثلاثون مطلباً:

المطلب الأول

كلمة التوحيد مما يسأل عنه العبد يوم القيامة وفي قبره

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ٢٤﴾ [الصافات].

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال المفسرون: لما سيقوا إلى النار حبسوا عند الصراط لأن السؤال عند الصراط؛ فقيل: وقفوهم ﴿إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ٢٤﴾.

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «عن لا إله إلا الله»[1].

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَقِفُوهُمْۖ﴾ أي: احبسوهم، وهذا قبل أن يدخلوا النار ﴿إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ٢٤﴾ عن لا إله إلا الله»[2].

قال ـ تعالى ـ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة الصافات، الآية: ٢٤)، تفسير القرطبي (سورة الصافات، الآية: ٢٤).

(٢) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٤/٥٨.

ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم].

۞ عن البراء بن عازب (ت: ٧٢هـ) رضي الله عنه مرفوعًا: «**المسلمُ إذا سُئِلَ في القَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فذلك قولُهُ تـعـالـى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾** [إبراهيم: ٢٧]»[(١)].

۞ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: «قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ كلمة التوحيد وهي قول: لا إله إلا الله ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني: قبل الموت، ﴿وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ يعني: في القبر؛ هذا قول أكثر أهل التفسير، وقيل: ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: عند السؤال في القبر»[(٢)].

۞ قال حافظ بن أحمد حكمي (ت: ١٣٧٧هـ) رحمه الله: «وهذه الآية نصُّها في عذاب القبر بصريح الأحاديث، وباتِّفاق أئمة التفسير من الصحابة فالتابعين فمن بعدهم، وأن المراد بالتثبيت هو عند السؤال في القبر حقيقة»[(٣)].

المطلب الثاني

التوحيد يعين صاحبه على حسن الخاتمة

فالإنسان في حالة وفاته يرى عليه أحيانًا أشياء تدل على حسن

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١).

(٢) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة إبراهيم، الآية: ٢٧).

(٣) «معارج القبول» ٢/ ١١٥.

خاتمته، من أفضل ما يدل على ذلك قول: لا إلٰه إلا الله عند وفاته.

۞ عن معاذ بن جبل (ت: ١٨هـ) رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إلٰه إلا الله دخل الجنة**»(١)، فهذه من علامات حسن الخاتمة.

۞ عن حذيفة (ت: ٣٦هـ) رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**من قال: لا إلٰه إلا الله ابتغاء وجه الله، ختم له بها، دخل الجنة**»(٢)؛ أي: ختم الله له بهذه الكلمة فيدخل الجنة بسببها.

۞ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رحمه الله: «يقول تعالى ذكره: ولقد أهلكنا الأمم التي كذبت رسل الله من قبلكم أيها المشركون بربهم، ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾؛ يقول: لما أشركوا وخالفوا أمر الله ونهيه، ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾ من عند الله، ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾؛ وهي الآيات والحجج التي تُبين عن صِدْق من جاء بها. ومعنى الكلام: وجاءتهم رسلهم بالآيات البينات أنها حق، ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ يقول: فلم تكن هذه الأمم التي أهلكناها ليؤمنوا برسلهم ويصدِّقوهم إلى ما دعوهم إليه من توحيد الله وإخلاص العبادة له، ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ۝﴾؛ يقول تعالى ذكره: كما أهلكنا هذه القرون من قبلكم، أيها المشركون، بظلمهم أنفسَهم، وتكذيبهم رسلهم، وردِّهم نصيحتَهم، كذلك أفعل بكم فأهلككم كما أهلكتهم بتكذيبكم رسولكم محمدًا ﷺ، وظلمكم أنفسكم بشرككم بربكم، إن أنتم لم تُنيبوا وتتوبوا إلى الله من شرككم فإن من ثواب الكافر بي على كفره عندي، أن أهلكه بسَخَطي في الدنيا، وأورِدَه النار في

(١) رواه أحمد (٢١٥٢٩) وأبو داود (٣١١٦) وحسنه الألباني في «إرواء الغليل» (٦٨٧).

(٢) أخرجه أحمد ٥/٣٩١، وإسناده صحيح، قال المنذري ٢/٦١ «لا بأس به».

الآخرة»[١].

۞ قال الحافظ الإشبيلي (ت: ٥٨١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنّ سوء الخاتمة لا يكون لمن استقام ظاهره وصلُح باطنُه، ما سُمع بهذا قطُّ ولا عُلم به والحمد لله، وإنما يكون لمن كان له فسادٌ في العقل أو إصرار على الكبائر وإقدام على العظائم أو لمن كان مستقيما ثم تغيّرت حاله وخرج عن سُننه وأخذ في غير طريقه»[٢].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «من أعظم الفقه أن يخاف الرجل أن تخذله ذنوبه عند الموت فتحول بينه وبين الخاتمة الحسنة»[٣].

ومن أعظم صور سوء الخاتمة ما حل بالمكذبين بتوحيد الله؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ [يونس، الآية: ١٣].

المطلب الثالث

التوحيد به انقسم الناس إلى سعداء وأشقياء

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وذلك أنه علم بالاضطرار: أن الرسل كانوا يجعلون ما عبده المشركون غير الله؛ ويجعلون عابده عابدًا لغير الله مشركًا بالله عادلًا به جاعلًا له ندًّا، فإنهم دعوا الخلق إلى عبادة الله وحده لا شريك له؛ وهذا هو دين الله؛ الذي أنزل به كتبه، وأرسل به رسله، وهو الإسلام العام الذي لا يقبل الله من الأولين

---

(١) تفسير الطبري (سورة يونس، الآية: ١٣).
(٢) الاعتصام ١/ ٢٢٤.
(٣) الداء والدواء ص٣٩٠.

والآخرين غيره، ولا يغفر لمن تركه بعد بلاغ الرسالة؛ كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء، الآية: ٤٨].

وهو الفارق بين أهل الجنة وأهل النار والسعداء والأشقياء كما قال النبي ﷺ «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله: وجبت له الجنة»[١]، وقال: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله: وجبت له الجنة»، وقال: «إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت: إلا وجد روحه لها رَوْحًا وهي رأس الدين»، وكما قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإذا قالوها: عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»[٢]»[٣].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «هذه الكلمة هي: الفارق بين أهل الجنة وأهل النار كما في «صحيح مسلم» عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال: «الموجبتان: من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار»[٤]، وفي الصحيح عنه: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»[٥]، وفي الصحيح أيضًا: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله»[٦]»[٧].

---

(١) رواه أحمد (٢١٥٢٩) وأبو داود (٣١١٦) وحسنه الألباني في «إرواء الغليل» (٦٨٧).
(٢) رواه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢).
(٣) مجموع الفتاوى ٢/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦.
(٤) أخرجه مسلم (٩٣) (١٥١).
(٥) أخرجه مسلم (٢٦) (٤٣).
(٦) أخرجه مسلم (٩١٦) (١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
وفي الباب عن أبي هريرة: رواه مسلم (٩١٧) (٢).
(٧) قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات لابن تيمية ص٢٨ ـ ٢٩.

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن التوحيد أصل الإيمان وهو الكلام الفارق بين أهل الجنة وأهل النار وهو ثمن الجنة»[(١)].

المطلب الرابع

التوحيد آخر ما يخرج به من الدنيا

۞ عن معاذ بن جبل (ت: ١٨هـ) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان آخرُ كلامه لا إله إلا الله، دخل الجنة»[(٢)].

۞ عن أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لقِّنوا موتاكم لا إلهَ إلَّا اللهُ؛ فإنَّه مَن كان آخرُ كلمتِه لا إلهَ إلَّا اللهُ عندَ الموتِ، دخَل الجنَّةَ يومًا مِن الدَّهرِ، وإنْ أصابه قبْلَ ذلك ما أصابه»[(٣)].

۞ عن أبي ذر (ت: ٣٠ أو ٣١هـ) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «أتيتُ النبيَّ ﷺ وعليه ثوبٌ أبيضُ، وهو نائمٌ، ثم أتيْتُه وقد استيقَظَ، فقال: «ما مِن عبدٍ قال: لا إلهَ إلا اللهُ، ثم ماتَ على ذلك إلا دخَلَ الجنةَ، قلتُ: وإن زنى وإن سَرَقَ؟ قال: وإن زنى وإن سَرَقَ، قلتُ: وإن زنى وإن سَرَقَ؟ قال: وإن زنى وإن سَرَقَ، قلتُ: وإن زنى وإن سَرَقَ؟! قال: وإن زنى وإن سَرَقَ على رَغْمِ أنفِ أبي ذرٍّ!، وكان أبو ذرٍّ إذا حدَّثَ بهذا قال: وإن رَغِمَ أنفُ أبي ذَرٍّ!»[(٤)].

۞ وفي الصحيح من حديث عثمان بن عفان (ت: ٣٥هـ) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «من

(١) مجموع الفتاوى ٢٤/ ٢٣٥.
(٢) رواه أحمد (٢١٥٢٩)، وأبو داود (٣١١٦)، وحسنه الألباني في «إرواء الغليل» (٦٨٧).
(٣) ابن حبان (٣٠٠٤)، وصححه الألباني في (صحيح الجامع: ٥١٥٠).
(٤) رواه البخاري (٥٨٢٧)، ومسلم (٩٤).

مات وهو يعلم أنه لا إلٰه إلا الله؛ دخل الجنة»[١].

كان سفيان الثوري (ت: ١٦١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ يأتي إبراهيم بن أدهم فيقول: «يا إبراهيم بن أدهم ادع الله أن يقبضنا على التوحيد»[٢].

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ): «فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران].

والمقصود من التكرير وجهان:

ـ أن يكون العبد مواظبًا على تكريرها طول عمره.

ـ **الثاني:** كأنه قال: عبدي، جعلت هذه الكلمة أول الآية وآخرها، فاجعلها أنت أيضًا أول عمرك وآخره، حتى تفوز بالنجاة والسلامة»[٣].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصحيح: أن أول واجب يجب على المكلف: شهادة أن لا إلٰه إلا الله، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك ـ كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم.

فالتوحيد: أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال النبي ﷺ: «**من كان آخر كلامه: لا إلٰه إلا الله؛ دخل الجنة**»، فهو أول واجب، وآخر واجب، فالتوحيد: أول الأمر وآخره»[٤].

---

(١) رواه مسلم (٢٦).
(٢) الثبات عند الممات لابن الجوزي ص٨٠.
(٣) عجائب القرآن ص٣٤.
(٤) مدارج السالكين ٣/ ٤١٢.

المطلب الخامس

التوحيد هو ما يسأل عنه جميع الخلق

لما روي عن أنس بن مالك (ت: ٩٠هـ)، وابن عمر (ت: ٧٣هـ) ومجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢﴾ [الحجر] قالوا: (عن لا إله إلا الله)[1].

المطلب السادس

التوحيد يوصل صاحبه إلى الله وثوابه وجنته

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلْـَٔاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ۝١٣﴾ [الليل].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل، الآية: ٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿هَـٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ۝٤١﴾ [الحجر].

فعن قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [سورة النحل، الآية: ٩]، يقول: على الله البيان، بيان حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته»[2].

قال عبد الله بن المبارك (ت: ١٨١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وسهل بن عبد الله

---

(١) رواه البخاري معلقًا قبل حديث (٢٦) قائلًا: وقال عدة من أهل العلم...، قال ابن حجر في «تغليق التعليق» ٢/ ٢٨: قلت: روي ذلك عن أنس، ومجاهد، وابن عمر وغيرهم. وقال الدارقطني في «العلل» ١٢/ ٢٠: ورفعه غير صحيح، وانظر: «تفسير الطبري» ١٧/ ١٥٠، «الدعاء» للطبراني (ص: ٤٣٨ ـ ٤٣٩).

(٢) تفسير الطبري (سورة النحل، الآية: ٩).

التستري (ت: ٢٨٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾: السنة، ﴿وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ﴾ الأهواء والبدع؛ دليله قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]»[1].

۞ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى ذكره: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ أيها الناس بيان طريق الحقّ لكم، فمن اهتدى فلنفسه ومن ضلّ فإنما يضلّ عليها. والسبيل: هي الطريق، والقصد من الطريق: المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

وقوله: ﴿وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ﴾ يعني: تعالى ذكره: ومن السبيل جائر عن الاستقامة معوّج، فالقاصد من السبل: الإسلام، والجائر منها: اليهودية والنصرانية وغير ذلك من ملل الكفر، كلها جائر عن سواء السبيل وقصدها، سوى الحنيفية المسلمة.

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المعنى من سلك الهدى فعلى الله سبيله كقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ وهذا قول مجاهد (ت: ١٠٤هـ)، وهو أصح الأقوال في الآية، قال الواحدي (ت: ٤٦٨هـ): ﴿عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ١٢﴾ أي: إن الهدى يوصل صاحبه إلى الله وإلى ثوابه وجنته وهذا المعنى في القرآن في ثلاث مواضع ههنا، وفي النحل في قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [سورة النحل، الآية: ٩]، وفي الحجر في قوله: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ٤١﴾ [الحجر]، وهو معنى شريف جليل يدل على أن سالك طريق الهدى يوصله طريقه إلى الله ولا بد، والهدى هو الصراط المستقيم، فمن سلكه أوصله إلى الله فذكر الطريق والغاية، فالطريق الهدى والغاية الوصول إلى الله، فهذه أشرف الوسائل، وغايتها أعلى

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة النحل، الآية: ٩)، والكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي (سورة النحل، الآية: ٩).

الغايات، ولما كان مطلوب السالك إلى الله تحصيل مصالح دنياه وآخرته لم يتم له هذا المطلوب إلا بتوحيد طلبه والمطلوب منه، فأعلمه سبحانه أن سواه لا يملك من الدنيا والآخرة شيئًا، وأن الدنيا والآخرة جميعًا له وحده، فإذا تيقن العبد ذلك اجتمع طلبه ومطلوبه على من يملك الدنيا والآخرة وحده فتضمنت الآيتان أربعة أمور هي المطالب العالية، ذكر أعلى الغايات وهو الوصول إلى الله سبحانه، وأقرب الطرق والوسائل إليه وهي طريقة الهدى، وتوحيد الطريق فلا يعدل عنها إلى غيرها، وتوحيد المطلوب وهو الحق فلا يعدل عنه إلى غيره، فاقتبس هذه الأمور من مشكاة هذه الكلمات فإن هذه غاية العلم والفهم وبالله التوفيق.

والهدى التام يتضمن توحيد المطلوب وتوحيد الطلب وتوحيد الطريق الموصلة والانقطاع، وتخلف الوصول يقع من الشركة في هذه الأمور أو في بعضها، فالشركة في المطلوب تنافي التوحيد والإخلاص، والشركة في الطلب تنافي الصدق والعزيمة، والشركة في الطريق تنافي اتباع الأمر، فالأول يوقع في الشرك والرياء، والثاني يوقع في المعصية والبطالة والثالث يوقع في البدعة ومفارقة السنة فتأمله»[(١)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [سورة النحل، الآية: ٩]، في أصح القولين: أي السبيل القصد الذي يوصل إلى الله وهي طريق عليه قال الشاعر:

فهن المنايا أي واد سلكنه عليها طريقي أو علي طريقها

وقد قررت هذا المعنى وبينت شواهده من القرآن وسر كون الصراط المستقيم على الله وكونه تعالى على الصراط المستقيم كما في قول هود:

---

(١) التبيان في أقسام القرآن ص٦٩ ـ ٧٠.

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾ [هود]، في كتاب التحفة المكية، والمقصود أن طريق الحق واحد إذ مرده إلى الله الملك الحق، وطرق الباطل متشعبة متعددة؛ فإنها لا ترجع إلى شيء موجود ولا غاية لها يوصل إليها بل هي بمنزلة بنيات الطريق وطريق الحق بمنزلة الطريق الموصل إلى المقصود، فهي وإن تنوعت فأصلها طريق واحد، ولما كانت الظلمة بمنزلة طرق الباطل، والنور بمنزلة طريق الحق، فقد أفرد النور وجمعت الظلمات، وعلى هذا جاء قوله: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ [البقرة]، فوحد ولي الذين آمنوا وهو الله الواحد الأحد، وجمع الذين كفروا لتعددهم وكثرتهم، وجمع الظلمات وهي طرق الضلال والغي لكثرتها واختلافها، ووحد النور وهو دينه الحق وطريقه المستقيم الذي لا طريق إليه سواه»(١).

❁ وقال محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والسبيل: الإسلام، وبيانه بإرسال الرسل وإقامة الحجج والبراهين. والقصد في السبيل هو كونه موصلًا إلى المطلوب، فالمعنى: وعلى الله بيان الطريق الموصل إلى المطلوب.

﴿وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ﴾ الضمير في ﴿وَمِنۡهَا﴾ راجع إلى السبيل بمعنى: الطريق، لأنها تذكر وتؤنث. وقيل: راجع إليها بتقدير مضاف أي: ومن جنس السبيل جائر مائل عن الحق عادل عنه، فلا يهتدى به، ومنه قول امرئ القيس:

ومن الطريقة جائر وهدى ... قصد السبيل ومنه ذو دخل

---

(١) بدائع الفوائد ١/ ١٢٠.

وقيل: إن الطريق كناية عن صاحبها، والمعنى: ومنهم جائر عن سبيل الحق: أي عادل عنه، فلا يهتدى إليه، قيل: وهم أهل الأهواء المختلفة، وقيل: أهل الملل الكفرية»[١].

❁ قال شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ هداية الطريق المستقيم الموصل لمن سلكه إلى الحق الذي هو التوحيد بنصب الأدلة وإرسال الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وإنزال الكتب لدعوة الناس إليه»[٢].

❁ قال جمال الدين القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٨٩٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾ أي: لو شاء أن يهديكم إلى ما ذكر من التوحيد، هداية موصلة إليه البتة، مستلزمة لاهتدائكم أجمعين، لفعل ذلك، ولكن لم يشأه؛ لأن مشيئته تابعة للحكمة الداعية إليها، ولا حكمة في تلك المشيئة؛ لما أن الذي عليه يدور فلك التكليف، وإليه ينسحب الثواب والعقاب، إنما هو الاختيار؛ الذي عليه ترتب الأعمال، التي بها نيط الجزاء»[٣].

❁ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذكر الطريق المعنوي الموصل إليه فقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: الصراط المستقيم؛ الذي هو أقرب الطرق وأخصرها موصل إلى الله.

وأما الطريق الجائر في عقائده وأعماله وهو: كل ما خالف الصراط

---

(١) تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني (سورة النحل، الآية: ٩).
(٢) روح المعاني للألوسي (سورة النحل، الآية: ٩).
(٣) محاسن التأويل للقاسمي (سورة النحل، الآية: ٩).

المستقيم فهو قاطع عن الله، موصل إلى دار الشقاء، فسلك المهتدون الصراط المستقيم بإذن ربهم، وضل الغاوون عنه، وسلكوا الطرق الجائرة ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾ ولكنه هدى بعضا كرمًا وفضلًا، ولم يهد آخرين حكمة منه وعدلًا»[(١)].

المطلب السابع

التوحيد يحمل البشرى لأصحابه

قال - تعالى -: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٨﴾ [الزمر].

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ): «قال ابن زيد (ت: ١٨٢هـ)، في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ الآيتين، حدثني أبي أن هاتين الآيتين نزلتا في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله: زيد بن عمرو، وأبي ذر الغفاري (ت: ٣٠ أو ٣١هـ) رضي الله عنه، وسلمان الفارسي (ت: ٣٣هـ) رضي الله عنه، نزل فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ في جاهليتهم ﴿...وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ لا إله إلا الله، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ بغير كتاب ولا نبي ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٨﴾»[(٢)].

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ): «﴿وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أقبلوا مخلصين إليه ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ يعني: الجنة ﴿...فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ

(١) تفسير السعدي (سورة النحل، الآية: ٩).
(٢) تفسير الطبري (سورة الزمر، الآيات: ١٧ - ١٨).

﴿ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ أي: بشرهم بالجنة»[(١)].

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت].

❁ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ): «﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ يعني: الأوثان، وهي مؤنثة ﴿أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعني: ورجعوا من عبادة الأوثان إلى عبادة الله ﷻ، فقال ـ تعالى ـ: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ يعني: الجنة ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾﴾ أي: فبشر عبادي بالجنة»[(٢)].

❁ قال وكيع بن الجراح (ت: ١٩٧هـ) رحمه الله: «البشرى تكون في ثلاث مواطن: عند الموت وفي القبر وعند البعث»[(٣)].

❁ قال زيد بن أسلم (ت: ١٣٦هـ) رحمه الله: «البشارة في ثلاثة مواطن: عند الموت، وعند القبر، وعند البعث»[(٤)].

المطلب الثامن

التوحيد سبب في تكفير الذنوب ومحو الخطايا فيغفر الله بالتوحيد الذنوب ويكفر به السيئات

❁ عن أنس (ت: ٩٠هـ) رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني**

(١) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٤/١٠٨.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة الزمر، الآية: ١٧).
(٣) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة فصلت، الآية: ٣٠).
(٤) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (سورة فصلت، الآية: ٣٠).

لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة»[(١)].

۞ عن عبد الله بن عمرو (ت: ٦٥هـ)، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما على الأرض أحد يقول: لا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ إلا كفرت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر»[(٢)].

۞ عن أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) ـ رضي الله تعالى عنه ـ: أن النبي ﷺ قال: «من حلَف فقال في حلفه: باللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه: تعالَ أُقامِرْك، فليتصدَّق»[(٣)].

۞ قال الخطابي (ت: ٣٨٨هـ) رحمه الله: «اليمين إنما تكون بالمعبود الذي يعظم، فإذا حلف بهما؛ فقد ضاهى الكفار في ذلك، فأمره أن يتداركه بكلمة التوحيد المبرئة من الشرك»[(٤)].

۞ قال محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري (ت: ٥٣٦هـ) رحمه الله: «الأعمال لا يحبطها شيء غير الكفر، وأما مع وجود الإيمان فالأعمال متقبلة وإنما تختلف باختلاف الإخلاص، والقيام بالصالحات على الوجه الأتم»[(٥)].

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٥٠). وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وصححه ابن القيم في «إعلام الموقعين» ١/ ٢٠٤ وقال ابن رجب: إسناده لا بأس به، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٦٠) واللفظ له، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٢٤)، وأحمد (٦٤٧٩). وإسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما؛ انظر: صحيح الجامع (٥٦٣٦).

(٣) رواه البخاري (٦٢٧٤)، ومسلم (١٦٤٧).

(٤) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) للخطابي ٣/ ١٩١٨.

(٥) كتاب المعلم بفوائد مسلم للمازري ١/ ١٣٧.

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «العبدُ قد تنزِلُ به النازلة؛ فيكون مقصوده طلب حاجته، وتفريج كُرُبات، فيسعى في ذلك بالسؤال والتضرُّع، وإن كان ذلك من العبادة والطاعة، ثم يكون في أول الأمر قصْدُهُ حُصول ذلك المطلوب من الرِّزق والنصر والعافية مُطلقا، ثم الدعاء والتضرُّع يَفتَحُ له من أبواب الإيمان بالله عَزَّ وَجَلَّ ومعرفته ومحبَّته، والتنعُّم بِذِكْره ودُعائه؛ ما يكون هو أحبَّ إليه وأعظم قدرًا عنده من تلك الحاجة التي همَّته، وهذا من رحمة الله بعباده: يسوقهم بالحاجات الدنيوية إلى المقاصد العَلِيَّة الدينيَّة»[١].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالمسلمون ذنوبهم ذنوب موحدين، ويقوي التوحيد على محو آثارها بالكلية وإلا فما معهم من التوحيد يخرجهم من النار إذا عذبوا بذنوبهم.

وأما المشركون والكفار فإن شركهم وكفرهم يحبط حسناتهم، فلا يلقون ربهم بحسنة يرجون بها النجاة، ولا يغفر لهم شيء من ذنوبهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء، الآية: ١١٦]»[٢].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالذنوب تزول آثارها بالتوبة النصوح، والتوحيد الخالص، والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة لها، وشفاعة الشافعين في الموحدين، وآخر ذلك إذا عذب بما يبقى عليه منها أخرجه توحيده من النار، وأما الشرك بالله والكفر بالرسول فإنه يحبط جميع الحسنات بحيث لا تبقى معه حسنة»[٣].

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٢/ ٣١٢.
(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصاري ص٢٥٢.
(٣) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصاري ص٢٥٢.

المطلب التاسع

كلمة التوحيد هي المنجية من عذاب القبر

قال - تعالى -: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم].

عن البراء بن عازب (ت: ٧٢هـ) رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ ذكر قبض روح المؤمن وقال: «فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد فينتهرانه ويقولان له الثانية: من ربك وما دينك ومن نبيك، وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن، فيثبته الله عز وجل، فيقول ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد ﷺ، فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم، الآية: ٢٧]»[١].

فالملكان لا يسألان الميت في قبره إلا عن أمور التوحيد وما يتصل به.

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ): «ثم ذكر المؤمنين بالتوحيد في حياتهم وبعد موتهم، فقال سبحانه: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ وهو التوحيد، ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، ثم قال: ويثبتهم ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ يعني: في قبره في أمر منكر ونكير بالتوحيد، وذلك أن المؤمن يدخل عليه ملكان أحدهما منكر والآخر نكير، فيجلسانه في القبر،

(١) سنن أبي داود [٤٧٥٣]، مسند أحمد [١٨٨٣٢]، وصححه الألباني في صحيح الجامع [١٦٧٦].

فيسألانه: من ربك؟ وما دينك؟ ومن رسولك؟ فيقول: ربي الله ﷻ، وديني الإسلام، ومحمد ﷺ رسولي، فيقولان له: وقيت وهديت، ثم يقولان: اللّهم إن عبدك أرضاك فأرضه، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ أي: يثبت الله قول الذين آمنوا»[1].

❁ قال الفراء (ت: ٢٠٧هـ): «وقوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ﴾ يقال: بلا إلٰه إلا الله فهذا في الدنيا، وإذا سئل عنها في القبر بعد موته قالها إذا كان من أهل السَّعادة، وإذا كان منْ أهل الشقاوة لم يقلها؛ فذلك قوله ﷻ: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ عنها؛ أي: عن قول لا إلٰه إلا الله ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ (٢٩)؛ أي: لا تنكروا له قدرةً ولا يُسأل عما يَفعل»[2].

❁ قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ): «﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ هي وقت سؤاله في قبره. وقال البراء بن عازب (ت: ٧٢هـ) وجماعة: في الحياة الدنيا هي وقت سؤاله في قبره ـ ورواه البراء عن النبي ﷺ في لفظ متأول»[3].

❁ قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ): «وقيل: معنى الآية: يثبتهم الله في الحياة الدنيا على الإيمان، حتى يموتوا عليه؛ ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ المساءلة في القبر، قاله طاوس (ت: ١٠٦هـ)، وقتادة (ت: ١١٨هـ)، وهو اختيار جماعة من العلماء»[4].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ): «وهي المنجية من عذاب القبر

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة إبراهيم، الآية: ٢٧).
(٢) معاني القرآن للفراء (سورة إبراهيم، الآية: ٢٧).
(٣) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣/ ٣٣٧.
(٤) تفسير مكي بن أبي طالب (سورة إبراهيم، الآية: ٢٧).

وعذاب النار»[١].

❁ قال حافظ بن أحمد حكمي (ت: ١٣٧٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهي الأمان من وحشة القبور وهول الحشر»[٢].

المطلب العاشر

كلمة التوحيد السؤال كله عنها يوم القيامة

قال -تعالى-: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر].

❁ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ): «عن مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ)، في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ قال: عن لا إله إلا الله»[٣].

❁ قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ): «وقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ﴾ إلى آخر الآية، ضمير عام ووعيد محض يأخذ كل أحد منه بحسب جرمه وعصيانه، فالكافر يسأل عن لا إله إلا الله وعن الرسل وعن كفره وقصده به، والمؤمن العاصي يسأل عن تضييعه، والإمام عن رعيته، وكل مكلف عما كلف القيام به، وفي هذا المعنى أحاديث، وقال أبو العالية (ت: ٩٣هـ) في تفسير هذه الآية: يسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة عما كانوا يعبدون، وماذا أجابوا المرسلين، وقال في تفسيرها

(١) الجواب الكافي ص١٧٠.
(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد لحافظ الحكمي ص٢٢١.
(٣) تفسير الطبري (سورة الحجر، الآيات: ٩٢ ـ ٩٣).

أنس بن مالك (ت: ٩٠هـ)، وابن عمر (ت: ٧٣هـ) ومجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ): إن السؤال عن لا إلٰه إلا الله»[(١)].

۞ قال ابن القيم: «قال غير واحد من السلف: هو عن قول «لا إلٰه إلا الله» وهذا حق؛ فإن السؤال كله عنها وعن أحكامها وحقوقها، وواجباتها ولوازمها. فلا يسأل أحد قط إلا عنها وعن واجباتها، ولوازمها وحقوقها. قال أبو العالية (ت: ٩٣هـ): كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟.

فالسؤال عما ذا كانوا يعبدون: هو السؤال عنها نفسها. والسؤال عما ذا أجابوا المرسلين: سؤال عن الوسيلة والطريق المؤدية إليها: هل سلكوها وأجابوا الرسل لما دعوهم إليها؟ فعاد الأمر كله إليها. وأمر هذا شأنه حقيق بأن تثنى عليه الخناصر، ويعض عليه بالنواجذ، ويقبض فيه على الجمر، ولا يؤخذ بأطراف الأنامل، ولا يطلب على فضلة، بل يجعل هو المطلب الأعظم، وما سواه إنما يطلب على الفضلة. والله الموفق لا إلٰه غيره ولا رب سواه»[(٢)].

المطلب الحادي عشر

التوحيد ضمان للنجاة

فأهل التوحيد هم أهل النجاة.

۞ قال ﷻ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ

---

(١) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (سورة الحجر، الآيات: ٩٢ ـ ٩٣) ٣/ ٣٧٥.

(٢) التفسير القيم ص٤١٦ ـ ٤١٧.

صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾ [فصِّلت].

۞ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾، يعني: بينا لهم، ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ يقول: اختاروا الكفر على الإيمان، ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ﴾ يعني: صيحة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾ آية؛ يعني: يعملون من الشرك»(١).

۞ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ يقول: فاختاروا العمى على البيان الذي بيّنت لهم، والهدى الذي عرفتهم، بأخذهم طريق الضلال على الهدى؛ يعني: على البيان الذي بيّنه لهم من توحيد الله»(٢).

۞ قال عمر بن أحمد بن عثمان البغدادي المعروف بـ: ابن شاهين (ت: ٣٨٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «أهل النجاة هم العالمون بالصلاح من الفساد عند اختلاف الناس، فمن لم يعرف الحق؛ وقع في الباطل، ومن عرف الباطل اجتنبه»(٣).

۞ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ دعوناهم، قال مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ)، وقال ابن عباس (ت: ٦٨هـ): بينا لهم سبيل الهدى. وقيل: دللناهم على الخير والشر، كقوله: ﴿هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الإنسان: ٣]، ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ فاختاروا الكفر على الإيمان، ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: مهلكة العذاب، ﴿ٱلْهُونِ﴾ أي: ذي الهوان؛ أي: الهوان، وهو الذي يهينهم

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة فصلت، الآيات: ١٧ ـ ١٨).
(٢) تفسير الطبري (سورة فصلت، الآيات: ١٧ ـ ١٨).
(٣) كتاب شرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين والتمسك بالسنن ص٣٥.

ويخزيهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾»[(١)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنما ضمنت النجاة لمن حكم هدى الله تعالى على غيره، وتزود التقوى، وأتم بالدليل وسلك الصراط المستقيم، واستمسك من التوحيد واتباع الرسول ﷺ بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والله سميع عليم»[(٢)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما سلبت النعم إلا بترك تقوى الله، والإساءة للناس»[(٣)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا أراد الله بعبد خيرًا أقام في قلبه شاهدًا يعاين به حقيقة الدنيا والآخرة، ويؤثر منهما ما هو أولى بالإيثار»[(٤)].

۞ التوحيد شرطٌ في الشفاعة:

۞ عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء، الآية: ٢٨]، يقول: الذين ارتضى لهم شهادة أن لا إله إلا الله»[(٥)].

۞ قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه]، يعني: التوحيد»[(٦)].

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة فصلت، الآيات: ١٧ ـ ١٨).
(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية ١/ ٨٣.
(٣) أحكام أهل الذمة ١/ ٢١.
(٤) مدارج السالكين ٢/ ١٢.
(٥) تفسير الطبري (سورة الأنبياء، الآية: ٢٨).
(٦) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٣/ ١٢٨.

۞ قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ٨٧﴾ [مريم]، قال بعضهم: العهد: التوحيد»[1].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنما الشفاعة سبب من الأسباب التي بها يرحم الله من يرحم من عباده، وأحق الناس برحمته هم أهل التوحيد والإخلاص له، فكل من كان أكمل في تحقيق إخلاص «لا إله إلا الله» علمًا وعقيدة، وعملًا وبراءة، وموالاة ومعاداة؛ كان أحق بالرحمة.

والمذنبون الذين رجحت سيئاتهم على حسناتهم فخفت موازينهم فاستحقوا النار من كان منهم من أهل «لا إله إلا الله» فإن النار تصيبه بذنوبه، ويميته الله في النار إماتة، فتحرقه النار إلا موضع السجود، ثم يخرجه الله من النار بالشفاعة، ويدخله الجنة، كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة.

فبين أن مدار الأمر كله على تحقيق كلمة الإخلاص، وهي «لا إله إلا الله» لا على الشرك بالتعلق بالموتى وعبادتهم، كما ظنه الجاهليون»[2].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأهل التوحيد المخلصون لله هم أحق الناس بشفاعته ﷺ، فمن كان لا يدعو إلا الله، ولا يرجو إلا الله، ولا يتوكل إلا على الله، ولا يدعو مخلوقًا، لا ملكًا، ولا بشرًا، لا نبيًّا، ولا صالحًا، ولا غيرهما؛ كان أحق بشفاعته ممن يدعوه، أو يدعو غيره من المخلوقين، فإن هؤلاء مشركون، والشفاعة إنما هي لأهل التوحيد.

---

(١) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٣/ ١٠٧.
(٢) الحسنة والسيئة لابن تيمية ص١٥٤.

وإذا كان كذلك فالذين يدعون المخلوقين، ويطلبون من الموتى، والغائبين، ومن الملائكة، والبشر، الدعاء، والشفاعة؛ هم أبعد عن الشفاعة فيهم، والذين لا يدعون إلا الله هم أحق بالشفاعة لهم»[(١)].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي الصحيح أن أبا هريرة قال له: أي الناس أسعد بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: «**من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**»[(٢)]، فبين ﷺ أن أحق الناس بشفاعته يوم القيامة من كان أعظم توحيدًا وإخلاصًا؛ لأن التوحيد جماع الدين والله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فهو سبحانه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه فإذا شفع محمد ﷺ حد له ربه حدًّا فيدخلهم الجنة، وذلك بحسب ما يقوم بقلوبهم من التوحيد والإيمان. وذكر ﷺ أنه من سأل الله له الوسيلة حلت عليه شفاعته يوم القيامة، فبين أن شفاعته تنال باتباعه بما جاء به من التوحيد والإيمان وبالدعاء الذي سن لنا أن ندعو له به»[(٣)].

❁ قال سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ (ت: ١٢٣٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه]، والله لا يرتضي إلَّا التوحيد؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران]، وقال النبي ﷺ: «**أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله، خالصًا من قلبه**»[(٤)][(٥)].

(١) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق ص١٢٨.
(٢) رواه البخاري (٩٩، ٦٥٧٠).
(٣) مجموع الفتاوى ١/ ٢١٣.
(٤) رواه البخاري (٩٩، ٦٥٧٠).
(٥) تيسير العزيز الحميد ص٢٨٠.

۞ قال الشيخ حافظ بن أحمد حكمي (ت: ١٣٧٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال - تعالى -: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ١٠٩﴾ [طه]، وهو سبحانه لا يرتضي إلا أهل التوحيد والإخلاص، وأما غيرهم فقال - تعالى -: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ١٨﴾ [غافر]، وقال - تعالى - عنهم: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ١٠١﴾ [الشعراء]، وقال - تعالى - فيهم: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨﴾ [المدثر]، وقد «أخبرنا النبي ﷺ أنه أوتي الشفاعة، ثم أخبر أنه يأتي فيسجد تحت العرش ويحمد ربه بمحامد يعلمه إياها، لا يبدأ بالشفاعة أولًا حتى يقال له: «**ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع**»[(١)]، الحديث، ثم أخبر أنه لا يشفع في جميع العصاة من أهل التوحيد دفعة واحدة، بل قال: «**فيحد لي حدًّا فأدخلهم الجنة**»، ثم يرجع فيسجد كذلك فيحد له حدًّا إلى آخر حديث الشفاعة، وقال له أبو هريرة (ت: ٥٨هـ) - رضي الله تعالى عنه -: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «**من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**»[(٢)]»[(٣)].

المطلب الثاني عشر

أهل التوحيد هم أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ

يقول الله تعالى مثنيًا على المهاجرين والأنصار ومن اتبعهم بإحسان ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة].

---

(١) رواه البخاري (٣٣٤٠، ٤٤٧٦، ٤٧١٢)، ومسلم (الإيمان/ ٣٢٢، ٣٢٦).

(٢) رواه البخاري (٩٩، ٦٥٧٠).

(٣) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة ص٧٥.

قال ابن القيم (ت: ٦٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد، الذين جردوا التوحيد وخلصوه من تعلقات الشرك وشوائبه، وهم الذين ارتضى الله سبحانه»(١).

المطلب الثالث عشر

أهل التوحيد يشفع بعضهم لبعض

قال - تعالى -: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ [الدخان].

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ﴾ قال الحسن: يعني: من المؤمنين يشفع بعضهم لبعض؛ فينفعهم ذلك عند الله»(٢).

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾ [مريم] يقول تعالى ذكره: لا يملك هؤلاء الكافرون بربهم يا محمد، يوم يحشر الله المتقين إليه وفدًا الشفاعة، حين يشفع أهل الإيمان بعضهم لبعض عند الله، فيشفع بعضهم لبعض»(٣).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن المؤمنين أهل التوحيد يشفع بعضهم في بعض كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة؛ كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري (ت: ٧٤هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن

(١) إغاثة اللهفان ص٢٢٠.
(٢) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (سورة الدخان، الآيات: ٤١ ـ ٤٢).
(٣) تفسير الطبري (سورة مريم، الآية: ٨٧).

النبي ﷺ قال ـ في الحديث الطويل حديث التجلي والشفاعة ـ: «حتى **إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار؛ يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون. فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم. فتحرم صورهم على النار»** وذكر تمام الحديث». وسبب نزول الآية ـ على ما ذكروه ـ مؤيد لما ذكره؛ قال أبو الفرج ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) رحمه الله: سبب نزولها: أن النضر بن الحارث ونفرًا معه قالوا: «إن كان ما يقول محمد حقًّا، فنحن نتولى الملائكة؛ فهم أحق بالشفاعة من محمد؛ فنزلت هذه الآية» قاله مقاتل.

وعلى هذا: فيقصد أن الملائكة وغيرهم لا يملكون الشفاعة، فليس توليكم إياهم واستشفاعكم بهم: بالذي يوجب أن يشفعوا لكم، فإن أحدًا ممن يدعى من دون الله لا يملك الشفاعة، ولكن ﴿مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف]، فإن الله يشفع فيه. فالذي تنال به الشفاعة: هي الشهادة بالحق؛ وهي شهادة أن لا إله إلا الله، لا تنال بتولي غير الله، لا الملائكة ولا الأنبياء ولا الصالحين. فمن والى أحدًا من هؤلاء ودعاه وحج إلى قبره أو موضعه ونذر له وحلف به وقرب له القرابين ليشفع له: لم يغن ذلك عنه من الله شيئًا، وكان من أبعد الناس عن شفاعته وشفاعة غيره؛ فإن الشفاعة إنما تكون: لأهل توحيد الله وإخلاص القلب والدين له، ومن تولى أحدًا من دون الله فهو مشرك. فهذا القول والعبادة الذي يقصد به المشركون الشفاعة: يحرم عليهم الشفاعة، فالذين عبدوا الملائكة والأنبياء والأولياء والصالحين ـ ليشفعوا لهم ـ كانت عبادتهم إياهم وإشراكهم بربهم الذي به طلبوا شفاعتهم: به حرموا شفاعتهم وعوقبوا بنقيض قصدهم؛ لأنهم أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا. وكثير من أهل الضلال: يظن أن الشفاعة تنال بهذه الأمور التي فيها شرك أو

هي شرك خالص كما ظن ذلك المشركون الأولون، وكما يظنه النصارى ومن ضل من المنتسبين إلى الإسلام؛ الذين يدعون غير الله ويحجون إلى قبره أو مكانه وينذرون له ويحلفون به، ويظنون: أنه بهذا يصير شفيعًا لهم. قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۝٥٧﴾ [الإسراء]. قال طائفة من السلف: كان أقوام يعبدون المسيح والعزير والملائكة، فبين الله أنهم لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويله، كما بين أنهم لا يملكون الشفاعة، وهذا لا استثناء فيه وإن كان الله يجيب دعاءهم ثم قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۝٥٧﴾ [الإسراء]، فبين أن هؤلاء المزعومين الذين يدعونهم من دون الله كانوا يرجون رحمة الله ويخافون عذابه، ويتقربون إليه بالأعمال الصالحة كسائر عباده المؤمنين وقد قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝٨٠﴾ [آل عمران]»[1].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «الشفاعة: سببها توحيد الله وإخلاص الدين والعبادة بجميع أنواعها له، فكل من كان أعظم إخلاصًا كان أحق بالشفاعة كما أنه أحق بسائر أنواع الرحمة؛ فإن الشفاعة: من الله مبدؤها وعلى الله تمامها فلا يشفع أحد إلا بإذنه، وهو الذي يأذن للشافع، وهو الذي يقبل شفاعته في المشفوع له، وإنما الشفاعة سبب من الأسباب التي بها يرحم الله من يرحم من عباده، وأحق الناس برحمته: هم أهل التوحيد والإخلاص له، فكل من كان أكمل في تحقيق إخلاص «لا إله إلا الله»

(١) مجموع الفتاوى ١٤/ ٤١١ ـ ٤١٣.

علمًا وعقيدة وعملًا وبراءة وموالاة ومعاداة: كان أحق بالرحمة.

والمذنبون ـ الذين رجحت سيئاتهم على حسناتهم فخفت موازينهم فاستحقوا النار ـ: من كان منهم من أهل «لا إله إلا الله» فإن النار تصيبه بذنوبه، ويميته الله في النار إماتة، فتحرقه النار إلا موضع السجود، ثم يخرجه الله من النار بالشفاعة، ويدخله الجنة كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة، فبين أن مدار الأمر كله: على تحقيق كلمة الإخلاص وهي «لا إله إلا الله»[(١)].

المطلب الرابع عشر

كلمة التوحيد اختص الله بها في الشفاعة يوم القيامة

۞ عن أبي سعيد الخدري (ت: ٧٤هـ) رضي الله عنه، في حديث الشفاعة وفيه قوله ﷺ: «فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون، فيقول: الجبار بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار فيخرج أقوامًا قد امتحشوا، فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له: ماء الحياة، فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبة في حميل السيل قد رأيتموها إلى جانب الصخرة إلى جانب الشجرة، فما كان إلى الشمس منها كان أخضر وما كان منها إلى الظل كان أبيض، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ، فيجعل في رقابهم الخواتيم، فيدخلون الجنة: فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمٰن، أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه، فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه»[(٢)].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤/ ٤١٤ ـ ٤١٥.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٧٠٠١) ٦/ ٢٧٠٦، ومسلم رقم (١٨٣) ١/ ١٦٧، والطيالسي رقم (٢١٧٩) ص٢٨٩، وأبو نعيم المسند المستخرج على صحيح =

❁ جاء في حديث الشفاعة الطويل: «ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجدًا، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال: لا إلٰه إلا الله، فيقول: وعزتي وجلالي، وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال: لا إلٰه إلا الله»[١].

❁ وجاء في لفظ مسلم: «فأقول: يا رب، ائذن لي فيمن قال: لا إلٰه إلا الله، قال: ليس ذاك لك، أو قال: ليس ذاك إليك، ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي، لأخرجن من قال: لا إلٰه إلا الله»[٢].

المطلب الخامس عشر

الكلمة التي تحط بها الخطايا، هي كلمة التوحيد

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [البقرة].

❁ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: وقوله جل وعلا: ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ [البقرة] قال: «لا إلٰه إلا الله»[٣].

❁ قال عكرمة (ت: ١٠٥هـ) رحمه الله: «هي قول: لا إلٰه إلا الله»[٤].

= مسلم رقم (٤٥٨) ١/ ٢٤٨، والدارقطني في رؤية الله رقم (١٠) ص٣٠، وأبو عوانة في مسنده رقم (٤٤٩) ١/ ١٥٥.

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٣).

(٣) كتاب الأسماء والصفات للبيهقي ١/ ٢٧١.

(٤) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري (سورة البقرة، الآية: ٥٨).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الاعتراف بالخطيئة مع التوحيد إن كان متضمنًا للتوبة أوجب المغفرة؛ وإذا غفر الذنب زالت عقوبته؛ فإن المغفرة هي وقاية شر الذنب»[(١)].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ [البقرة، الآية: ٥٨] أي: حط عنا خطايانا؛ هذا قول الحسن (ت: ١١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقتادة (ت: ١١٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وعطاء بن أبي رباح (ت: ١١٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وقال عكرمة (ت: ١٠٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره: أي قولوا: لا إله إلا الله؛ وكأن أصحاب هذا القول اعتبروا الكلمة التي تحط بها الخطايا، وهي كلمة التوحيد. وقال سعيد بن جبير (ت: ٩٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أمروا بالاستغفار؛ وعلى القولين فيكونون مأمورين بالدخول بالتوحيد والاستغفار، وضمن لهم بذلك مغفرة خطاياهم، فتلاعب الشيطان بهم، فبدلوا قولًا غير الذي قيل لهم، وفعلًا غير الذي أمروا به»[(٢)].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكلمة التي تحط بها الخطايا؛ وهي كلمة التوحيد»[(٣)].

المطلب السادس عشر

التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك لا يبقى معه ذنب

❁ قال - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء، الآية: ٤٨]، [النساء، الآية: ١١٦].

---

(١) الفتاوى الكبرى ٥/ ٢٧٤.
(٢) إغاثة اللهفان ٢/ ١٠٨٧.
(٣) إغاثة اللهفان ٢/ ٣٠٨.

❁ عن معاذ بن جبل (ت: ١٨هـ) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما على الأرض نفس تموت لا تشرك بالله شيئًا تشهد أني رسول الله يرجع ذلك إلى قلب موقن إلا غفر الله لها**»(١).

❁ عن يعلى بن شداد رحمه الله قال: حدثني أبي شداد بن أوس (ت: ٥٨هـ) رضي الله عنه، وعبادة بن الصامت (ت: ٣٤هـ) رضي الله عنه حاضر يصدقه رضي الله عنه، قال: إنا لعند رسول الله ﷺ إذ قال: «**هل فيكم غريب؟**» (يعني: أهل الكتاب) قلنا: لا يا رسول الله فأمر بغلق الباب، فقال: «**ارفعوا أيديكم فقولوا: لا إله إلا الله**»، فرفعنا أيدينا ساعة ثم وضع رسول الله ﷺ يده، ثم قال: «**الحمد لله، اللّهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة، إنك لا تخلف الميعاد**»، ثم قال ﷺ: «**أبشروا فإن الله قد غفر لكم**»(٢).

❁ عن علي بن أبي طالب (ت: ٤٠هـ) رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن غفر الله لك وإن كنت مغفورًا لك؟ قال: قل لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله، سبحان الله رب العرش العظيم**»(٣).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «وأما قول السائل: هل

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان ١/ ٥٠. وأخرجه أحمد في المسند، مسند معاذ بن جبل رضي الله عنه، ٧/ ٣٤٥ رقم (٢٢٣٥٠). ورواه ابن ماجه - كتاب الأدب، باب فضل لا إله إلا الله، ٢/ ١٢٤٦.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك - كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر ١/ ٦٧٩، قال الذهبي في التلخيص: راشد ضعفه الدارقطني وغيره، ووثقه دحيم. قال الهيثمي في المجمع - كتاب الإيمان، باب فيمن شهد أن لا إله إلا الله - ١/ ٣٢: رواه أحمد والطبراني والبزار ورجاله موثقون.

(٣) رواه الترمذي - كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ٥/ ٥٢٩.

الاعتراف بالخطيئة بمجرده مع التوحيد موجب لغفرانها وكشف الكربة الصادرة عنها؛ أم يحتاج إلى شيء آخر؟ فجوابه: أن الموجب للغفران مع التوحيد هو التوبة المأمور بها؛ فإن الشرك لا يغفره الله إلا بتوبة؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء، الآية: ٤٨]، [النساء، الآية: ١١٦]، في موضعين من القرآن وما دون الشرك فهو مع التوبة مغفور؛ وبدون التوبة معلق بالمشيئة. كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر، الآية: ٥٣]، فهذا في حق التائبين؛ ولهذا عمم وأطلق وحتم أنه يغفر الذنوب جميعًا، وقال في تلك الآية: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء، الآية: ٤٨]، فخص ما دون الشرك وعلقه بالمشيئة، فإذا كان الشرك لا يغفر إلا بتوبة، وأما ما دونه فيغفره الله للتائب، وقد يغفره بدون التوبة لمن يشاء، فالاعتراف بالخطيئة مع التوحيد إن كان متضمنًا للتوبة أوجب المغفرة؛ وإذا غفر الذنب زالت عقوبته؛ فإن المغفرة هي وقاية شر الذنب»[(١)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويعفى لأهل التوحيد المحض الذي لم يشوبوه بالشرك ما لا يعفى لمن ليس كذلك، فلو لقي الموحد الذي لم يشرك بالله شيئًا البتة ربه بقراب الأرض خطايا أتاه بقرابها مغفرة، ولا يحصل هذا لمن نقص توحيده وشابه بالشرك، فإن التوحيد الخالص الذى لا يشوبه شرك لا يبقى معه ذنب؛ فإنه يتضمن من محبة الله تعالى وإجلاله، وتعظيمه، وخوفه، ورجائه وحده ما يوجب غسل الذنوب»[(٢)].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٥/٣١٦ ـ ٣١٧.

(٢) إغاثة اللهفان ١/ ٦٤.

۞ قال محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالإنسان قد تغلبه نفسه أحيانًا، فيقع في الخطايا لكنه مخلص لله في عبادته وطاعته فحسنة التوحيد تكفر عنه الخطايا إذا لقي الله بها»[١].

المطلب السابع عشر

كلمة التوحيد تثقل الميزان

۞ عن عبد الله بن عمرو (ت: ٦٥هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ سيُخَلِّصُ رجلًا من أمَّتي على رؤوسِ الخلائقِ يومَ القيامةِ فينشُرُ علَيهِ تسعةً وتسعينَ سجلًّا، كلُّ سجلٍّ مثلُ مدِّ البصرِ، ثمَّ يقولُ: أتُنكِرُ من هذا شيئًا؟ أظلمَكَ كتَبَتي الحافِظونَ؟ يقولُ: لا يا ربِّ، فيقولُ: أفلَكَ عذرٌ؟ فيقولُ: لا يا ربِّ، فيقولُ: بلَى، إنَّ لَكَ عِندَنا حسنةً، وإنَّهُ لا ظُلمَ عليكَ اليومَ، فتخرجُ بطاقةٌ فيها: (أشهدُ أن لا إلَهَ إلَّا اللهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ)، فيقولُ: احضُر وزنَكَ، فيقولُ: يا ربِّ، ما هذِهِ البطاقةُ مع هذِهِ السِّجلَّاتِ؟ فقالَ: فإنَّكَ لا تُظلَمُ، قالَ: فتوضَعُ السِّجلَّاتُ في كِفَّةٍ، والبطاقةُ في كفَّةٍ، فطاشتِ السِّجلَّاتُ، وثقُلتِ البطاقةُ، ولا يثقلُ معَ اسمِ اللهِ شيءٌ»[٢].

۞ عن رجل من الأنصار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال نوح لابنه: إني موصيك بوصيةٍ، وقاصرُها لكي لا تنساها: أوصيك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين: أما اللتان أوصيك بهما، فيستبشر الله بهما وصالحُ خَلقِه، وهما يكثرانِ الولوجَ على الله: أوصيك بـ (لا إله إلا الله)؛ فإن

(١) القول المفيد ص٨٥.
(٢) سنن الترمذي: ٢٦٣٩.

السمٰواتِ والأرضَ لو كانتا حلقةً قصمتْهما، ولو كانتا في كفة وزنتْهما، وأوصيك بـ (سبحان الله وبحمده)؛ فإنهما صلاة الخَلق، وبهما يُرزَقُ الخَلقُ، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء]، وأما اللتان أنهاك عنهما، فيحتجب الله منهما وصالح خلقه: أنهاك عن الشِّرك، والكِبر»[(١)].

❁ عن عبد الله بن عمرو (ت: ٦٥هـ) رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «إن نوحًا عليه الصلاة والسلام قال لابنه عند موته: آمرك بلا إلٰه إلا الله فإن السمٰوات السبع والأرضين السبع لو وضعن في كفة ووضعت لا إلٰه إلا الله في كفة لرجحت بهن لا إلٰه إلا الله، ولو أن السمٰوات السبع والأرضين السبع كُنَّ حلقة مبهمة لقصمتهن لا إلٰه إلا الله»[(٢)].

❁ قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) رحمه الله: «فقد تقرر في الشرع أن كلمة التوحيد ترجح ميزان من وزنت في أعماله ولا بد، فإن قال قائل كيف تثقل موازين العصاة من المؤمنين بالتوحيد ويصح لهم حكم الفلاح ثم تدخل طائفة منهم النار وذلك شقاء لا محالة؟ فقالت طائفة: إنه توزن أعمالهم دون التوحيد فتخف الحسنات فيدخلون النار ثم عند إخراجهم يوزن التوحيد فتثقل الحسنات فيدخلون الجنة، وأيضًا فمعرفة العاصي أنه غير مخلد فلاح وإن تقدمه شقاء على جهة التأديب»[(٣)].

❁ قال القاضي عياض (ت: ٥٤٤هـ) رحمه الله: «وقد جاء في الحديث هنا أيضًا: أفضل الذكر التهليل، وأنه أفضل ما قاله عليه السلام والنبيون من

---

(١) صححه الألباني في صحيح الترغيب (١٥٤٣).
(٢) رواه أحمد ٢/١٦٩، (٦٥٨٣)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٣٤).
(٣) المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز ٢/٣٧٦ ـ ٣٧٧.

قبله، وقد قيل: إنه اسم الله الأعظم؛ وهي كلمة الإخلاص»[(١)].

۞ قال محمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثم يؤتى ببطاقة ـ والبطاقة: القطعة الصغيرة قدر الأنملة ـ مكتوب فيها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا ﷺ رسول الله، فيقول: وما تغني هذه البطاقة مع هذه السجلات العظيمة الكثيرة؟! فيقال له: إنك لا تظلم، فتوضع تلك البطاقة الصغيرة في كفة الميزان وتلك السجلات العظيمة الهائلة في الكفة الأخرى، فطاشت تلك السجلات، وثقلت تلك البطاقة؛ لأن اسم الله ـ جل وعلا ـ لا يعادله شيء.

استدلوا بهذا الحديث على أن الموزون هو صحائف الأعمال لذكر وزن السجلات ووزن البطاقة التي فيها شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

وذهبت جماعة من العلماء، ورواه غير واحد عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ)[(٢)]: أن الموزون نفس الأعمال، وأن الله يحول الأعمال الحسنة إلى أجرام حسنة مضيئة نيرة، والله ـ جل وعلا ـ قادر على كل شيء، فهو قادر على أن يقلب ما ليس بجسم أن يقلبه جسمًا، وقد جاء ما يدل على هذا كما جاء في حديث الترغيب في الزهراوين البقرة وآل عمران «**أنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو فرقان من طير صواف**»[(٣)]، وكما جاء

---

(١) «إكمال المعلم» للقاضي عياض ٨/ ١٩٢.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب ٢/ ٦٩، وتفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي ٢/ ١٤٩، ونقله عنه ابن كثير ٢/ ٢٠٢، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٧٠، وهذا الأثر لا يصح عن ابن عباس (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) لأنه من طريق الكلبي عن أبي صالح.

(٣) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين، باب: فضل قراءة القرآن وسورة البقرة. حديث رقم (٨٠٤ ـ ٨٠٥)، (١/ ٥٥٣ ـ ٥٥٤)، من حديث أبي أمامة =

في الحديث أن عمل الإنسان يتجسم له في صورة إنسان طيب الريح، وكذلك العمل الخبيث[١]، وكما جاء في بعض الأحاديث أن القرآن يتمثل لصاحبه في قبره[٢]، وأمثال هذا كثيرة جدًّا، وعلى كل حال فالله قادر على أن يقلب الأعمال أجسامًا، فهو قادر على كل ما يشاء، فيجعل الأعمال الصالحة في صور نيرة حسنة، والأعمال القبيحة في صور مظلمة قبيحة، فتوضع هذه في كفة الحسنات وهذه في كفة السيئات، فتثقل موازين بعض، وتطيش موازين آخرين والعياذ بالله.

وقال بعض أهل العلم: إن ما يوزن أصحاب الأعمال، واستدلوا بالحديث المعروف المشهور: أن الرجل السمين ـ الأكول الشروب ـ يأتي يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة[٣]، وفي مناقب عبد الله بن مسعود (ت: ٢٩هـ) رضي الله عنه: أنهم لما رأوا دقة ساقيه قال لهم ﷺ: «**إنها في الميزان أثقل من جبل أحد**»[٤].

وما قاله ابن فورك (ت: ٤٠٦هـ) رحمه الله، وغيره من المتكلمين: إن وزن حقيقة الأعمال مستحيل؛ لأن ما ليس بجسم يستحيل أن يكون

= والنواس بن سمعان (رضي الله عنه).

(١) كما في حديث البراء (رضي الله عنه) مرفوعًا عند أحمد ٤/ ٢٩٥، وأصله في الصحيحين.

(٢) كما في حديث بريدة (رضي الله عنه) عند أحمد ٥/ ٣٥٢، وابن ماجه في الأدب، باب ثواب القرآن، حديث رقم (٣٧٨١)، ٢/ ١٢٤٢، وأورده الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٠٤٨)، وقال: ضعيف يحتمل التحسين.

(٣) أخرجه البخاري في التفسير، باب: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ حديث رقم (٤٧٢٩)، ٨/ ٤٢٦، ومسلم في صفة القيامة والجنة والنار، حديث رقم (٢٧٨٥)، ٤/ ٢١٤٧.

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٤٢٠، ٤٢١)، والطبراني في الكبير (٩/ ٧٥ ـ ٧٦)، ١٩/ ٢٨، وابن أبي شيبة ١٢/ ١١٣ والحاكم ٣/ ٣١٧.

جسمًا[(١)]!! لا يعول عليه لأن الله قادر على كل ما يشاء، لا يتعاصى على قدرته شيء، فهو قادر على ما شاء، وقادر على ما لم يشأ أيضًا، فهو قادر على هداية أبي بكر (ت: ١٣هـ) رضي الله عنه، وأبي لهب (ت: ٢هـ)، وقد شاء أحد المقدورين وهو هداية أبي بكر (ت: ١٣هـ)، ولم يشأ مقدوره الثاني وهو هداية أبي لهب.

فهذه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الموزون صحف الأعمال.

والثاني: أن الموزون الأعمال تقلب أجسامًا في صور موزونة.

الثالث: أن الموزون أصحاب الأعمال. وكان ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رحمه الله ـ كبير المفسرين ـ يرى أن كفة الحسنات يكون فيها نفس الشخص وحسناته، وأن الكفة الأخرى فيها سيئاته[(٢)]، هكذا يقوله العلماء، وعلى كل حال فالتحقيق أنه وزن حقيقي بميزان ذي لسان وكفتين»[(٣)].

المطلب الثامن عشر

قيام التوحيد مانع لقيام الساعة

● عَنْ أَنَسٍ (ت: ٩٠هـ) رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ اللهُ»[(٤)].

---

(١) عبارة ابن فورك: «وقد أنكرت المعتزلة الميزان بناء منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها إذ لا تقوم بأنفسها، ومن المتكلمين من يقول...».اهـ. التذكرة ص٣١٣، وانظر: القرطبي ٧/ ١٦٥.

(٢) ابن جرير ١٢/ ٣١٤.

(٣) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير ٣/ ٧٣ ـ ٧٥.

(٤) رواه مسلم (١٤٨).

۞ عَنْ عبد الله بن عمرو (ت: ٦٥هـ) رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ، فَيَبْعَثُ اللهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ، قَالَ: فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ»(١).

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: «وأخبر النبي ﷺ أن في آخر الزمان يرفع الله بيته من الأرض، وكلامه من المصاحف وصدور الرجال، فلا يبقى له في الأرض بيت يحج ولا كلام يتلى، فحينئذ يقرب خراب العالم، وهكذا الناس اليوم إنما قيامهم بقيام آثار نبيهم، وشرائعه بينهم وقيام أمورهم وحصول مصالحهم واندفاع أنواع البلاء والشر عنهم بحسب ظهورها بينهم وقيامها.

وهلاكهم وعنتهم وحلول البلاء والشر بهم عند تعطلها والإعراض عنها والتحاكم إلى غيرها واتخاذ سواها.

ومن تأمل تسليط الله سبحانه على من سلطه على البلاد والعباد من الأعداء علم أن ذلك بسبب تعطيلهم لدين نبيهم وسننه وشرائعه، فسلط الله عليهم من أهلكهم وانتقم منهم، حتى إن البلاد التي لآثار الرسول ﷺ

(١) رواه مسلم (١٤٨).

وسننه وشرائعه فيها ظهور؛ دفع عنها بحسب ظهور ذلك بينهم»[(١)].

المطلب التاسع عشر

التوحيد نعم العدة

۞ قال الحسن (ت: ١١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، للفرزدق (ت: ١١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ - وهو يدفن امرأته -: «ما أعددت لهذا اليوم؟

قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة.

قال الحسن: نعم العدة إن لـ «لا إله إلا الله» شروطها؛ فإياك وقذف المحصنة!.

وروي عنه أنه قال للفرزدق: هذا العمود، فأين الطنب»[(٢)].

۞ قال أبو عبد الله الحسن بن الحسين الحليمي (ت: ٤٠٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الراغب في الإيمان لا يسلم مقصوده منه، إلا بأن يكون شحيحًا به، فإنه إذا شح بالإيمان لم يأت ما يفسده عليه، كما أن من وجد حلاوة الحلو لم يأت بما يبطلها عليه»[(٣)].

المطلب العشرون

التوحيد مفتاح الجنة

۞ قال وهب بن منبه (ت: ١١٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ لمن سأله: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: بلى، ولكن ليس مفتاح إلا وله أسنان؛ فإن

(١) جلاء الأفهام ص٣١٣.
(٢) كتاب التوحيد أو تحقيق كلمة الإخلاص لابن رجب ص٤٧.
(٣) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ٢/ ١٧٩.

جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك»[١].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام»[٢].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولقد جعل الله لكل مطلوب مفتاحًا يفتح به، فجعل مفتاح الصلاة الطهارة، كما قال ﷺ: «**مفتاح الصلاة الطهور**»، ومفتاح الحج الإحرام، ومفتاح البر الصدق، ومفتاح الجنة التوحيد...»[٣].

۞ قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويدل على صحة هذا القول أن النبي ﷺ رتب دخول الجنة على الأعمال الصالحة في كثير من النصوص؛ كما في «الصحيحين» عن أبي أيوب (ت: ٥٠هـ) أن رجلًا قال: يا رسول الله! أخبرني بعمل يدخلني الجنة، فقال: «**تعبد الله، لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم**»[٤].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «أن رجلًا قال: يا رسول الله، دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: «**تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان**»؛ فقال الرجل: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئًا ولا أنقص منه.

فقال النبي ﷺ: «**من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلينظر**

---

(١) رواه البخاري معلقًا قبل حديث (١٢٣٧)، ووصله أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٤/٦٦. وانظر: «تغليق التعليق» لابن حجر (٢/٤٥٣ ـ ٤٥٤).
(٢) الجواب الكافي ص١٧٠.
(٣) حادي الأرواح ص٦٨.
(٤) أخرجه البخاري (١٣٩٦)، ومسلم (١٣).

إلى هذا»»[(١)].

وفي «المسند» عن بشير بن الخصاصية قال: «أتيت النبي ﷺ لأبايعه فاشترط علي: شهادة أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن أقيم الصلاة، وأن أؤدي الزكاة، وأن أحج حجة الإسلام، وأن أصوم رمضان، وأن أجاهد في سبيل الله، فقلت: يا رسول الله، أما اثنتان فوالله لا أطيقهما: الجهاد والصدقة! فقبض رسول الله ﷺ يده ثم حركها، وقال: «**فلا جهاد ولا صدقة، فبم تدخل الجنة إذًا؟!**» قلت: يا رسول الله! أن أبايعك، فبايعته عليهن كلهن»[(٢)].

المطلب الواحد والعشرون

التوحيد سبيل الفوز

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾

[آل عمران، الآية: ١٨٥].

عن عبد الله بن عمرو بن العاص (ت: ٦٥هـ) رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**فمَن أحَب أن يُزحزَح عن النار ويدخل الجنة، فلتأتِه منيَّتُه وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأتِ إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه**»[(٣)].

عبد الله بن عمر (ت: ٧٣هـ) رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سرّه أن يزحزح عن النار وأن يدخل الجنة فلتأته منيته وهو يشهد أن**

---

(١) برقم (١٤)، وكذا البخاري (١٣٩٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد ٥/ ٢٢٤، وفي إسناده: مؤثر بن عفارة، وهو مجهول.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

لا إله إلّا الله وأن محمدًا رسول الله، ويأتي الناس ما يحب أن يؤتى إليه»[١].

قال الحسن بن محمد النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال ﷺ: «من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه». «فالأول رعاية حقوق الله، والثاني محافظة حقوق العباد»[٢].

المطلب الثاني والعشرون

التوحيد يدخل الله به الجنة

فعن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من شهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»[٣].

وفي حديث جابر بن عبد الله (ت: ٧٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ أنه قال: «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة»[٤].

وفي حديث عمر (ت: ٢٣هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «ما

---

(١) ذكره الثعلبي في تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير سورة آل عمران، الآية: ١٨٥)، وذكره أبو حيان الأندلسي في تفسير البحر المحيط (تفسير سورة آل عمران، الآية: ١٨٥).

(٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري (سورة آل عمران، الآية: ١٨٥).

(٣) رواه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

(٤) رواه مسلم (٢٩٤٠).

منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»[(١)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويعفى لأهل التوحيد المحض الذي لم يشوبوه بالشرك ما لا يعفى لمن ليس كذلك، فلو لقى الموحد الذي لم يشرك بالله شيئًا البتة ربه بقراب الأرض خطايا أتاه بقرابها مغفرة، ولا يحصل هذا لمن نقص توحيده وشابه بالشرك، فإن التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك لا يبقى معه ذنب؛ فإنه يتضمن من محبة الله تعالى وإجلاله، وتعظيمه، وخوفه، ورجائه وحده ما يوجب غسل الذنوب»[(٢)].

المطلب الثالث والعشرون

التوحيد أساس دخول الجنة

۞ عن أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن أعرابيًّا أتى النبي ﷺ، فقال: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة.

قال: «**تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان**». قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا. فلما ولى قال الرسول ﷺ: «**من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**»[(٣)].

(١) رواه مسلم (٢٣٤).
(٢) إغاثة اللهفان ١/ ٦٤.
(٣) رواه البخاري (١٣: ٧) ومسلم (١٤).

❁ وعَنْ جَابِرٍ (ت: ٧٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا الْمُوجِبَتَانِ؟ فَقَالَ: «مَنْ مَاتَ لا يُشْرِكُ باللهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ باللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ»(١).

❁ عن عتبان بن مالك الأنصاري (ت: وسط خلافة معاوية) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يوافي عبد يوم القيامة يقول: لا إله إلا الله يبتغي به وجه الله إلا حرم الله عليه النار»(٢).

❁ قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالقلب لَا يصلح وَلَا يفلح وَلَا ينعم وَلَا يسر وَلَا يلتذ وَلَا يطيب وَلَا يسكن وَلَا يطمئن إِلَّا بِعبَادة ربه وحبه والإنابة إِلَيْهِ، وَلَو حصل لَهُ كل مَا يلتذ بِهِ من الْمَخْلُوقَات لم يطمئن وَلم يسكن؛ إِذْ فِيهِ فقر ذاتي إِلَى ربه من حَيْثُ هُوَ معبوده ومحبوبه ومطلوبه، وَبِذَلِك يحصل لَهُ الْفَرح وَالسُّرُور واللذة وَالنعْمَة والسكون والطمأنينة، وَهَذَا لَا يحصل لَهُ إِلَّا باعانة الله لَهُ فَإِنَّهُ لَا يقدر على تَحْصِيل ذَلِك لَهُ إِلَّا الله، فَهُوَ دَائِمًا مفتقر إِلَى حَقِيقَة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة]»(٣).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وليس للقلوب سرور ولذة تامة إلا في محبة الله تعالى، والتقرب إليه بما يحبه، ولا تتم محبة الله إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه، وهذا حقيقة لا إله إلا الله»(٤).

❁ قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ (ت: ١٢٣٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩٣).
(٢) أخرجه البخاري ـ كتاب الرقاق، باب العمل الذي يبتغى به وجه الله ٧/ ٢٢١، وأخرجه مسلم برقم (٩٣).
(٣) العبودية ١/ ٩٧.
(٤) مجموع الفتاوى ٢٣/ ٢٨.

«فمن قال: لا إلٰه إلا الله ولم يقم بموجبها، بل اكتسب مع ذلك ذنوبًا وسيئات، وكان صادقًا في قولها موقنًا بها، لكن ذنوبه أضعاف أضعاف صدقه ويقينه، وانضاف إلى ذلك الشرك الأصغر العملي، رجحت هذه الأشياء على هذه الحسنة، ومات مصرًّا على الذنوب، بخلاف من يقولها بيقين وصدق تام، فإنه لا يموت مصرًّا على الذنوب، إما أن لا يكون مصرًّا على سيئة أصلًا أو يكون توحيده المتضمن لصدقه ويقينه رجح حسناته.

والذين يدخلون النار ممن يقولها قد فاتهم أحد هذين الشرطين: إما أنهم لم يقولوها بالصدق واليقين التامين المنافيين للسيئات، أو لرجحان السيئات، أو قالوها واكتسبوا بعد ذلك سيئات رجحت على حسناتهم، ثم ضعف لذلك صدقهم ويقينهم، ثم لم يقولوها بعد ذلك بصدق ويقين تام، لأن الذنوب قد أضعفت ذلك الصدق واليقين من قلوبهم، فقولها من مثل هؤلاء لا يقوى على محو السيئات بل ترجح سيئاتهم على حسناتهم. انتهى ملخصًا.

وقد ذكر معناه غيره كابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله، وابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رحمه الله، والمنذري (ت: ٦٥٦هـ) رحمه الله، والقاضي عياض (ت: ٥٤٤هـ) رحمه الله، وغيرهم.

وحاصله: أن لا إلٰه إلا الله سبب لدخول الجنة، والنجاة من النار، ومقتض لذلك، ولكن المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه، وانتفاء موانعه، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه، أو لوجود مانع.

ولهذا قيل للحسن (ت: ١١٠هـ) رحمه الله إن ناسًا يقولون: من قال: لا إلٰه إلا الله دخل الجنة، فقال: من قال: لا إلٰه إلا الله فأدى حقها وفرضها

دخل الجنة»[(١)]

۞ وقال وهب بن منبه (ت: ١١٤هـ)، لمن سأله: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: «بلى، ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح»[(٢)].

ويدل على ذلك أن الله رتب دخول الجنة على الإيمان والأعمال الصالحة، وكذلك النبي ﷺ كما في «الصحيحين» عن أبي أيوب: «أن رجلًا قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة. فقال: «**تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم**»[(٣)]»[(٤)].

۞ وفي «المسند» عن بشر بن معبد بن الخصاصية (لم أقف على سنة وفاته) رضي الله عنه، قال: «أتيت النبي ﷺ لأبايعه، فاشترط علي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن أقيم الصلاة، وأن أوتي الزكاة، وأن أحج حجة الإسلام، وأن أصوم رمضان، وأن أجاهد في سبيل الله.

---

(١) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها لابن رجب ص١٣ ـ ١٤، وانظر: شرح صحيح مسلم للنووي ١/ ٢٠٠.

(٢) رواه البخاري معلقًا قبل حديث (١٢٣٧) كتاب: الجنائز، باب: في الجنائز، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله. ورواه موصولًا في «التاريخ الكبير» (٢٦١)، ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٤/ ٦٦، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ١/ ٢٧٤. قال البوصيري في «إتحاف الخيرة» ٨/ ٨٥: رواه إسحاق بن راهويه بإسناد حسن، وقد علقه البخاري لوهب. وله شاهد مرفوع من حديث معاذ بن جبل رواه أحمد بن حنبل، والبزار، والطبراني في كتاب «الدعاء» بسند ضعيف. وقال ابن حجر في «المطالب العالية» ٣/ ٢٥٤: إسناده حسن موقوف، قد علقه البخارى لوهب.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٩٦).

(٤) أخرجه البخاري: الزكاة (١٣٩٦)، ومسلم: الإيمان (١٣)، والنسائي: الصلاة (٤٦٨)، وأحمد (٥/ ٤١٧، ٥/ ٤١٨).

فقلت: يا رسول الله، أما اثنتين، فوالله ما أطيقهما: الجهاد والصدقة، فقبض رسول الله ﷺ يده ثم حركها وقال: «**فلا جهاد ولا صدقة، فبم تدخل الجنة إذًا؟!**»، قلت: يا رسول الله أبايعك عليهن كلهن»[١].

ففي الحديث: أن الجهاد والصدقة شرط في دخول الجنة مع حصول التوحيد، والصلاة، والحج، والصيام. والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

وفي الحديث دليل على أنه لا يكفي في الإيمان النطق من غير اعتقاد، وبالعكس.

وفيه تحريم النار على أهل التوحيد الكامل، وفيه أن العمل لا ينفع إلا إذا كان خالصًا لله تعالى»[٢].

المطلب الرابع والعشرون

التوحيد يمنع دخول النار بالكلية إذا كمل في القلب

❁ ففي حديث عتبان بن مالك الأنصاري (ت: وسط خلافة معاوية) رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**...فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**»[٣].

❁ عن عبادة بن الصامت (ت: ٣٤هـ) رضي الله عنه مرفوعًا: «**من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، حرم الله عليه النار**»[٤].

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٢٢٤.
(٢) تيسير العزيز الحميد ص٦٦ ـ ٦٧.
(٣) رواه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).
(٤) رواه البخاري: العلم (١٢٨)، ومسلم: الإيمان (٣٢)، وأحمد (٣/ ١٣١، ٣/ ١٥٧، ٣/ ٢٤٤).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الكامل: هُوَ من كَانَ لله أطوع وعَلى مَا يُصِيبهُ أَصْبَر.

فَكلما كَانَ أتبع لما يَأْمر الله بِهِ وَرَسُوله وَأعظم مُوَافقَة لله فِيمَا يُحِبهُ ويرضاه وصبرًا على مَا قدره وقضاه كَانَ أكمل وَأفضل، وكل من نقص عَن هذَيْن كَانَ فِيهِ من النَّقْص بِحَسب ذَلِك»[1].

❁ قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ [فصلت، الآية: ٦]: «فمن كان له أصل الاستقامة في التوحيد أمن من النار بالخلود، ومن كان له كمال الاستقامة في الأصول والفروع أمن الوعيد»[2].

❁ قال سليمان بن عبد الله آل الشيخ (ت: ١٢٣٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأحسن ما قيل في معناه ما قاله شيخ الإسلام وغيره: إن هذه الأحاديث إنما هي فيمن قالها ومات عليها كما جاءت مقيدة، وقالها خالصًا من قلبه مستيقنًا بها قلبه، غير شاك فيها بصدق ويقين، فإن حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلى الله جملة، فمن شهد أن لا إلٰه إلا الله خالصًا من قلبه دخل الجنة؛ لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله تعالى بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحًا، فإذا مات على تلك الحال نال ذلك؛ فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال: لا إلٰه إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، وما يزن خردلة، وما يزن ذرة، وتواترت بأن كثيرًا ممن يقول: لا إلٰه إلا الله يدخل النار ثم يخرج منها، وتواترت بأن الله حرم على النار أن تأكل أثر السجود من ابن آدم، فهؤلاء كانوا يصلون ويسجدون لله، وتواترت بأنه يحرم على النار من

(١) دقائق التفسير ٢/ ٢٩٩.
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٧/ ١٨٣.

قال: لا إلٰه إلا الله، ومن شهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمد رسول الله، لكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال، وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص ولا اليقين، ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه أن يفتن عنها عند الموت فيحال بينه وبينها، وأكثر من يقولها إنما يقولها تقليدًا أو عادة، ولم يخالط الإيمان بشاشة قلبه، وغالب من يفتن عند الموت وفي القبور أمثال هؤلاء كما في الحديث: ـ سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته. وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد واقتداء بأمثالهم وهم أقرب الناس من قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف، الآية: ٢٣]؛ وحينئذ فلا منافاة بين الأحاديث، فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين تام؛ لم يكن في هذه الحال مصرًّا على ذنب أصلًا، فإن كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحب إليه من كل شيء، فإذًا لا يبقى في قلبه إرادة لما حرم الله ولا كراهية لما أمر الله، وهذا هو الذي يحرم من النار، وإن كانت له ذنوب قبل ذلك، فإن هذا الإيمان، وهذه التوبة، وهذا الإخلاص، وهذه المحبة وهذا اليقين، لا يتركون له ذنبًا إلا يمحى كما يمحى الليل بالنهار، فإذا قالها على وجه الكمال المانع من الشرك الأكبر والأصغر، فهذا غير مصر على ذنب أصلًا، فيغفر له ويحرم على النار، وإن قالها على وجه خلص به من الشرك الأكبر دون الأصغر، ولم يأت بعدها بما يناقض ذلك، فهذه الحسنة لا يقاومها شيء من السيئات، فيرجح بها ميزان الحسنات، كما في حديث البطاقة، فيحرم على النار ولكن تنقص درجته في الجنة بقدر ذنوبه، وهذا بخلاف من رجحت سيئاته على حسناته ومات مصرًا على ذلك، فإنه يستوجب النار، وإن قال: لا إلٰه إلا الله، وخلص بها من الشرك الأكبر، لكنه لم يمت على ذلك، بل أتى بعد ذلك بسيئات رجحت على حسنة توحيده، فإنه في حال قولها كان مخلصًا، لكنه أتى

بذنوب أوهنت ذلك التوحيد والإخلاص فأضعفته، وقويت نار الذنوب حتى أحرقت ذلك، بخلاف المخلص المستيقن، فإن حسناته لا تكون إلا راجحة على سيئاته، ولا يكون مصرًّا على سيئة، فإن مات على ذلك دخل الجنة، وإنما يخاف على المخلص أن يأتي بسيئات راجحة فيضعف إيمانه، فلا يقولها بإخلاص ويقين مانع من جميع السيئات، ويخشى عليه من الشرك الأكبر والأصغر، فإن سلم من الأكبر بقي معه من الأصغر، فيضيف إلى ذلك سيئات تنضم إلى هذا الشرك، فيرجح جانب السيئات، فإن السيئات تضعف الإيمان واليقين، فيضعف بذلك قول: لا إلٰه إلا الله، فيمتنع الإخلاص في القلب، فيصير المتكلم بها كالهاذي أو النائم، أو من يحسن صوته بآية من القرآن من غير ذوق طعم ولا حلاوة، فهؤلاء لم يقولوها بكمال الصدق واليقين، بل يأتون بعدها بسيئات تنقص ذلك الصدق واليقين، بل يقولونها من غير يقين وصدق، ويموتون على ذلك ولهم سيئات كثيرة تمنعهم من دخول الجنة، وإذا كثرت الذنوب ثقل على اللسان قولها، وقسا القلب عن قولها، وكره العمل الصالح، وثقل عليه سماع القرآن، واستبشر بذكر غيره، واطمأن إلى الباطل واستحلى الرفث ومخالطة أهل الغفلة، وكره مخالطة أهل الحق، فمثل هذا إذا قالها قال بلسانه ما ليس في قلبه، وبفيه ما لا يصدق عمله، كما قال الحسن: ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال، فمن قال خيرًا وعمل خيرا قبل منه، ومن قال شرًّا وعمل شرًّا لم يقبل منه.

وقال بكر بن عبد الله المزني (ت: ١٠٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما سبقهم أبو بكر (ت: ١٣هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بكثرة صيام ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في قلبه»[(١)].

(١) قال المرتضى الزبيدي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين للغزالي: «قال العراقي: لا أصل لهذا مرفوعًا، وإنما يعرف من قول بكر بن عبد الله المزني رواه الحكيم الترمذي في نوادره». =

فمن قال: لا إله إلا الله ولم يقم بموجبها، بل اكتسب مع ذلك ذنوبًا وسيئات، وكان صادقًا في قولها موقنًا بها، لكن ذنوبه أضعاف أضعاف صدقه ويقينه، وانضاف إلى ذلك الشرك الأصغر العملي؛ رجحت هذه الأشياء على هذه الحسنة، ومات مصرًّا على الذنوب، بخلاف من يقولها بيقين وصدق تام، فإنه لا يموت مصرًّا على الذنوب، إما أن لا يكون مصرًّا على سيئة أصلًا أو يكون توحيده المتضمن لصدقه ويقينه رجح حسناته.

والذين يدخلون النار ممن يقولها قد فاتهم أحد هذين الشرطين: إما أنهم لم يقولوها بالصدق واليقين التامين المنافيين للسيئات، أو لرجحان السيئات، أو قالوها واكتسبوا بعد ذلك سيئات رجحت على حسناتهم، ثم ضعف لذلك صدقهم ويقينهم، ثم لم يقولوها بعد ذلك بصدق ويقين تام، لأن الذنوب قد أضعفت ذلك الصدق واليقين من قلوبهم، فقولها من مثل هؤلاء لا يقوى على محو السيئات بل ترجح سيئاتهم على حسناتهم. انتهى ملخصًا»[(١)].

المطلب الخامس والعشرون

أن التوحيد يمنع الخلود في النار إذا كان في القلب منه أدنى مثقال حبة من خردل وأنه إذا اكتمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية

عن عبادة بن الصامت (ت: ٣٤هـ) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

= قال المحقق: وبكر ثقة سمع من ابن عباس وابن عمر، وعزاه ابن القيم إلى أبي بكر بن عياش من قوله، ولفظه: «ما سبقكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في قلبه».

(١) تيسير العزيز الحميد ص٦٣ ـ ٦٦؛ وانظر: رسالة العبودية لابن تيمية ص١٢٣ ـ ١٢٦.

«من شهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»[(١)].

۞ عن أنسٍ (ت: ٩٠هـ) رضي الله عنه: «أن نبي الله ﷺ، ومعاذ بن جبل رديفه على الرحل، قال: يا معاذ قال: لبيك رسول الله وسعديك، قال: يا معاذ قال: لبيك رسول الله وسعديك، قال: يا معاذ قال: لبيك رسول الله وسعديك، قال: ما من عبد يشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار، قال: يا رسول الله، أفلا أخبر بها الناس فيستبشروا، قال: إذًا يتكلوا، فأخبر بها معاذ عند موته تأثمًا»[(٢)].

۞ عن عتبان بن مالك الأنصاري (ت: وسط خلافة معاوية) رضي الله عنه «فإن الله حرم على النار من قال: لا إلٰه إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»[(٣)].

۞ عن جابر (ت: ٧٨هـ) رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار»[(٤)].

۞ عن أبي سعيد الخدري (ت: ٧٤هـ) رضي الله عنه، قال: «...أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان...»[(٥)].

۞ عن عبد الله بن مسعود (ت: ٣٢هـ) رضي الله عنه قال: يقول أهل النار لمن دخلها من أهل التوحيد: قد كان هؤلاء مسلمين، فما أغنى عنهم؟!

(١) رواه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).
(٢) رواه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).
(٣) رواه البخاري (٥٤٠١).
(٤) رواه مسلم (٩٣).
(٥) رواه البخاري (٢٢)، ومسلم (١٨٤).

قال: فيغضب لهم ربهم فيدخلهم الجنة، فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين»(١).

۞ قال سعيد بن محمد الغساني ويعرف بأبي عثمان بن الحداد (ت: ٣٠٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء، الآية: ٤٨]: «إن الله تعالى لا يخلد في النار من عمل عملًا مقبولًا منه، إذ قبول العمل يوجب ثوابه، والتخليد في العذاب يمنع ثواب الأعمال، وقد أخبر الله تعالى في كتابه الصادق به ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء، الآية: ٤٠]، وترك المثوبة على الإحسان ظلم، تعالى الله عن ذلك»(٢).

۞ قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي تفسير السدي (ت: ١٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود، الآية: ١٠٧]، يعني: ما نقص لأهل التوحيد الذين أخرجوا من النار»(٣).

۞ قال علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال (ت: ٤٤٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما قوله في حديث أبي ذر: «**من قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك دخل الجنة وإن زنا وإن سرق**»، وقول البخاري: فقال هذا عند الموت إذا تاب وندم وقال: لا إله إلا الله، غفر له، هذا تفسير يحتاج إلى تفسير آخر؛ وذلك أن التوبة والندم إنما تنفع في الذنوب التى بين العبد وبين ربه، فأما مظالم العباد فلا تسقطها عنه التوبة.

ومعنى الحديث أن من مات على التوحيد أنه يدخل الجنة وإن ارتكب الذنوب، ولا يخلد في النار بذنوبه كما يقوله الخوارج وأهل

---

(١) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٢/ ٣٧٩.
(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٣/ ٢٣٦.
(٣) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٢/ ٣١٠.

البدع»(١).

❁ قال النووي (ت: ٦٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يخلد في النار أحد مات على التوحيد؛ وهذه قاعدة متفق عليها عند أهل السنة»(٢).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد بل يخرج من النار من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان أو مثقال شعيرة من إيمان أو مثقال ذرة من إيمان»(٣).

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولذلك كان مثقال ذرة من إيمان بالله ورسوله يخلص من الخلود في دار الآلام فكيف بالإيمان الذي يمنع من دخولها»(٤).

❁ قال الشيخ حافظ بن أحمد حكمي (ت: ١٣٧٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فاعلم أن الذي أثبتته الآيات القرآنية والسنن النبوية ودرج عليه السلف الصالح والصدر الأول من الصحابة والتابعين لهم بإحسان من أئمة التفسير والحديث والسنة أن العصاة من أهل التوحيد على ثلاث طبقات:

الأولى: قوم رجحت حسناتهم بسيئاتهم، فأولئك يدخلون الجنة ولا تمسهم النار أبدًا.

الثانية: قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، وهؤلاء هم أصحاب الأعراف الذين ذكر الله تعالى أنهم يقفون بين الجنة والنار ما شاء الله أن يقفوا ثم يؤذن لهم في دخول الجنة كما قال الله تعالى بعد أن أخبر بدخول أهل

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٩/ ١٠٤ ـ ١٠٥.
(٢) شرح صحيح مسلم ١/ ٢٨.
(٣) قاعدة في المحبة ص٦٧.
(٤) روضة المحبين ص١٦٨.

الجنة الجنة، وأهل النار النار، وتناديهم فيها، قال: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأعراف] - إلى قوله: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأعراف].

الطبقة الثالثة: قوم لقوا الله تعالى مصرين على كبائر الإثم والفواحش ومعهم أصل التوحيد والإيمان، فرجحت سيئاتهم بحسناتهم، فهؤلاء هم الذين يدخلون النار بقدر ذنوبهم، ومنهم من تأخذه إلى كعبيه ومنهم من تأخذه إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، حتى أن منهم من لم يحرم الله منه على النار إلا أثر السجود، وهذه الطبقة هم الذين يأذن الله تعالى في الشفاعة فيهم لنبينا محمد ﷺ ولغيره من بعده من الأنبياء والأولياء والملائكة ومن شاء الله أن يكرمه، فيحد لهم حدًّا فيخرجونهم، ثم يحد لهم حدًّا فيخرجونهم، وهكذا، فيخرجون من كان في قلبه وزن دينار من خير، ثم من كان في قلبه وزن نصف دينار من خير، ثم من كان في قلبه وزن برة من خير، إلى أن يخرجوا منها من في قلبه وزن ذرة من خير، إلى أدنى من مثقال ذرة، إلى أن يقول الشفعاء: ربنا لم نذر فيها خيرًا. ولن يخلد في النار أحد ممن مات على التوحيد ولو عمل أي عمل، ولكن كل من كان منهم أعظم إيمانًا وأخف ذنبًا كان أخف عذابًا في النار وأقل مكثًا فيها وأسرع خروجًا منها، وكل من كان أعظم ذنبًا وأضعف إيمانًا كان بضد ذلك، والأحاديث في هذا الباب لا تحصى كثرة، وإلى ذلك أشار النبي ﷺ بقوله: «**من قال: لا إله إلا الله نفعته يومًا من الدهر يصيبه قبل ذلك ما أصابه**»[1]؛ وهذا مقام ضلت فيه

---

(١) (صحيح) رواه البيهقي في شعب الإيمان ١/٥٦، وأبو نعيم ٥/٤٦، وقد صححه الشيخ الألباني في الصحيحة (١٩٣٢).

الأفهام وزلت فيه الأقدام واختلفوا فيه اختلافًا كثيرًا: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة]»[(١)].

المطلب السادس والعشرون

الأعمال والأقوال متوقفة في قبولها وكمالها على التوحيد

فجميع الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها، وفي ترتيب الثواب عليها على التوحيد، فكلما قوي التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمّت.

وفي السُّنة النبوية دلالةٌ على عدم نفع الأعمال لمن لم يوفِّ حقَّ التوحيد وأشرَكَ بالله تعالى.

۞ فعن أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال النبيُّ ﷺ: «قال اللهُ تباركَ وتعالَى: أنا أغنَى الشركاءِ عن الشركِ؛ مَن عمِل عملًا أشرَكَ فيه معِي غيرِي، تركتُه وشِركَه»[(٢)].

۞ عن أم المؤمنين عائشة (ت: ٥٨هـ) رضي الله عنها قالت: يا رسولَ اللهِ، ابنُ جُدْعَانَ كان في الجاهليةِ يصلُ الرَّحِمَ، ويُطعِمُ المسكينَ، فهلْ ذاكَ نافعُهُ؟ قال: «لا ينفعهُ؛ إنهُ لم يقُلْ يومًا: ربِّ اغفرْ لي خَطيئتي يومَ الدِّينِ»[(٣)].

۞ قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: «﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [الأحزاب،

---

(١) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة ص١١٥ ـ ١١٧.
(٢) (رواه مسلم: ٢٩٥٨).
(٣) (رواه مسلم: ٢١٤).

الآية: ٧١]، لا يقبل العمل إلا ممن قال: لا إله إلا الله، مخلصًا من قلبه»[(١)].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ففعل جميع المأمورات وترك جميع المحظورات يدخل في التوحيد في قول: لا إله إلا الله؛ فإنه من لم يفعل الطاعات لله ويترك المعاصي لله: لم يقبل الله عمله، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٧﴾ [المائدة، الآية: ٢٧]»[(٢)].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العمل بغير إخلاصٍ ولا اقتداءٍ؛ كالمسافر يملأ جرابه رملًا يُثقله ولا ينفعه»[(٣)].

❁ قال سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (ت: ٧١٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ۝١٩﴾ [محمد] يحتج به على تقديم أصول الدين كالتوحيد على فروعه كالاستغفار وغيره؛ لتقديمه التوحيد هاهنا، ولأن رتبة الأصل قبل رتبة الفرع، وعلى أن المعتبر في الأصول العلم لا غيره»[(٤)].

❁ قال أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٨٩٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [فصلت]؛ أي: جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم، والاستقامة في أمور الدين التي هي منتهى العمل؛ و(ثم) للدلالة على تراخي رتبة العمل وتوقف الاعتداد به على التوحيد»[(٥)].

---

(١) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٣/ ٤١٥.
(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٣٤.
(٣) الفوائد ص٤٩.
(٤) كتاب الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية ص٥٨٤.
(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (سورة الأحقاف، الآية: ١٣)، ٨/ ٨٢.

❁ قال محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (ت: ١٢٠٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج فكيف إذا جحد الإنسان شيئًا من هذه الأمور كفر، ولو عمل بكل ما جاء به الرسول، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر، سبحان الله ما أعجب هذا الجهل»[(١)].

❁ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جميع الأعمال متوقفة في صحتها وقبولها على التوحيد»[(٢)].

❁ قال محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ (ت: ١٣٨٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالحاصل أنه لو قدر أن التوحيد بعض المذكورات لكان جحده كفرًا، فكيف وهو أساس ذلك كله؟! بل التوحيد قد يكفي وحده في إسلام العبد ودخوله الجنة؛ فإنه إذا تكلم بكلمة التوحيد ثم توفى قبل وجوب شيء من الفروع عليه كفى التوحيد وحده؛ فالتوحيد ليس فقيرًا إليها بل هي الفقيرة إليه في صحتها»[(٣)].

المطلب السابع والعشرون

الكمل من أهل التوحيد يدخلون الجنة بغير حساب

❁ عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي ﷺ: «**عُرضت عليّ الأمم، فأخذ النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد**

---

(١) كشف الشبهات ص٣٩.

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد ص٣٦.

(٣) شرح كشف الشبهات للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ص٩٥.

كثير، قلت: يا جبريل، هؤلاء أمتي؟ قال: لا، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد كثير. قال: هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفًا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب، قلت: ولم؟ قال: كانوا لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون، فقام إليه عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: اللّهم اجعله منهم. ثم قام إليه رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: سبقك بها عكاشة»[(١)].

۞ عن أبي هريرة (ت: ٥٨هـ) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها ولا يمتخطون، ولا يتغوطون، آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألُوَّة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب رجل واحد، يسبحون الله بكرة وعشيًا»[(٢)].

۞ عن سهل بن سعد (ت: ٩٠هـ) رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفًا أو سبعمائة ألف لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر»[(٣)].

۞ عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما وفي الحديث: «هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون»[(٤)]

فالمشار إليهم في الحديث هم في منزلة عالية من هذه الأمة لمزايا خاصة اختصوا بها تتعلق بالتوحيد.

---

(١) رواه البخاري (٦٥٤١).
(٢) رواه البخاري (٣٢٤٥).
(٣) رواه البخاري (٣٢٤٧).
(٤) رواه البخاري (٥٢٧٠).

المطلب الثامن والعشرون

اللقاء جزاء التوحيد

قال - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزخرف].

فلذة النظر جزاء لما من عليهم من التوحيد عند تجلي المكاشفة لأوليائه، وهو البقاء مع الباقي. ألا ترى كيف خصهم في الإيمان بشرط التسليم لأمره والسكون بين يديه؟!

قال - تعالى -: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف، الآية: ٧١].

قال سهل التستري (ت: ٢٨٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: ما تشتهي الأنفس من ثواب الأعمال، وتلذ الأعين بما فضل الله به من التمكين في وقت اللقاء جزاء لتوحيدهم؛ فالجنة جزاء أعمال الجوارح، واللقاء جزاء التوحيد، ألا ترى أن الله تعالى قال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾»(١).

المطلب التاسع والعشرون

جميع العبادات زائلة عن أهل الجنة إلا طاعة الذكر والتوحيد

قال - تعالى -: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر، الآية: ٧٤].

---

(١) تفسير التستري ص١٤٠.

قال ـ تعالى ـ: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [القصص].

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جميع الطاعات تزول يوم القيامة مثل الصلاة والصيام والحج، فإن التكاليف الظاهرة تزول في عالم الغيب، أما طاعة التهليل والتحميد فلا تزول عنهم، وكيف يمكن زوالها عنهم والقرآن يدل على أنهم مواظبون على الحمد، والمواظبة على الحمد تدل على المواظبة على الذكر والتوحيد. وإنما قلنا: إنهم مواظبون على الحمد لقوله تعالى حكاية عن أهل الجنة: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر، الآية: ٧٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [القصص] فثبت أنهم مواظبون على الحمد، والمواظبة على الحمد مواظبة على الذكر؛ فعلمنا أن جميع العبادات زائلة عن أهل الجنة إلا طاعة الذكر والتوحيد»(١).

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن هذه الكلمة ثابتة في الآخرة، لا ترتفع عن العبيد، وذلك لأن أهل الجنة يشتغلون في الجنة بذكر التوحيد؛ ألا ترى أن الله أخبر عنهم بقوله: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ﴾ [فاطر، الآية: ٣٤]، ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا

(١) عجائب القرآن ص٣٨.

وَعۡدَهُۥ﴾ [الزمر، الآية: ٧٤]، ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف، الآية: ٤٣]»[١].

المطلب الثلاثون

التوحيد صفوف أهله في روضات الجنات مصفوفة

قال ـ تعالى ـ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ﴾ [الطور، الآية: ٢٠].

قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿مَّصۡفُوفَةٖۖ﴾ قال ابن الأعرابي (ت: ٧٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: أي موصولة بعضها إلى بعض حتى تصير صفًّا»[٢].

وقال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعنى ﴿مَّصۡفُوفَةٖۖ﴾ أي: وجوه بعضهم إلى بعض»[٣].

قال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت: ٨١٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وبمعنى صفوف أهل التوحيد في روضات الجنات»[٤].

المطلب الواحد والثلاثون

التوحيد يصحح الصلة بين الأحياء والأموات

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فزيارة أهل التوحيد لقبور المسلمين تتضمن السلام عليهم والدعاء لهم وهي مثل الصلاة على جنائزهم.

وزيارة أهل الشرك تتضمن أنهم يشبهون المخلوق بالخالق ينذرون

---

(١) عجائب القرآن ص٥٨.
(٢) تفسير القرطبي (سورة الطور، الآية: ٢٠).
(٣) تفسير ابن كثير (سورة الطور، الآية: ٢٠).
(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٣/ ٤٢٠.

له ويسجدون له ويدعونه ويحبونه مثل ما يحبون الخالق فيكونون قد جعلوه لله ندا وسووه برب العالمين»[١].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الفرق بين زيارة الموحدين للقبور، وزيارة المشركين:

أما زيارة الموحدين فمقصودها ثلاثة أشياء:

أحدها: تذكر الآخرة، والاعتبار والاتعاظ، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك بقوله: «**زوروا القبور؛ فإنها تذكركم الآخرة**»[٢].

الثاني: الإحسان إلى الميت، وأن لا يطول عهده به، فيهجره، ويتناساه، كما إذا ترك زيارة الحي مدة طويلة تناساه، فإذا زار الحي فرح بزيارته وسر بذلك، فالميت أولى؛ لأنه قد صار في دار قد هجر أهلها إخوانهم وأهلهم ومعارفهم، فإذا زاره وأهدى إليه هدية من دعاء، أو صدقة، أو أهدى قربة، ازداد بذلك سروره وفرحه، كما يسر الحي بمن يزوره ويهدي له.

ولهذا شرع النبي ﷺ للزائر أن يدعو لأهل القبور بالرحمة والمغفرة، وسؤال العافية فقط، ولم يشرع أن يدعوهم، ولا يدعو بهم، ولا يصلي عندهم.

الثالث: إحسان الزائر إلى نفسه باتباع السنة، والوقوف عند ما شرعه الرسول ﷺ، فيحسن إلى نفسه وإلى المزور.

وأما الزيارة الشركية: فأصلها مأخوذ عن عباد الأصنام.

قالوا: الميت المعظم الذي لروحه قرب ومزية عند الله، لا تزال

(١) مجموع الفتاوى ٢٧/ ٣٤٠.
(٢) ....

تأتيه الألطاف من الله، وتفيض على روحه الخيرات، فإذا علق الزائر روحه به، وأدناها منه، فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الألطاف بواسطتها، كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء ونحوه على الجسم المقابل له.

قالوا: فتمام الزيارة: أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه إلى الميت، ويعكف بهمته عليه، ويوجه قصده كله وإقباله عليه، بحيث لا يبقى فيه التفات إلى غيره، وكلما كان جمع الهمة والقلب عليه أعظم كان أقرب إلى انتفاعه به.

وقد ذكر هذه الزيارة على هذا الوجه: ابن سينا والفارابي وغيرهما، وصرح بها عباد الكواكب في عبادتها، وقالوا: إذا تعلقت النفس الناطقة بالأرواح العلوية فاض عليها منها النور.

وبهذا السر عبدت الكواكب، واتخذت لها الهياكل، وصنفت لها الدعوات، واتخذت الأصنام المجسدة لها، وهذا بعينه هو الذي أوجب لعباد القبور اتخاذها أعيادًا، وتعليق الستور عليها، وإيقاد السرج عليها، وبناء المساجد عليها، وهو الذي قصد رسول الله ﷺ إبطاله ومحوه بالكلية، وسد الذرائع المفضية إليه، فوقف المشركون في طريقه، وناقضوه في قصده، وكان ﷺ في شق، وهؤلاء في شق.

وهذا الذي ذكره هؤلاء المشركون في زيارة القبور هو الشفاعة التي ظنوا أن آلهتهم تنفعهم بها، وتشفع لهم عند الله.

قالوا: فإن العبد إذا تعلقت روحه بروح الوجيه المقرب عند الله، وتوجه بهمته إليه، وعكف بقلبه عليه؛ صار بينه وبينه اتصال، يفيض به عليه منه نصيب مما يحصل له من الله، وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة وقرب من السلطان، فهو شديد التعلق به، فما يحصل لذلك من

السلطان من الإنعام والإفضال، ينال ذلك المتعلق به بحسب تعلقه به.

فهذا سر عبادة الأصنام، وهو الذي بعث الله رسله وأنزل كتبه بإبطاله، وتكفير أصحابه، ولعنهم، وأباح دماءهم وأموالهم، وسبي ذراريهم، وأوجب لهم النار.

والقرآن من أوله إلى آخره مملوء من الرد على أهله، وإبطال مذهبهم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ [الزمر].

فأخبر أن الشفاعة لمن له ملك السماوات والأرض، وهو الله وحده، فهو الذي يشفع بنفسه إلى نفسه، ليرحم عبده، فيأذن هو لمن يشاء أن يشفع فيه، فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له، والذي يشفع عنده إنما يشفع بإذنه له وأمره، بعد شفاعته سبحانه إلى نفسه، وهي إرادته من نفسه أن يرحم عبده.

وهذا ضد الشفاعة الشركية التي أثبتها هؤلاء المشركون ومن وافقهم، وهي التي أبطلها الله سبحانه في كتابه بقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة، الآية: ١٢٣]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌۗ﴾ [البقرة، الآية: ٢٥٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنعام]، وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍۚ﴾ [السجدة، الآية: ٤].

فأخبر سبحانه أنه ليس للعباد شفيع من دونه، بل إذا أراد الله

سبحانه رحمة عبده أذن هو لمن يشفع فيه؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس، الآية: ٣]، وقال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة، الآية: ٢٥٥]»[1].

المطلب الثاني والثلاثون

في التوحيد السلامة من الخسارة الدنيوية والأخروية

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ [العصر].

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ۝١٠٥ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ۝١٠٦﴾ [الكهف].

قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيه دلالة على أن من الناس من يعمل العمل وهو يظن أنه محسن وقد حبط سعيه، والذي يوجب إحباط السعي إما فساد الاعتقاد أو المراءاة، والمراد هنا الكفر»[2].

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هي عامة في كل من عبد الله على غير طريقة مرضية يحسب أنه مصيب فيها، وأن عمله مقبول، وهو مخطئ، وعمله مردود»[3].

---

(١) إغاثة اللهفان ١/٣٩٣ ـ ٣٩٥.
(٢) تفسير القرطبي (سورة الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٦).
(٣) تفسير ابن كثير (سورة الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٦).

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا تتم له سلامته مطلقًا حتى يسلم من خمسة أشياء: من شرك يناقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض الذكر، وهوى يناقض التجريد والإخلاص؛ وهذه الخمسة حجب عن الله، وتحت كل واحد منها أنواع كثيرة تتضمن أفرادًا لا تنحصر»[(١)].

والآيات في هذا المعنى كثيرة ومنها:

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾ [الغاشية].

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ۝٢٣﴾ [الفرقان].

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور، الآية: ٣٩].

❁ قال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١٥﴾ [الزمر].

❁ وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المائدة، الآية: ٥].

۞ قال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت: ٨١٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بمعنى التوحيد وكلمة الإيمان: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المائدة، الآية: ٥]؛ أي: بكلمة التوحيد»[(٢)].

---

(١) الجواب الكافي ١/ ٢٨٣.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٢/ ١٥٠.

المطلب الثالث والثلاثون

التوحيد نور للعبد يوم القيامة

۞ عن جابر بن عبد الله (ت: ٧٨هـ) رضي الله عنه، قال: «سمعت عمر بن الخطّاب (ت: ٢٣هـ) رضي الله عنه يقول لطلحة بن عبيد الله رضي الله عنه (ت: ٣٦هـ): ما لي أراك قد شعثت واغبررت منذ توفي رسول الله ﷺ؟ لعلك ساءك يا طلحة إمارة ابن عمك؟ قال: معاذ الله، إني لأجدركم أن لا أفعل ذاك، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إني لأعلم كلمة لا يقولها رجل عند حضرة الموت إلا وجد روحه لها رَوْحًا حين تخرج من جسده، وكانت له نورًا يوم القيامة**» فلم أسأل رسول الله ﷺ عنها، ولم يخبرني بها، فذلك الذي دخلني، قال عمر: فأنا أعلمها، قال: فللَّه الحمد، قال: فما هي؟ قال: هي الكلمة التي قالها لعمه: لا إله إلا الله، قال طلحة: صدقت»[1].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: «وفي الحديث الصحيح عنه ﷺ: «**إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت إلا وجدت روحه لها رَوْحًا**»[2]، فحياة هذه الروح بحياة هذه الكلمة فيها، فكما أن حياة البدن بوجود الروح فيه، وكما أن من مات على هذه الكلمة فهو في

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ١٦١، (١٣٨٤) (١٣٨٦)؛ وأخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٩٣٧)، ورواه ابن ماجه من طريق سعدى المرية وصححه الألباني، انظر صحيح ابن ماجه للألباني (٣٠٧٧)، وأورده ابن حجر في الفتوحات الربانية ٤/ ١١٢ من طريق يحيى بن طلحة وقال: «حسن رواته موثوقون».

(٢) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٩٣٧)، وأحمد (١٨٧) باختلاف يسير.

الجنة يتقلب فيها، فمن عاش على تحقيقها والقيام بها فروحه تتقلب في جنة المأوى، وعيشه أطيب عيش قال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [سورة النازعات، الآية: ٤٠ ـ ٤١]. فالجنة مأواه يوم اللقاء.

وجنة المعرفة والمحبة والأنس بالله والشوق إلى لقائه والفرح به والرضا به وعنه مأوى روحه في هذه الدار، فمن كانت هذه الجنة مأواه هاهنا، كانت جنة الخلد مأواه يوم الميعاد، ومن حرم هذه الجنة فهو لتلك الجنة أشد حرمانًا، والأبرار في النعيم وإن اشتد بهم العيش، وضاقت عليهم الدنيا، والفجار في جحيم وإن اتسعت عليهم الدنيا، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [سورة النحل] وطيب الحياة جنة الدنيا، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٢٥]»[1].

المطلب الرابع والثلاثون

إن الله تكفل لأهل التوحيد بالأمن والطمأنينة والولاية ودخول الجنان

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ... نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت، الآية: ٣٠ ـ ٣٢].

سئل أبو بكر الصديق (ت: ١٣هـ) رضي الله عنه عن الاستقامة فقال: «أن

(١) الجواب الكافي ص١٩٦ ـ ١٩٧.

لا تشرك بالله شيئًا»[(١)].

۞ قرأت عند أبي بكر الصديق (ت: ١٣هـ) رضي الله عنه هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَـٰمُواْ﴾ قال: هم الذين لم يشركوا بالله شيئًا»[(٢)].

۞ قال مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) رحمه الله وعكرمة (ت: ١٠٥هـ) رحمه الله: «استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله»[(٣)].

۞ قال وكيع بن الجراح (ت: ١٩٧هـ) رحمه الله: «البشرى تكون في ثلاثة مواطن: عند الموت، وفي القبر، وعند البعث»[(٤)].

۞ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رحمه الله: «يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ وحده لا شريك له، وبرئوا من الآلهة والأنداد، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَـٰمُواْ﴾ على توحيد الله، ولم يخلطوا توحيد الله بشرك غيره به، وانتهوا إلى طاعته فيما أمر ونهى»[(٥)].

۞ قال محمد بن عبد الرؤوف المناوي (ت: ١٠٣١هـ) رحمه الله: «فإن من حاسب نفسه في الرخاء قبل حساب الشدة عاد أمره إلى الرضا والغبطة، ومن ألهته حياته وشغلته أهواؤه، عاد أمره إلى الندامة والحسرة»[(٦)].

۞ ۞ ۞

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة فصلت، الآية: ٣٠).
(٢) تفسير الطبري (سورة فصلت، الآية: ٣٠).
(٣) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة فصلت، الآية: ٣٠).
(٤) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة فصلت، الآية: ٣٠).
(٥) تفسير الطبري (سورة فصلت، الآية: ٣٠).
(٦) فيض القدير ٣/ ٥٢٤.



محاسن التوحيد والإيمان بالقدر

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول

من تمام التوحيد الإيمان بالقدر

۞ عَنِ ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما، قَالَ: «الْقَدَرُ نِظَامُ التَّوْحِيدِ، فَمَنْ وَحَّدَ اللهَ عز وجل، وَآمَنَ بِالْقَدَرِ؛ فَهِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا، وَمَنْ وَحَّدَ اللهَ تَعَالَى، وَكَذَّبَ بِالْقَدَرِ، نَقَضَ التَّوْحِيدَ»[(١)].

۞ قال علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال (ت: ٤٤٩هـ) رحمه الله: «فإن قيل: ما معنى قول النبي ﷺ للذى رفع صوته بلا إله إلا الله: «**ألا أدلك على كنز الجنة**». فقال: «**لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا إله إلا الله تغني عن غيرها، وهي المنجية من النار؟**»[(٢)]، فالجواب: أن النبي ﷺ

(١) السنة لعبد الله بن الإمام أحمد، تحت رقم (٩٢٥، ٩٢٨)، القدر للفريابي تحت رقم (٢٠٥)، والشريعة للآجري ص١٩٧، وابن بطة في: الإبانة تحت رقم (١٦١٨، ١٦١٩)، وشرح اعتقاد أهل السنة للالكائي تحت رقم (١١١٢ - ١٢٢٤). ويتقوى بتعدد الطرق إلى الحسن لغيره.

(٢) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٣٠٣)، وابن ماجه (٣٨٢٥)، وأحمد (٢١٢٩٨) باختلاف يسير، والكلاباذي في «بحر الفوائد» ص٢٨٦ واللفظ له.

كان معلمًا لأمته، وكان لا يراهم على حالة من الخير، إلا أحب لهم الزيادة عليها، فأحب للذي رفع صوته بكلمة الإخلاص والتوحيد أن يردفها بالتبرؤ من الحول والقوة لله تعالى وإلقاء القدرة إليه، فيكون قد جمع مع التوحيد الإيمان بالقدر»(١).

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا بد من الإيمان بالقدر فإن الإيمان بالقدر من تمام التوحيد كما قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هو نظام التوحيد فمن وحد الله وآمن بالقدر تم توحيده، ومن وحد الله، وكذب بالقدر نقض توحيده»(٢).

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وبالجملة فكل دليل في القرآن على التوحيد فهو دليل على القدر وخلق أفعال العباد؛ ولهذا كان إثبات القدر أساس التوحيد، قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الإيمان بالقدر نظام التوحيد؛ فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه التوحيد»(٣).

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الإيمان بالقدر أصل الإيمان بالأمر وهو نظام التوحيد فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه إيمانه»(٤).

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «والذي دل عليه قول ابن مسعود (ت: ٣٢هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو قول الصحابة كلهم وأئمة السنة من التابعين ومن بعدهم هو إثبات القدر الذي هو نظام التوحيد؛ إثبات فعل العبد الاختياري، الذي هو نظام الأمر والنهي، وهو متعلق المدح والذم

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٠/ ١٣٩.
(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ١١٣.
(٣) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ص٦٥.
(٤) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص٦١.

والثواب والعقاب والله أعلم»[١].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «النبي ﷺ أرشد الأمة في القدر إلي أمرين هما سببا السعادة:

الإيمان بالأقدار فإنه نظام التوحيد.

والإتيان بالأسباب التي توصل إلى خيره وتحجز عن شره وذلك نظام الشرع.

فأرشدهم إلى نظام التوحيد والأمر؛ فأبى المنحرفون إلا القدح بإنكاره في أصل التوحيد، أو القدح بإثباته في أصل الشرع، ولم تتسع عقولهم التي لم يلق الله عليها من نوره للجمع بين ما جمعت الرسل جميعهم بينه وهو القدر والشرع والخلق والأمر.

وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، والنبي ﷺ شديد الحرص على جمع هذين الأمرين للأمة وقد تقدم قوله: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز**»[٢]، وإن العاجز من لم يتسع للأمرين»[٣].

۞ قال الشيخ حافظ بن أحمد حكمي (ت: ١٣٧٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإيمان بالقدر نظام التوحيد كما أن الإيمان بالأسباب التي توصل إلى خيره وتحجز عن شره هي نظام الشرع، ولا ينتظم أمر الدين ويستقيم إلا لمن آمن بالقدر وامتثل الشرع، كما قرر النبي ﷺ الإيمان بالقدر ثم قال لمن قال له: «أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: «**اعملوا فكل ميسر**

(١) حاشيته على تهذيب السنن ٦/ ١٠٥.
(٢) رواه مسلم (٢٦٦٤).
(٣) شفاء العليل ١/ ٢٦.

لما خلق له»[(١)]، فمن نفى القدر زاعمًا منافاته للشرع فقد عطل الله تعالى عن علمه وقدرته وجعل العبد مستقلًا بأفعاله خالقًا لها، فأثبت مع الله تعالى خالقًا، بل أثبت أن (جميع المخلوقين خالقون)، ومن أثبته محتجًا به على الشرع محاربًا له به نافيًا عن العبد قدرته واختياره التي منحه الله تعالى إياها وكلفه بحسبها زاعمًا أن الله كلف عباده ما لا يطاق، كتكليف الأعمى بنقط المصحف، فقد نسب الله تعالى إلى الظلم وكان إمامه في ذلك إبليس لعنه الله تعالى إذ يقول: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف] وأما المؤمنون حقًّا فيؤمنون بالقدر خيره وشره وأن الله خالق ذلك كله، وينقادون للشرع أمره ونهيه ويحكمونه في أنفسهم سرًّا وجهرًا، والهداية والإضلال بيد الله يهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله، وهو أعلم بمواقع فضله وعدله ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ [النجم] وله في ذلك الحكمة البالغة والحجة الدامغة، وإن الثواب والعقاب مترتب على الشرع فعلًا وتركًا على القدر، وإنما يعزون أنفسهم بالقدر عند المصائب، فإذا وفقوا لحسنه عرفوا الحق لأهله فقالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف، الآية: ٤٣] ولم يقولوا كما قال الفاجر: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص، الآية: ٧٨] وإذا اقترفوا سيئة قالوا كما قال الأبوان: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف] ولم يقولوا كقول الشيطان الرجيم: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحجر، الآية: ٣٩] وإذا أصابتهم مصيبة قالوا: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة، الآية: ١٥٦]، ولم يقولوا كما قال الذين كفروا: ﴿وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ

(١) أخرجه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧).

يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾ [آل عمران]»[1].

المطلب الثاني

التوحيد تقرير بأن النفع والضر بيد الله

قال - تعالى -: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام]. فالنافع الضار هو المستحق للعبادة وحده.

قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس].

قال سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (ت: ٧١٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر] هي شبيهة بقول إبراهيم: ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الشعراء] وقول صاحب يس: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [يس] وهو استدلال على التوحيد، ونفي إلهية الشركاء بعدم ملكهم التصرف بالضر والنفع أي: هؤلاء لا تصرف لهم، وكل من لا تصرف له؛ فليس بإله، فهؤلاء ليسوا آلهة»[2].

---

(١) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة ص٩١ - ٩٢.

(٢) كتاب الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية ص٥٤٢.

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «والدعاء من جملة العبادات، فمن دعا المخلوقين من الموتى والغائبين واستغاث بهم ـ مع أن هذا أمر لم يأمر به الله ولا رسوله أمر إيجاب ولا استحباب ـ كان مبتدعًا في الدين، مشركًا برب العالمين، متبعًا غير سبيل المؤمنين»[(١)].

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «من تمام نعمة الله على عباده المؤمنين؛ أن ينزل بهم من الشدّة والضر ما يلجئهم إلى توحيده، فيدعونه مخلصين له الدين، ويرجونه ولايرجون أحدًا سواه، فتتعلق قلوبهم به لا بغيره، في حصل لهم من التوكل عليه ما هو أعظم نعمة عليهم من زوال المرض والخوف»[(٢)].

۞ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوكل: حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يَضره في دينه ودنياه، ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب وإلَّا كان معطلًا للحكمة والشرع؛ فلا يجعل العبد عجزه توكلًا ولا توكله عجزًا»[(٣)].

۞ قال عبد الرحمٰن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا وصف لكل مخلوق، وأنه لا ينفع ولا يضرّ، وإنما النافع الضارّ هو الله، ومن دعا ما لا يضرّه ولا ينفعه فقد ظلم نفسه بالوقوع في الشرك الأكبر، وإذا كان النبي عليه الصلاة والسلام لو دعا غير الله لكان من الظالمين المشركين، فكيف بغيره؟»[(٤)].

---

(١) مجموع الفتاوى ١/ ٣١٢.
(٢) المستدرك على الفتاوى ١/ ١٥.
(٣) زاد المعاد ٤/ ١٥.
(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان للسعدي ص٣٣١.

المطلب الثالث

الله عَزَّ وَجَلَّ قضى، ووَصّى، وحكَم، وأمر بالتوحيد

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء، الآية: ٢٣].

فالله عَزَّ وَجَلَّ قضى، ووَصّى، وحكَم، وأمر بالتوحيد فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ قضاءً دينيًّا، وأمرًا شرعيًّا، ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟﴾ أحدًا: من أهل الأرض والسمٰوات، الأحياء، والأموات، ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾؛ لأنه الواحد الأحد، الفرد الصمد»(١).

المطلب الرابع

التوحيد دعوة للتوكل على الله في كل الأحوال

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [البقرة].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾﴾ [آل عمران].

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [المؤمنون].

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ١٧/ ٤١٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٣٤، وتيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان ص٤٠٧.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود].

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾ [الأحزاب].

قال ـ تعالى ـ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ [السجدة].

فمن يتأمل النصوص الشرعية الواردة في التوحيد والدالة على عظمة الله فإنها تشعر العبد المؤمن بالطمأنينة وتحثه على حسن التوكل عليه، والقرآن دعوة لتثبيت الإيمان في القلوب قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود].

فمن يقرأ عن عظمة الله في القرآن فإنه يشعر بطمأنينة وسكينة؛ لأن آيات القرآن تقرر أن كل شيء عنده سبحانه، وهو مكتوب وبمشيئته وتحت ملكه، فهو المتصرف في الكون كله.

فإذا آمن العبد بذلك كله فإن ذلك يجعل المؤمن لا يخاف، فالموحد لا يخشى أحدًا إلا الله، فالتوحيد الحقيقي أنك لا ترى مع الله أحدًا أبدًا، وذلك بأن تعلم وتتيقن بأن كل شيء وقع وتحقق فقد أراده الله، وكل شيء أراده الله وقع، فالله غني عن العالمين.

فهل يعقل أن الله يأمرك بعبادته ويأمرك أن تتوكل عليه ويجعل مصيرك في يد أحد من البشر؟!

المطلب الخامس

التوحيد شرط في تحقيق التوكل

❁ قال الله - تعالى -: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾ [التوبة].

❁ قال عبد الرحمن بن محمد بن قدامة (ت: ٦٨٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن التوكل لا يمكن له أن يوجد في قلب العبد المؤمن بدون أن يكون القلب صافيًا في توحيد الله تعالى؛ لأنه إن أخلص التوحيد، وأيقن أن لا خالق في هذا الكون ولا رازق إلا الله تعالى؛ لم يطلب الرزق من غير الله، وإذا أيقن أن القوة لله؛ لم يخشَ ولم يخف إلا الله تعالى»(١).

❁ قال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت: ٨١٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيده، بل حقيقة التوكل توحيد القلب، فما دامت فيه علائق الشرك فتوكله معلول مدخول، وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل، فإن العبد متى التفت إلى غير الله أخذ ذلك الالتفات شعبة من شعب قلبه فنقص من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة»(٢).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَرْجَحُ الْمَكَاسِبِ: التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ وَالثِّقَةُ بِكِفَايَتِهِ وَحُسْنُ الظَّنِّ بِهِ»(٣).

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ص٣٣١.
(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٥/ ٢٧٣.
(٣) مجموع الفتاوى ١٠/ ٦٦٠.

المطلب السادس

التوحيد يرسخ في الإنسان أنه عبد لله راجع وهذا معنى إنا لله وإنا إليه راجعون

❁ قال الحسين بن علي (ت: ٦١هـ) رضي الله عنهما: «من اتكل على حسن اختيار الله له لم يتمن غير ما اختار الله له»(١).

❁ قال الفضيل بن عياض (ت: ١٨٧هـ) رحمه الله لرجل: كم أتت عليك؟

قال: ستون سنة.

قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك توشك أن تبلغ.

فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون.

فقال الفضيل: أتعرف تفسيره؟

تقول: أنا لله عبد.. وإليه راجع فمن علم أنه لله عبد.. وأنه إليه راجع فليعلم أنه موقوف.. ومن علم أنه موقوف.. فليعلم أنه مسؤول.

ومن علم أنه مسؤول.. فليعد للسؤال جوابًا.

فقال الرجل: فما الحيلة؟

قال: يسيرة.

فقال الرجل: ما هي؟

قال: تحسن فيما بقي.. يغفر لك ما مضى؛ فإنك إن أسأت فيما بقي.. أخذت بما مضى وبما بقي»(٢).

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ١٧٥.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب ١/ ٣٨٣.

۞ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «حقيقة الدين هو الطاعة والانقياد، وذلك إنما يتم بالفعل لا بالقول فقط، فمن لم يفعل لله شيئًا فما دان الله دينًا، ومن لا دين له فهو كافر»[1].

۞ قال إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «المقصد الشرعي مِن وضْع الشريعة هو إخراج المكلف عن داعية هواه حتى يكون عبدًا لله اختيارًا كما هو عبد الله اضطرارًا»[2].

---

(١) شرح العمدة ٢/ ٨٦.
(٢) الموافقات ٢/ ١١٤.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ المبعوث بالمكرمات، وبعد:

فإن العلم كالبحر، قال بعض العلماء: «المتعمق في العلم كالسابح في البحر ليس يرى أرضًا، ولا يعرف طولًا ولا عرضًا»[(١)]. وأعظم العلم وأكبره هو العلم بالله كما قال سهل التستري: «وليس في خزائن الله أكبر من التوحيد»[(٢)].

فما جمعته في هذا الموضوع هو جهد المقل المقصر الذي يدرك أن ما جمعه في هذا الكتاب لا يمكن من خلاله الإحاطة بجوانب الموضوع، واستقصاء ما كتبه العلماء في هذا الباب من عبارات وكلمات عن محاسن التوحيد، وحسبي عذرًا ما قيل في أمثال العرب: «حَسْبُكَ من القلادة ما أحاط بالعُنُق» أي اكتفِ بالقليل عن الكثير[(٣)]؛ وهو مثل يقال في طلب الاقتصار على المفيد، وكلي رجاء بالله أن يتقبل هذا العمل، وأن يبارك فيه ويعم بنفعه من اطلع عليه، وأن يغفر الله لي تقصيري وما وقع فيه من خلل ونقص؛ فإن ذلك من طبيعة عمل البشر.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي ص٣٧.

(٢) تفسير التستري ص٨٧.

(٣) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١/ ٢٥٧.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الفصل الثاني
محاسن التوحيد وبقية أركان الإيمان

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة